إعراب القرآن الكريم

وبيانه

تأليف الأستاذ
محيي الدين الدرويش

المجلد الثامن

الجزء التاسع والعشرون - الجزء الثلاثون

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

إعراب القرآن الكريم
وبيانه

الطَّبْعَةُ السَّابِعَة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

طَبعَةٌ مُنَقَّحَةٌ وَمُصَحَّحَةٌ وَمُفَهْرَسَة

(تَنضِيدٌ جَدِيدٌ)

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - جادة أبن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - هاتف: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس: ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ - تلفاكس ٠١٨١٧٨٥٧ - ٠٣٢٠٤٤٥٩

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص.ب: ٢٧٧ - هاتف: ٢١٢٢٠٥٩ - فاكس: ٢١٢٣٢٤٥
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٥٤٨٨ - هاتف: ٠١٧٠٢٩٥٩ - ٠٣٨٥٢٥٨٦

إعراب القرآن الكريم وبيانه

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد الثامن

الجزء التاسع والعشرون — الجزء الثلاثون

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

دار اليمامة
دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
حمص - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

لسان العرب

سورة الملك

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿طِبَاقًا﴾ جمع طبقة، كرحبة ورحاب، أو: جمع طبق، كجمل وجمال، وجبل وجبال، وفي المصباح: وأصل الطبق: الشيء على مقدار الشيء، مطبقاً له من جميع جوانبه.

﴿فُطُورٍ﴾ صدوع، وشقوق، وفي المختار: والفطر: الشق، يقال: فطره فانفطر، وتفطر الشيء: تشقّق، وبابه: نصر.

﴿حَسِيرٌ﴾ في المختار: حسر بصره: انقطع نظره من طول مدى،

وما أشبه ذلك، فهو حسير ومحسور أيضاً، وبابه: جلس. وهو فعيل بمعنى فاعل، من الحسور، وهو: الإعياء.

○ الإعراب:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تبارك فعل ماضٍ، أي: تنزه عن صفات المحدثين، والذي فاعل، وبيده خبر مقدم، والمُلْك مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، وهو مبتدأ، وعلى كل شيء متعلقان بقدير، وقدير خبر هو، وهذه الجملة معطوفة على الصلة، مقررة لمضمونها ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الذي بدل من اسم الموصول الأول، وجملة خلق الموت والحياة لا محل لها؛ لأنها صلة، وليبلوكم: اللام للتعليل، ويبلو فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل هو، والكاف مفعول به، وأيّكم مبتدأ، وأحسن خبر، وعملاً تمييز، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول ثانٍ ليبلوكم، ولام التعليل ومجرورها متعلقان بخلق من حيث تعلقه بالحياة؛ إذ هي محل الاختبار والتكليف، وأما الموت فلا شيء من ذلك فيه. وفي الكلام استعارة تمثيلية تبعية على تشبيه حالهم في تكليفه تعالى لهم بتكاليفه، وخلق الموت والحياة لهم، وإثابته لهم، وعقوبته بحال المختبر مع مَن جرّبه واختبره لينظر مدى طاعته، أو عصيانه فيكرمه، أو يهينه ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ مبتدأ وخبراه ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ الذي بدل ثانٍ من اسم الموصول، وقيل: من العزيز الغفور، وقيل: نعت لهما، أو: أنه في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أو منصوب على المدح، وجملة خلق صلة، وسبع سموات مفعول به، وطباقاً: صفة لسبع سموات، أو منصوب بفعل مقدّر، أي: طبقت طباقاً، فيكون مصدر طابق، مطابقة، وطباقاً ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتوكيد استقامة خلقه تعالى، وما نافية، وترى فعل مضارع، وفاعل مستتر، يعود على مَن يصلح للخطاب، وفي خلق الرحمن متعلقان بترى، ومن حرف جر

زائد، وتفاوت مجرور لفظاً، منصوب محلاً على أنه مفعول ترى، وقرىء: تفوت بالتشديد للواو دون ألف، والتفاوت: عدم التناسب؛ لأن بعض الأجزاء يفوت الآخر، ومن الغريب أن الزمخشري جعل هذه الجملة صفة متابعة لقوله: طباقاً، قال: وهذه الجملة المنفية صفة لقوله طباقاً، وأصلها: ما ترى فيهنّ، فوضع مكان الضمير خلق الرحمن تعظيماً لخلقهنّ، وتنبيهاً على سبب سلامتهنّ، وهو خلق الرحمن. وفي هذا من التعسّف ما فيه لانفلات الكلام بعضه من بعض.

فارجع: الفاء تعليلية؛ لأن قوله ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ ﴾ متسبّب عن قوله ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ وارجع البصر: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وهل حرف استفهام، وترى فعل مضارع مرفوع، ومن حرف جر زائد، وفطور مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، والجملة الاستفهامية في موضع نصب بفعل محذوف، وهذا الفعل معلق بالاستفهام، أي: هل ترى ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وارجع البصر فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وكرتين نصب على المصدر كمرتين، وهو وإن كان مثنى لا يقصد به التثنية، بل المقصود به: التكثير، وينقلب فعل مضارع مجزوم، لأنه وقع جواباً للطلب، وإليك متعلقان بينقلب، والبصر فاعل، وخاسئاً حال، والواو حالية، وهو مبتدأ، وحسير خبر، والجملة حال إما من صاحب الأولى، وإما من الضمير المستكن في الحال قبلها، فتكون حالاً متداخلة.

﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿رُجُومًا﴾ الرجوم: جمع رجم، وهو مصدر، سمِّي به المفعول، أي: ما يرجم به، ويجوز أن يكون باقياً على مصدريته، ويقدّر مضاف، أي: ذات رجوم، وإنما جمع المصدر باعتبار أنواعه.

○ **الإعراب:**

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في ذكر دلائل أُخرى على تمام قدرته تعالى، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وزيّنا فعل وفاعل، والسماء مفعول به، والدنيا نعت، أي: القربى إلى الأرض، وبمصابيح متعلقان بزيّنا، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به، ورجوماً مفعول به ثانٍ، وللشياطين متعلقان برجوماً، أو نعت له ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ وأعتدنا عطف على زيّنا، ولهم متعلقان بأعتدنا، وعذاب السعير مفعول به ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الواو عاطفة، وللذين خبر مقدّم، وجملة كفروا صلة، وبربهم متعلقان بكفروا، وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر، وبئس المصير فعل جامد لإنشاء الذم وفاعله، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ إذا ظرف زمان مستقبل، متضمن معنى الشرط متعلق بسمعوا، وجملة ألقوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، وألقوا فعل ماضٍ مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وفيها متعلقان بألقوا، والجملة مستأنفة، وجملة سمعوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ولها متعلقان بمحذوف حال من شهيقاً؛ لأنه في الأصل صفته، وتقدم عليه، وشهيقاً مفعول سمعوا، والواو حالية، وهي مبتدأ، وجملة

تفور خبر، والجملة حالية من الهاء في: لها ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ الجملة مستأنفة، كأنها وقعت جواباً لسؤال سائل، وتكاد فعل مضارع من أفعال المقاربة، واسمها مستتر تقديره: هي، وجملة تميّز خبر، وتميّز أصلها: تتميّز، فعل مضارع، أي: تتقطع، فحذفت إحدى التاءين، ومن الغيظ في محل نصب على التمييز، أي: غيظاً، وكلما ظرف زمان متعلق بجوابه، وهو سألهم، وقد مرّ تفصيل إعرابها، وألقي فعل ماضٍ مبني للمجهول، وفيها متعلقان بألقي، وفوج نائب فاعل، وجملة سألهم لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وهو فعل ماضٍ ومفعول به، وخزنتها فاعل، والهمزة للاستفهام التقريري التوبيخي، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويأتكم فعل مضارع مجزوم بلم، والكاف مفعول به، ونذير فاعل، وجملة الاستفهام مفعول به ثانٍ لسأل ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾ قالوا فعل وفاعل، وقد حرف تحقيق، وجاءنا فعل ماضٍ ومفعول به مقدّم، ونذير فاعل مؤخر، والجملة مستأنفة، جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: فماذا قالوا بعد السؤال؟ فقال: قالوا بلى قد جاءنا نذير، وجملة قد جاءنا في محل نصب مقول القول ﴿ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ الفاء حرف عطف، وكذبنا فعل وفاعل، وقلنا عطف على كذبنا، وما نافية، ونزل فعل ماضٍ، والله فاعل، ومن حرف جر زائد، وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، والجملة مقول القول ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ إن نافية، وأنتم مبتدأ، وإلا أداة حصر، وفي ضلال خبر أنتم، وكبير نعت ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الواو عاطفة، وقالوا فعل ماضٍ وفاعل، ولو شرطية، وكان واسمها، وجملة نسمع خبرها، وأو حرف عطف، ونعقل عطف على نسمع، وما نافية، وكان واسمها، وفي أصحاب السعير خبرها، والجملة لا محل لها، وجملة الشرط وجوابه مقول القول ﴿ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الفاء عاطفة، واعترفوا فعل وفاعل، وبذنبهم متعلقان باعترفوا، والفاء عاطفة، وسحقاً منصوب على المصدر، تقديره: سحقهم الله سحقاً، فناب المصدر

عن عامله في الدعاء، نحو: جدعاً له، وعقراً، فلا يجوز إظهاره، وقيل: هو مفعول به لفعل محذوف، أي: ألزمهم الله سحقاً، وفي المختار: والسحق: البعد، يقال: سحقاً له، والسُّحُق بضمتين مثله، وقد سحق الشيء بالضم سحقاً بوزن: بعد، فهو سحيق، أي: بعيد، وأسحقه الله، أي: أبعده. وكان القياس إسحاقاً، فجاء بالمصدر على المحذوف، واللام في لأصحاب السعير للبيان، كما في: هيت لك.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ استعارة تصريحية، شبّه الكواكب والنجوم بمصابيح، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأن الناس يزيِّنون مساجدهم ودورهم بإثقاب المصابيح، ولكنها مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة.

(٢) وفي قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ استعارة مكنية تبعية، شبّه جهنم بالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، وحذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه؛ لأن المغتاظة تتميز وتتقصف غضباً، ويكاد ينفصل بعضها عن بعض لشدة اضطرابها، ويقولون: فلان يتميز غيظاً؛ إذا وصفوه بالإفراط في الغضب. وفي هذه الآية أيضاً فن حسن الإتباع، فقد جرى الشعراء على نهجها، فولعوا بإسناد أفعال مَن يعقل إلى ما لا يعقل، وقد أوردنا له أمثلة في الكهف، وفي الفرقان، فجدّد بها عهداً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ
ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾
ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ

أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ذَلُولًا ﴾ فعوّل بمعنى مفعول، أي: مذللة مسخرة، منقادة لما تريدون منها.

﴿ مَنَاكِبِهَا ﴾ المناكب: جمع منكب، وهو مجتمع رأس الكتف والعضد، يقال: تشابهت منهم المناكب والرؤوس، أي: ليس فيهم مفصل، ويقال: هزّ منكبه لكذا، أي: فرح به، وفلان معي على حدّ منكب، أي: كلما رآني التوى، ولم يلتقني بوجهه، والمنكب أيضاً: ناحية كل شيء، وجانبه. يقال: سرنا في منكب من الأرض، أو الجبل، أي: في ناحية والمنكب من القوم عريفهم، أو عونهم، والمنكب من الأرض: الطريق، والموضع المرتدم، وفي القرآن الكريم: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ أي: في مواضعها المرتفعة، فعلى هذا يكون الكلام حقيقة، وعلى الأول يكون فيه استعارة تصريحية، وإلى هذا جنح الزمخشري، فقال: المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية؛ لأن المنكبين، وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير، وأنباه عن أن يطأ الراكب بقدمه، ويعتمد عليه، فإذا جعلها من الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك شيئاً منها إلا قد ذلّله. وقال الزجّاج: معناه: سهّل لكم السلوك في جبالها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل. وقيل: جوانبها.

﴿ تَمُورُ ﴾ تتحرك بكم، وفي المختار: مارَ، من باب: قال، تحرّك، وجاء، وذهب، ومنه: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ قال الضحاك: تموج موجاً.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ إن واسمها، وجملة يخشون صلة الذين، وربهم مفعول به، وبالغيب حال من الواو في يخشون،

والباء بمعنى في، ولهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ مؤخر، وأجر عطف على مغفرة، وكبير نعت لأجر، والجملة الاسمية خبر إن ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ الواو استئنافية، وأسرّوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وقولكم مفعول به، وأو حرف عطف، واجهروا فعل أمر وفاعل، وبه متعلقان باجهروا، وإن واسمها، وعليم خبرها، وبذات الصدور متعلقان بعليم، وجملة إن وما في حيِّزها تعليل للأمر بتساوي السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الهمزة للاستفهام، لا نافية، ويعلم فعل مضارع مرفوع، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به، والفاعل مستتر يعود على الله تعالى، والمعنى: أينتفي علمه بمَن خلق، وهو الذي أحاط بمكنونات الأُمور وجليّاتها؟ وأجاز الزمخشري، ورجّحه الجمل في حاشيته نقلاً عن شيخه أبو البقاء وغيرهما: أن يكون من فاعل يعلم، والمفعول محذوف، كأنه قال: ألا يعلم الخالق سرّكم وجهركم، والاستفهام معناه الإنكار، وعبارة الزمخشري: ويجوز أنْ يكون مَن خلق منصوباً، بمعنى: ألا يعلم مخلوقه، وهذه حاله، وروي: أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء، فيظهر اللهُ رسولَه عليها، فيقولون: أسرّوا قولكم لئلا يسمعه إلٰه محمد، فنبّه الله على جهلهم، فإن قلت: قدّرت في ألاّ يعلم مفعولاً على معنى: ألا يعلم ذلك المذكور، فما أضمر في القلب، وأظهر باللسان من خلق، فهلاّ جعلته مثل قولهم: هو يعطي ويمنع، وهلاّ كان المعنى: ألا يكون عالماً مَن هو خالق؛ لأن الخلق لا يصحّ إلا مع العلم، قلت: أبت ذلك الحال التي هي قوله، وهو اللطيف الخبير؛ لأنك لو قلت: ألا يكون عالماً مَن هو خالق، وهو اللطيف الخبير، لم يكن معنىً صحيحاً؛ لأن ألا يعلم معتمد على الحال والشيء، ولا يوقت بنفسه، فلا يقال: ألا يعلم وهو عالم، ولكن ألا يعلم كذا، وهو عالم بكل شيء. وقد تعقّب ابن المنير المالكي الزمخشري، وناقشه مناقشة قيّمة قال فيها: هذه الآية ردٌّ على المعتزلة، وتصحيح للطريق التي يسلكها أهل السنّة في الردّ عليهم؛ فإن أهل السنّة يستدلون على أن العبد لا يخلق أفعاله بأنه

لا يعلمها، وهو استدلال بنفي اللازم الذي هو العلم على نفي الملزوم؛ الذي هو الخلق، وبهذه الملازمة دلّت الآية، فإن الله تعالى أرشد إلى الاستدلال على ثبوت العلم له عزّ وجلّ بثبوت الخلق، وهو استدلال بوجود الملزوم على وجود اللازم، فهو نور واحد يقتبس منه ثبوت العلم للبارىء عزّ وجلّ، وإبطال خلق العبد لأفعاله، وإعراب الآية ينزل على هذا المعنى؛ فإن الوجه فيها أن يكون من فاعلاً مراداً به الخالق، ومفعول العلم محذوف، تقديره: ذلك، إشارة إلى السر والجهر، ومفعول خلق محذوف ضميره عائد إلى ذلك، والتقدير في الجميع: ألا يعلم السر والجهر من خلقهما، ومتى حذونا غير هذا الوجه من الإعراب ألقانا إلى مضايق التكلّف والتعسّف، فمن المحتمل أن يكون من مفعولة واقعة على فاعل السر والجهر، والتقدير: ألا يعلم الله المسرِّين والجاهرين، وليس مطابقاً للمفصل؛ فإنه لم يقع على ذوات الفاعلين، وإنما وقع على أفعالهم من السرّ والجهر، وعليه وقع الاستدلال، ويحتمل غير ذلك أبعد منه، والأول هو الأولى لفظاً ومعنىً، والله الموفِّق.

والواو حالية، وهو مبتدأ، واللطيف خبر أول، والخبير خبر ثانٍ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ هو مبتدأ، والذي خبر، وجملة جعل صلة، ولكم متعلقان بذلولاً، والأرض مفعول جعل الأول، وذلولاً مفعولها الثاني إذا كانت بمعنى صيّر، وإن كانت بمعنى خلق يعرب حالاً، والفاء الفصيحة، أي: إن عرفتم ذلك فامشوا، والأمر أمر إباحة، وفي مناكبها متعلقان بامشوا، وكلوا فعل أمر وفاعل، ومن رزقه متعلق بكلوا، وإليه خبر مقدم، والنشور مبتدأ مؤخر ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وأمنتم فعل وفاعل، ومن مفعول به، وهي عبارة عن الله تعالى، وفي السماء متعلقان بمحذوف صلة الموصول، وأن يخسف المصدر المؤول في محل نصب بدل اشتمال من «من» وبكم متعلقان بيخسف، والأرض مفعول به، والفاء عاطفة، وإذا الفجائية، وقد تقدم

القول فيها، وهي مبتدأ، وجملة تمور خبر ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ أم عاطفة بمعنى بل، كأنه أضرب عن التهديد الأول لينتقل إلى تهديد آخر، وأمنتم فعل وفاعل، ومن مفعول به، وفي السماء صلة، وأن وما فيه حيِّزها بدل اشتمال من «من» وحاصباً مفعول به، والفاء الفصيحة، والسين حرف استقبال، وتعلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وكيف اسم استفهام خبر مقدّم، ونذير مبتدأ مؤخر، وحذفت ياء المتكلم رسماً، والجملة المعلقة في محل نصب مفعول تعلمون.

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلطَّيْرِ ﴾ في المصباح: جمع الطائر: طير، مثل صاحب وصحب، وراكب وركب، وجمع الطير: طيور، وأطيار، وقال أبو عبيدة، وقطرب: ويقع الطير على الواحد والجمع، وقال ابنُ الأنباري: الطير جماعة، وتأنيثها أكثر من تذكيرها، ولا يقال للواحد: طير، بل: طائر، وقلّما يقال للأُنثى: طائرة. وفي القاموس واللسان وغيرهما ما خلاصته: الطير مصدر، وجمع طائر، وقد يقع على الواحد، والاسم من التطيّر، ومنه قولهم: لا طير إلا طير الله، وطير الله لا طيرك، كما يقال: صباح الله لا صباحك، ويقال أيضاً: كأنّ على رؤوسهم الطير، أي: هم ساكنون هيبة، وأصله: أن الغراب يقع على رأس البعير، فيلقط منه القراد، فلا

يتحرك البعير لئلا ينفر عنه الغراب، وازجر أحناء طيرك، أي: جوانب خفتك، وطيشك.

﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطات أجنحتهنّ في الجو عند طيرانها.

﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهنّ، وسيأتي المزيد في باب: البلاغة.

﴿لَّجُّواْ﴾ تمادوا.

﴿مُكِبًّا﴾ اسم فاعل من أكب اللازم المطاوع لكبه، يقال: كبّه الله على وجهه في النار، فأكبّ، أي: سقط، وهذا على خلاف القاعدة في أن الهمزة إذا دخلت على اللازم تصيِّره متعدياً، وهنا قد دخلت على اللازم فصيّرته لازماً، هذا ما ذكره اللغويون، وأنكره الزمخشري، قال: «يجعلون أكبّ مطاوع كبّه، يقال: كببته فأكبّ من الغرائب والشواذ، ونحوه: قشعت الريح السحاب فأقشع، وما هو كذلك، ولا شيء من بناء أفعل مطاوعاً ولا يتقن هذا إلا حَمَلَة كتاب سيبويه، وإنما أكبّ من باب: أنغض، وألأم، ومعناه: دخل في الكب، وصار ذا كب، وكذلك أقشع السحاب: دخل في القشع، ومطاوع كب، وقشع: انكبّ، وانقشع. وفي الصحاح ما يؤيد قول الزمخشري، قال: أنغض القوم: هلكت أموالهم، وأنفضوا أيضاً، مثل: أرملوا: فني زادهم. وفيه أيضاً: ألأم الرجل: إذا صنع ما يدعوه الناس عليه لئيماً.

وقال أبو حيان: ومكبّاً حال من أكبّ، وهو لا يتعدى، وكبّ: متعد، قال تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ والهمزة فيه للدخول في الشيء، أو للصيرورة، ومطاوع كب: انكب، تقول: كببته، فانكب.

وفي القاموس: كبه: قلبه، وصرعه، كأكبّه، وكبكبه، فأكبّ، وهو لازم ومتعدٍّ.

وعبارة الأساس: أكبّ لوجهه، وعلى وجهه، فانكبّ: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا

عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ وكببته، وهو مكبوب، ومكبوت، وكببته في الهوّة، وكبكبته، وكذلك: إذا رمى به من رأس جبل، أو حائط، والفارس يكبّ الوحوش، وهم يكبّون العشار، قال:

يكبّون العشارَ لمن أتاهم إذا لم تُسكت المئةُ الوليدا

ورجل أكبّ: لا يزال يعثر، قال عديّ:

إن يُصبني بعضُ الهَناتِ فلا وا نٍ ضَعِيفٌ ولا أكبُّ عثُورُ

ومن المجاز: أكبّ على عمله، وهو مكبٌّ عليه: لازم له لا يفارقه، قال لبيد:

جُنُوحَ الهالكيِّ على يديْهِ مُكبّاً يجتَلي نُقَبَ النِّصالِ

وأكبّ فلان على فلان يطلبه.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ الواو استئنافية، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وكذب فعل ماضٍ، والذين فاعل، ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والفاء حرف عطف، وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان مقدّم، وكان فعل ماضٍ ناقص، ونكير اسمها، وحذفت الياء اتّباعاً لرسم المصحف، أي: إنكاري عليهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة على مقدّر، أي: أغفلوا، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويروا فعل مضارع مجزوم بلم، والواو فاعل، وإلى الطير متعلقان بيروا، وفوقهم ظرف متعلق بصافّات، وصافّات حال، ويقبضن: الواو عاطفة، ويقبضن فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، ونون النسوة فاعل، وسيأتي سرُّ عطف المضارع على الاسم المشتق في باب: البلاغة، ومفعول يقبض محذوف، أي: أجنحتهنّ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ الجملة مستأنفة، أو في محل نصب على الحال من فاعل يقبضن، وأعربها

أبو البقاء بدلاً من الضمير في يقبضن، ولم أرَ لهذا الإعراب مساغاً، وما نافية، ويمسكهنّ فعل مضارع مرفوع، والهاء مفعول به، وإلا أداة حصر، والرحمن فاعل، وإن واسمها، وبكل شيء متعلقان ببصير، وبصير خبر إن، والجملة تعليل للقدرة التي تدخل كل شيء في نطاق علمها ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أم حرف عطف بمعنى بل، فهي منقطعة، ومن اسم استفهام مبتدأ، وهذا اسم إشارة خبر، والذي بدل من هذا، أو صفة لاسم الإشارة، وهو مبتدأ، وجند خبر، ولكم نعت، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها صلة، وجملة ينصركم نعت ثانٍ، أو حال، ومن دون الرحمن متعلقان بمحذوف حال من فاعل ينصركم ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ إن نافية، والكافرون مبتدأ، وإلا أداة حصر، وفي غرور خبر المبتدأ، والجملة معترضة لا محل لها ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ عطف على ما تقدم، وإن شرطية، وأمسك فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، والجواب محذوف، دلّ عليه ما تقدم، ورزقه مفعول به ﴿ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ بل حرف إضراب وعطف على عتو ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الهمزة للاستفهام التوبيخي، والفاء عاطفة على محذوف مقدّر، ومن اسم موصول مبتدأ، وجملة يمشي صلة، ومكبّاً حال من فاعل يمشي، وعلى وجهه متعلق بمكبّاً، وأهدى خبر، وأم حرف عطف معادل لهمزة الاستفهام، ومن عطف على من الأولى، وجملة يمشي صلة، وسوياً حال، وعلى صراط مستقيم متعلقان بيمشي.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ عطف الفعل على الاسم، والسياق يقتضي أن يقول: قابضات، وذلك لسرٍّ لطيف، فإن أصل الطيران هو رصف الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة: مدّ الأطراف، وبسطها، وأما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرّك، فجيء بما هو طارىء غير أصل بلفظ

الفعل علـى معنى: أنهنّ صافّـات، ويكـون منهنّ القبض تارة بعد تارة، كما يكون من السابح، وخلاصة القول: أن الغالب هو البسط، فكأنه هو الثابت، فعبّر عنه بالاسم، والقبض متجدّد، فعبّر عنه بالفعل.

(٢) وفي قوله: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ استعارة تمثيلية، وهو مثل للمؤمن والكافر، فالكافر أعمى لا يهتدي إلى الطريق، بل يمشي متعسفاً، فلا يزال يتعثر، وينكب على وجهه، والمؤمن صحيح البصر، يمشي فـي طريق واضحـة مستقيمة، سالماً من العثور والخرور على وجهه. وهكذا تتجلى طريقة القرآن في التجسيد.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً
سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ
أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ
مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ زُلْفَةً ﴾ الزلفة: القرب.

○ **الإعراب:**

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ هو مبتدأ، والذي خبر، وجملة أنشأكم صلة، والجملة الإسمية مقول القول،

وجعل عطف على أنشأكم، ولكم متعلقان بجعل، أو في محل نصب مفعول به لجعلنا، وقد تقدم الفرق بين الجعل بمعنى الخلق والجعل بمعنى التصيير، والسمع مفعول به، والأبصار عطف على السمع، والأفئدة عطف أيضاً، وقليلاً صفة مصدر مقدّم، وما زائدة لتأكيد التقليل، وتشكرون فعل مضارع مرفوع، ويجوز إعراب قليلاً ظرف متعلق بتشكرون، والجملة في محل نصب حال مقدّرة ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ هو مبتدأ، والذي خبره، وجملة ذرأكم صلة، والجملة مقول القول، وفي الأرض متعلقان بذرأكم، وإليه متعلقان بتحشرون، وتحشرون فعل مضارع مرفوع، والواو نائب فاعل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الواو عاطفة، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، ومتى اسم استفهام في محل نصب ظرف زمان، والظرف متعلق بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، وهذا مبتدا مؤخر، والوعد بدل، وإن شرطية، وكنتم فعل ماضٍ ناقص في محل جزم فعل الشرط، وكان واسمها، وصادقين خبرها، وجواب الشرط محذوف، أي: إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من أمر القيامة والحشر؛ فبيّنوا وقته على وجه التحديد ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إنما كافّة ومكفوفة، والعلم مبتدأ، وعندالله ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، وإنما عطف على إنما الأولى، وأنا مبتدأ، ونذير خبر، ومبين نعت، والجملتان مقول القول ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها أعربت عن جملتين مقدرتين، كأنه قيل: وقد أتاهم ما وعدوا به فرأوه، فلما رأوه، ولما حينية، أو رابطة متضمنة معنى الشرط، ورأوه فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به، وزلفة حال من مفعول رأوه، وهو اسم مصدر لأزلف، وهو بمعنى اسم الفاعل، وأجاز الزمخشري إعرابها ظرفاً، أي: مكاناً ذا زلفة، وجملة سيئت لا محل لها لأنها جواب لما، ووجوه نائب فاعل، والذين مضاف إليه، وجملة كفروا صلة ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ الواو عاطفة، وقيل: فعل ماضٍ مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، أي: قال الخَزَنَة لهم، وهذا مبتدأ، والذي اسم

موصول في محل رفع صفة للخبر المحذوف، أي: هذا العذاب الذي، وجملة كنتم صلة، وكان واسمها، وبه متعلقان بتدعون، وجملة تدعون خبر كنتم ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ أرأيتم الهمزة للاستفهام الإنكاري، ورأيتم بمعنى أخبروني فعل وفاعل، وإن شرطية، وأهلكني الله فعل ماضٍ ومفعول به وفاعل، والجملة الشرطية التالية سدّت مسدّ مفعولي أرأيتم، وقد تقدمت لهذا الإعراب نظائر، وإن شرطية، وأهلكني فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، والنون للوقاية، والياء مفعول به، والله فاعل، وجواب الشرط محذوف تقديره: فلا فائدة لكم، ولا نفع يعود عليكم، والواو حرف عطف، ومن عطف على الياء، ومعي ظرف متعلق بمحذوف صلة من، وأو حرف عطف، ورحمنا فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، ومفعول به ﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الفاء تعليلية، ومن اسم استفهام معناه: النفي، أي: لا أحد، في محل رفع فاعل، وجملة يجير خبر، والكافرين مفعول، ومن عذاب أليم متعلقان بيجير ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ هو مبتدأ، والرحمن خبر، وجملة آمنّا به خبر ثانٍ، وبه متعلقان بآمنّا، وعليه متعلقان بتوكلنا، والجملة عطف على آمنّا به ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الفاء الفصيحة، والسين حرف استقبال، وتعلمون فعل وفاعل، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وهو ضمير فصل، وفي ضلال مبين خبر من، والجملة الاستفهامية سادّة مسدّ مفعولي تعلمون المعلقة بالاستفهام ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ أرأيتم تقدم قريباً إعرابها، فجدّد به عهداً، والجملة الشرطية سدّ مسدّ مفعوليها، وماؤكم اسم أصبح، وغوراً خبر، أي: غائراً ذاهباً في مسارب الأرض، لا تناله الدلاء والأرشية، والفاء رابطة، واسم استفهام مبتدأ، وجملة يأتيكم خبر، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وبماء متعلقان بيأتيكم، ومعين صفة لماء، أي: ظاهر تتراءاه العيون، وأصله: معيون، بوزن مفعول، كمبيع، أصله: مبيوع، فنقلت ضمة الياء إلى العين قبلها، فالتقى ساكنان: الياء، والواو، فحذفت الواو، ثم كسرت العين لتصح الياء، وقيل: هو من معن الماء، أي: كثر،

فهو على هذا الاعتبار فعيل لا مفعول، والميم أصلية، أما على الأول فالميم زائدة؛ لأن الفعل عين.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ التقديم والتأخير، فقد قدّم المفعول في قوله: ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ وأخّره في قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وقال الزمخشري بصدده: فإن قلت: لِمَ أخّر مفعول آمنّا، وقدّم مفعول توكلنا؟ قلت: لوقوع آمنّا تعريضاً بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم، كأنه قيل: آمنّا، ولم نكفر كما كفرتم، ثم قال: ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ خصوصاً لم نتوكل على ما أنتم متوكلون عليه من رجالكم، وأموالكم.

* * *

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ
مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ
ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ فَلَا
تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾

○ الإعراب:

﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ نٓ تقدم القول في إعراب فواتح السور، ونضيف ما قاله الزمخشري في الرد على المتعسفين، قال: هذا الحرف من حروف المعجم، وأما قولهم: هو الدواة، فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي، ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة من أن يكون جنساً، أو علماً، فإن كان جنساً فأين الإعراب والتنوين؟ وإن كان علماً فأين الإعراب؟ وأيّهما كان فلا بدّ له من موقع في تأليف الكلام، فإن قلت: هو مقسم به وجب إن كان جنساً أن تجرّه وتنوّنه، ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة، كأنه قيل: ودواة

والقلم، وإن كان علماً أن تصرفه وتجرّه، أو لا تصرفه، وتفتحه للعلمية والتأنيث، وكذلك التفسير بالحوت إما ان يراد نون من النينان، أو يجعل علماً للبهموت الذي يزعمون، والتفسير باللوح من نور أو ذهب، والنهر في الجنة. نحو ذلك.

وأكد أبو حيان أنه لا يصحّ شيء من ذلك. والواو حرف قسم وجر، والقلم مقسم به، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وأقسم تعالى بالقلم تعظيماً لأمره، وتنويهاً بشأنه، ولما فيه من الفوائد والمنافع؛ التي لا يحيط بها الوصف، أي: فالمراد به جنس القلم الشامل للأقلام التي يكتب بها، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ وبأنه ينتفع به كما ينتفع بالمنطق، ولهذا قيل: القلم أحد اللسانين. والواو حرف عطف، وما موصولة، أو مصدرية، وعلى كل حال هي معطوفة على القلم، فأقسم أولاً بالقلم، ثم بسطر الملائكة، أو بمسطورهم، فالمقسم به شيئان على ثلاثة أشياء: نفي الجنون عنه، وثبوت الأجر له، وكونه على الملّة الحنيفية السمحاء ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب القسم، وما نافية حجازية، وبنعمة ربك متعلقان بمعنى النفي المدلول عليه بما، والباء للسبب، والباء حرف جر زائد، ومجنون مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، والمعنى انتفى عنك الجنون بسبب إنعام ربك عليك بالنبّوة وغيرها، وسيأتي مزيد بيان لتعلق الجار والمجرور، والظرف بمعنى النفي في باب الفوائد ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ الواو حرف عطف، والجملة وما بعدها عطف على جملة جواب القسم، فهما من جملة المقسم عليه كما تقدم آنفاً، وإن حرف مشبه بالفعل، ولك خبرها المقدم، واللام المزحلقة، وأجراً اسمها، وغير ممنون نعت، أي: غير مقطوع ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وعلى خلق خبر، وعظيم نعت ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ الفاء استئنافية، والسين حرف استقبال، وتبصر فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ويبصرون عطف على ستبصر ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ اختلف المعربون فيها

اختلافاً شديداً، ونورد أرجح الأقوال، وهي أربعة:

١ ـ أن الباء مزيدة في المبتدأ، والتقدير: أيّكم المفتون، فزيدت الباء كزيادتها في نحو: بحسبك زيد.

٢ ـ أن الباء بمعنى في، فهي ظرفية كقولك: زيد بالبصرة، أي: فيها، والمعنى: في أيّ فرقة وطائفة منكم المفتون.

٣ ـ أنه على حذف مضاف، أي: بأيّكم فتن المفتون، فحذف المضاف، وأُقيم المضاف إليه مقامه، وتكون الباء سببية.

٤ ـ أن المفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور، والتقدير: بأيّكم الفتون، والجملة على كل حال في محل نصب معمولة لما قبلها؛ لأنه معلق بأداة الاستفهام، وسيأتي مزيد بحث في هذا الصدد في باب الفوائد ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها تعليل لما تقدم؛ لأن ما قبلها أنبأ بظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد، وإن واسمها، وهو مبتدأ، وأعلم خبر، والجملة خبر إن، ولك أن تعرب هو ضمير فصل، وأعلم خبر، وبمن متعلقان بأعلم، وجملة ضلّ صلة، وعن سبيله متعلقان بضل، وهو مبتدأ، وأعلم خبر، وبالمهتدين متعلقان بأعلم.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: فن المناسبة اللفظية، وهي: عبارة عن الإتيان بلفظات متّزنات مقفّات.

*** الفوائد:**

١ ـ منع جمهور النحاة تعليق الجار والمجرور والظرف بأحرف المعاني، وأجازه بعضهم، وفصّل بعضهم، فقال: إن كان نائباً عن فعل حذف جاز ذلك على سبيل النيابة لا الأصالة، وإلا فلا، قال ابن هشام في «المغني»: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ الباء متعلقة

بالنفي، إذ لو علقت بمجنون لأفاد نفي جنون خاص، وهو الذي يكون من نعمة الله، وليس في الوجود جنون هو نعمة. هذا ما ذكره ابن الحاجب وغيره، وهو كلام بديع، إلا أن جمهور النحويين لا يوافقون على صحة التعلّق بالحرف، فينبغي أن يقدّر على قولهم أن التعلق بفعل دلّ عليه النافي، أي: انتفى ذلك بنعمة ربك، وقد ذكرت في شرحي لقصيدة كعب بن زهير عند الكلام على قوله:

وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رَحَلُوا إلا أغنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

أنّ المختار: تعلق الظرف بمعنى التشبيه الذي تضمنه البيت، وذلك على أن الأصل: وما كسعاد إلا ظبي أغن، على التشبيه المعكوس للمبالغة؛ لئلا يكون الظرف متقدماً في التقدير على اللفظ الحامل لمعنى التشبيه، وإذا جاز لحرف التشبيه أن يعمل في الحال في نحو قوله:

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابساً لدى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

مع أن الحال شبيهة بالمفعول به، فعمله في الظرف أجدر.

أما الزمخشري فقد سلك مسلكاً غريباً في تعليق بنعمة، قال: فإن قلت: بِمَ تتعلق الباء في بنعمة ربك، وما محله؟ قلت: يتعلق بمجنون منفياً، كما يتعلق بعاقل مثبتاً في قولك: أنت بنعمة الله عاقل مستوياً في ذلك الإثبات والنفي، استواءهما في قولك: ضرب زيد عمراً، وما ضرب زيد عمراً، تعمل الفعل مثبتاً ومنفياً إعمالاً واحداً، كأنه قال: ما أنت بمجنون منعماً عليك بذلك، ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله؛ لأنها زائدة لتأكيد النفي. وقد تبع الزمخشري معظم المفسرين، قال النسفي: الباء تتعلق بمحذوف، ومحله النصب على الحال، والعامل فيها: بمجنون.

وتعقّب أبو حيان الزمخشري فيما ذهب إليه، فقال: وما ذهب إليه الزمخشري من: أن بنعمة ربك متعلق بمجنون، وأنه في موضع الحال يحتاج إلى تأمل، وذلك أنه إذا تسلط النفي على محكوم به، وذلك له معمول، ففي ذلك طريقان: أحدهما: أن النفي يتسلط على ذلك المعمول

فقط، والآخر: أن يتسلط النفي على المحكوم به، فينتفي معموله لانتفائه بيان ذلك. تقول: ما زيد قائم مسرعاً، فيتبادر إلى الذهن أنه منتفٍ إسراعه دون قيامه، فيكون قد قام غير مسرع، والوجه الآخر: أنه انتفى قيامه فانتفى إسراعه، أي: لا قيام، فلا إسراع، وهذا الذي قررناه لا يتأتّى معه قول الزمخشري بوجه، بل يؤدي إلى ما لا يجوز أن ينطق به في حق المعصوم ﷺ.

٢ ـ ذكر صاحب «المغني» أن الباء في: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ زائدة، قال في مواضع الباء الزائدة: الثالث: المبتدأ، وذلك في قولهم: بحسبك درهم، وخرجت فإذا بزيد، وكيف بك إذا كان كذا وكذا، ومنه عند سيبويه: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾، وقال أبو الحسن: بأيّكم متعلق باستقرار محذوف، يخبر به عن المفتون، ثم اختلف، فقيل: المفتون مصدر بمعنى الفتنة، وقيل: الباء ظرفية، أي: في أي طائفة منكم المفتون.

هذا، وقد قال أبو حيان: لا ينبغي حمله عليه لقلّته. فالمعروف أن الباء لا تُزاد في المبتدأ إلا إذا كان لفظ «حسب» قياساً، وقال ابن يعيش: أما زيادتها في المبتدأ ففي موضع واحد، وهو: بحسبك. وذكر الكافيجي: إن زيادتها في بحسبك زيادة في الخبر، وجعل درهم مبتدأ مؤخراً، وبحسبك هو الخبر؛ لأنه هو محطُّ الفائدة، والمعنى: درهم واحد كافيك. قال تلميذه السيوطي: وهو من الحسن بمكان، ولا أعلم في اختياراته في العربية أحسن منه. والمسوغ حينئذ هو: تقدّم الخبر، وهو جار ومجرور.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تُدْهِنُ﴾ أصل الإدهان: اللين، والمصانعة، والمقاربة في الكلام،

وجعله الزمخشري في «أساس البلاغة» من المجاز، قال: ومن المجاز: أدهن في الأمر، وداهن: صانع، ولاين.

﴿هَمَّازٍ﴾ عياب، أي: مغتاب، وقيل: الهمّاز: الذي يهمز الناس بيده، ويضربهم، واللمّاز باللسان، وفي المختار: اللمز: العيب، وأصله: الإشارة بالعين ونحوها، وبابه: ضرب، ونصر، وقرىء بهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ورجل لمّاز، ولمزة، بوزن: همزة، أي: عياب. وفيه أيضاً: الهمز كاللمز وزناً ومعنى، وبابه: ضرب، والهامز، والهمّاز: العيّاب، والهمزة مثله، يقال: رجل همزة، وامرأة همزة أيضاً، وهمزات الشيطان: خطراته التي يخطرها بقلب الإنسان، والمهماز: حديدة تكون في مؤخر خفّ الرائض.

﴿مَّشَّآءِۭ﴾ صيغة مبالغة، أي: ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم.

﴿بِنَمِيمٍ﴾ النميم، قيل: هو مصدر كالنميمة، وقيل: هو اسم جنس لها كتمرة وتمر، وهو: نقل الكلام الذي يسوء سامعه، ويحرش بين الناس لتأريث نار البغضاء في الصدور، وفي المصباح: نم الرجل الحديث نماً، من بابي: قتل، وضرب: سعى به ليوقع فتنة، أو وحشة، فالرجل نمّ، تسميته بالمصدر، ونمّام مبالغة، والاسم: النميمة، والنميم أيضاً. وقال الزمخشري: والنميم، والنميمة: السعاية، وأنشدني بعضُ العرب:

تَشَبَّبِي تَشَبُّبَ النَّمِيْمَهْ ... تَمْشي بها زَهْرا إلى تَمِيمَهْ

والبيت الذي استشهد به الزمخشري لأعرابي يخاطب النار، والتشبّب: التوقد، والنميمة: تزوير الكلام وتزويقه للإفساد بين الناس، وثوب منمنم، ومنمّم، أي: منقّش، محسّن، وزهرا: اسم امرأة اشتهرت بالنميمة، وتميمة: قبيلة معروفة، نزّل النار منزلة العاقل، فأمرها، وقال: اشتعلي كاشتعال النميمة حال كونها تمشي بها هذه المرأة إلى بني تميم، وكانت

كثيرة الإفساد بين العرب، حتى ضُرِب بها المثل، وبين نميمة وتميمة الجناس اللاحق.

﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ أي: بخيل بالمال، والخير هنا يراد به: عموم ما يطلق عليه.

﴿ عُتُلٍّ ﴾ غليظ، جاف، قيل: في الطبع، وقيل: في الجسم، وقال أبو عبيدة: هو الفاحش اللئيم، وقيل: الغليظ الجافي، ويقال: عتلته، وعتنته.

﴿ زَنِيمٍ ﴾ دعي، قال حسّان بن ثابت:

وأنتَ زَنِيمٌ نِيطَ في آلِ هاشمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ

يخاطب حسان بهذا البيت الوليد بن المغيرة، فيقول: إنه زنيم، أي: معلّق في آل هاشم كالزنمة في الإهاب، وهي: قطعة جلد صغيرة تترك معلقة بطرفه، فشبهه بها، وشبّهه بالقدح المنفرد الفارغ المعلق خلف الراكب، وكان الوليد دعياً في قريش، ليس من سنخهم، ادّعاه أبوه بعد ثاني عشرة من مولده، وقيل: بغت أُمه، ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية، جعل جفاءه ودعوته أشدّ معايبه؛ لأنه إذا جفا وغلظ قسا قلبه، واجترأ على كل معصية، ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشىء منها، ومن ثم جاء في الحديث: «لا يدخل الجنة ولد الزنى، ولا ولده، ولا ولد ولده». ويروى أنه لما نزلت قال الوليد لأُمه: إن محمداً وصفني بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها، فإن لم تصدقيني الخبر ضربت عنقك، فقالت له: إن أباك عنين، فخفتُ على المال، فمكنتُ الراعي من نفسي، فأنتَ منه. هذا ما قاله المفسرون، والذي نراه، ورجّحه أبو حيان أن هذه الأوصاف ليست لمعين، ألا ترى إلى قوله: كل حلاّف، فإنما وقع النهي عن طواعية مَن هو بهذه الصفات التي جاءت للمبالغة، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة.

﴿ سَنَسِمُهُ ﴾ نضع العلامة على الوجه.

﴿ ٱلْخُرْطُومِ ﴾ أنف السباع، وغالب ما يستعمل في أنف الفيل، والخنزير،

وفي القاموس: الخرطوم كزُنْبورٍ: الأنفُ، أو مقدّمه، أو ما ضَمَمْتَ عليه الحَنَكَيْن كالخُرْطُم، كقُنْفُذ.

○ الإعراب:

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها عطفت على محذوف دلّ عليه السياق، وينبىء عنه ما قبله، والنهي بمثابة التهييج، وإلهاب التصميم على معاصاتهم، ولا ناهية، وتطع فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والمكذبين مفعول به ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ودّوا فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، ولو حرف مصدري للتمنّي على رأي البصريين لوقوعه بعد فعل الودادة، وقد تقدم القول فيه مفصّلاً في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهي وما في حيِّزها في تأويل مصدر مفعول ودّوا، وقيل: إن مفعول ودّوا محذوف، أي: ودّوا إدهانكم، وحذف لدلالة ما بعده عليه، ولو باقية على بابها من كونها حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره، وجوابها عندئذ محذوف تقديره: لسرّوا بذلك، والفاء حرف عطف، ويدهنون فعل مضارع، معطوف على تدهن، فهو في حيِّز لو، فهو من المتمنى، والمتمنى شيئان، ثانيهما متسبّب عن الأول، أو هو خبر لمبتدأ مضمر، أي: فهم يدهنون، وفي الكشاف: فإن قلت: لِمَ رفع فيدهنون، ولم ينصب بإضمار أن، وهو جواب التمنّي؟ قلت: قد عدل به إلى طريق آخر، وهو: أنه جعل خبر مبتدأ محذوف، أي: فهم يدهنون. ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتطع فعل مضارع مجزوم بلا، وكل حلاّف مفعول به، ومهين نعت لحلاّف ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ صفات مسرودة سيأتي الحديث عنها في باب البلاغة، وبنميم متعلق بمشاء، وللخير متعلقان بمنّاع ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ الظرف متعلق بزنيم، وهذه البعدية في الرتبة، أي: هذا الوصف، وهو زنيم متأخر في الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة، فبعد هنا كثم التي للترتيب، والتراخي في الرتبة ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أن مصدرية، وهي وما في حيِّزها

في موضع نصب بنزع الخافض، أي: لأن كان وهو متعلق بما دلّ عليه إذا تتلى، أي: كذب بها، ولا يصحّ أن يكون معمولاً لفعل الشرط لأن إذا تضاف إلى الجملة بعدها، والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف، ولا يصحّ أن يكون معمولاً لقال الذي هو جواب الشرط؛ لأن ما بعد أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها، وقال الزمخشري: متعلق بقوله: ولا تطع، يعني: ولا تطعه مع هذه المثالب؛ لأنه كان ذا مال، أي: ليساره، وحظّه من الدنيا.

وقال أبو حيان: ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى؛ لكونه متموِّلاً مستظهراً بالبنين كذب آياتنا.

وكان فعل ماضٍ ناقص، واسمها مستتر تقديره: هو، وذا مال خبرها، وبنين عطف على مال ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وهو متعلق بجوابه، وجملة تتلى عليه في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة قال لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وأساطير الأولين خبر لمبتدأ مضمر، أي: هي أساطير الأولين ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ جملة مستأنفة، كأنه لما ذكر قبائح أفعاله وأقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعد، والسين حرف استقبال ونسمه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، وعلى الخرطوم متعلقان بنسمه.

□ **البلاغة:**

(١) في مجيء هذه الصفات مسرودة على نمط عجيب خلّاب: فن المناسبة، فجاء حلّاف وبعده مهين؛ لأن النون فيها مع الميم تراخٍ، ثم جاء همّاز مشّاء بنميم بصفتي المبالغة، ثم جاء منّاع للخير معتد أثيم، وبعدما عدّ له من المثالب والنقائص أتى بصفتين من أشدّ معايبه، وقد دلّت البعدية لتدلّ على ذلك.

(٢) وفي قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ كناية عن المهانة، وأحطّ دركات

الذل؛ إذ لما كان الوجه أشرف ما في الإنسان، والأنف أكرم ما في الوجه جعلوه مكان العزّة والحمية، واشتقوا منه: الأنفة، ومن أقوالهم: حمي الأنف، شامخ العرنين، وقالوا في الذليل: جدع أنفه، ورغم أنفه، وكان أيضاً مما تظهر السمات فيه لعلوه، قال: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، وهو غاية الإذلال، والإهانة، والاستبلاد؛ إذ صار كالبهيمة لا يملك الدفع عن وسمه في الأنف، وإذا كان الوسم في الوجه شيناً، فكيف به في أكرم عضو فيه؟!
وقد قيل: الجمال في الأنف، قال بعضهم:

وحسن الفتى في الأنفِ والأنفُ عاطلٌ فكيف إذا ما الخالُ كان له حليا؟!

وجعلها الرازي استعارة، استعار الخرطوم للأنف، ولا أرى له مناسبة.
وتعسّف النضر بن شميل، فقال: إن الخرطوم الخمر، وإنه سيحدّ على شربها، وهذا منتهى التعسف في التأويل، وإن كان الخرطوم من أسماء الخمر، وقيل للخمر: الخرطوم؛ لأنها تطير في الخياشيم.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾
فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ
إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَلَوْنَٰهُمْ﴾ امتحناهم، واختبرناهم.

﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ الصرم: القطع، والمراد: يقطعون ثمرتها، يقال: صرم

العذق عن النخلة، وأصرم النخل، أي: حان صرامه، مثل: أركب المهر، وأحصد الزرع، أي: حان ركوبه وحصاده، وفي المختار: صرم النخل: جذه، وبابه: ضرب، وأصرم النخل: حان له أن يصرم، والانصرام: الانقطاع، والتصارم: التقاطع، والتصرّم: التقطع.

﴿طَآئِفٌ﴾ قال الفرّاء: هو الأمر الذي يأتي ليلاً، وردّ عليه بقوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وذلك لا يختصّ بليل ولا نهار، ولكنه غلب في الشر.

﴿الصَّريم﴾ قيل: هو الليل الشديد الظلمة، وسمّي الليل صريماً لانصرامه، وانفصاله عن النهار، وانقطاعه عنه، كما يسمى النهار صريماً أيضاً لانصرامه عن الليل، وله معانٍ عديدة أيضاً، منها: البستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيه شيء، فهو فعيل بمعنى مفعول، وقطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن سائر الرمال.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارّون فيما بينهم، وخفي، وخفت، وخفد ثلاثتها في معنى: الكتم.

﴿حَرْدٍ﴾ منع، أو قصد، والحرد بالتحريك: الغضب، وفي المختار: حرد: قصد، وبابه: خرب، وقوله تعالى: ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ أي: على قصد، وقيل: على منع، والحرد بالتحريك: الغضب، وقال أبو نصر صاحب الأصمعي: هو مخفّف، فعلى هذا بابه: فهم، وقال ابن السكّيت: وقد يحرّك، فعلى هذا بابه: طرب، فهو حارد، وحردان. وفي السمين: والحرد فيه أقوال كثيرة، قيل: الغضب، والحنق، وقيل: المنع من حاردت الإبل: قلّ لبنها، والسنة: قلّ ماؤها، قاله أبو عبيد، ويقال: حرد بالكسر يحرد حرداً، وقد يفتح، فيقال: حرد، فهو حردان، وحارد، ويقال: أسد حارد، وليوث حوارد، وقيل: الحرد، والحرد: الانفراد، يقال: حرد بالفتح، يحرد بالضم، حروداً، وحرداً، وحرد: انعزل، ومنه: كوكب

حارد، أو منفرد، وقيل: الحرد: القصد، يقال: حرد حردك، أي: قصد قصدك.

○ الإعراب:

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ إن واسمها، وجملة بلوناهم خبرها، وهو فعل وفاعل ومفعول به، والهاء تعود على أهل مكة، وكما الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، أي: بلوناهم بلاء، وما مصدرية، وقيل: بمعنى الذي، وإذ ظرف ماضٍ متعلق ببلونا، وجملة أقسموا في محل جر بإضافة الظرف إليها، واللام واقعة في جواب القسم، ويصرمنّها فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، أي: ليصرموننها، ومصبحين حال من فاعل ليصرمنّها، وهو اسم فاعل من أصبح التامة ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ الواو استئنافية، أو حالية، ولا نافية، ويستثنون فعل مضارع مرفوع، أي: لا يستثنون في أيمانهم، ويضعف كون الواو حالية من حيث إن المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه، وإلا فبإضمار مبتدأ قبله، ومعنى: لا يستثنون لا يثنون عزمهم عن الحرمان، وقيل: لا يقولون: إن شاء الله تعالى، وسمي استثناء، وهو شرط لأن معنى لأخرجنّ إن شاء الله، ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ الفاء عاطفة، وطاف فعل ماضٍ، وعليها متعلقان به، وطائف فاعل، ومن ربك نعت لطائف، والواو حالية، وهم مبتدأ، ونائمون خبر ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ الفاء عاطفة، وأصبحت فعل ماضٍ ناقص، واسمها مستتر تقديره: هي، وكالصريم خبر ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ﴾ الفاء عاطفة، وتنادوا فعل ماضٍ وفاعل، ومصبحين حال، والجملة عطف على أقسموا ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أن مفسّرة لأنها مسبوقة بما فيه معنى القول دون حروفه، ولك أن تجعلها مصدرية، فتكون هي وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأن اغدوا، واغدوا فعل أمر ناقص، والواو اسمها، وعلى

حرثكم خبر، وعدّي بعلى؛ لأنه متضمن معنى أقبلوا، قال الزمخشري: فإن قلت: هلاّ قيل اغدوا إلى حرثكم، وما معنى على؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه، ويقطعوه، كان غدواً عليه، كما تقول: غدا عليهم العدو، ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال، كقولهم: يغدى عليهم بالجفنة ويراح، أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين.

وردّ أبو حيان قول الزمخشري الأول بقوله: واستسلف الزمخشري أن غدا يتعدى بإلى، ويحتاج ذلك إلى نقل بحيث يكثر ذلك فيصير أصلاً فيه، ويتأول ما خالفه، والذي في حفظي أنه يتعدى بعلى كقول الشاعر:

بكـرتُ عليـه غَـدْوةً فـرأيتُـه قُعُوداً عليه بالصَّريمِ عَواذِلُهْ

وإن شرطية، وجوابها محذوف، أي: إن كنتم صادقين فاغدوا ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ الفاء عاطفة، وانطلقوا فعل ماضٍ وفاعل، والواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة يتخافتون خبر، والجملة نصب على الحال ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أن مفسرة، أو مصدرية، وقد تقدمت نظيرتها، ولا نافية، ويدخلنها فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والهاء مفعول به على السعة، واليوم ظرف متعلق بيدخلنّها، وعليكم متعلقان بيدخلنّها أيضاً، ومسكين فاعل ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وغدوا فعل ماضٍ ناقص، والواو اسمها، وعلى حرد متعلقان بقادرين، وقادرين خبر غدوا، ويجوز أن تكون غدوا تامة، وتكون قادرين حالاً من فاعل غدوا، وعلى حرد متعلقان به، وأن يكون على حرد هو الحال، وقادرين حال ثانية، أو حال من ضمير الحال الأولى، فتكون حالاً متداخلة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وجملة رأوها في محل جر بإضافة الظرف إليها، ورأوها فعل وفاعل ومفعول به، وجملة قالوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وضالّون خبرها، وإن واسمها، وخبرها مقول القول ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ بل حرف إضراب وعطف، ونحن مبتدأ، ومحرومون خبر ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ

لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال فعل ماضٍ، وأوسطهم فاعل، ومعنى أوسطهم: أمثلهم، وأعقلهم، والهمزة للاستفهام الإنكاري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وأقل فعل مضارع مجزوم بلم، ولولا حرف تحضيض، أي: هلاّ، وتسبحون فعل مضارع وفاعل، ومفعوله محذوف، أي: الله، وذلك بالتوبة له ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ قالوا فعل ماضٍ وفاعل، وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف، وربنا مضاف إليه، وإن واسمها، وجملة كنّا خبرها، وظالمين خبر كنّا، وجملة إنّا كنّا تعليل للتنزيه، اعترفوا به بظلمهم في منع المعروف، وترك الاستثناء ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ الفاء عاطفة، وأقبل بعضهم فعل ماضٍ وفاعل، وعلى بعض متعلقان بأقبل، وجملة يتلاومون حال ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ يا حرف نداء، وويلنا منادى مضاف، نادوا على أنفسهم بالويل، أي: يا ويلنا هذا وقت حضورك إلينا، فإنك الآن مثابتنا، وعلالتنا، وإن واسمها، وجملة كنّا خبرها، وطاغين خبر كنّا ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ عسى فعل ماضٍ ناقص من أفعال الرجاء، وربنا اسمها، وأن وما في حيِّزها خبرها، وخيراً مفعول به ثانٍ، وإن واسمها، وإلى ربنا متعلقان براغبون، وراغبون خبر إنّا، رجوا أن يقبل الله توبتهم، ويبدلهم خيراً من جنتهم ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ كذلك خبر مقدّم، والعذاب مبتدأ مؤخر، والواو حالية، أو استئنافية، واللام لام الابتداء، وعذاب الآخرة مبتدأ، وأكبر خبر، ولو شرطية، وكان واسمها، وجملة يعلمون خبرها، وجواب لو محذوف، دل عليه سياق الكلام، تقديره: لما فرط منهم ما سلف من ظلم، وإحجام عن الاستثناء.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ تنكير طائف، والفائدة منه: الإبهام، تعظيماً لما أصاب جنتهم، ومعنى كالصريم، أي: لهلاك ثمرها، وقيل: الصريم: الليل؛ لأنها احترقت، واسودّت، وقيل: النهار لأنها صارت خالية فارغة، ومنه البياض من الأرض، أي: الخالية من الشجر، ومعنى

صارمين: حاصدين، ومعنى يتخافتون: يسرّون حديثهم خيفة من ظهور المساكين عليهم، والحرد، من: حاردت السنة؛ إذا منعت خيرها، والمعنى: وغدوا على نكد، ومنع. وقيل: الحرد: السرعة، أي: غدوا مسارعين نشطين لما عزموا عليه من الحرمان، قال:

أقبل سيْلٌ جاء من أمرِ الله يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ

يصف سيلاً بالكثرة، وحذفت الألف قبل الهاء من لفظ الجلالة؛ لأنه جائز في الوقف، ومعنى: يحرد حرد الجنة المغلة: يسرع إسراع الجنة، أي: البستان المغلة، أي: كثيرة الغلّة والخير، ومعنى إسراعها: ظهور خيرها قبل غيرها في زمن يسير بسبب السيل؛ الذي داهمها، فأمرعها، وأخصبها.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وللمتقين خبرها المقدّم، وعند ربهم الظرف متعلق بمحذوف حال من جنات، أو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، وجنات النعيم اسم إن المؤخر، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما أعدّ الله للمتقين يوم القيامة، وللرد على صناديد قريش؛ الذين كانوا يقولون: إن صحّ أنّا نبعث لم تكن حالنا وحال المؤمنين إلا مثل ما هي في الدنيا ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء حرف عطف، والجملة معطوفة على مقدّر يقتضيه

السياق، أي: أنحيف في الحكم، فجعل المسلمين كالكافرين، ونجعل فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، والمسلمين مفعول به أول، وكالمجرمين في موضع المفعول الثاني، وهذا أول توبيخ وتقريع للكافرين، وستتلوه خمسة توبيخات أُخرى ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ وهذا هو التقريع الثاني، وما اسم استفهام مبتدأ، ولكم خبر، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، وتحكمون فعل مضارع وفاعل، والجملة حالية، وهي التقريع الثالث ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ أم حرف عطف للإضراب الانتقالي، والهمزة التي في ضمنها للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وهو التقريع الرابع، ولكم خبر مقدّم، وكتاب مبتدأ، مؤخر، وفيه متعلقان بتدرسون، وتدرسون فعل مضارع مرفوع وفاعل، وجملة تدرسون حالية، أو مستأنفة ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ الجملة مفعول به لتدرسون؛ لأنها هي المدروسة، وكان الظاهر فتح همزة إن لكن؛ لما جيء باللام المختصة بالمكسورة كسرت، وعلقت الفعل عن العمل في لفظ الجملة، ودخله التعليق، وإن الدرس من أفعال القلوب لتضمنه معنى الحكم، ولكم خبر إن المقدم، وفيه حال، واللام المزحلقة جيء بها للتأكيد، وما اسم إن المؤخر، وجملة تخيرون صلة، وأصل تخيرون: تتخيرون، بمعنى: تختارون ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ هذا هو التقريع الخامس، ولكم خبر مقدم، وأيمان مبتدأ مؤخر، وعلينا صفة لأيمان، وبالغة صفة ثانية وإلى يوم القيامة متعلقان بالاستقرار؛ الذي تعلق به الخبر، وهو لكم، أو ببالغة، أي: تبلغ إلى ذلك اليوم، وتنتهي إليه، وفي قوله: أم لكم . . . إلخ معنى القسم، كأنه قيل: أقسمنا لكم أيماناً موثقة ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ الجملة جواب القسم الملحوظ، فلا محل لها، وإن حرف مشبه بالفعل، ولكم خبرها المقدم، واللام المزحلقة للتأكيد، وما اسم إن المؤخر، وجملة تحكمون صلة ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ الجملة مستأنفة وسَلْ فعل أمر وفاعله المستتر، ومفعوله الأول، وأيّهم مبتدأ، وبذلك متعلقان بزعيم، وزعيم خبر أيّهم، والجملة في محل نصب مفعول ثانٍ

لسَلْ؛ لأنها تنصب مفعولين، وعلقت عن العمل بالاستفهام الذي هو التقريع السادس ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ هذا هو التقريع السابع، ولهم خبر مقدم، وشركاء مبتدأ مؤخر، وهذه الجملة معطوفة في المعنى على جملة أيّهم بذلك زعيم، والفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدّر، والتقدير: إن كان ذلك كذلك فليأتوا، واللام لام الأمر، ويأتوا فعل مضارع مجزوم باللام، والواو فاعل، وبشركائهم متعلقان بيأتوا، وإن شرطية، وكانوا فعل ماضٍ ناقص في محل جزم فعل الشرط، والواو اسمها، وصادقين خبرها، والجواب محذوف دلّ عليه ما تقدم، أي: فليأتوا بشركائهم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الظرف مفعول به لأذكر مقدرة، أو هو متعلق بقوله فليأتوا، وقال الزمخشري: وناصب الظرف فليأتوا، أو إضمار اذكر، أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت، فحذف للتهويل البليغ. وجملة يكشف في محل جر بإضافة الظرف إليها، ويكشف بالبناء للمجهول، وعن ساق ناب مناب نائب الفاعل، ويدعون: الواو عاطفة، ويدعون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون، والواو نائب فاعل، وإلى السجود متعلقان بيدعون، والفاء عاطفة، ولا نافية، ويستطيعون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ خاشعة حال من ضمير يدعون، أي: ذليلة، وأبصارهم فاعل خاشعة، وجملة ترهقهم حال ثانية، وترهقهم فعل مضارع، ومفعول به مقدّم، وذلّة فاعل مؤخر ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ الواو حالية، وقد حرف تحقيق، وكانوا فعل ماضٍ ناقص، والواو اسمها، وجملة يدعون خبر كانوا، وإلى السجود متعلقان بيدعون، والواو حالية، وهم مبتدأ، وسالمون خبر.

□ البلاغة:

(١) الاستفهام الإنكاري التقريعي: تقدم في الإعراب: أن الاستفهامات التي وردت في هذه الآيات سبعة، وقد خرجت عن معناها الأصلي إلى

الإنكار والتوبيخ والتقريع، على ما أرجفوا به من زعمهم: أن الله فضّلنا عليكم في الدنيا، فلا بدّ من أن يفضّلنا عليكم في الآخرة، أو على الأقل إن لم يحصل التفضيل، فلا أقل من المساواة، ففنّد الله مزاعمهم القائلة مقرّعاً وموبّخاً، وجاءت متعاقبة: أولها: أفنجعل، والثاني: مالكم، والثالث: كيف تحكمون، والرابع: أم لكم كتاب، والخامس: أم لكم أيمان، والسادس: أيّهم بذلك زعيم، والسابع: أم لهم شركاء، وقد انتظمت في سلك من الفصاحة والبيان، يعنو له كل بيان.

(٢) وفي قوله: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ استعارة تمثيلية، وأصل هذا الكلام يقال لمن شمّر عن ساقه عند العمل الشاق؛ لأن مَن وقع في شيء يحتاج إلى الجدّ يشمّر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها لشدّة الأمر، وعبارة الزمخشري: الكشف عن الساق، والإبداء عن الخدام، مثل في شدة الأمر، وصعوبة الخطب، وأصله في الروع، والهزيمة، وتشمير المخدرات عن سوقهنّ في الهرب، وإبداء خدامهنّ عند ذلك.

وقول الزمخشري: والإبداء عن الخدام: جمع خدمة، وهي: الخلخال، وذلك كرقاب: جمع: رقبة، قال حاتم:

أَخُو الحَرْب إن عَضّتْ به الحربُ عَضَّها
وإنْ شَمَّرتْ عن ساقِها الحربُ شَمَّرا

وقال ابن الرقيات:

تُذْهِلُ الشَّيخَ عن بَنِيه وتُبْدِي عَن خِدَامِ العَقِيلَةِ العَذْراءِ

والتشمير عن الساق: كناية عن اشتداد الأمر، وصعوبته، وأصله: أن يسند للإنسان؛ لأن تشمير الثوب عن الساق لخوض لجة، أو جري، أو نحوه، فأسند للحرب لتشبيهها بالإنسان على طريق الاستعارة، أما البيت الثاني فقبله:

كيف نَوْمي على الفِراشِ ولما تشمل الشامَ غارةٌ شعواءُ
تُذْهِلُ الشيخَ عن بَنِيه وتُبْدي عن خِدَامِ العَقِيلَةِ العَذْراءِ

والخدام: الخلخال، والعقيلة: الكريمة، وعقيلة كل شيء: أكرمه، ومن النساء: المخدرة التي عقلت في خدرها.

(٣) وفي تنكير الساق: إبهام، للمبالغة في الدلالة على أنه أمر مبهم في الشدّة، منكر خارج عن المألوف المعتاد.

(٤) وفي نسبة الخشوع إلى الأبصار مجاز عقلي؛ لأن ما في القلب يعرف من العين.

﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً، يقال: استدرجه إلى كذا: قرّبه إليه، ورقّاه من درجة إلى درجة، وجعله يدرج على الأرض، قال الخطيب: سنستدرجهم، أي: سنأخذهم بعظمتنا على التدريج، لا على غرّة في عذاب لا شك فيه.

﴿ مَكْظُومٌ ﴾ مملوء غمّاً أو كرباً، قال الماوردي: والفرق بينهما: أن الغم في القلب والكرب في الأنفاس. وقيل: مكظوم: محبوس، والكظم: الحبس وقال المبرد: إنه المأخوذ بكظمه، وهو: مجرى النفس.

﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ أي: ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد يصرعك، ويسقطك من مكانك.

○ الإعـراب:

﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ الفاء عاطفة لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية، ولك أن تجعلها فصيحة؛ لأنها جواب شرط مقدّر، والتقدير: إذا كانت أحوالهم كذلك فذرني، وذر: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت يعود على الرسول ﷺ، والياء في محل نصب مفعول به، والواو حرف عطف، ومن عطف على الياء، أو الواو للمعية، ومن في محل نصب مفعول معه، والأول أرجح، وجملة يكذب صلة للموصول لا محل لها، وبهذا متعلقان بيكذب، والحديث بدل من اسم الإشارة ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالاً، والضمير لمن، والجمع باعتبار معناها، كما أن الإفراد في يكذب باعتبار لفظها، ونستدرجهم: فعل مضارع وفاعل مستتر، ومفعول به، ومن حرف جر، وحيث ظرف مبني على الضم في محل جر بمن، والجار والمجرور متعلقان بنستدرجهم، وجملة لا يعلمون في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ الواو عاطفة، وأملي فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: أنا؛ لأنه معطوف على سنستدرجهم، ولهم متعلقان بأملي، والإملاء: الإمهال، ومرادفة النعم والآلاء ليغترّوا، وسيأتي إيضاح هذا المجاز في باب البلاغة، وإن واسمها وخبرها، والجملة بمثابة التعليل للإملاء ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ عطف على ما تقدم من قوله: أم لهم شركاء، أي: أم أتلتمس منهم ثواباً على ما تدعوهم إليه من الهداية، والإيمان، وتسألهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وأجراً مفعول به ثانٍ، والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، ومن مغرم متعلقان بمثقلون، ومثقلون خبر، أي: مكلفون حملاً ثقيلاً، ينوءون تحته ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ عطف أيضاً، وعندهم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدّم، والغيب مبتدأ مؤخر، والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة يكتبون خبر ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ الفاء الفصيحة،

واصبر فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، ولحكم ربك متعلقان باصبر، والواو حرف عطف، ولا ناهية، وتكن فعل مضارع مجزوم بلا، واسمها مستتر، تقديره: أنت، وكصاحب الحوت خبر، يعني: يونس عليه السلام، وقد تقدم حديثه، وإذ ظرف منصوب بمضاف محذوف، أي: ولا يكن حالك كحاله، وقصتك كقصته في وقت ندائه، والمعنى: لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة، فتبتلى ببلاءه، وجملة نادى في محل جر بإضافة الظرف إليها، والواو حالية، وهو مبتدأ، ومكظوم خبر، والجملة حال من ضمير نادى ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، وأن حرف مصدري ونصب، وتداركه فعل ماضٍ، والهاء مفعول به، ونعمة فاعل، وذكر الفعل؛ لأن تأنيث النعمة غير حقيقي، ومن ربه نعت لنعمة، وأن وما في حيِّزها في موضع رفع مبتدأ خبره محذوف وجوباً، واللام واقعة في جواب لولا، ونبذ فعل ماضٍ مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: هو، وبالعراء متعلقان بنبذ، أي: بالأرض الفضاء الجرداء، والواو حالية، وهو مبتدأ، ومذموم خبر، والجملة حال من ضمير نبذ ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الفاء عاطفة على مقدّر، أي: فأدركته نعمة من ربه فاجتباه، واجتباه فعل ماضٍ ومفعول به، وربه فاعله، أي: فجمعه إليه، وقرّبه بالتوبة عليه، فجعله عطف على فاجتباه، والهاء مفعول به أول، ومن الصالحين في موضع المفعول الثاني ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ الواو استئنافية، وإن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، أو هي مهملة على الأرجح، ويكاد فعل مضارع من أفعال المقاربة، والذين اسمها، وجملة كفروا صلة، واللام الفارقة، ويزلقونك فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به، وبأبصارهم متعلقان بيزلقونك، ولما رابطة، أو حينية ظرفية، وسمعوا فعل وفاعل، والذكر مفعول به، والمعنى: أنهم من شدّة تحديقهم، وإرسالهم النظر الشزر إليك يكادون يزلّون قدمك، أو يهلكونك، قال:

يَتَقَارَضُونَ إذا التَقَوْا في مَوْطِنٍ نَظَـراً يُـزِلُّ مَـوَاطِـىءَ الأَقْـدَامِ

وجواب لما محذوف للدلالة عليه، أي: لما سمعو الذكر كادوا يزلقونك ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ الواو عاطفة، ويقولون عطف على يزلقونك، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومجنون خبرها، والجملة مقول قولهم ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الواو حالية، وما نافية، مهملة؛ لانتقاض النفي بإلا، وهو مبتدأ، وإلا أداة حصر، وذكر خبر هو، وللعالمين نعت لذكر.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ مجاز مرسل، فقد سمى إمهاله إياهم، ومرادفة النعم، والآلاء عليهم: كيداً؛ لأنه سبب التورط، والهلاك؛ لأن حقيقة الكيد: ضرب من الاحتيال، والاحتيال: أن تفعل ما هو نفع وحسن في الظاهر وأنت تريد ضده، وماحصل من سعة أرزاقهم، وبلهنية عيشهم، وطول أعمارهم هو في الظاهر إحسان عليهم، والمقصود به: الضرر، والهلكة.

(٢) وفي قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مجاز مرسل أيضاً؛ لأن اللوم في الحقيقة سبب للذم، فالعلاقة السببية، وجميل قول الرازي: وهو مذموم على كونه فاعلاً للذنب، قال: والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن كلمة لولا دالّة على أن هذه المذمومية لم تحصل.

الثاني: لعل المراد من المذمومية ترك الأفضل، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

الثالث: لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوّة.

وحمل الآية على المجاز أولى من تكلف هذه الاحتمالات.

* * *

سُورَةُ الحَاقَّةِ

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾ القيامة، والساعة الواجبة الوقوع، وهو اسم فاعل من: حق الشيء: وجب، وسيأتي مزيد حديث عنها في باب: البلاغة.

(القارعة) القيامة، والساعة أيضاً؛ لأنها تقرع القلوب بأهوالها، والقرع في اللغة: نوع من الضرب، وهو: إمساس جسم لجسم بعنف، وفي المصباح: وقرعت الباب، من باب: نفع: طرقته، ونقرت عليه.

﴿ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ بالواقعة المجاوزة للحدّ، والمراد بها: الصيحة.

﴿صَرْصَرٍ﴾ الصرصر: الشديدة الصوت، وقيل: الباردة، وتكرير الصاد والراء إشعار بتكريرهما.

﴿عَاتِيَةٍ﴾ قوية شديدة، وسيأتي مزيد بحث عنها.

﴿حُسُومًا﴾ سيأتي ذكرها في: الإعراب، والفوائد.

○ الإعراب:

﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ الحاقة مبتدأ، أو هي نعت لمنعوت، وما اسم استفهام تعظيمي في محل رفع مبتدأ، الحاقة خبرهما، والجملة الإسمية خبر الحاقة، والرابط هو إعادة المبتدأ بلفظه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ الواو عاطفة، وما اسم استفهام للتعظيم في محل رفع مبتدأ، وجملة أدراك خبر ما، وما الثانية اسم استفهام للتعظيم أيضاً في محل رفع مبتدأ، والحاقة خبر، والجملة الإسمية في محل نصب مفعول أدراك الثاني، والثالث؛ لأن أدرى ينصب ثلاثة مفاعيل، ومعناه: أعلم، وقد علقت أدراكم عن العمل بالاستفهام، وعبارة أبي حيان: وما استفهام أيضاً مبتدأ، وأدراك الخبر والعائد على ما ضمير الرفع في أدراك، وما مبتدأ، والحاقة خبر، والجملة في موضع نصب بأدراك، وأدراك معلقة، وأصل درى يتعدى بالباء، وقد تحذف على قلة، فإذا دخلت همزة النقل تعدى إلى واحد بنفسه، وإلى الآخر بحرف الجر فقوله: ما الحاقة بعد أدراك في موضع نصب بعد إسقاط حرف الجر. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبسط بعض أحوال الحاقة، وكذبت ثمود فعل ماضٍ وفاعل، وعاد عطف على ثمود، وبالقارعة متعلقان بكذبت ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ الفاء عاطفة، وأما حرف شرط وتفصيل، وثمود مبتدأ، والفاء رابطة لجواب أما، وأهلكوا فعل ماضٍ مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وبالطاغية متعلقان بأهلكوا، والجملة خبر ثمود ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ عطف على الجملة السابقة، وصرصر وعاتية صفتان لريح ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ

﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ الجملة صفة ثالثة لريح، وسخرها فعل ماضٍ ومفعول به، والفاعل يعود على الله، وعليهم متعلقان بسخرها، وسبع ليال نصب على الظرفية الزمانية، وثمانية أيام عطف على سبع ليال، وحسوماً نعت لسبع ليال وثمانية أيام، أو مصدر منصوب بفعل من لفظه، أي: تحسمهم حسوماً، أو حال من مفعول سخرها، أي: ذات حسوم، أو مفعول لأجله، وعبارة الزمخشري في هذا الصدد جيدة، ننقلها فيما يلي لنفاستها: الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود، أو مصدر كالشكور والكفور، فإن كان جمعاً فمعنى قوله حسوماً: نحسات، حسمت كل خير، واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة، حتى أتت عليهم، تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرّة بعد أُخرى حتى ينحسم، وإن كان مصدراً فإما أن ينتصب بفعله مضمراً، أي: تحسم حسوماً بمعنى: تستأصل استئصالاً، أو يكون صلة، كقولك: ذات حسوم، أو يكون مفعولاً له، أي: سخرها عليهم للاستئصال، وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:

فَفَــرَّقَ بيــن بَيْنِهِــمْ زمــانٌ تَتَــابَــعَ فيــه أعــوامٌ حُسُــومُ

أقول: فبينهم ظرف للتفريق، إلا أنه أراد المبالغة بجعل التفرق بين أجزاء هذا الظرف أيضاً، فقال: ففرّق بين بينهم زمان، وإذا فرق بين الظرف فقد فرّق بين أصحابه بالضرورة، فهو من باب: الكناية ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ الفاء عاطفة، وترى القوم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وفيها متعلقان بترى، والضمير يعود على الأيام والليالي، أو على الريح، وأعاده الزمخشري على مهابها، وصرعى حال؛ لأن الرؤية هنا بصرية، وكأنهم كأن واسمها، وأعجاز نخل خبرها، وخاوية نعت لنخل، أي: ساقطة، وجملة كأنهم حال من القوم، ولك أن تجعلها مستأنفة ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ الفاء عاطفة، وهل حرف استفهام، معناه: النفي، أي: لا ترى لهم، وجعله بعضهم للإنكار، ولا مساغ للإنكار هنا،

وترى فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولهم متعلقان بترى، ومن حرف جر زائد، وباقية مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه مفعول ترى، أي: من بقية، أو من نفس باقية، أو من بقاء، كالطاغية بمعنى الطغيان.

□ **البلاغـة:**

(١) في قوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ فنّان رفيعان، أولهما: الإسناد المجازي للزمان، على حد: ليل قائم، فالمراد بها: الزمان الذي يحقّ أن يتحقق فيه ما أنكر في الدنيا من البعث، فيصير فيها محسوساً، مشاهداً بالعيان، وقيل: سُمِّيت حاقة؛ لأنها تكون من غير شك، وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأن كل إنسان يصير فيها حقيقاً بجزاء عمله، فلا يكون في الكلام مجاز على هذين الوجهين، وقال الأزهري: يقال: حاققته، فحققته، أحقه، أي: غالبته فغلبته، فالقيامة تحقّ كل محاق في دين الله بالباطل، أي: كل مخاصم. وفي الصحاح: وحاقه، أي: خاصمه، وادعى كل واحد منهما الحق، فإذا غلبه قيل: حقه، والتحاق: التخاصم، والاحتقاق: الاختصام، والحاقة، والحقة، والحق ثلاث لغات. وفي الاستفهام تعظيم لشأن الحاقة، وتهويل لأمرها، وهناك فن ثالث، وهو: وضع الظاهر موضع المضمر، فلم يقل: ما هي، والفائدة منه: زيادة التهويل، والتفخيم لشأنها.

(٢) وفي قوله: ﴿حُسُومًا﴾ مجاز مرسل من استعمال المقيد، وهو: الحسم الذي هو تتابع الكي لمطلق التتابع، وقيل: هو استعارة تصريحية تبعية، فقد شبّه تتابع الريح المستأصلة بتتابع الكي القاطع للداء.

(٣) وفي قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تشبيه مرسل، فقد شبّههم بالجذوع لطول قاماتهم، وكانت الريح تقطع رؤوسهم، كما تقطع رؤوس النخل المتطاولة خلال تلك الأيام الثمانية، أو الليالي السبع، قيل: هي أيام العجوز، وذلك: أن عجوزاً من عاد توارت في سرب، فانتزعتها الريح في اليوم الثامن، فأهلكتها، وقيل: هي أيام العجز، وهي آخر الشتاء،

وأسماؤها: الصّن، والضبر، والوبر، والآمر، والمؤتمر، والمعلل، ومطفىء الجمر، ومكفىء الظعن.

﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ هي قرى قوم لوط، وقد تقدم الحديث عنها.

﴿ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾ أي: بالفعلة، أو الفعلات الخاطئة، أو بالخطأ، فيكون مصدراً جاء على فاعلة، كالعاقبة، أو أنها صيغة نسب كتامر، وباقل، قال في الخلاصة:

ومع فاعلٍ وفعال فعل في نسبٍ أغنى عن اليا فقل

﴿رَّابِيَةً﴾ زائدة في شدّتها على غيرها، يقال: ربا الشيء، يربو: إذا زاد.

﴿وَٰعِيَةٌ﴾ حافظة لما تسمع.

﴿فَدُكَّتَا﴾ الدك: فيه: تفرق الأجزاء، والدق: فيه: اختلاط الأجزاء.

﴿ أَرْجَآئِهَا ﴾ جوانبها، جمع: رجا، ويكتب بالألف؛ لأنه من ذوات الواو؛ لقولهم في التثنية: رجوان، ومن غريب أمر هذه اللفظة أنها تعذب في الجمع، وتسمج في المفرد، ولعلك لا تجدها في كلام شاعر فصيح، ولم تستعمل إلا مجموعة؛ لأن الجمع يلبسها ثوباً من الحسن لم يكن لها في حال كونها موحدة، وقد تستعمل موحدة بشرط الإضافة، وهي بهذا

تخالف الأرض فإنها تعذب مفردة، وتسمج مجموعة؛ ولهذا لم ترد في القرآن الكريم إلا مفردة، فإذا ذكرت السماء مجموعة جيء بها مفردة معها في كل موضع من القرآن، ولما أُريد أن يؤتى بها مجموعة قيل: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ وهذا مردّه إلى الذوق السليم؛ لأنه الحاكم في الفرق بين الألفاظ.

○ الإعـراب:

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ كلام مستأنف، أو معطوف على سابقه، وجاء فرعون فعل ماضٍ وفاعله، ومن عطف على فرعون، وقبله ظرف زمان متعلق بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة من، وقرىء قبله بكسر القاف وفتح الباء، أي: ومن هو في جهته، والمؤتفكات عطف أيضاً، وبالخاطئة متعلقان بجاء ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ الفاء حرف عطف، وعصوا فعل ماضٍ وفاعل، ورسول ربهم مفعول به، فأخذهم عطف على فعصوا، وأخذة مفعول مطلق، ورابية نعت، وفتح همزة أخذة؛ لأنها مصدر مرة، وليست مصدر هيئة، وإنما معنى الهيئة مستفاد من النعت ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ إن واسمها، ولما ظرفية حينية، أو رابطة، وطغى الماء فعل وفاعل، وجملة حملناكم خبر إنّا، والمراد: آباؤكم، وفي الجارية متعلقان بحملناكم ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ اللام للتعليل، ونجعلها فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور متعلقان بحملناكم، والهاء مفعول أول لنجعلها، ولكم حال، تذكرة مفعول به ثانٍ، وتعيها منصوب بالعطف على نجعل، وأُذن فاعل، وواعية نعت لأُذن، والضمير في لنجعلها عائد للفعلة، وهي نجاة المؤمنين، وإغراق الكافرين ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ الفاء استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق للشروع في ذكر تفاصيل أحوال القيامة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة نفخ في محل جر بإضافة الظرف إليها، ونفخة نائب الفاعل، وهو مصدر متصرف لكونه مرفوعاً، ومختص لكونه

موصوفاً بواحدة، وسيأتي مزيد بيان لهذا البحث، وواحدة نعت ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ وحملت فعل ماضٍ مبني للمجهول، معطوف على نفخ، والأرض نائب فاعل، والجبال عطف على الأرض، فدكّتا عطف أيضاً، ودك فعل ماضٍ مبني للمجهول، والتاء تاء التأنيث الساكنة، والألف نائب فاعل، ودكة مفعول مطلق، وواحدة نعت، ولم يقل: فدككن؛ لأنه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة، والأرض كالجملة الواحدة ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ الفاء رابطة للجواب، ويوم ظرف أُضيف إلى مثله، والتنوين عوض عن جملة مكوّنة من جملتي: نفخ، وحملت، والظرف متعلق بوقعت، ووقعت الواقعة فعل وفاعل ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ الواو عاطفة، وانشقت السماء فعل وفاعل، والفاء عاطفة، وهي مبتدأ، ويومئذ ظرف مضاف إلى مثله، متعلق بواهية، والتنوين عوض عن جملة، وقد تقدم ذلك، وواهية خبر هي ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ والملك مبتدأ، وعلى أرجائها خبر، ويحمل فعل مضارع مرفوع، وعرش ربك مفعول به، وفوقهم ظرف متعلق بمحذوف حال من العرش، أي: حال كونه فوق الملائكة، ويومئذ ظرف أُضيف إلى مثله، متعلق بيحمل، وثمانية فاعل، أي: يحمله فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك، وقيل: ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عددهم إلا الله عزّ وجلّ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ يومئذ ظرف أُضيف إلى مثله متعلق بتعرضون، وتعرضون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، ولا نافية، وتخفى فعل مضارع مرفوع، ومنكم متلعقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لخافية، وخافية فاعل، والجملة حال من الواو في: تعرضون.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ استعارة تمثيلية، وهي من باب: استعارة المعقول للمحسوس للاشتراك في أمر معقول، وهي الاستعارة المركبة من الكثيف واللطيف، فالمستعار الطغي، وهو الاستعلاء

المنكر، والمستعار منه كل مستعلٍ، متكبر، متجبر، مضمر، والمستعار له: الماء، والطغي معقول، والماء محسوس، والمستعار منه محسوس.

(٢) في قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ تكرر حذف الفاعل في هذه الآيات، ومن الظواهر الأسلوبية اللافتة في البيان المعجز ظاهرة الاستغناء عن الفاعل؛ التي توزعت في دراساتنا وكتبنا بين أبواب شتى متباعدة، لا تعطي سرّ هذا الاستغناء، فأنت تقرأ في الصرف كيفية بناء الفعل للمجهول، وصيغ المطاوعة، وفي النحو أحكام نائب الفاعل، أما لماذا حذف الفاعل، فذلك موضوع آخر ندرسه في علم آخر هو علم المعاني التي انفصلت عن الإعراب، فعاد هذا الإعراب صنعة، وهو في الأصل من صميم المعنى، كما ندرس في علم البيان: إسناد الفعل إلى فاعله على سبيل المجاز، دون أن نحاول جمع هذا الشتات المنتشر للظاهرة الأسلوبية لاجتلاء سرّها؛ الذي من أجله تستغني العربية عن الفاعل، فتسنده إلى غير فاعله بالبناء للمجهول، أو بالمطاوعة، أو بالإسناد المجازي، ومما يلفت النظر: اطّراد هذه الظاهرة في البيان القرآني في موقف واحد هو موقف القيامة، وفي الآيات المكيّة بنوع خاص كما سترى، وغاية ما يقوله البلاغيون: أنه قد يحذف الفاعل للخوف منه، أو عليه، وللعلم، أو للجهل به. وقد مضى المفسرون على تقدير فاعل محذوف لأحداث القيامة هو الله سبحانه، أو ملك من ملائكته مع وضوح العمد في البيان القرآني إلى صرف النظر عن الفاعل، والاستغناء عن ذكره، وأكثر ما قالوه في تأويل ذلك: أن الفاعل محذوف للعلم به، فما سرّ ظاهرة الاستغناء عنه في أحداث القيامة؟

* الفوائــــد:

يشترط في نيابة المصدر عن الفاعل: أن يكون متصرفاً مختصاً بصفة، أو غيرها، نحو: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، وغير المتصرف من المصادر ما لزم النصب على المصدرية، نحو: سبحان الله، وغير المختص المبهم، نحو: سير سير، فيمتنع سبحان الله بالضم على أن يكون نائب فاعل فعله

المقدر، على أن الأصل: يسبّح سبحان الله لعدم تصرفه، ويمتنع سير سير لعدم الفائدة؛ إذ المصدر المبهم مستفاد من الفعل، فيتحد معنى المسند والمسند إليه، ولا بدّ من تغايرهما بخلاف ما إذا كان مختصّاً، فإن الفعل مطلق ومدلول المصدر مقيد، فيتغايران، فتحصل الفائدة، وإذا امتنع سير سير مع إظهار المصدر، فامتناع سير بالبناء للمفعول على إضمار ضمير المصدر أحقّ بالمنع؛ لأن ضمير المصدر المؤكد أكثر إبهاماً من ظاهره خلافاً لمن أجازه كالكسائي وهشام، فيما نقل ابن السيد: أنهما أجازا جلس بالبناء للمفعول، وفيه ضمير مجهول، قال ثعلب: أراد أن فيه ضمير المصدر، وتبعهما أبو حيان في النكت الحسان، فقال: ومضمر المصدر يجري مجرى مظهره، فيجوز أن تقول: قيم، وقعد، فتضمر المصدر، كأنك قلت: قيم القيام، وقعد القعود، انتهى، والصحيح المنع، وأما قول امرىء القيس:

وقالت متى يُبْخَلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ يَسُؤْكَ وإنْ يُكْشَفْ غَرامُكَ تَدْربِ

فالنائب عن الفاعل بيعتلل ضمير مصدر مختص بلام العهد، أو بصفة محذوفة، والمعنى: ويعتلل الاعتلال المعهود، أو اعتلال، ثم خصّصه أُخرى محذوفة للدليل الدّال عليها، وهو عليك المذكورة قبل الفعل، وحذفت كما تحذف الصفات المخصصة للموصوفات للدليل، كقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي: نافعاً؛ لأن أعمالهم توزن بدليل: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ . . . الآية قاله في «المغني».

وإضمار ضمير المصدر النوعي أجازه سيبويه؛ لأن الفعل لا يدل عليه، قاله ابن خروف في شرح كتاب سيبويه. ويسؤك، من: الإساءة، جواب الشرط الأول، وتدرب بالدال المهملة من: الدربة، وهي: العادة، جواب الشرط الثاني، والاعتلال: الاعتذار، يقال: اعتلّ عليه بعلة: اعتذر له عن قضاء غرضه بعذر، وبذلك التوجيه يوجّه، وحيل بينهم بالنصب، فيكون المعنى: وحيل هو، أي: الحول المعهود، أو حول بينهم، إلا أن الصفة هنا

مذكورة، وبذلك يوجه أيضاً قول طرفة بن العبد:

فيا لك من ذي حاجةٍ حيل دونَها وما كلُّ ما يهوى امرؤٌ هو نائلُه

فيكون المعنى: حيل هو، أي: الحول المعهود، أو حول دونها، وليس النائب الظرف فيهما؛ لأنه غير متصرف عند جمهور البصريين، وعن الأخفش أنه أجاز في ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ و﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أن يكون الظرف في موضع رفع مع فتحه، ثم قال أبو علي وتلميذه ابن جنّي: فتحة إعراب، واستشكل، وقال غيرهما: فتحة بناء، وهو المشهور.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الفاء استئنافية، وأما حرف شرط، أو تفصيل، ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وجملة أُوتي صلة، وأوتي فعل ماضٍ مبني للمجهول، وكتابه مفعول به ثانٍ، والأول نائب الفاعل المستتر، وبيمينه متعلق بأُوتي ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ الفاء رابطة لجواب أما، وجملة يقول خبر من، وهاؤم فيها استعمالان:

١ ـ أنها تكون فعلاً صريحاً.

٢ ـ أنها تكون اسم فعل، ومعناها في الحالين: خذوا.

فإن كانت اسم فعل، وهي المذكورة، ففيها لغتان: المدّ، والقصر، تقول: هاء درهماً يا زيد، وها درهماً يا زيد، ويكونان كذلك في الأحوال كلها من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث، وتتصل بهما كاف الخطاب اتصالها باسم الإشارة، فتطابق مخاطبك بحسب الواقع مطابقتها، وهي أن الكاف ضمير المخاطب، تقول: هاك، هاءك، هاكِ، هاءكِ . . . إلى آخره، ويخلف كاف الخطاب همزة متصرفة تصرف كاف الخطاب، فتقول: هاء يا زيد، هاء يا هند، هاؤما، هاؤم، هاؤن، وهي لغة القرآن. وإذا كانت فعلاً صريحاً لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها، كان فيها ثلاث لغات:

إحداها: أنها تكون مثل عاطى يعاطي، فيقال: هاء يا زيد، هائي يا هند، هائياً يا زيدان، أو يا هندان، هاؤوا يا زيدون، هائين يا هندات.

الثانية: أن تكون مثل هب، فيقال: هأهيء، هأهئوا، هئن، مثل: هب، هبي، هبا، هبوا، هبن.

الثالثة: أن تكون مثل خف أمراً، من: الخوف، فيقال: هأ، هائي، هاءا، هاؤوا، هأن، مثل: خف، خافي، خافا، خافوا، خفن.

واختلف في مدلولها، والمشهور: أنها بمعنى: خذوا، وقيل: معناها: تعالوا، فتتعدى بإلى، وقيل: معناها: القصد.

وعبارة البحر: هاء بمعنى خذ، وقال الكسائي وابن السكيت: والعرب تقول: هاء يا رجل، وللاثنين رجلين وامرأتين هاؤما، وللرجال هاؤم، وللمرأة هاء بهمزة مكسورة من غير ياء، وللنساء هاين، وقيل: هاؤم كلمة وضعت لإجابة الداعي عند الفرح والنشاط، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام ناداه أعرابي بصوت عالٍ، فجاوبه عليه الصلاة والسلام: «هاؤم» بصولة صوته.

وزعم قوم أنها مركبة في الأصل، والأصل هاء أموا، ثم نقله التخفيف والاستعمال، وزعم قوم أن هذه الميم ضمير جماعة الذكور.

واقتصر في الكشاف على قوله: هاء: صوت يصوَّت به، فيفهم منه معنى خذ، كأفّ، وحس، وما أشبه ذلك. وهذا هو المشهور فيها.

واقرؤوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وكتابيه تنازع فيه هاؤم، واقرؤوا، فأعمل الأول عند الكوفيين، والثاني عند البصريين، وأضمر في الآخر، أي: هاؤموه اقرؤوا كتابيه، أو هاؤم اقرؤوه كتابيه، وأصله: كتابي، فأدخلت عليه هاء السكت لتظهر فتحة الياء، وقد تقدم بحث هاء السكت، والجملة مقول القول. ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ إنْ واسمها، وجملة ظننت خبرها، وأن واسمها سدّ مسدّ مفعولي ظننت، وملاقٍ خبر أني، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وحسابيه مفعول به لملاقٍ؛ لأنه اسم الفاعل، والياء مضاف إليه، والهاء للسكت ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ الفاء الفصيحة وهو مبتدأ، وفي عيشة خبر، وراضية نعت لعيشة، وفيها ثلاثة أقوال:

١ ـ أنها على النسب، أي: ذات رضا، نحو: لابن، وتامر، لصاحب اللبن، والتمر، أي: ثابت لها الرضا، ودائم لها؛ لأنها في غاية الحسن والكمال، والعرب لا تعبّر عن أكثر السعادات بأكثر من العيشة الراضية، بمعنى: أن أهلها راضون بها، والمعتبر في كمال اللذة: الرضا.

٢ ـ أنها على إظهار جعل المعيشة راضية لمحلها، وحصولها في مستحقها، وأنه لو كان للمعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها، فهي من باب: المجاز.

٣ ـ وقال أبو عبيدة والفرّاء: إنْ هذا مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول، نحو: ماء دافق، بمعنى: مدفوق، بمعنى: أن صاحبها يرضى بها، ولا يسخطها، كما جاء مفعول بمعنى فاعل، كما في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا

مَّسْتُورًا﴾ أي: ساتراً، وعبارة أبي عبيدة في كتابه «مجاز القرآن»: ومن مجاز ما يقع المفعول إلى الفاعل أن العرب وصفوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى: أنه مفعول، وفي القرآن: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ الجار والمجرور بدل من قوله في: عيشة، وعالية صفة، أي: مرتفعة المكان، والدرجات ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صفة ثانية لجنة، والقطوف جمع قِطف بكسر القاف، بمعنى مفعول كالذِّبح بمعنى المذبوح، وهو: ما يقطفه القاطف من الثمار، وأما القَطف بفتح القاف فهو المصدر ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: يقال لهم ذلك، وهنيئاً حال، أي: مهنئين. وقال الزمخشري: هنيئاً أكلاً، وشرباً هنيئاً، أو هنيتم هنيئاً على المصدر. ولا يجوز ذلك إلا على تقدير الإضمار عند مَن يُجيز ذلك، أي: أكلاً هنيئاً، وشرباً هنيئاً، وقد تقدم القول مفصلاً في: هنيئاً، وبما الباء حرف جر للسببية، وما مصدرية، أو موصولة والجار والمجرور متعلقان بهنيئاً، وجملة أسلفتم لا محل لها على كل حال، وفي الأيام متعلقان بأسلفتم، والخالية نعت للأيام ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ الجملة معطوفة على الجملة السابقة، ويا حرف نداء، والمنادى محذوف، أو لمجرد التنبيه، وليت حرف مشبّه بالفعل للتمنّي، والنون للوقاية، والياء اسمها، وجملة لم أُوت خبر، وكتابيه مفعول به ثانٍ، والأول نائب الفاعل المستتر ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ الواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وأدر فعل مضارع مجزوم بلم، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وحسابيه خبرها، والهاء للسكت، والجملة سدّت مسدّ مفعولي أدرِ المعلقة عن العمل بالاستفهام، ومعنى الاستفهام: التعظيم، والتهويل ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ الياء للنداء، أو للتنبيه، وقد تقدمت، وليت واسمها، والضمير يعود على الموتة في الدنيا، وجملة كانت خبر ليت، واسم كان ضمير مستتر يعود على الموتة، والقاضية خبر كانت ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ ما نافية، وأغنى: فعل ماض، وعنِّي: متعلقان بأغنى، وماليه: فاعل أغنى،

ومفعول محذوف للتعميم، ولك أن تعرب ما استفهامية في محل نصب مفعول مطلق لأغنى، فيكون الاستفهام للتوبيخ، وبّخ نفسه، أي: أيّ إغناء أغنى ما كان لي من اليسار في الدنيا؛ الذي ضننت به على الفقراء، وبعضهم يعربها مفعولاً به مقدماً لأغنى، أي: أيّ شيء، فيهمل المصدر والعودة إليه، والأول أرجح، ويجوز في ماليه: أن تكون ما اسم موصول هي فاعل أغنى، واللام حرف جر، والياء في محل جر والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، أي: الذي ثبت، واستقر لي، والأول أرجح ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ هلك فعل ماضٍ، وعني متعلقان به، وسلطانيه فاعل هلك، والياء في محل جر بالإضافة، والهاء للسكت ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ الجملة مقول قول مقدّر، وجملة القول مستأنفة، مسوقة للإجابة عن سؤال مقدّر، كأنه قيل: وما يفعل به بعد هذا التحسّر الصادر عنه؟ فقيل: يقال: خذوه، وخذوه فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، فغلّوه عطف على خذوه، والخطاب للزبانية الموكلين بالعذاب ﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، والجحيم مفعول به لفعل محذوف يفسّره ما بعده، وصلوه فعل أمر، وفاعل، ومفعول به ﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وفي سلسلة متعلقان باسلكوه، ولم تمنع الفاء من ذلك؛ لأنه قدّم للاهتمام والتخصيص، وذرعها مبتدأ، وسبعون خبره، وذراعاً تمييز، والفاء عاطفة أيضاً، واسلكوه فعل أمر وفاعل ومفعول به، ثم إن كلمتي ثم والفاء الواقعتين في الجملة الأخيرة إن كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفي العطف على معطوف واحد، فينبغي أن تكون كلمة ثم لعطف قول مضمر على ما أضمر قبل قوله: خذوه، أي: قيل لخزنة جهنم: خذوه، فغلّوه، ثم الجحيم صَلُّوه، ثم قيل لهم: في سلسلة . . . إلخ، وتكون الفاء لعطف المقول على المقول، وثم لعطف القول على القول، وعبارة الزمخشري: ومعنى ثم: الدلالة على تفاوت ما بين الغلّ والتصلية بالجحيم، وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة. ﴿ إِنَّهُۥ

كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الجملة تعليلية، مسوقة لتعليل هذا العذاب الشديد الذي يلقاه، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر يعود عليه، وجملة لا يؤمن خبر كان، وبالله متعلقان بيؤمن، والعظيم نعت لله، وعبارة الزمخشري: أنه تعليل على طريق الاستئناف، وهو أبلغ، كأنه قيل: ما له يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأُجيب بذلك. ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ الواو عاطفة لتجمع بين الأمرين المستوبلين، وهما: الكفر والبخل، وهما أقبح العقائد، والرذائل، ولا نافية، ويحضّ فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: هو، وعلى طعام المسكين متعلق بيحضّ ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ الفاء الفصيحة، كأنه قيل: إنْ شئت أنْ تعرف مصيره بعد الحالة الدينية التي ارتطم فيها فليس. وليس فعل ماضٍ ناقص، وله خبر مقدّم، واليوم ظرف متعلق بمحذوف حال، أو متعلق بما في الخبر من معنى الاستقرار، وها للتنبيه، وهنا اسم إشارة في محلِ نصب على الظرفية متعلق بما تعلق به اليوم أيضاً، وحميم اسم ليس، ولا يصحّ أن يكون اليوم خبر ليس؛ لأنه زمان، والمخبر عنه جثة، وحميم اسم ليس ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ الواو حرف عطف، ولا نافية، وطعام عطف على حميم، وإلا أداة حصر، ومن غسلين نعت لطعام، فدخل الحصر على الصفة، كقولك: ليس عندي رجل إلا من بني تميم، إذ المراد بالحميم: الصديق، فعلى هذا: الصفة مختصة بالطعام، أي: ليس له صديق ينفعه، ولا طعام إلا من كذا، ونون غسلين وياؤه زائدتان، وهو ما يجري من الجراح إذا غسلت، ومن الغريب أن يجيز أبو البقاء جعل من غسلين صفة للحميم، كأنه أراد به الشيء الذي يحمّ البدن من صديد النار، على أنه عاد فذكر قوله: وقيل: من الطعام والشراب؛ لأن الجميع يطعم، بدليل قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ فعلى هذا يكون قوله: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ صفة لحميم ولطعام. وما أكثر ما للنقل من آفات ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ الجملة صفة لغسلين، ولا نافية، ويأكله فعل مضارع، ومفعول به مقدم، وإلا أداة حصر، والخاطئون فاعل ليأكله.

□ **البلاغة:**

في تقديم السلسلة على السلك نكتة بلاغية هامة، وهي: التخصيص، وكذلك تقديم الجحيم على التصلية، أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم، وفي تخصيص الطول بسبعين ذراعاً مبالغة في إرادة الوصف بالطول، كما قال: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ يريد: مرات كثيرة؛ لأن السلسلة كلما طالت كان الإرهاق أشد، والعذاب أمضّ. والعدد عند الجاحظ لا يحمل في القرآن معنى التحديد الكمّي، إنما المقصود: التعدّد، والكثرة.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ
ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ
مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَقَوَّلَ﴾ التقوّل: افتعال القول؛ لأن فيه تكلفاً من المفتعل، وقال أبو حيان: التقوّل: أن يقول الإنسان عن آخر إنه قال شيئاً لم يقله.

﴿ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ جمع الجمع، وهو أقوال: كبيت، وأبيات، وأبابيت، وقال الزمخشري: وسمى الأقوال المتقولة أقاويل تصغيراً لها، وتحقيراً، كقولك: الأعاجيب، والأضاحيك، كأنها جمع أُفعولة من القول.

﴿ٱلْوَتِينَ﴾ عرق في القلب، يجري منه الدم إلى العروق كلها، ويجمع على: وُتُن، وأوتنة.

○ الإعراب:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ الفاء استئنافية، ولا زائدة، وقد تقدم الكلام في لا قبل القسم في قوله: فلا أُقسم بمواقع النجوم، وأُقسم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، وبما متعلقان بأقسم، وتبصرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والجملة صلة، وفي البيضاوي: فلا أُقسم لظهور الأمر، واستغنائه عن التحقيق بالقسم، أو فأقسم، ولا مزيدة، أو فلا: رد لإنكارهم البعث، وأُقسم مستأنف. ويرد قول البيضاوي الأول، أي: جعلها نافية للقسم تعيين المقسم به بقوله: بما تبصرون، وما لا تبصرون ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ عطف على ما تبصرون ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وقول رسول خبرها، وكريم صفة لرسول، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، فهو المحلوف عليه، والضمير يعود على القرآن، أي: قاله الرسول تبليغاً عن الله ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وهو اسمها، والباء حرف جر زائد، وقول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما الحجازية، وشاعر مضاف إليه، وقليلاً صفة لمصدر محذوف، فهو مفعول مطلق، أو صفة لزمان محذوف، فهو ظرف زمان، أي: تؤمنون إيماناً قليلاً، أو زماناً قليلاً، وما يحتمل أن تكون نافية، فينتفي إيمانهم البتة، ويحتمل أن تكون مصدرية والمتّصف بالقلّة هو الإيمان اللغوي، ويكون المصدر المؤول في موضع رفع على الفاعلية بقليلاً، أي: قليلاً إيمانكم، ويحتمل: أن تكون زائدة مؤكدة، ولعل هذا الوجه أصوب الوجوه؛ لأنه المناسب لتأكيد القلّة، والمعنى: أنهم آمنوا بأشياء يسيرة مما أتى به النبي ﷺ من الخير كالصلة، والعفاف، وإنما آمنوا بهذه الأشياء؛ لأنها جارية وفق طباعهم منسجمة مع مقتضيات مروءاتهم ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة، مماثلة لها في إعرابها ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو تنزيل، ومن رب العالمين متعلقان بتنزيل ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ

ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ الواو عاطفة، ولو شرطية، وتقوّل فعل ماضٍ وفاعله يعود على النبي ﷺ، وتأدب أبو حيان فقال: إنه يعود على المتقوّل المضمر، وليس عائداً على الرسول الكريم ﷺ؛ لاستحالة وقوع ذلك منه. قال أبو حيان: فنحن نمنع أن يكون ذلك على سبيل الفرض في حقه عليه الصلاة والسلام. وعلينا متعلقان بتقول، وبعض الأقاويل نائب مفعول مطلق ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ اللام واقعة في جواب لو، وأخذنا فعل وفاعل، ومنه متعلقان بأخذنا، وباليمين يجوز أن تكون الباء على أصلها غير مزيدة، والمعنى: لأخذناه بقوةٍ منّا، فالباء: حالية، والحال من الفاعل، وتكون «منه» في حكم الزائدة، ويجوز أن تكون الباء زائدة، والمعنى: لأخذنا منه يمينه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ولقطعنا عطف على لأخذنا، ومنه متعلقان بقطعنا، أو بمحذوف حال، والوتين مفعول به ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية حجازية، ومنكم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأحد، فلما تقدم صار حالاً، ومن حرف جر زائد، وأحد مجرور لفظاً، مرفوع محلاً على أنه اسم ما، وعنه متعلقان بحاجزين، وحاجزين خبر ما؛ لأنه هو محطّ الفائدة، وقال الحوفي والزمخشري: حاجزين نعت لأحد على اللفظ، وجمع على المعنى؛ لأنه في معنى الجماعة، يقع في النفي العام للواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وعلى هذا الإعراب يكون أحد مبتدأ، والخبر منكم، وقد ضعف أبو حيان هذا الإعراب قال: ويضعف هذا القول؛ لأن النفي يتسلط على الخبر وهو كينونته منكم، فلا يتسلط على الحجز، وإذا كان حاجزين خبراً تسلط النفي عليه، وصار المعنى: ما أحد منكم يحجزه عمّا يريد به من ذلك، والضمير في عنه للقتل، أي: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك، ويدفعه عنه، أو لرسول الله ﷺ، أي: لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل، وتحولوا بينه وبينه، والخطاب للناس.

وعبارة الجلال: حاجزين: مانعين، خبر ما، وجمع؛ لأن أحداً في

سياق النفي بمعنى الجمع، وضمير عنه للنبي ﷺ، أي: لا مانع لنا عنه من حيث العقاب.

وعبارة أبي البقاء: من زائدة، وأحد مبتدأ، وفي الخبر وجهان:

أحدهما: حاجزين، وجمع على معنى أحد، وجر على لفظ أحد، وقيل: هو منصوب بما، ولم يعتد بمنكم فصلاً، وأما منكم على هذا، فحال من أحد، وقيل: تبيين.

والثاني: الخبر منكم، وعن يتعلق بحاجزين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الواو عاطفة، والكلام معطوف على جواب القسم السابق، فهو من جملة المقسم به، وما بينهما اعتراض، وإن واسمها، والضمير يعود على القرآن، واللام المزحلقة، وتذكرة خبر، وللمتقين متعلقان بتذكرة ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ عطف أيضاً، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة نعلم خبر، وأن وما بعدها سدّت مسدّ مفعول نعلم، ومنكم خبر أن المقدم، ومكذبين اسمها المؤخر ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عطف أيضاً، وإن واسمها وخبرها، وعلى الكافرين نعت لحسرة، أو متعلق به ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ عطف أيضاً، وإن واسمها وخبرها ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ الفاء الفصيحة، وسبّح فعل أمر، وباسم ربك متعلقان بسبّح، أو الباء زائدة، وقد تقدم إعراب نظيره، والعظيم نعت لربك.

* * *

سورة المعارج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ المصاعد، جمع: معرج.

(المهل): دردي الزيت، أو: ذائب الفضة، وقد تقدم ذكره في سورة الدخان.

(العهن) الصوف على الإطلاق دون تقييد، أو المصبوغ بالأحمر، أو بشتى الألوان أقوال.

○ الإعراب:

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ سأل فعل ماضٍ مبني على الفتح، متضمن معنى دعا؛ ولذلك عدّي تعديته، وسائل فاعله، وبعذاب متعلقان بسأل، وواقع نعت، وقيل: هو على بابه، والباء بمعنى عن، واختاره أبو البقاء، وقال أبو علي الفارسي: وإذا كان من السؤال فأصله: أن يتعدى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصار على أحدهما، وإذا اقتصر على أحدهما، جاز أن يتعدى إليه بحرف جر، فيكون التقدير: سأل سائل الله، أو النبي ﷺ، أو المسلمين بعذاب، أي: عن عذاب. والسائل هو: النضر بن الحارث حين قال: اللَّهمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، وهو ممّن قُتِل يوم بدر. وقال الواحدي: الباء في بعذاب للتوكيد كقوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ والمعنى: سأل سائل عذاباً واقعاً. ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ في الجار والمجرور أقوال:

أحدها: أنه متعلق بسأل مضمناً معنى دعا، أي: دعا لهم.

والثاني: أن يتعلق بواقع، واللام للعلّة، أي: نازل لأجلهم.

والثالث: أن تكون اللام بمعنى على، أي: واقع على الكافرين، وعلى هذا فهي متعلقة بواقع أيضاً، وجملة ليس له دافع نعت ثانٍ لعذاب، أو حال من عذاب؛ لأنه وصف.

وليس فعل ماضٍ ناقص، وله خبرها المقدّم، ودافع اسمها المؤخر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ متعلق بواقع، أي: واقع من عنده، ومن جهته، أو متعلق بدافع، بمعنى: ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته، وذي المعارج نعت لله ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ كلام مستأنف، مسوق للتأكيد العلو البعيد، وتعرج الملائكة فعل مضارع، وفاعل، والروح عطف على الملائكة، وأراد به جبريل، فهو من عطف الخاص على العام، وإليه متعلقان بتعرج، وفي يوم متعلقان بمحذوف دلّ عليه واقع، أي: يقع العذاب بهم في يوم القيامة، وكان واسمها، وخمسين

خبرها، وألف سنة تمييز خمسين، أو متعلق بتعرج أيضاً ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن عرفت هذا، وتدبرت فحواه، فاصبر، واصبر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وصبراً مفعول مطلق، وجميلاً نعت ﴿ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا﴾ إن واسمها، وجملة يرونه خبرها، والضمير للعذاب، وبعيداً مفعول به ثانٍ؛ لأن الرؤية علمية، والجملة تعليلية لا محل لها ﴿ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ عطف على الجملة السابقة داخلة في حيِّز الخبر ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ الظرف متعلق بقريباً، أو بمحذوف يدل عليه واقع، أي: يقع يوم تكون، وجملة تكون في محل جر بإضافة الظرف إليها، والسماء اسمها، وكالمهل خبرها ﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ عطف على الجملة السابقة، مماثلة لها في إعرابها ﴿ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويسأل حميم فعل مضارع، وفاعله، وحميماً مفعول يسأل الأول، والمفعول الثاني محذوف، والتقدير: شفاعته، ونصره، وقيل: حميماً منصوب بنزع الخافض، ويسأل لا حاجة لها إلى مفعول.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ فن التمثيل، فليس المراد حقيقة ذلك العدد، بل المراد الإشارة إلى أنه يبدو للكافر طويلاً لما يلقاه خلاله من الهَوْل والشدائد، فلا تنافي مع آية السجدة: ﴿ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ والعرب تصف أيام الشدّة بالطول، وأيام الفرح بالقصر، قال:

فقصارهنّ مع الهمومِ طويلةٌ وطوالُهنّ مع السُّرورِ قصار

وقال آخر:

ويوم كظلِّ الرمحِ قصر طوله دم الزِّقِّ عنا واصطفاق المَزَاهِرِ

(٢) وفي قوله: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ تشبيه مرسل، ووجه الشبه: التلّون، وكذلك قوله: ﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ ووجه الشبه: التطاير،

والتناثر. وقد رمق أبو العلاء هذه السماء العالية من البلاغة إذ قال في رثاء أبيه:

فيا ليت شعري هل يخفّ وقاره إذا صار أُحد في القيامة كالعِهْن؟!

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾
نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ
هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾
ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ الفصيلة: العشيرة، وقال ثعلب: الآباء الأدنون، فهي فعيلة بمعنى مفعولة، أي: مفعول منها.

﴿لَظَىٰ﴾ اسم جهنم؛ لأنها تتلظى، أي: تتلهب على مَن يصلاها.

﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ الشوى: جمع شواة، وهي جلدة الرأس.

○ **الإعراب:**

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾ الجملة مستأنفة، أو حالية، وأجاز الزمخشري أن تكون صفة، أي: حميماً مبصرين، ويبصرونهم فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، والهاء مفعول به ثانٍ، وعدّي بالتضعيف إلى مفعول ثانٍ، وقام الأول مقام الفاعل، وإنما جمع الضميران في يبصرونهم، وهما للحميمين حملاً على معنى العموم؛ لأنهما نكرتان في سياق النفي، وفيه دليل على أن الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعمّان، كما التزم في قوله، والله لا أشرب ماء من أداوة؛ إنه يعمّ المياه والأداوي خلافاً لبعضهم في الإداوة، أي: يبصر الأصحّاء

بعضهم بعضاً، ويتعارفون، ولكنهم لا يتبادلون الكلام لتشاغلهم بأنفسهم، ويودّ المجرم فعل مضارع وفاعل، والجملة حالية، ولو مصدرية بمعنى أن؛ لأنها وقعت بعد فعل الودادة، وهي مع ما في حيِّزها في تأويل مصدر مفعول يودّ، أي: يودّ افتداء، ومن عذاب متعلقان بيفتدي، ويومئذ ظرفان مضافان، والتنوين عوض عن جمل محذوفة، والتقدير يوم إذ تكون السماء كالمهل، وتكون الجبال كالعهن، ولا يسأل حميم حميماً، وببنيه متعلقان بيفتدي أيضاً ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾ عطف على بنيه، وجملة تؤويه صلة، أي: تضمّه في النسب ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطف أيضاً، وفي الأرض صلة الموصول، وجميعاً حال، وثم حرف عطف للتراخي لشدة الهول، وينجيه فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، أي: يودّ لو يفتدي، ثم لو ينجيه الافتداء، وثم لاستبعاد الإنجاء، يعني: تمنى لو كان هؤلاء جميعاً في متناول يده، وبذلهم في فداء نفسه، وهيهات! ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ كلا حرف ردع وزجر لودادتهم الافتداء، وتنبيه على أن ذلك التمنّي غير وارد، وليس بذي طائل، وإن واسمها، ولظى خبرها، والضمير للنار الدّال عليها العذاب ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ حال مؤكدة، أو مبينة، أو نصبت على الاختصاص للتهويل، وعلى الحال يكون العامل فيها ما دلّت عليه لظى من معنى الفعل، أي: تتلظى نزّاعة، وقرىء بالرفع، فهو خبر ثانٍ، أي: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي نزّاعة، وقيل: هي بدل من لظى، وقيل: كلاهما خبر، وقيل: لظى بدل من اسم إن، ونزّاعة خبرها ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ الجملة حالية من الضمير في نزّاعة، وفاعل تدعو مستتر يعود على لظى، ومن موصول مفعول به، وجملة أدبر لا محل لها؛ لأنها صلة، وتولى عطف على أدبر، وسيأتي مزيد بيان لهذه الدعوة في باب البلاغة ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ عطف على أدبر وتولى، ومعنى أوعى: جمع المال، فجعله في وعاء، وكنزه، ولم يؤدِّ به حق الله تعالى ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الجملة بمثابة التعليل لما تقدم، وإن واسمها، وأل في الإنسان جنسية، وجملة خلق خبر إن، ونائب الفاعل مستتر يعود على الإنسان، وهلوعاً حال مقدّرة؛ لأنه ليس

متصفاً بهذه الصفات قبل ولادته، ووقت خلقه ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ إذا ظرف متعلق بجزوعاً، وجملة مسّه في محل جر بإضافة الظرف إليها، والشر فاعل، وجزوعاً حال من الضمير في هلوعاً، ولك أن تجعله نعتاً لهلوعاً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ عطف على الجملة السابقة، مماثلة لها في إعرابها ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ استثناء من الإنسان المراد به الجنس، فهو استثناء متصل ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ الذين نعت للمصلين، وهم مبتدأ، وعلى صلاتهم متعلقان بدائمون، ودائمون خبر هم، والجملة الاسمية صلة الذين.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ مجاز عقلي عن إحضارهم، كأنها تدعوهم، فتحضرهم، وقد تقدم بحث المجاز العقلي في هذا الكتاب، أو استعارة مكنية، ومنه قول ذي الرمة يصف ثوراً وحشياً:

أمسى بِوَهْبِينَ مُجْتازاً لِمَرْتَعِه من ذِي الفَوارسِ يدْعُو أَنْفَه الرِّببُ

ووهبين اسم موضع، وكذلك ذو الفوارس، والربب بموحدتين جمع ربة، وهي أول ما ينبت من الكلأ، والدعاء: الطلب، وهو ـ هنا ـ مجاز عن التسبّب في الأمر؛ لأن النبات الصغير سبب في وصول أنفه للأرض ليرعاه. ويجوز أن يكون الدعاء من باب: الاستعارة، شبّه الربب بالداعي، وحذف المشبّه به، وأخذ شيئاً من خصائصه.

ومنه أيضاً قول ذي الرمة:

ليـالـيَ اللَّهْـوُ يَطْبِينـي فـأتبَعُـه كأنَّني ضارِبٌ في غَمْرةٍ لَعِبُ

وليالي منصوب على الظرفية، واللهو مبتدأ، وطباه، يطبوه، ويطبيه؛ إذا دعاه، وجذبه، أي: اللهو يدعوني في ليالٍ كثيرة فأتبعه، كأني سابح في لجّة من الماء تغمر القامة. ولعب خبر ثانٍ، والظرف متعلق بيطبيني، وقيل: هو متعلق بما قبلها، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها.

﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ
ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ
لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ
ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم
بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ والذين عطف على الذين الأولى، وفي أموالهم خبر مقدّم، وحق مبتدأ مؤخر، ومعلوم نعت، والمراد به الزكاة المفروضة، والجملة الإسمية صلة الموصول ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ نعت لحق ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ عطف أيضاً، وجملة يصدقون صلة الموصول، وبيوم الدين متعلقان بيصدقون، أي: يوم الجزاء ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ عطف أيضاً، وهم مبتدأ، ومشفقون خبره، ومن عذاب ربهم متعلقان بقوله: مشفقون، والجملة صلة ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴾ الجملة تعليل للإشفاق، وإن واسمها، وغير مأمون خبرها ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾ عطف أيضاً، وهم مبتدأ، وحافظون خبره، ولفروجهم متعلقان بحافظون، أي: عن المحرمات، والمحظورات ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ إلا أداة استثناء، وعلى أزواجهم استثناء من أعمّ الأحوال، وأو حرف عطف، وما عطف على أزواجهم، وجملة ملكت صلة، وأيمانهم فاعل، والمراد: بما ملكت أيمانهم الإماء، فإنهم: الفاء عاطفة، وإن واسمها، وغير ملومين خبرها ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ الفاء عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وابتغى فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر يعود على من، ووراء مفعول به لابتغى، فقد خرجت وراء عن الظرفية، أي: طلب وراء ذلك، أي:

الاستمتاع بالنكاح، وملك اليمين، ولك أن تبقيها على الظرفية، وتعلقها بمحذوف صفة للمفعول به المحذوف، أي: فمَن طلب أمراً كائناً وراء ذلك، والفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، وهم ضمير فصل، والعادون خبر أولئك، والجملة في محل جزم جواب الشرط، ولك أن تجعل هم مبتدأً ثانياً، والعادون خبره، والجملة خبر أولئك ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ عطف على ما تقدم، وهم مبتدأ، وراعون خبره، ولأماناتهم متعلقان براعون، والجملة الاسمية صلة الموصول ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ عطف أيضاً، وفي قراءة بالإفراد ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ عطف أيضاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أولئك مبتدأ، وفي جنات خبر، ومكرمون خبر ثانٍ، ولك أن تعلّق في جنات بمكرمون.

□ البلاغة:

في تكرير الصلاة مبالغة لا تخفى، اهتماماً بشأنها، وتنويهاً بفضلها، ويضاف إلى التكرير تصدير الجملة بالضمير، وبناء الجملة عليه، وتقديم الجار والمجرور على الفعل، وفعلية الخبر، فتفيد الجملة الاسمية: الدوام، والاستمرار، وتفيد الجملة الفعلية: التجدّد، مع الاستمرار، وهذا نمط عجيب انفرد به كتاب الله.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

☆ اللغة:

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين نحوك، مادّي أعناقهم، مقبلين بأبصارهم عليك،

فهي من الكلمات التي يحتاج تفسيرها إلى جمل، وفي القاموس: هطع كمنع، هطعاً، وهطوعاً: أسرع مقبلاً خائفاً، وأقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه، وهطع: مدّ عنقه، وصوّب رأسه، كاستهطع، وكأمير: الطريق الواسع، وكمحسن: من ينظر في ذل وخضوع، لا يقلع بصره، أو الساكت المنطلق إلى مَن هتف به، وبعير مهطع: في عنقه تصويب خلقة. وقد تقدم شرح هذه المادة في سورة إبراهيم.

﴿عِزِينَ﴾ جمع عزة، قال أبو عبيدة: جماعات في تفرقة، وقيل: الجمع اليسير كثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، وقال الأصمعي: في الدار عزون، أي: أصناف من الناس، وقال الكميت:

ونحنُ وجَنْدَلٌ باغٍ تَرَكْنا   كَتَائِبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِينا

وعزة مما حذفت لامه، فقيل: هي واو، وأصله: عزوة، كأن كل فرقة تعتزي إلى غير مَن تعتزي إليه الأُخرى، فهم متفرقون، ويقال: عزاه، يعزوه: إذا أضافه إلى غيره، وقيل: لامها هاء، والأصل: عزهة، وجمعت عزة بالواو والنون، كما جمعت سنّة وأخواتها بذلك، وقيل: هي ياء، إذ يقال: عزيته بالياء أعزيه، بمعنى: عزوته، وقد تقدم بحث ما ألحق بجمع المذكر السالم.

﴿نُصُبٍ﴾ تقدم القول فيه مفصلاً، ونضيف إليه هنا أنه قرىء نصب بالفتح والإسكان، وقراءتنا بضمتين، وقرىء بفتحتين، وقرىء بضم فسكون.

فالأول اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب؛ الذي يسرع الشخص نحوه، وقال أبو عمرو: هو شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته.

وأما الثانية فتحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب للعبادة.

والثاني: أنه جمع نصاب، ككتب جمع كتاب.

والثالث: أنه جمع نصب كرهن في رهن، وسقف في سقف، وجمع الجمع أنصاب.

وأما الثالثة: ففعل بمعنى مفعول، أي: منصوب كالقبض بمعنى المقبوض.

والرابعة: تخفيف من الثانية.

﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون إلى الداعي مستبقين.

○ الإعراب:

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ الفاء استئنافية، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وللذين خبر ما، أي: فأي شيء ثبت لهم، وحملهم على النظر إليك، والتفرّق. كان رسول الله ﷺ يصلّي عند الكعبة، ويقرأ القرآن، فكانوا يحتفون به حلقاً حلقاً يسمعون، ويستهزئون بكلامه، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد، فلندخلنّها قبلهم، فنزلت. وقبلك ظرف مكان متعلق بمحذوف حال، أو بمهطعين، أي: كائنين في الجهة التي تليك عن اليمين، وعن الشمال، ومهطعين: حال من الذين ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ الجار والمجرور حال من الموصول أيضاً، وقيل: متعلق بمهطعين، وعزين حال من الموصول أيضاً، فالأربعة أحوال من الموصول، وقيل: حال من الضمير في مهطعين، فتكون حالاً متداخلة، وعلّق أبو البقاء عن اليمين، وعن الشمال بعزين، وأعرب بعضهم عزين صفة لمهطعين ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ويطمع فعل مضارع، وكل امرىء فاعله، ومنهم صفة لامرىء، وأن وما في حيّزها في محل نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بيطمع، أي: أيطمع في الدخول، ونائب فاعل يدخل مستتر، تقديره: هو، وجنة نعيم: مفعول به ثانٍ على السعة ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كلا حرف ردع وزجر عن طمعهم الأشعبي بدخول الجنة، وجملة إنّا خلقناهم تعليل

للردع، وإن واسمها، وجملة خلقناهم خبرها، ومما متعلقان بخلقناهم، وجملة يعلمون صلة، والمعنى: أنهم مخلوقون من نطفة قذرة، لا تناسب عالم القدس، فمَن لم يتحلّ بالإيمان، ويرحض عنه الأقذار بالعمل الصالح، وأضاف الكمالات لم يكن أهلاً لدخول الجنان، أو: هو استدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية، وإن مَن قدر على الخلق الأول لم تعجزه الإعادة ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ الفاء استئنافية، ولا زائدة، وأقسم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، وبرب المشارق والمغارب متعلقان بأقسم، وجملة إنّا لقادرون لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وقادرون خبرها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ أن وما في حيِّزها في محل جر بعلى، والجار والمجرور متعلقان بقادرون، وخيراً مفعول نبدل، ومنهم متعلقان بخيراً، والواو حرف عطف، وما حجازية، ونحن اسمها، والباء حرف جر زائد، ومسبوقين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبرها، والجملة معطوفة على جواب القسم داخلة في ضمن المقسم عليه ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا تبين أنه لا يفوتنا، ولا يعجزنا إنزال ما نريده بهم فذرهم، وذرهم: فعل أمر مات ماضيه، وفاعل مستتر، ومفعول به، ويخوضوا فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب، ويلعبوا عطف على يخوضوا، وحتى حرف غاية وجر، ويلاقوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والواو فاعل، ويومهم مفعول به، والذي نعت ليومهم، وجملة يوعدون صلة الموصول، وهو فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ يوم بدل من يومهم، وجملة يخرجون في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومن الأجداث متعلقان بيخرجون، وسراعاً حال من الواو، وجملة كأنهم حال ثانية من الواو أيضاً، فتكون مترادفة، أو من الضمير في سراعاً، فتكون متداخلة، وكأن واسمها، وإلى نصب: متعلقان بيوفضون، وجملة يوفضون خبر كأنهم ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ خاشعة حال من فاعل يوفضون، أو من

فاعل يخرجون، والأول أقرب، وأبصارهم فاعل بخاشعة، وجملة ترهقهم ذلة حال ثانية، ولك أن تجعلها مستأنفة، وذلك مبتدأ، واليوم خبره، والذي صفة، وكان واسمها، وجملة يوعدون خبرها، والجملة صلة، وجملة ذلك اليوم مستأنفة، أو مفسرة، وعلى كل حال لا محل لها.

* * *

سورة نوح

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾
قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي
كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ
وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ
إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ ﴾ وتغطوا بها، كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم، أو تغشيهم لئلا يبصروه، كراهة النظر إلى مَن ينصحهم في دين الله.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ إن واسمها، وجملة أرسلنا خبرها، ونوحاً

مفعول به، وإلى قومه متعلقان بأرسلنا ﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يجوز أن تكون أن مصدرية، فتكون مع مدخولها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بأرسلنا، والمعنى: أرسلناه بأن قلنا له: أنذر، ويجوز أن تكون مفسّرة؛ لأن الإرسال فيه معنى القول، وأنذر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وقومك مفعول به، ومن قبل متعلقان بأنذر، وأن وما في حيِّزها في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة، ويأتيهم فعل مضارع منصوب بأن، والهاء مفعول به، وعذاب فاعل، وأليم نعت ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ قال فعل ماضٍ، وفاعله مستتر، تقديره: هو، ويا حرف نداء، وقوم منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وقد تقدم بحث المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، وإن واسمها، ولكم متعلقان بنذير، ونذير خبر، ومبين نعت ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ أن مصدرية، أو مفسّرة، وقد تقدم القول فيها آنفاً، واعبدوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والله مفعول به، واتقوه وأطيعون معطوفان على اعبدوا، وحذفت ياء المتكلم لمناسبة رؤوس الآي، أي: وأطيعوني ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يغفر فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب، ولكم متعلقان بيغفر، ومن ذنوبكم في موضع نصب مفعول يغفر؛ لأن من للتبعيض، أي: بعض ذنوبكم؛ لأن الإيمان يجبّ ما قبله من الذنوب لا ما بعده، وقيل: لابتداء الغاية، وقيل: زائدة، وهو مذهب الأخفش؛ لأنه يُجيز زيادتها في الموجب، وغيره، والبصريون، ومعظم الكوفيين يشترطون لزيادتها أن يسبقها نفي، أو نهي، أو استفهام، وأن تدخل على النكرة، ويؤخركم عطف على يغفر، والكاف مفعول به، وإلى أجل متعلقان بيؤخركم، ومسمى نعت لأجل، وسنورد مناقشة طريفة حول هذا التأخير للعذاب في باب الفوائد ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الجملة تعليل لما تقدم، وإن واسمها، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه، متعلق بجوابه، وجملة جاء في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة لا يؤخر لا محل لها؛

لأنها جواب شرط غير جازم، ولو شرطية، وكنتم كان واسمها، وجملة تعلمون خبرها، وجواب لو محذوف كما حذف مفعول تعلمون، أي: لو كنتم تعلمون ذلك لآمنتم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ ربّ منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وحذف حرف النداء، وإن واسمها، وجملة دعوت خبرها، وقومي مفعول به، وليلاً ونهاراً ظرفان متعلقان بدعوت، والجملة مقول القول ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ الفاء عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويزدهم فعل مضارع مجزوم بلم، والهاء مفعول به أول، ودعائي فاعل، وإلا أداة حصر، وفراراً مفعول به ثانٍ، والاستثناء مفرغ ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، وكلما ظرف متعلق بجعلوا، أو ما مصدرية، أو نكرة، ودعوتهم فعل وفاعل ومفعول به، واللام للتعليل، وتغفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بدعوتهم، وجملة جعلوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وهو كلما، وأصابعهم مفعول جعلوا الأول، وفي آذانهم في موضع المفعول الثاني ﴿ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ واستغشوا عطف على جعلوا، وثيابهم مفعول به، وأصرّوا، واستكبروا معطوفان أيضاً، واستكباراً مفعول مطلق ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإن واسمها، وجملة دعوتهم خبرها، وجهاراً مفعول مطلق على أنه مصدر من المعنى؛ لأن الدعاء يكون جهاراً وغيره، فهو من باب: رجع القهقرى، وقعد القرفصاء، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال، أي: مجاهراً، وذا جهار، وجعل نفس المصدر مبالغة ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ عطف على ما تقدم، وإسراراً مفعول مطلق.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ ﴾ كناية عن المبالغة في إعراضهم عمّا

دعاهم إليه، فمنهم بمثابة من سدَّ سمعه، وغشى بصره؛ كيلا يسمع، ويرى، يقال: لبس فلان ثياب العداوة، وقيل: الكلام حقيقي، ومعنى استغشوا ثيابهم: غطّوا بها وجوههم لئلا يروني، أو جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا كلامي، فيكون استغشاء الثياب على هذا زيادة في سدّ الآذان.

وفي التراخي وتكرير الدعوة بيان وتوكيد، وننقل بهذا الصدد عبارة الزمخشري لنفاستها، قال: فإن قلت: ذكر أنه دعاهم ليلاً ونهاراً، ثم دعاهم جهاراً، ثم دعاهم في السر والعلن، فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصحّ العطف، قلت: قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر المعروف، وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون، والترقي في الأشد، فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان، ومعنى ثم: الدلالة على تباعد الأحوال؛ لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما. وهذا كلام بديع قلّما يكتنه غوره أحد، فإنه يعلم من قوله: ثم إني دعوتهم جهاراً: أن الدعوة السابقة بالإسرار، فأفادت ثم التفاوت بين الجهار والإسرار السابق، وأفادت ثم الثانية أن الجمع بينهما أغلظ من إفراد كلٍّ منهما.

* **الفوائـــد:**

هذا، وقد وعدناك بإيراد مناقشة ممتعة شجرت بين أكابر المفسِّرين حول قوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فقد قال الزمخشري: فإن قلت: كيف قال: ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل، وهل هذا إلا تناقض؟ قلت: قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمّرهم ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم عل رأس تسعمئة، فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى، أي: إلى وقت سمّاه الله، وضربه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه، وهو الوقت الأطول تمام الألف، ثم أخبر: أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد

لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت، ولم تكن لكم حيلة، فبادروا في أوقات الإمهال، والتأخير.

وقال ابن عطية: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مما تعلقت المعتزلة به في قولهم: إن للإنسان أجَلين، قالوا: لو كان واحداً محدداً لما صحّ التأخير إن كان الحدّ قد بلغ، ولا المعالجة إن كان لم يبلغ. قال: وليس لهم في الآية تعلّق؛ لأن المعنى أن نوحاً عليه السلام لم يعلم: هل هم ممّن يؤخر، أو ممّن يعاجل، ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكم، لكن سبق في الأزل أنهم إما ممّن قضي له بالإيمان والتأخير، وإما ممّن قضي له بالكفر والمعالجة، ثم تشدّد هذا المعنى، ولاح بقوله: إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر.

وقد جلا السيوطي الغموض الذي تحيف هذ التعبير بقوله في تفسيره الممتع: ويؤخركم بلا عذاب؛ أي: في الدنيا، فلا يخالف قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ لأن المنفي تأخيره فيه هو الأجل نفسه، فلا تخالف بين هذين المحلين.

وعبارة الكرخي في حاشيته على الجلالين: قوله: ويؤخركم بلا عذاب جواب كيف، قال: ويؤخركم إلى أجل مسمى خطاباً لقوم نوح؛ لأنه إن كان المراد تأخيرهم عن الأجل المقدّر أزلاًو فهو مُحال؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ أو تأخيرهم إلى مجيء أجلهم المقدّر منهم كغيرهم، سواء آمنوا أم لا، وإيضاحه أن معناه: يؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم، على تقدير الإيمان، فلا يعذبكم في الدنيا إن وقع منكم ذنب، كما عذب غيركم من الأُمم الكافرة فيها.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ

وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ
ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ
فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

☆ اللغة:

﴿مِّدْرَارًا﴾ كثيراً الدرور، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، ويطّرد هذا الاستواء في وزن مفعال، صيغة للمبالغة.

﴿أَطْوَارًا﴾ جمع طور، وهو الحال، والتارة، وفي المصباح: والطور بالفتح: التارة، وفعل ذلك طوراً بعد طور، أي: مرة بعد مرة، والطور: الحال، والهيئة، والجمع: أطوار، مثل: ثوب، وأثواب، وتعدى طوره، أي: حاله التي تليق به.

﴿فِجَاجًا﴾ واسعة، جمع: فج، وهو: الطريق الواسع، وقيل: هو المسلك بين الجبلين.

○ الإعراب:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ الفاء عاطفة، وقلت فعل وفاعل، واستغفروا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وربكم مفعول به، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر، تقديره: هو، وغفاراً خبرها، وجملة استغفروا مقول القول، وجملة إنه كان غفاراً لا محل لها؛ لأنها تعليل للاستغفار، وفي الشهاب: وليس المراد بالاستغفار: مجرد قول: استغفر الله، بل الرجوع عن الذنوب، وتطهير الألسنة والقلوب. ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ يرسل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، والفاعل مستتر يعود على الله تعالى، والسماء مفعول به، وعليكم متعلقان بيرسل، ومدراراً حال من السماء ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ ويمددكم عطف على يرسل، والكاف مفعول به،

وبأموال متعلقان بيمددكم، وبنين عطف على أموال، ويجعل فعل مضارع مجزوم عطف على ويمددكم، ولكم في موضع المفعول الثاني، وجنات مفعول به، ويجعل لكم أنهاراً عطف على الجملة السابقة، والمراد بجنّات الدنيا: البساتين ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ ما اسم استفهام، في محل رفع مبتدأ، ولكم خبر، ولا نافية، وترجون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وجملة لا ترجون حال من الكاف في لكم، ولله حال؛ لأن اللام للتبيين، ولو تأخرت لكانت صفة للوقار، ووقاراً مفعول به لترجون، أي: توقيراً، وتعظيماً، وسيأتي مزيد بيان لهذا التعبير في باب: الفوائد ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ الواو للحال، وقد حرف تحقيق، وخلقكم فعل ماضٍ، وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة حالية من فاعل ترجون، وأطواراً حال مؤولة بالمشتق، أي: متنقلين من حال إلى حال ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتروا فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والرؤية علمية، أي: لم تعتبروا، وتتفكروا، وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال، والعامل فيها خلق، وخلق الله فعل ماضٍ وفاعل، والجملة سدّت مسدّ مفعولي تروا المعلقة عن العمل بالاستفهام، وسبع سموات مفعول به، وطباقاً نعت لسبع، أي: بعضها فوق بعض، أو منصوب بفعل محذوف، أي: طبقت طباقاً، فيكون مصدر طابقت مطابقة وطباقاً، وقد ذكر ذلك في سورة المُلْك. ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ الواو عاطفة، وجعل القمر فعل ماضٍ وفاعل مستتر ومفعول به، وفيهن حال، ونوراً مفعول به ثانٍ، وجعل الشمس سراجاً عطف على الجملة السابقة ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ، وجملة أنبتكم خبر، ومن الأرض متعلقان بأنبتكم، ونباتاً مفعول مطلق، ويجوز أن يكون مصدراً لأنبت على حذف الزوائد، ويسمى: اسم مصدر، ويجوز أن يكون مصدراً لنبتم مقدراً، أي: فنبتم نباتاً، فيكون منصوباً بالمطاوع المقدّر، وعبارة الزمخشري: والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتاً، أو نصب بأنبتكم لتضمنه

معنى: نبتم. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ الواو حرف عطف، والله مبتدأ، وجملة جعل خبر، ولكم حال، والأرض مفعول به أول، وبساطاً مفعول به ثانٍ ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ اللام لام التعليل، وتسلكوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بجعل، ومنها حال من سبلاً، أي: كائنة من الأرض، ولو تأخر لكان صلة لها، وسبلاً مفعول به، وفجاجاً نعت.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية، فقد أراد بالسماء المطر؛ لأن المطر ينزل منها، قال:

إذا نـزل السمـاءُ بـأرض قـومٍ رَعَيْنـاه وإن كـانُـوا غِضَـابـا

والمراد بالبيت: وصف شجاعتهم؛ لأنهم إذا اجترؤوا على رعي نبات القوم الغضاب، فهم أحرى بأن يجترئوا على غيرهم، وفي البيت أيضاً استخدام، فقد أطلق السماء، وأعاد عليها الضمير بمعنى النبات؛ لأنها سببه.

(٢) وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ استعارة تصريحية؛ لأنه شبّههم بالنبات، فقد استعار الإنبات للإنشاء، كما يقال: زرعك الله للخير، وكانت هذه الاستعارة ذات فائدة؛ لأنها دلّت على الحدوث؛ فإنهم إذا كانوا نباتاً كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات، ومنه قيل: للحشوية: النباتية، والنوابت؛ لحدوث مذهبهم في الإسلام

* الفوائـد:

اختلفت أقاويل المفسرين في قوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ونحن نورد هنا مقتطفات من أقوالهم، ثم نعقب عليها بما يجلو غامضها، فالرجاء معناه: الأمل، والخوف، فقال أبو عبيدة: لا ترجون: لا تخافون. قالوا:

والوقار بمعنى العظمة، والسلطان، فالكلام وعيد، وتخويف، وعبارة الزمخشري: والمعنى: ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب، ولله بيان للموقر، ولو تأخر لكان صلة للوقار... أو لا تخافون لله حلماً، وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا، وقيل: ما لكم لا تخافون لله عظمة، وعن ابن عباس: لا تخافون لله عاقبة؛ لأن العاقبة حال استقرار الأمور، وثبات الثواب والعقاب، من وقر: إذا ثبت، واستقر. وعبارة أبي حيان: وقيل: ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله وتلقاءه وقاراً، ويكون على هذا منهم، كأنه يقول: تؤدة منكم، وتمكناً في النظر؛ لأن الفكر مظنة الخفة، والطيش، وركوب الرأس. وقال قطرب: هذه لغة حجازية، وهذيل، وجزاعة، ومضر يقولون: لم أرج: لم أبال.

وعبارة أبي السعود: ما لم لا ترجون لله وقاراً: إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقاراً، على أن الرجاء بمعنى: الاعتقاد، ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين، العامل فيها معنى الاستقرار في لكم، ولله متعلقان بمضمر وقع حالاً من وقاراً، ولو تأخر لكان صفة له، أيْ: أيُّ سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان به، والطاعة له، وقد خلقكم أطواراً، أي: والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية، وهي أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارة عناصر، ثم أغذية، ثم أخلاطاً، ثم نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً، ولحوماً، ثم أنشأكم خلقاً آخر؛ فإن التقصير في توقير مَن هذه شؤونه في القدرة القاهرة، والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل.

والذي يتحصل معنا من هذا كله: هو أن القوم كانوا يبالغون في احتقاره عليه السلام، والاستهزاء به، والتندّر عليه، فأمرهم الله بالتزام الجدّ في توقيره، واحترامه، والصدوف عن هذه المعاملة غير اللائقة، أي: أنكم إذا وقرتم نوحاً، وتركتم الاستخفاف به، والتندّر عليه كان ذلك طاعة لله،

وتقرباً إليه، وامتثالاً لأوامره، فما لكم لا تهتبلون هذه الفرصة، فتفوزوا برضا الله، وبتوقيره، واحترامه؟

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾
وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ
أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى
ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿كُبَّارًا﴾ بضم الكاف وتشديد الباء، وهو بناء مبالغة أبلغ من كبار، بالضم والتخفيف. (ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر) أسماء أصنام كانوا يعبدونها.

﴿دَيَّارًا﴾ قال الزمخشري: من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما بالدار ديار، وديور، كقيام وقيوم، وهو فيعال من الدوار، أو من الدار، وأصله: ديوار، ففعل به ما فعل بأصل سيد وميت، ولو كان فعالاً لكان دواراً. وعبارة أبي حيان: دياراً من ألفاظ العموم التي تستعمل في النفي وما أشبهه، ووزنه فيعال، أصله: ديوار، اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فأُدغمت. وفي القاموس: وما به داريٌّ، وديّارٌ، ودوريٌّ، وديُّور: أحد.

﴿تَبَارًا﴾ هلاكاً.

○ الإعراب:

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ قال نوح فعل ماضٍ وفاعل، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وإن واسمها، وجملة عصوني خبرها، والجملة مقول القول ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ واتبعوا عطف على عصوني، ومن مفعول به، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويزده فعل مضارع مجزوم بلم، والهاء مفعول به، وماله فاعل، وولده عطف على ماله، وإلا أداة حصر، وخساراً مفعول به ثانٍ ليزده ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ الواو عاطفة، ومكروا فعل ماضٍ وفاعل، ومكراً مفعول مطلق، وكباراً نعت لمكراً، أي: عظيماً جداً ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ الواو عاطفة، وقالوا فعل ماضٍ وفاعل، ولا ناهية، وتذرن فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة، وآلهتكم مفعول به، ولا تذرن عطف على لا تذرن الأولى، ووداً، وما عطف عليه مفعول تذرن، ويغوث، ويعوق ممنوعان من الصرف للعلمية، ووزن الفعل إن كانا عربيين، والعلمية، والعجمة إن كانا أعجميين، وقرىء ولا يغوثاً ويعوقاً مصروفين لأمرين:

أحدهما: أن صرفهما للتناسب؛ إذ قبلهما اسمان منصرفان، وبعدهما اسم منصرف.

والثاني: أنه جاء على لغة مَن يصرف غير المنصرف مطلقاً، وهي لغة حكاها الكسائي.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ الواو عاطفة، وجملة قد أضلّوا مقول قول محذوف معطوف على قال السابقة، أي: قال إنهم عصوني، وقال: قد أضلّوا. وأضلّوا فعل وفاعل، وكثيراً مفعول به، والواو عاطفة على القول المحذوف، قال الزمخشري: فإن قلت: علامَ عطف قوله: ولا تزد الظالمين؟ قلت: على قوله: رب إنهم عصوني، على حكاية

كلام نوح عليه السلام بعد: قال، وبعد: الواو النائبة عنه، ومعناه: قال: رب إنهم عصوني، وقال: لا تزد الظالمين إلا ضلالاً، أي: قال هذين القولين، وهما في محل النصب؛ لأنهما مفعولا قال. ولا ناهية، وتزد فعل مضارع مجزوم بلا، والظالمين مفعول، وإلا أداة حصر، وضلالاً مفعول به. وعبارة أبي حيان: ولا تزد عطف على قد أضلّوا؛ لأنها محكية بقال مضمرة، ولا يشترط التناسب في الجمل المتعاطفة، بل يعطف خبر على طلب، وبالعكس خلافاً لمن اشترطه. وعبارة الشهاب الخفاجي: يعني لا تزد مقول ثانٍ لنوح عليه السلام، عطف الله أحد مقوليه على الآخر، والواو فيه من كلامه تعالى لا من كلام نوح لاستلزامه عطف الإنشاء على الإخبار، فحكى الله أحد مقوليه بتصديره بلفظ قال، وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأول بالواو النائبة عن لفظ قال. ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا﴾ من حرف جر، وما زائدة، وخطيئاتهم مجرور بمن التعليلية، والجار والمجرور متعلقان بأغرقوا، وأغرقوا فعل ماضٍ مبني للمجهول، فأدخلوا عطف على أغرقوا، وجعل دخولهم النار متعقباً لإغراقهم نظراً لاقترابه، ولأنه كائن لا محالة، فكأنه قد كان، وناراً مفعول به ثانٍ على السعة ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ عطف متعقب أيضاً، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويجدوا فعل مضارع مجزوم بلم، ولهم في موضع المفعول الثاني ليجدوا، ومن دون الله حال، وأنصاراً مفعول يجدوا الأول ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ الواو عاطفة، وقال نوح فعل ماضٍ وفاعل، ورب منادى محذوف منه حرف النداء، وهو مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، ولا ناهية، وتذر فعل مضارع مجزوم بلا، وعلى الأرض متعلقان بتذر، ومن الكافرين حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لدياراً، ودياراً مفعول تذر ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ إن واسمها، والجملة تعليل لطلب نوح عليه السلام، فإن قيل: كيف علم أن أولادهم يكونون مثلهم؟ أُجيب بأنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فاكتنه دخائلهم، وسبر أغوارهم، فقد كان الرجل منهم

ينطلق بابنه، ويقول له: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي قد حذرني منه، فيموت الكبير، وينشأ الصغير على ما كان والده قد لقنه، وعلمه من قبل. وإن شرطية، وتذرهم فعل الشرط، والهاء مفعول به، ويضلّوا جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر إنك، وعبادك مفعول به، والواو حرف عطف، ولا نافية، ويلدوا فعل مضارع معطوف على يضلوا، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، وفاجراً مفعول يضلّوا، وكفّاراً نعت ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ رب منادى مضاف، وقد تقدمت له نظائر، واغفر فعل دعاء، ولي متعلقان باغفر، ولوالدي عطف على لي، ولمن عطف أيضاً، وجملة دخل بيتي صلة الموصول، ومؤمناً حال، وللمؤمنين والمؤمنات عطف أيضاً ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية دعائية، وتزد فعل مضارع مجزوم بلا، والظالمين مفعول به أول، وإلا أداة حصر، وتباراً مفعول به ثانٍ، والاستثناء مفرغ، وفي المصباح: وتبر يتبر، من بابي: قتل، وتعب؛ إذ أهلك، ويتعدى بالتضعيف، فيقال: تبره، والاسم: التبار، والفعال بالفتح يأتي كثيراً من فعّل، نحو: كلم كلاماً، وسلّم سلاماً، وودّع وداعاً.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ مجاز مرسل علاقته ما يؤول إليه؛ لأنهم لم يفجروا وقت الولادة، بل بعدها بزمن طويل على كل حال.

* * *

سورة الجن

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا
وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا
مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ
ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ نَفَرٌ ﴾ النفر: الجماعة: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وفي القاموس: والنفر الناس كلهم وما دون العشرة من الرجال، كالنفير، والجمع: أنفار. وفي شرح القاموس: قال أبو العباس: النفر، والرهط، والقوم هؤلاء معناها

الجمع، لا واحد لها من لفظها، والنسب إليه نفري، قال الزجّاج: النفير جمع نفر، كالعبيد.

﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته، من قولك: جدّ فلان في عيني، أي: عظم، وفي حديث عمر رضي الله عنه: كان الرجل منّا إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا، وسيأتي مزيد من بحثه في باب البلاغة.

○ الإعراب:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره: أنت، أي: يا محمد، وأُوحي فعل ماضٍ مبني للمجهول، وإليّ متعلقان بأُوحي، وأن وما في حيِّزها في محل رفع نائب فاعل، وأن واسمها، وجملة استمع خبرها، ونفر فاعل استمع، ومن الجن صفة لنفر، فقالوا: عطف على استمع، وإن واسمها، وجملة سمعنا خبر إنّا، وقرآناً مفعول به، وعجباً نعت، أي: يتعجب منه لفصاحته، وبلاغته، وما ينطوي عليه من معانٍ سامية، وغير ذلك ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ جملة يهدي إلى الرشد صفة ثانية لقرآناً، وإلى الرشد متعلقان بيهدي، فآمنّا عطف على سمعنا، وبه متعلقان بآمنّا، ولن الواو حرف عطف، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ونشرك فعل مضارع منصوب بلن، وبربنا متعلقان بنشرك، وأحداً مفعول به لنشرك ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ الواو حرف عطف، وأن وما في حيِّزها، عطف على ما تقدم، وأن واسمها، وتعالى فعل ماضٍ، وجدّ ربنا فاعل، والجملة معترضة بين الاسم والخبر، وجملة ما اتخذ خبر أن، ولا ولداً عطف على صاحبة ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ عطف على ما تقدم، وأن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر تقديره: هو، وسفيهنا فاعل، وعلى الله متعلقان بيقول، وشططاً نعت لمصدر محذوف، أي: قولاً شططاً، أي: غلواً في الكذب، وذلك بوصفه بالصاحبة، والولد، وجملة يقول خبر كان ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وأنّا عطف على ما تقدم، وأن

واسمها، وجملة ظننا خبرها، وظن فعل ماضٍ من أفعال القلوب، ونا فاعل، وأن مخففة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لن تقول خبرها، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، والإنس فاعل، والجن عطف على الإنس، وعلى الله متعلقان بتقول، وكذباً نعت لمصدر محذوف ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ وأنه عطف أيضاً، أن واسمها، وجملة كان خبرها، ورجال اسم كان، ومن الإنس نعت لرجال، وجملة يعوذون خبر كان، وبرجال متعلقان بيعوذون، ومن الجن نعت لرجال، فزادوهم عطف على: كان رجال، وزادوهم فعل وفاعل ومفعول به أول، ورهقاً مفعول ثانٍ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ وأنهم عطف على ما تقدم أيضاً، وأن واسمها، وجملة ظنوا خبرها، وكما نعت لمصدر محذوف، وجملة ظننتم لا محل لها؛ لأنها موصولة للموصول الحرفي، وأن وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي ظنوا، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويبعث فعل مضارع منصوب بلن، والجملة خبر أن، والله فاعل يبعث، وأحداً مفعوله ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ عطف على ما تقدم أيضاً، وأن واسمها، وجملة لمسنا خبرها، والسماء مفعول به، وسيأتي معنى لمس السماء في باب البلاغة، والفاء حرف عطف، ووجدناها فعل وفاعل ومفعول به، وجملة ملئت مفعول به ثانٍ، وملئت فعل ماضٍ مبني للمجهول، والتاء تاء التأنيث الساكنة، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هي، أي: السماء، وحرساً تمييز، وشديداً نعت، وشهباً عطف على حرساً، وقيل: وجدناها هنا متعدية لواحد، فجملة ملئت حال؛ لأن معناها: صادفناها ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ عطف على ما تقدم أيضاً، وأن واسمها، وجملة كنّا خبرها، وكان واسمها، وجملة نقعد خبر كنّا، ومنها متعلقان بمقاعد، ومقاعد ظرف مكان متعلق بنقعد، وللسمع متعلقان بمضمر هو صفة لمقاعد، أي: مقاعد كائنة للسمع، والفاء عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويستمع فعل الشرط،

والآن ظرف حالي مستعار للاستقبال، وهو متعلق بيستمع، ويجد جواب الشرط، وله في موضع المفعول الثاني ليجد، وشهاباً مفعول يجد الأول، ورصداً نعت لشهاباً، وهو بمعنى اسم المفعول، أي: أرصد، وأعدّ له.

□ **البلاغة**:

(١) في قوله تعالى: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ استعارة تصريحية؛ لأنها استعارة من الحظ الذي هو: البخت، والدولة؛ لأن الأغنياء هم المجدودون، والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة، والولد؛ لعظمته، واستغنائه.

(٢) وفي قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ مجاز مرسل؛ لأن المسّ هو اللمس، واللامس هو: طالب متعرف، قال:

مَسَسْنا مِنَ الآباءِ شيئاً وكُلُّنا إلى نَسَبٍ في قومِه غَيْرِ واضِعِ

والبيت ليزيد بن الحاكم الكلابي، ومسسنا: أي: نلنا، فالمسّ مجاز مرسل، فكلٌّ منّا ينتمي إلى نسب في قومه غير منخفض، ويروى: إلى حسب، فاستوينا من جهة الآباء في التفاخر، فلما بلغنا فيه ذكر الأُمهات وجدتم أقاربكم كرام المضاجع، كناية عن الأزواج، أو عبر باسم المحل عن الحال فيه، وهنّ الأزواج مجازاً مرسلاً، وكرم النساء مذموم؛ لأنه كناية عن الخنا، كما يكنّى ببخلهنّ عن العفّة، فلسنا سواء في الأُمهات وبعده:

فلما بلغنا الأُمهات وَجَدتم بني عمّكم كانوا كرامَ المضاجعِ

﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ
بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى
ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا

صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ قِدَدًا ﴾ جمع قِدّة بالكسر، وهي: الطريقة، وفي المصباح: والقدّة: الطريقة، والفرقة من الناس، والجمع: قدد، مثل سدرة وسدر، وبعضهم يقول: الفرقة من الناس؛ إذا كان هوى كل واحد على حدة. ويؤخذ من اللسان وغيره أنه يقال: كنّا طرائق قدداً، أي: فرقاً مختلفة الأهواء، وتجمع أيضاً على: أقدّة.

﴿ ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ الجائرون بكفرهم، والقاسط: الجائر؛ لأنه عدل عن الحق، والمقسط: العادل إلى الحق، من: قسط؛ إذا جار، وأقسط الرباعي بمعنى: عدل. وعن سعيد بن جبير: أن الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال! حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة! إنه سمّاني ظالماً مشركاً، وتلا لهم قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾.

﴿ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ أي: قصدوا هداية، وطلبوها باجتهاد، وفيه: التحرّي في الشيء، يقال: حرى الشيء، يحريه، أي: قصد حراه، أي: جانبه، وتحرّاه كذلك. كذلك قال الراغب، والذي في المعاجم: أن حرى الشيء: نقص.

﴿ غَدَقًا ﴾ الغدق ـ بفتح الدال وكسرها ـ لغتان في الماء الغزير، ومنه الغيداق: للماء الكثير، وللرجل الكثير العدو، والكثير النطق، وفي المصباح: غدقت العين غدقاً، من باب: تعب: كثر ماؤها، فهي غدقة، وفي التنزيل: ﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ أي: كثيراً، وأغدقت إغداقاً كذلك،

وغدق المطر، غدقاً، وأغدق إغداقاً مثله، وغدقت الأرض تغدق، من باب: ضرب، إذا ابتلت بالغدق.

﴿صَعَدًا﴾ بفتح الصاد والعين مصدر صعِد بكسر العين، كفرِح.

﴿لِبَدًا﴾ بكسر اللام، وقرىء بفتحها، فهما لغتان، جمع لِبدة بكسر اللام كسِدرة، وسدر على اللغة، وعلى اللغة الثانية كغرفة، وغرف، وفي المختار: اللبد بوزن الجلد، واحد اللبود، واللبلدة: أخصّ منه، قلت: وجمعها لبد، ومنه قوله تعالى: ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾. وعبارة القرطبي: قال مجاهد: لبداً، أي: جماعات، وهو من: تلبد الشيء على الشيء، أي: تجمع، ومنه: اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه، وكل شيء ألصقته إلصاقاً شديداً، فقد لبدته، ويقال للشعر الذي على ظهر الأسد: لبدة، وجمعها: لبد، ويقال للجراد الكثير: لبد، وفيه أربع لغات، وهي قراءات: بفتح الباء، وكسر اللام، وهي قراءة العامة، وضم اللام، وفتح الباء، وهي قراءة مجاهد، وابن محيصن، وهشام من أهل الشام، واحدتها: لبدة، بضم اللام، وكسرها، وبضم اللام، والباء، وهي قراءة أبي حيان، وأبي الأشهب، والعقيلي، والجحدري، وأحدها: لبد، مثل سقف في سقف، ورهن في رهن، وبضم اللام وتشديد الباء المفتوحة، وهي قراءة الحسن، وأبي العالية، والجحدري أيضاً، واحدها لابد، مثل راكع وركع، وساجد وسجد.

○ الإعراب:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وأنا عطف على ما تقدم، وأن واسمها، وجملة لا ندري خبرها، وأشر فيه وجهان: الرفع: بفعل مضمر على الاشتغال، والثاني: الرفع على الابتداء، وجملة أُريد هي الخبر، والأول أرجح لتقدّم ما هو طالب للفعل، وهو همزة الاستفهام، وبمن متعلقان بأُريد، ونائب فاعل أُريد مستتر، وعلى الوجه الأول تكون جملة أُريد مفسّرة لا محل لها، وفي الأرض صلة من، وأم حرف عطف

معادلة، وبهم متعلقان بأراد، وربهم فاعل، ورشداً مفعول به، وسيأتي مزيد من بحث هذه الآية في باب البلاغة ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ عطف أيضاً، ومنّا خبر مقدم، والصالحون مبتدأ مؤخر، والجملة خبر أنّا، ومنّا خبر مقدم، ودون ظرف متعلق بمحذوف، هو المبتدأ المؤخر، والتقدير: ومنّا فريق، أو فوج دون ذلك، وأجاز الأخفش وغيره أن تكون دون بمعنى غير، أي: ومنّا غير الصالحين، وهو مبتدأ، وإنما فتح لإضافته، إلى غير متمكّن، كقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ في قراءة مَن نصب على أحد الأقوال، والأول أرجح، وحذف الموصوف مع من التبعيضية كثير كقولهم: منّا ظعن، ومنّا أقام، أي: منّا فريق ظعن، ومنّا فريق أقام، وذلك مضاف إليه ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ فيه أوجه:

أحدها: أن التقدير: كنّا ذوي طرائق، أي: ذوي مذاهب مختلفة.

الثاني: أن التقدير: كنّا في اختلاف أحوالنا، مثل الطرائق المختلفة.

الثالث: أن التقدير: كنّا في طرائق مختلفة.

الرابع: أن التقدير: كانت طرائقنا قدداً، على حذف المضاف؛ الذي هو الطرائق، وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه، وعلى كل حال كان واسمها، وطرائق خبرها، وقدداً نعت، وعلى الوجه الثالث تكون طرائق منصوبة بنزع الخافض، والجار والمجرور خبر كنّا، ولم يرتض أبو حيان هذا الوجه، وقال: وأما التقدير الثالث، وهو: أن ينتصب على إسقاط «في» فلا يجوز ذلك إلا في الضرورة، وقد نصّ سيبويه على أن عسل الطريق شاذ، فلا يخرج القرآن عليه. أراد أبو حيّان بعسل الطريق قول ساعدة بن جُؤَيَّة في وصف رمح:

لَـدْنٌ بِهَـزِّ الكَـفِّ يَعْسِـلُ مَتْنُـه ... فيه كما عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

والشاهد فيه قوله: عسل الطريق، حيث حذف حرف الجر، ونصب الاسم الذي كان مجروراً به، وأصل الكلام: عسل في الطريق، وهو ضرورة ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ عطف أيضاً، وظننا فعل

وفاعل، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، وجملة لن نعجز الله خبرها، وأن وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي ظننا، وفي الأرض حال، ولن نعجزه عطف على لن نعجز الله، وهرباً مصدر في موضع الحال، تقديره: لن نعجزه كائنين في الأرض أينما تنقلنا فيها، ولن نعجزه هاربين إلى السماء موغلين فيها ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ عطف أيضاً، وأن واسمها، ولما رابطة، أو حينية، وسمعنا فعل وفاعل، والهدى مفعول به، وجملة آمنّا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وبه متعلق بآمنّا ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ الفاء عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويؤمن فعل الشرط، وفاعله هو، وبربه متعلقان بيؤمن، والفاء رابطة، ولا نافية، ويخاف فعل مضارع مرفوع، وفاعله هو، وجملة لا يخاف خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو لا يخاف، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وبخساً مفعول به، ولا رهقاً عطف على بخساً، وسيأتي سبب رفع الفعل، وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له في باب البلاغة ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ عطف على ما تقدم أيضاً، وأن واسمها، ومنّا خبر مقدم، والمسلمون مبتدأ مؤخر والجملة خبر أنّا، ومنّا القاسطون عطف على منّا المسلمون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ الفاء عاطفة، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وأسلم فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وأولئك مبتدأ، وجملة تحرّوا خبر، ورشداً مفعول به ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الواو عاطفة، وأما حرف شرط وتفصيل، والقاسطون مبتدأ، والفاء واقعة في جواب الشرط غير الجازم، وكانوا فعل ماضٍ ناقص، والواو اسمها، والجملة خبر القاسطون، ولجهنم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لحطباً، وتقدمت، وحطباً خبر كانوا، والجملة خبر القاسطون ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ عطف أيضاً على أنه استمع، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، أي: وأوحي إليّ أن لو استقاموا، ولو شرطية، وجملة استقاموا خبر أن، وعلى الطريقة متعلقان باستقاموا، واللام

واقعة في جواب لو، وأسقيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول، وماء مفعول به ثانٍ، وغدقاً نعت لماء ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ اللام لام التعليل، ونفتنهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بأسقيناهم، وفيه متعلقان بنفتنهم، والمعنى: لنختبرهم في الماء، فنعلم علم ظهور للخلائق كيف يشكرون، وكيف يكفرون، وإلا فهو سبحانه عالم لا يخفى عليه شيء، والواو عاطفة، ومن شرطية مبتدأ، ويعرض فعل الشرط، وعن ذكر ربه متعلقان بيعرض، ويسلكه جواب الشرط، والهاء مفعول به، أي: يدخله، وعذاباً منصوب بنزع الخافض، والأصل: نسلكه في عذاب؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ وصعداً نعت، وصعداً مصدر صعِد بكسر العين كفرح، ووصف به العذاب على تأويله باسم الفاعل، أي: عذاباً عالياً يغمره، ويعلو عليه، ويجتاحه ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ عطف على أنه استمع، أي: أُوحي إليّ أن المساجد لله، أي: مختصّة به، وأن واسمها، ولله خبرها، والفاء عاطفة، ولا ناهية، وتدعوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، ومع الله ظرف متعلق بتدعوا، وأحداً مفعول تدعوا ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ عطف على أنه استمع أيضاً، وأن واسمها، ولما رابطة، أو ظرفية حينية متضمنة معنى الشرط، وقام عبد الله فعل ماضٍ وفاعل، وجملة يدعوه حال، أي: داعياً، والمراد به محمد ﷺ، أي: مصلياً صلاة الصبح، أو مجرد العبادة ببطن نخلة، وجملة كادوا لا محل لها؛ لأنها جواب، ولما وشرطها وجوابها خبر أنه، وكاد من أفعال المقاربة، والواو اسمها، وجملة يكونون خبرها، والواو في يكونون اسم يكون، وعليه متعلقان بمحذوف حال، ولبداً خبر يكونون.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

اختلاف صورة الكلام لاختلاف الأحوال، فإن ما قبل أم صورة من الكلام تخالف صورة ما بعدها؛ لأن الأولى فيها فعل الإرادة مبني للمجهول، والثانية فيها فعل الإرادة مبني للمعلوم، والحال الداعي لذلك نسبة الخير إليه سبحانه في الثانية، ومنع نسبة الشر إليه في الأولى، قال ابن المنير: ومن عقائدهم ـ أي: الجن ـ أن الرشد والضلال جميعاً مرادان لله تعالى بقولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾ .. الآية، ولقد أحسنوا الأدب في ذكر إرادة الشر محذوفة الفاعل، والمراد بالمريد هو الله عزّ وجل، وإبرازهم لاسمه عند إرادة الخير والرشد، فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والآداب المليحة. وعبارة أبي حيان: ولما رأوا ما حدث من كثرة الرجم، ومنع الاستراق، قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فيؤمنون به فيرشدون، وحين ذكروا أشرٌّ لم يسندوه إلى الله تعالى، وحين ذكروا الرشد أسندوه إليه تعالى.

(٢) وفي قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ فن الإيضاح، وقد تقدم القول فيه، وأنه حلٌّ للإشكال الوارد في ظاهر الكلام، وهو يكون في معاني البديع من الألفاظ، وفي إعرابها، ومعاني النفس دون الفنون، وقد ذكرنا مفصّلاً في آل عمران، فإن الظاهر جزم الاستغناء عن الفاء، وجزم الفعل تفادياً من تقدير المبتدأ قبله، ولكنه عدل عمّا هو الظاهر لفائدة، وهي: أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل: فهو لا يخاف، فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة، وأنه هو المختص بذلك دون غيره، ومن جهة ثانية فإن الجملة الاسمية أدلّ، وآكد من الفعلية على تحقيق مضمون الجملة.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا
رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ
وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا

رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾
لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مُلْتَحَدًا ﴾: الملتحد: الملتجأ، وقيل: محيصاً، وقيل: معدلاً، وعبارة، القاموس: وألحد إليه: مال، كالتحد، والملتحد: المتلجأ. وفي المصباح: والملتحد بالفتح: اسم الموضع، وهو الملجأ.

﴿ وَأَحْصَىٰ ﴾ أصل الإحصاء: أن المحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة، والمئة، والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد، فيبني على ذلك حسابه.

○ **الإعراب:**

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ كلام مستأنف، مسوق للرد على الكفّار المتظاهرين عليه، القائلين له: إنك قد أقدمت على أمر عظيم لم يخطر على بال غيرك الإقدام عليه، فارفق بنفسك، واصدف عنه ونحن نجيرك. وقال فعل ماضٍ، وفاعله مستتر يعود على النبي عليه السلام، وإنما كافّة ومكفوفة، وأدعو ربي فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، والواو حرف عطف، ولا نافية، وأشرك فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، وبه متعلقان بأشرك، وأحداً مفعول به، وقرىء قل على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ كلام مستأنف أيضاً، مسوق للرد عليهم، ولبيان عجزه عن شؤون نفسه، وأن الأمر كله بيد الله، وإن واسمها، وجملة لا أملك خبرها، ولكم متعلقان بضرّاً، وضرّاً مفعول به، ولا رشداً عطف على ضرّاً، وجملة إني لا أملك مقول القول ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ إن واسمها، وجملة لن يجيرني خبر،

ومن الله متعلقان بيجيرني، وأحد فاعل يجيرني، ولن أجد عطف على لن يجيرني، ومن دونه في موضع المفعول الثاني ليجدني، وملتحداً هو المفعول الأول ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ إلا أداة استثناء، وبلاغاً فيه أوجه:

١ ـ أنه استثناء من مفعول أملك، أي: من مجموع الأمرين، وهما ضرّاً ورشداً بعد تأويلهما بشيئاً، كأنه قال: لا أملك لكم شيئاً إلا بلاغاً، فهو استثناء متصل، وعلى هذا ففي نصبه وجهان: أولهما: أنه بدل من ملتحداً لأن الكلام غير موجب، وثانيهما: النصب على الاستثناء.

٢ ـ أنه استثناء منقطع؛ لأن البلاغ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله: ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ ولأنه لا يكون من دون الله، بل يكون من الله، وبإعانته.

٣ ـ أنه استثناء من قوله: ﴿ لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ﴾ وقدّره الزمخشري فقال: أي: لا أملك إلا بلاغاً من الله، وقل: إني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه، وبيان عجزه على معنى: أن الله إن أراد به سوءاً من مرض، أو موت، أو غيرهما لم يصحّ أن يجيره منه أحد، أو يجد من دونه ملاذاً يأوي إليه. واستبعد أبو حيان هذا الوجه، وفيما يلي نص عبارته لنفاستها: إلا بلاغاً، قال الحسن: هو استثناء منقطع، أي: لن يجيرني أحد، لكن إن بلغت رحمتي بذلك، والإجارة للبلاغ مستعارة؛ إذ هو سبب إجارة الله ورحمته، وقيل: على هذا المعنى هو استثناء متصل، أي: لن يجيرني أحد، لكن لم أجد شيئاً أميل إليه، وأعتصم به إلا أن أبلغ، وأطيع، فيجيرني الله، فيجوز نصبه على الاستثناء من ملتحداً، وعلى البدل وهو الوجه؛ لأن ما قبله نفي، وعلى البدل خرّجه الزجّاج، وقال أبو عبد الله الرازي: هذا الاستثناء منقطع؛ لأنه لم يقل: ولم أجد ملتحداً، بل قال: من دونه، والبلاغ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله: من دونه ملتحداً؛ لأنه لا يكون من دون الله، بل يكون من الله، وبإعانته، وتوفيقه، وقال قتادة: التقدير: لا أملك إلا بلاغاً إليكم، فأما الإيمان والكفر فلا أملك، انتهى.

وفيه بعد لطول الفصل بينهما، وقيل: إلا في تقدير الانفعال إن شرطية، ولا نافية، وحذف فعلها لدلالة المصدر عليه، والتقدير: إن لم أبلغ بلاغاً من الله ورسالته، وهذا كما تقول: إن لا قياماً قعوداً، أي: إن لم تقم قياماً فاقعد قعوداً، وحذف هذا الفعل قد يكون لدلالته عليه بعده، أو قبله، كما حذف في قوله:

فَطَلِّقْها فلستَ لها بكفءٍ وإلا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحسامُ

والتقدير: وإن لا تطلقها، فحذف تطلقها لدلالة: فطلقها عليه، ومن لابتداء الغاية. واقتصر أبو البقاء على الاستثناء المنقطع؛ لأنه من غير الجنس. ومن الله صفة لبلاغاً، ورسالاته عطف على بلاغاً، وقد اختاره الزمخشري، وقال: كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالة، والمعنى: إلا أن أبلغ عند الله، فأقول: قال الله كذا ناسباً قوله إليه، وأن أُبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة، ولا نقصان. ورجح أبو حيان، والسمين، والكرخي أن يكون معطوفاً على الله، أي: إلا عن الله، وعن رسالاته، وكلاهما سديد ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويعص فعل الشرط، وفاعله مستتر، تقديره: هو، ولفظ الجلالة مفعول به، ورسوله عطف عليه، والفاء رابطة للجواب، وإن حرف مشبه بالفعل، وله خبرها المقدم، ونار جهنم اسمها المؤخر، وخالدين حال من الضمير في له، والعامل في هذه الحال الاستقرار المحذوف، وجمع خالدين حملاً على معنى الجمع في: مَن، وفيها متعلق بخالدين، وأبداً ظرف زمان متعلق بخالدين أيضاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ حتى هنا حرف ابتداء، أي: يصلح أن يجيء بعدها جملة الابتداء، والخبر، ومع ذلك فيها معنى الغاية. قال الزمخشري: فإن قلت: بِمَ تعلق حتى، وجعل ما بعده غاية له؟ قلت: بقوله: يكونون عليه لبداً، على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة، ويستضعفون أنصاره، ويستقلون عددهم، حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر، وإظهار

الله له عليهم، أو من يوم القيامة، فسيعلمون حينئذ أنهم أضعف ناصراً، وأقل عدداً، ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلّت عليه الحال من استضعاف الكفّار له، واستقلالهم لعدده، كأنه قال: لا يزالون على ما هم عليه، حتى إذا رأوا ما يوعدون قال المشركون: متى يكون هذا الموعود إنكاراً له، فقيل: قل إنه كائن لا ريب فيه، فلا تنكروه، فإن الله قد وعد ذلك، وهو لا يخلف الميعاد، وأما وقته فما أدري متى يكون؛ لأن الله لم يبيِّنه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة. وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، وجملة: رأوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، ورأوا فعل ماضٍ، وفاعل، وما اسم موصول مفعول به، وجملة يوعدون لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، والفاء رابطة للجواب، والسين حرف استقبال، ويعلمون فعل مضارع وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وهنا إشكال لم ينبّه عليه أحد ممّن تصدّوا لتفسير هذه الآية وإعرابها، وهو أن السين حرف استقبال، ووقت رؤية العذاب يحصل فور علم الضعيف من القوي، والسين تقتضي أنه يتأخر عنه، ولا مفرّ من هذا الإشكال إلا بجعل السين حرفاً للتأكيد المجرد، لا للاستقبال، هذا ويجوز تعليق حتى إذا بمحذوف دلّت عليه الحال من استضعاف الكفّار له، واستقلالهم لعدده، كأنه قال: لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال المشركون: متى يكون هذا الموعود؟! إنكاراً له، فقيل لهم قيل: أنه كائن لا ريب فيه، فلا تنكروه، فإن الله قد وعد بذلك، وهو لا يخلف الميعاد، وأما وقته فلا أدري متى يكون. وعبارة الجلال: حتى إذا رأوا ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدّر قبلها، أي: لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا ما يوعدون من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم. ومن يجوز أن تكون استفهامية، فترفع بالابتداء، وأضعف خبره، والجملة في موضع نصب سادّة مسدّ مفعولي يعلمون؛ لأنها معلقة للعلم قبلها، ويجوز أن تكون موصولة في محل نصب مفعول به، وأضعف خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو أضعف، والجملة صلة، ويكون العلم على هذا الوجه بمعنى: العرفان، فلا

تحتاج لمفعولين، وناصراً تمييز، وأقل عدداً عطف على أضعف ناصراً.

هذا وقد أورد أبو حيان اعتراضاً على هذا الإعراب الذي أوردناه ننقله بنصّه، قال في معرض ردّه على الزمخشري: قوله: بِمَ تعلق؛ إن عنى تعلّق حرف الجر فليس بصحيح؛ لأنها حرف ابتداء، فما بعدها ليس في موضع جر خلافاً للزجّاج، وابن درستويه، فإنهما زعما أنها إذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر، وإن عنى بالتعليق اتصال ما بعدها بما قبلها، وكون ما بعدها غاية لما قبلها، فهو صحيح، وأما تقديره: أنها تتعلق بقوله: يكونون عليه لبداً، فهو بعيد جداً؛ لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة، وقال التبريزي: حتى جاز أن تكون غاية لمحذوف، ولم يبيّن ما المحذوف، وقيل: المعنى دعهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من الساعة، فسيعلمون من أضعف ناصراً، وأقل عدداً أهم أم أهل الكتاب؟ والذي يظهر لي: أنها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم، كأنه قيل: إن العاصي يحكم له بكينونة النار لهم، والحكم بذلك هو وعيد، حتى إذا رأوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون، فقوله: فإن له نار جهنم، وهو وعيد لهم بالنار، ومن أضعف مبتدأ، وخبر في موضع نصب لما قبله، وهو معلق عنه؛ لأن من استفهام، ويجوز أن تكون موصولة في موضع نصب بسيعلمون، وأضعف خبر مبتدأ محذوف، والجملة صلة لمن، وتقديره: هو أضعف، وحسن حذفه طول الصلة بالمعمول، وهو ناصراً. ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ قل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وإن نافية، وأدري فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، والهمزة للاستفهام، وقريب خبر مقدم، وما توعدون مبتدأ مؤخر، ويجوز أن يكون قريب مبتدأ لاعتماده على الاستفهام، وما توعدون فاعل به، أي: أقرب الذي توعدون، نحو: أقائم أبواك، وما يجوز أن تكون موصولة، فالعائد محذوف، وجملة توعدون صلة، وأن تكون مصدرية، فلا عائد، وأم متصلة، ويجعل فعل مضارع مرفوع، وله في موضع المفعول الثاني، وربي فاعل، وأمداً مفعول يجعل الأول، والجملة المعلقة

بالاستفهام في محل نصب سدّت مسدّ مفعولي أدري ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو عالم، ويجوز أن يعرب بدلاً من ربي، والفاء عاطفة لترتيب عدم الإظهار على تفرده بعلم الغيب على الإطلاق، ولا نافية، ويظهر فعل مضارع مرفوع، وعلى غيبه متعلقان بيظهر، وأحداً مفعول به ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ إلا أداة حصر، والاستثناء منقطع، أي: لكن مَن ارتضاه؛ فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه بالوحي، ومن اسم موصول، أو شرطية مبتدأ على كل حال، وعلى الشرطية تكون جملة «فإنه» في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً، أي: إلا رسولاً ارتضاه، فتعرب من بدلاً من أحد، ومن بين يديه متعلقان بيسلك، ومن خلفه عطف على من بين يديه، ورصداً مفعول يسلك، وجملة يسلك خبر إنه، أي: يسلك ملائكة رصداً ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ اللام لام التعليل، ويعمل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بيسلك، غاية له، من حيث أنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه، وعلّقه القرطبي بمحذوف، وعبارته: وفيه حذف تتعلق به اللام، أي: أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ الرسالة، وأن مخففة، من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجملة أبلغوا رسالات ربهم خبر أن ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ عطف على مقدّر، أي: فعلم ذلك، وأحاط فعل ماضٍ، وفاعله مستتر تقديره: هو، يعود على الله تعالى، وبما متعلقان بأحاط، ولديهم ظرف متعلق بمحذوف هو الصلة، وأحصى عطف على أحاط، وكل شيء مفعول أحصى، وعدداً تمييز محول عن المفعول، أي: أحصى عدد كل شيء، وأعربه الزمخشري حالاً، وعبارته: وعدداً حال، أي: وضبط كل شيء معدوداً محصوراً، أو مصدر في معنى: إحصاء. وبدأ أبو البقاء بالمصدرية، وأجاز التمييز، وعبارة أبي حيان: عدداً، أي: معدوداً، وانتصابه على الحالية من كل

شيء، وإن كان نكرة لاندراج المعرفة في العموم، ويجوز أن ينتصب نصب المصدر لأحصى؛ لأنه في معنى: إحصاء.

* الفوائــد:

شجر بين أهل السنّة والاعتزال خلاف حول كرامات الأولياء، فقد قال الزمخشري بصدد الحديث عن قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ بعد كلام طويل: وفي هذا إبطال للكرامات؛ لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين، فليسوا برسل، وقد خصّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطّلاع على الغيب، وإبطال الكهانة والتنجيم؛ لأن أصحابها أبعد شيء من الارتضاء، وأدخله في السخط.

وتعقبه ابن المنير فقال: ادعى عاماً، واستدل خاصاً؛ فإن دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمدلول عليه بالآية إبطال اطّلاع الولي على الغيب خاصة، ولا يكون كرامة، وخارق العادة إلا الاطّلاع على الغيب لا غير، وما القدرية إلا ولهم شبهة في إبطالها، وذلك أن الله عزّ وجلّ لا يتخذ منهم وليّاً أبداً، وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قطُّ، فلا جرم أنهم يستمرون على الإنكار، ولا يعلمون أن شرط الكرامة: الولاية، وهي مسلوبة عنهم اتفاقاً، أما سلب الإيمان فمسألة خلاف... وهو يريد الكرامة؛ لأنه لم يؤتها.

ونحا القرطبي نحواً آخر فقال: قال العلماء: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب، واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى مَن ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم. ثم ذكر استدلالاً على بطلان ما يقوله المنجم، ثم قال باستحلال دم المنجم.

وقال الواحدي: في هذا دليل على أن مَن ادّعى أن النجوم تدل على ما يكون من حياة، أو موت، أو غير ذلك، فقد كفر بما في القرآن.

وقال أبو عبد الله الرازي: والواحدي تجوز الكرامات على ما قال صاحب الكشاف بجعلها تدل على المنع من الأحكام النجومية، ولا تدل على الإلهامات مجرد تشبه، وعندي: أن الآية لا تدل على شيء مما قالوه؛ لأن قوله: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦ﴾ ليس فيه صفة عموم. إلى أن يقول: واعلم أنه لابدّ من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لا يطّلع أحد على شيء من المغيبات إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام، والذي يدل عليه وجوه:

أحدها: أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقاً وسطيحاً كانا كاهنين، يخبران بظهور محمد ﷺ قبل زمان ظهوره، وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم، حتى رجع إليهما كسرى في تعرّف أخبار رسول الله ﷺ.

وثانيهما: إطباق الأُمم على صحة علم التعبير، فيخبر المعبر عمّا يأتي في المستقبل، ويكون صادقاً.

وثالثها: أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد إلى خراسان، سألها عن أشياء في المستقبل، فأخبرت بها، ووقعت على وفق كلامها، فقد رأيت أناساً محققين في علوم الكلام والحكمة، حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل، وجاءت كذلك، وبالغ أبو البركات صاحب «المعتبر» في شرح حالها في كتاب «التعبير» وقال: فحصت عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات أخباراً مطابقة موافقة.

ورابعها: أنّا نشاهد أصحاب الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصاً بالأولياء، فقد يوجد في السحرة، وفي الأخبار النجومية ما يوافق الصدق، وإن كان الكذب يقع منهم كثيراً، وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً، فالقول: بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر إلى الطعن بالقرآن، وذلك باطل، فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه.

وتعقبه أبو حيان، فقال: وإنما أوردنا كلام هذا الرجل في هذه المسألة لننظر فيما ذكر من تلك الوجوه، أما قصة شق وسطيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب؛ لأنه فما يخبر به رئي الكهان من الشياطين مسترقة السمع، كما جاء في الحديث: أنهم يسمعون وبل الكلمة، ويكذبون، ويلقون إلى الكهنة، وتزيد الكهنة للكلمة مئة كذبة، وليس هذا من علم الغيب إذ تكلمت به الملائكة، وتلقفها الجنّي، وتلقفها منه الكاهن، فالكاهن لم يعلم الغيب، وأما تعبير المنامات، فالمعبر غير المعصوم لا يعبّر بذلك على سبيل القطع والبت، بل على سبيل الحزر والتخمين، فقد يقع ما يعبر، وقد لا يقع، وأما الكاهنة البغدادية وما حكي عنها، فحسبه عقلاً أن يستدل بأحوال امرأة لم يشاهدها، ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يجوز أنه ليس عليه هذا، وهو العالم المصنّف الذي طبق ذكره الآفاق، وهو الذي شكك في دلائل الفلاسفة، وسامهم الخسف، وأما حكايته عن صاحب «المعتبر» فهو يهودي أظهر الإسلام، وهو منتحل طريقة الفلاسفة، وأما مشاهدته أصحاب الإلهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثلاث وسبعين سنة أصحب العلماء، وأتردد إلى مَن ينتمي إلى الصلاح، ولم أرَ أحداً منهم صاحب إلهام صادق، وأما الكرامات فإني لا أشك في صدور شيء منها، لكن ذلك على سبيل الندرة، وذلك فيما سلف من صلحاء هذه الأُمة، وربما قد يكون في أعصارنا مَن تصدر منه الكرامة، ولله تعالى أن يخصّ مَن شاء بما شاء.

* * *

سورة المزمل

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ
وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا
وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ
هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا
وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ
كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿ ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ المتزمل، وهو: الذي تزمل في ثيابه، أي: تلفف بها، بإدغام التاء في الزاي، ونحوه: المدّثر في المتدثر، يقال: تزمّل في ثوبه: التفّ، وزمل: لف، قال امرؤ القيس:

كأنَّ ثبيراً في عرانين وبلِه كبير أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ

وقال ذو الرمّة:

وكائِنْ تَخَطَّتْ ناقتي مِنْ مَفَازَةٍ ومِنْ نائِمٍ عن لَيْلِها مُتَزَمِّلِ

وفي المصباح: زملته بثوبه تزميلاً، فتزمل، مثل: لفقته فتلفف، وزملت الشيء: حملته، ومنه قيل للبعير: زاملة بالهاء للمبالغة؛ لأنه يحمل متاع المسافر. وسيأتي المزيد من معناه في باب الفوائد.

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ القيام بعد النوم، فهي صفة لمحذوف، أي: إن النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها للعبادة، أي: ترتفع، وتنهض، من: نشأت السحابة: إذا ارتفعت، وقيل: إنها مصدر بمعنى القيام، من: نشأ: إذا قام ونهض، فتكون كالعاقبة. وفي المختار: وناشئة الليل: أول ساعاته، وقيل: ما ينشأ فيه من الطاعات.

﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ﴾ انقطع إليه، وتبتيلاً مصدر على غير المصدر، وهو واقع موقع التبتل؛ لأن مصدر تفعّل تفعلاً، نحو: تصرف تصرفاً، وتكرم تكرماً، وأما التبتيل فمصدر بتّل، نحو: صرف تصريفاً، قال في الخلاصة:

وغير ذي ثلاثةٍ مقيس مصدرُه كقدسِ التَّقديس

قال في الكشاف: فإن قلت: كيف قيل تبتيلاً، مكان: تبتلاً؟ قلت: لأن معنى تبتل: بتل نفسك، فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل. وعبارة أبي البقاء: قوله تعالى ﴿تَبۡتِيلٗا﴾ مصدر على غير المصدر، واقع موقع تبتل، وقيل: المعنى: بتل نفسك تبتيلاً.

﴿ٱلنَّعۡمَةِ﴾ بالفتح: التنعم، وبالكسر: الإنعام، وبالضم: المسرّة.

﴿أَنكَالٗا﴾ قيوداً ثقالاً، جمع: نِكل، بكسر النون.

﴿كَثِيبٗا﴾ رملاً مجتمعاً.

﴿مَّهِيلًا﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال يهيل، وهو اسم مفعول، أصله: مهيول، استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى الهاء، وحذفت الواو

ثاني الساكنين لزيادتها، وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء، وفي المختار: هال الدقيق في الجراب: صبّه من غير كيل، وكل شيء أرسله إرسالاً من رمل، أو تراب، أو طعام، ونحوه، فقد هاله، فانهار، أي: جرى، وانصبّ، وبابه: باع، وأهال لغة فيه، فهو مهال، ومهيل.

○ الإعراب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يا حرف نداء، وأيها منادى مبني على الضم؛ لأنها نكرة مقصودة، والهاء للتنبيه، والمزمل بدل، أو نعت، وقم فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والليل ظرف لقم، وإن استغرقه الحديث الواقع فيه، وإلا أداة استثناء، وقليلاً مستثنى من الليل، وفيه دليل على أن المستثنى قد يكون مبهم المقدار ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ جوّز المعربون في نصفه أن يكون بدلاً من الليل، ومن قليلاً؛ فإذا كان بدلاً من الليل كان الاستثناء منه، وكان المأمور بقيامه نصف الليل إلا قليلاً منه، والضمير في منه وعليه عائد على النصف، فيصير المعنى: قم نصف الليل إلا قليلاً، أو أنقص من نصف الليل قليلاً، أو زد على نصف الليل، فيكون قوله: أو أنقص، من نصف الليل قليلاً، تكراراً لقوله: إلا قليلاً، من نصف الليل، وذلك تركيب غير فصيح ينزّه القرآن عنه. قال الزمخشري: نصفه بدل من الليل، وإلا قليلاً استثناء من النصف؛ كأنه قال: قم أقل من نصف، والضمير في منه: وعليه للنصف، والمعنى: التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتّ، وبين أن يختار أحد الأمرين، وهما النقصان من النصف، والزيادة عليه.

وقال أبو حيان تعقيباً على إعراب الزمخشري: فلم ينتبه للتكرار الذي يلزمه في هذا القول؛ لأنه على تقديره: قم أقل من نصف الليل كان أو أنقص من نصف الليل تكراراً، وإذا كان نصفه بدلاً من قوله إلا قليلاً، فالضمير في نصفه إما أن يعود على المبدل منه؛ أو على المستثنى فيه، وهو الليل، لا جائز أن يعود على المعدل منه، لأنه يصير استثناء مجهول من مجهول؛ إذ

التقدير: إلا قليلاً نصف القليل، وهذا لا يصح له معنى البتة، وإن عاد الضمير على الليل فلا فائدة من الاستثناء من الليل؛ إذ كان يكون أخصر، وأوضح، وأبعد عن الالتباس أن يكون التركيب: قم الليل نصفه، وقد أبطلنا قول مَن قال: إلا قليلاً استثناء من البدل، وهو: نصفه، وإن التقدير: قم الليل نصفه إلا قليلاً منه، أي: من النصف أيضاً، ففي دعوى أن نصفه بدل من إلا قليلاً، وأن الضمير في نصفه عائد على الليل إطلاق القليل على النصف، ويلزم أيضاً أن يصير التقدير: إلا نصفه فلا تقمه، أو أنقص من النصف الذي لا تقومه، أو زد عليه النصف الذي لا تقومه، وهذا معنى لا يصحّ، وليس المراد من الآية قطعاً.

وقال الزمخشري أيضاً: وإن شئت جعلت نصفه بدلاً من قليلاً، وكان تخييراً بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه، وإنما وصف النصف بالقلّة بالنسبة إلى الكل، وإن شئت قلت: لما كان معنى: قم الليل إلا قليلاً نصفه، إذا أبدلت النصف من الليل، قم أقل من نصف الليل، رجع الضمير في منه وعليه إلى الأقل من النصف، فكأنه قيل: قم أقل من نصف الليل، وقم أنقص من ذلك الأقل، أو أزيد منه قليلاً، فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث، ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلاً، وفسّرته به أن تجعل قليلاً الثاني بمعنى نصف النصف، وهو الربع، كأنه قيل: أو أنقص منه قليلاً نصفه، وتجعل المزيد على هذا القليل، أعني: الربع نصف الربع، كأنه قيل: أو زد عليه قليلاً نصفه، ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث، فتكون تخييراً بين النصف، والثلث، والربع.

وتعقبه أبو حيان كعادته فقال: وما أوسع خيال هذا الرجل! فإنه يجوز ما يقرب وما يبعد، والقرآن لا يجوز أن يحمل إلا على أحسن الوجوه التي تأتي في كلام العرب.

وممّن نصّ على جواز أن يكون نصفه بدلاً من الليل، أو من قليلاً:

الزمخشري، كما ذكرنا عنه، وابن عطية أورده مورد الاحتمال، وأبو البقاء قال: أشبه بظاهر الآية أن يكون بدلاً من قليلاً، أو زد عليه، والهاء فيهما للنصف، فلو كان الاستثناء من النصف صار التقدير: قم نصف الليل إلا قليلاً، أو أنقص منه قليلاً، والقليل المستثنى غير مقدّر، فالنقصان منه لا يتحصل.

وأما الحوفي فأجاز أن يكون بدلاً من الليل، ولم يذكر غيره.

وقال ابن عطية: وقد يحتمل عندي قوله: إلا قليلاً: أنه استثناء من القيام، فيجعل الليل اسم جنس. ثم قال: إلا قليلاً، أي: الليالي التي تخل بقيامها عند العذر البيِّن، وهذا النظر يحسن مع القول بالندب.

وقال أبو حيان معقِّباً: وهذا خلاف الظاهر، وقيل: المعنى: أو نصفه، كما تقول: أعطه درهماً درهمين ثلاثة، تريد: أو درهمين، أو ثلاثة، وفيه حذف حرف العطف من غير دليل عليه.

وقال التبريزي: الأمر بالقيام، والتخيير في الزيادة والنقصان، وقع على الثلثين من آخر الليل؛ لأن الثلث الأول وقت العتمة، والاستثناء وارد على المأمور به، فكأنه قال: قم الليل إلا قليلاً، ثم جعل نصفه بدلاً من قليلاً، فصار القليل مفسّراً بالنصف من الثلثين، وهو قليل من الكل، فقوله: أو أنقص منه، أي: من المأمور به، وهو قيام الثلث قليلاً، أي: ما دون نصفه، أو زد عليه، على الثلثين، فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعاً على الثلثين.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ أو عاطفة للتخيير، أي: بين قيام نصف الليل، وبين الزائد عليه إلى الثلثين، وبين الناقص عنه إلى الثلث، وزد فعل أمر، وعليه متعلقان بزد، ورتل القرآن فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وترتيلاً مفعول مطلق ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ الجملة اعتراض بين الأمر بقيام الليل وبين تعليله بقوله الآتي: إن ناشئة الليل.. الخ، وقيل: مستأنفة، وعبارة الزمخشري: وهذه الآية اعتراض، ويعني بالقول الثقيل: القرآن وما

* الفوائـد :

اختلفت أقوال المفسرين في هذا الخطاب على ثلاثة أقوال :

١ ـ قال عكرمة : يا أيها المزمّل بالنبوّة، والمتدثّر بالرسالة، وعنه أيضاً: يا أيها الذي زمّل هذا الأمر، أي: حمله، ثم فتر.

٢ ـ قال ابن عباس : يا أيها المزمّل بالقرآن .

٣ ـ قال قتادة : يا أيها المزمّل بثيابه، وكان هذا في ابتداء ما أُوحي إليه؛ فإنه ﷺ لما جاءه الوحي في غار حِراء رجع إلى خديجة زوجه يرجف فؤاده، فقال : «زمّلوني زمّلوني، لقد خشيت على نفسي أن يكون هذا مبادىء شعر أو كهانة، وكل ذلك من الشيطان، وأن يكون الذي ظهر بالوحي ليس الملك» فقالت له خديجة ـ وكانت وزيرة صدق ـ: كلا، والله! لا يخزيك اللهُ أبداً، إنك تصل الرحم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

وقيل : إنه ﷺ كان نائماً في الليل، متزمّلاً في قطيفة، فنودي بما يهجن تلك الحالة التي كان عليها من التزمّل في قطيفته، وقد تشبث الزمخشري بهذا الرأي، وقال عبارة بليغة في حدّ ذاتها، ولكنه أساء إلى الرسول ﷺ، وننقل فيما يلي عبارته، وتعقيب ابن المنير عليها لطرافتهما، ولكونهما من الأدب الرفيع :

قال الزمخشري : وكان رسول الله ﷺ نائماً بالليل متزمّلاً في قطيفته، فنودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمّل في قطيفته، واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل مَن لا يهمّه أمر، ولا يعنيه شأن؛ ألا ترى إلى قول ذي الرمّة :

وكائِنْ تَـخَطَّتْ ناقتي مِن مَفَازَةٍ ... ومِن نـائـمٍ عن لَـيْـلِها مُـتَـزَمِّلِ

يريد : الكسلان المتقاعس؛ الذي لا ينهض في معاظم الأُمور، وكفايات الخطوب، ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب، ونحوه :

فأتَـت بـه حُوشَ الفؤادِ مُـبَـطَّناً ... سُهُـداً إذا ما نامَ لـيـلُ الـهَـوْجَـلِ

وفي أمثالهم:

أَوْرَدَهـا سعـدٌ وسَعْـدٌ مُشْتَمِـلْ ما هكذا يا سَعْدُ تُـورَدُ الإبِلْ

فذمّه بالاشتمال بكسائه، وجعل ذلك خلاف الجدّ والكيس، وأمر بأن يختار على الهجود: التهجد، وعلى التزمّل: التشمّر، والتخفّف للعبادة، والمجاهدة في الله. لا جرم أن رسول الله ﷺ قد تشمّر لذلك مع أصحابه حق التشمّر، وأقبلوا على إحياء لياليهم، ورفضوا له الرقاد والدعة، وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم، واصفّرت ألوانهم، وظهرت السيما في وجوههم، وترامى أمرهم إلى حدٍّ رحمهم له ربهم، فخفف عنهم. ولعمري لقد أنصف الزمخشري النبي وأصحابه، ووصف عبادتهم، وإنضاء نفوسهم وصفاً يليق بهم، بيد أن العبارات الأولى موهمة قليلاً؛ لذلك أخذها عليه ابن المنير بقوله:

أما قوله الأول: أن نداءه تهجين للحالة التي ذكر أنه كان عليها، واستشهاده بالأبيات المذكورة، فخطأ، وسوء أدب، ومَن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له في الإكرام والإجلال، علم بطلان ما تخيله الزمخشري، فقد قال العلماء: أنه لم يخاطب باسمه نداء، وإن ذلك من خصائصه دون سائر الرسل إكراماً له وتشريفاً، فأين نداؤه بصيغة مهجنة من ندائه باسمه، واستشهاده على ذلك بأبيات قيلت ذمّاً في جفاة حفاة من الرعاة، فأنا أبرأ إلى الله من ذلك، وأربأ به ﷺ. ولقد ذكرت بقوله: «أوردها سعد وسعد مشتمل» ما وقفت عليه من كلام ابن خروف النحوي يردّ على الزمخشري، ويخطىء رأيه في تصنيفه «المفصل» وإجحافه في الاختصار بمعاني كلام سيبويه، حتى سمّاه ابن خروف: البرنامج، وأنشد عليه:

أَوْرَدَهـا سَعْـدٌ وسَعْـدٌ مُشْتَمِـلْ ما هكذا يا سَعْدُ تُورَدُ الإبِلْ

أقول: ولا مندوحة عن القول: إن ابن المنير قد تجنّى على الزمخشري كثيراً، وتجاهل ما أورده من الوصف الممتع الدقيق لتشميره ﷺ وعبادته، ولكـن إيـراد الأبيـات التي قيلـت فـي الـذم بهـذا الصـدد خطـأ وقـع فيـه

الزمخشري، وربّ خطأ نشأ عن صواب، ولا بأس بعد هذا من إيراد عبارة السهيلي بهذا الصدد، فقد بلغ بها الغاية في التعليل، والتأويل، والتلطف في التحليل؛ قال: ليس المزمّل باسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام يُعرف به، وإنما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب، والعرب إذا قصدت الملاطفة بالمخاطب تترك المعاتبة، نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي كرّم الله وجهه ـ وقد نام، ولصق بجنبه التراب ـ: «قم أبا تراب» إشعاراً بأنه ملاطف له، فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ فيه تأنيس، وملاطفة».

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ
فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ
شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ
ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ
وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَلَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا
تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن
فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ
أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَبِيلٗا﴾ ثقيلاً شديداً، من قولهم: كلأ وبيل، وضم لا يستمرأ لثقله، والوبيل: العصا الضخمة، ومنه الوابل: للمطر العظيم. وفي المصباح: وبلت السماء وبلاً، من باب: وعد، ووبولاً: اشتد مطرها، وكان الأصل:

وبل مطر السماء، فحذف للعلم به، ولهذا يقال للمطر: وابل، والوبيل: الوضيم، وزناً ومعنىً.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ كلام مستأنف، مسوق لخطاب أهل مكة على طريق الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾، وإن واسمها، وجملة أرسلنا خبرها، وإليكم متعلقان بأرسلنا، ورسولاً مفعول به، وشاهداً نعت لرسولاً، وعليكم متعلقان بشاهداً، وكما نعت لمصدر محذوف أي: إرسالاً، كإرسالنا إلى فرعون رسولاً، وما مصدرية، وجملة أرسلنا لا محل لها، وإلى فرعون متعلقان بأرسلنا، ورسولاً مفعول به، وإنما خصّ موسى وفرعون بالذكر؛ لأن أخبارهما كانت منتشرة بمكة ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ الفاء عاطفة، وعصى فرعون الرسول فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به، وإنما عرف الرسول؛ لأن النكرة إذا أُعيدت أُعيدت معرفة بأل العهدية، والعرب إذا قدّمت اسماً، ثم حكت عنه ثانياً، أتوا به معرّفاً بأل، وأتوا بضميره، لئلا يلتبس بغيره، نحو: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل، ولو قلت: فأكرمت رجلاً لتوهم أنه غير الأول، وسيأتي تحقيق هذا عند قوله: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ وقوله ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين». وعبارة أبي البقاء: إنما أعاده بالألف واللام ليعلم أنه الأول، فكأنه قال: فعصاه فرعون. فأخذناه عطف على فعصى، وهو فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به، وأخذاً مفعول مطلق، ووبيلاً نعت ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ الفاء عاطفة، وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال، وتتقون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وإن شرطية، وكفرتم فعل ماضٍ وفاعل في محل جزم فعل الشرط، والجواب محذوف دلّ عليه ما قبله، أي: فكيف تتقون، ويوماً مفعول تتقون، أي: فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن

بقيتم على الكفر، ولم تؤمنوا، وتعملوا صالحاً، ويجوز أن يكون ظرفاً أي: فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم، قاله الزمخشري، وردّ عليه السمين بأنه لا يجوز أن ينتصب ظرفاً؛ لأنهم لايكفرون في ذلك اليوم، بل يؤمنون فيه لا محالة، ويجوز أن ينتصب بنزع الخافض، أي: إن كفرتم بيوم القيامة. وجملة يجعل صفة ليوماً، والولدان مفعول به أول، وشيباً مفعول به ثانٍ، وسيأتي مزيد من معنى هذا الوصف في باب: البلاغة ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾ الجملة صفة ثانية ليوماً، والسماء مبتدأ، ومنفطر به خبر، وقد يسأل سائل: لِمَ لم تؤنّث الصفة، فيقال: منفطرة؟ ويُجاب بأجوبة:

منها: أن هذه الصيغة صيغة نسب، أي: ذات انفطار، نحو: امرأة مرضع، وحائض، أي: ذات إرضاع، وذات حيض.

ومنها: أنها لم تؤنّث؛ لأن السماء بمعنى السقف، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفًا مَّحۡفُوظًاۖ ﴾ قال الزمخشري: وصف لليوم بالشدّة أيضاً، وإن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه، فما ظنك بغيرها من الخلائق؟! والمعنى: ذات انفطار، أو: على تأويل السماء بالسقف، والباء في به، مثلها في قولك: فطرت العود بالقدوم، فانفطر به. فتكون على رأي الزمخشري للاستعانة، وقيل: سببية، وقال القرطبي: إنها بمعنى في، والجميع سواء. وكان فعل ماضٍ ناقص، ووعده اسمها، ومفعولاً خبرها، والوعد مصدر مضاف لفاعله، فيكون الضمير في به عائداً على الله تعالى، ويجوز أن يعود على اليوم، فيكون الوعد مصدراً مضافاً إلى مفعوله، أي: وعد يوم القيامة، والفاعل محذوف ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ إن واسمها، والإشارة إلى الآيات الناطقة بالوعد والوعيد، وتذكرة خبرها، والفاء عاطفة، ومن شرطية مبتدأ، وشاء فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، ومفعول شاء محذوف تقديره: فمَن شاء النجاة، واتخذ فعل ماضٍ في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط، وجوابه خبر

من، وإلى ربه: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لسبيلاً، وسبيلاً مفعول اتخذ ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لإيضاح ما أجمل في أول السورة، وإن واسمها، وجملة يعلم خبرها، وأن وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي يعلم، والكاف اسم أن، وجملة تقوم خبر أنك، وأدنى ظرف زمان، أي: وقتاً أدنى، ومن ثلثي الليل متعلقان بأدنى، وإنما استعير الأدنى، وهو الأقرب للأقل؛ لأن المسافة إذا دنت بين الشيئين قلّ ما بينهما من الأحياز، وإذا بعدت كثر ذلك ﴿ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ أوضح الزمخشري هذا الإعراب بقوله: وقرىء: ونصفه، وثلثه بالنصب، على أنك تقوم أقل من الثلثين، وتقوم النصف والثلث، وهو مطابق لما مرّ في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه، وهو الثلث، وبين قيام الزائد عليه، وهو الأدنى من الثلثين، وقرىء: ونصفه وثلثه بالجر، أي: تقوم أقل من الثلثين، وأقل من النصف والثلث، وهو مطابق للتخيير بين النصف، وهو أدنى من الثلثين والثلث، وهو أدنى من النصف والربع، وهو أدنى من الثلث، وهو الوجه الأخير. ﴿ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ الواو حرف عطف، وطائفة عطف على ضمير تقوم، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسّي به، ومنهم مَن كان لا يدري كم صلى من الليل، وكم بقي منه، فكان يقوم الليل كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر، فخفّف الله عنهم، ومن الذين صفة لطائفة، ومعك ظرف متعلق بمحذوف هو الصلة ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يقدّر الليل، والنهار: خبر ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ علم فعل ماضٍ، وفاعله مستتر، تقديره: هو، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، وجملة لن تحصوه خبرها، وأن وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي علم، والضمير في تحصوه قال الزمخشري: المصدر يقدّر، أي: علم أنه لا يصحّ منك ضبط الأوقات، ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية، إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط، وذلك شاق عليكم، بالغ منكم، وهذا

أحسن من قول الجلال وغيره: يعود إلى الليل؛ لأنه المحدّث عنه أول السورة، وإن كان المعنى واحداً. فتاب عطف على علم، وعليكم متعلقان بتاب، والفاء عاطفة، واقرؤوا فعل أمر وفاعل وما مفعول به، وجملة تيسر صلة، ومن القرآن متعلقان به ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الجملة مستأنفة، وأن مخففة من الثقيلة، أي: أنه، وجملة سيكون خبرها، ومنكم خبر يكون المقدّم، ومرضى اسمها المؤخر، وآخرون مبتدأ، ومنكم حال، وجملة يضربون في الأرض خبر، أي: يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جملة يبتغون حالية من الضمير في يضربون، ومن فضل الله متعلقان بيبتغون، وآخرون مبتدأ، وجملة يقاتلون في سبيل الله خبر، وهذه الفرق الثلاث يشقّ عليهم ما ذكر من قيام الليل ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الفاء عاطفة، واقرؤوا فعل أمر وفاعل، وما مفعول به، وجملة تيسر صلة، ومنه متعلقان بتيسر، وأقيموا الصلاة فعل أمر وفاعل ومفعول به، وآتوا الزكاة عطف على أقيموا الصلاة ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ وأقرضوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول، وقرضاً مفعول مطلق، وحسناً نعت، والواو عاطفة، وما شرطية في محل نصب مفعول مقدم لتقدموا، وتقدموا فعل الشرط، ولأنفسكم متعلقان بتقدموا، ومن خير حال، وتجدوه جواب الشرط، وعند الله ظرف لتجدوه، وهو ضمير فصل، أو تأكيد للضمير، ووهم أبو البقاء، فأجاز أن يكون بدلاً من الهاء، ولو كان بدلاً لطابق في النصب؛ فكان يكون إياه. وخيراً مفعول به ثانٍ لتجدوه، وأعظم عطف على خيراً، وأجراً تمييز، وجاز أن يكون هو فصلاً، وإن لم يقع بين معرفتين؛ لأنه وقع بين معرفة ونكرة، ولكن النكرة يشبه المعرفة لامتناعه من التعريف بأداة التعريف، ووجه امتناعه من التعريف بها أنه اسم تفضيل، ولا يجوز دخول أل عليه إذا كان معه «من» لفظاً، أو تقديراً، وهنا «من» مقدرة، أي: خيراً مما خلفتهم ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ عطف على ما تقدم، وإن واسمها، وخبراها جملة اسمية تعليلية للاستغفار، أي:

استغفروه في جميع أحوالكم ؛ فإن الإنسان مستهدف للتفريط .

□ البلاغة:

في قوله : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ مجاز إسنادي كناية عن شدة الهول، يقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال، وأصله: أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت في الإنسان، واستحوذت عليه، أسرع فيه الشيب، وقد تعلق أبو الطيب بأهداب هذا المجاز فقال:

والهَمُّ يَـخْـتَرِمُ الجسيمَ نَـحَافةً ويُـشِيبُ ناصيةَ الصَّـبِيِّ ويُـهْرِمُ

* الفوائـد:

قرأ أبو الشمائل، وابن السميقع: (هو خَيْرٌ)، برفعهما على الابتداء والخبر، قال أبو زيد: هو لغة بني تميم يرفعون ما بعد الفاصلة، يقولون: كان زيد هو العاقل بالرفع، فهذا البيت لقيس بن ذريح، وهو:

تحنُّ إلى ليلى وأنت تركتَها وكنتَ عليها بالملا أنت أقدرُ

قال أبو عمرو الجرمي: أنشد سيبويه هذا البيت شاهداً للرفع والقوافي مرفوعة، قلت: وبهذا يتخرج بيت أبي نواس الذي لحنه بعضهم، وهو:

دعْ عنك لومي فإنَّ اللومَ إغراءُ وداوِني بالتي كانتْ هي الدَّاءُ

* * *

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) وَٱلرُّجۡزَ
فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ
يَوۡمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ (١٠) ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا (١١) وَجَعَلۡتُ لَهُۥ
مَالٗا مَّمۡدُودٗا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودٗا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا (١٤) ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآۖ
إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا (١٦) سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ
قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا
سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ (٢٤) إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ (٢٥) سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبۡقِي
وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ (٢٩) عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا
جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ
وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا
مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ
لِلۡبَشَرِ (٣١) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ لابس الدثار، وهو: ما فوق الشعار، أي: الثوب الذي يلي الجسد، وأصله: المتدثر، أدغمت التاء في الدال، كما تقدم في المزمل، أي: المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه. روي عن جابر رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «كنت على جبل حراء، فنوديت: يا محمد! إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض، يعني: الملك الذي ناداه، فرعبت، ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني، فنزل جبريل، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾

﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ بكسر الراء، وهي قراءة الجمهور، وقرأ حفص، ومجاهد، والسلمي، وغيرهم بضمها، فقيل: هما بمعنى واحد، يُراد بهما: الأصنام، والأوثان، وقيل: الكسر لتبيين النقائص والفجور، والضم لصنمين إساف ونائلة، وقال الحسن: كل معصية، والمعنى في الأمر: اثبت، ودم على هجره؛ لأنه ﷺ كان بريئاً منه، وقال النخعي: الإثم، وقال القتبي: العذاب، أي: اهجر ما يؤدي إليه، وأخذ به الزمخشري، قال: والرجز بالكسر والضم، وهو: العذاب، ومعناه: اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان، وغيرهما من المآثم. والمعنى: الثبات على هجره؛ لأنه كان بريئاً منه. وفي القاموس: الرجز بالكسر والضم: القذر، وعبادة الأوثان، والشرك. والزاي منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بينهما، والمعنى واحد.

﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ النقر: الصوت، قال الشاعر:

أخفضه بالنّقر لما علوته ويرفعُ طرفاً غير خافٍ غضيض

والناقور: فاعول منه، كالجاسوس، مأخوذ من: التجسس، والمراد هنا: الصُّور، وهو: القرن.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ التمهيد في الأصل: التسوية، والتهيئة، ويتجوز به عن بسط المال، والجاه، قال في الكشاف: وبسطت له الجاه العريض،

والرئاسة في قومه، فأتممت عليه نعمتي المال، والجاه.

﴿عَبَسَ﴾ يعبس، عبساً، وعبوساً: قطب وجهه وبابه: جلس، والعبس: ما يبس في أذناب الإبل من البعر، والبول.

﴿وَبَسَرَ﴾ بسر، يبسر، بسراً، وبسوراً: إذا قبض ما بين عينيه كراهية للشيء، واسود وجهه منه، وبابه: دخل، ويقال: وجه باسر، أي: منقبض أسود. وقال الراغب: البسر: استعجال الشيء قبل أوانه، نحو: بسر الرجل حاجته: طلبها في غير أوانها، وماء بسر: متناول من غدير قبل سكونه، ومنه قيل للذي لم يدرك من الثمر: بسر، وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أي: أظهر العبوس قبل أوانه، وقبل وقته، فإن قيل: فقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ليس يفعلون ذلك قبل الوقت، وقد قلت: إن ذلك فيما يقع قبل وقته، قيل: أشير بذلك إلى حالهم قبل الانتهاء إلى النار، فخص لفظ البسر، تنبيهاً على أن ذلك مع ما ينالهم منه يجري مجرى التكليف، ومجرى ما يفعل قبل وقته، ويدل على ذلك قوله: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

﴿سَقَرُ﴾ اسم من أسماء جهنم، وهو ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث.

﴿لَوَّاحَةٌ﴾ محرقة لظاهر الجلد، وهي بناء مبالغة، وفيها معنيان:
أحدهما: من: لاح، يلوح، أي: ظهر، أي: أنها تظهر للبشر.

وثانيهما: ـ وهو الأرجح ـ: أنها من لوّحه، أي: غيّره وسوّده.

وعبارة الزمخشري: لواحة، من: لوح الهجير، قال:

تقـولُ: مـا لاحَـكَ يـا مُسَـافِـرُ   يا بنـةَ عَـمِّي لاحَنِي الهَـوَاجِـرُ

قيل: تلفح الجلد لفحة، فتدعه أشد سواداً من الليل، والبشر: عالي الجلود.

○ الإعـراب:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ تقدم إعراب يا أيها المدثر في: يا أيها

المزمل، وقم فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، فأنذر عطف على قم. وقال الزجاج: إن الفاء في «فكبر»، دخلت على معنى الجزاء، كما دخلت في: «فأنذر»، قال ابن جني: هو كقولك: زيداً فاضرب، أي: زيداً اضرب، فالفاء زائدة. والواو عاطفة، وربك مفعول به مقدم، والفاء رابطة لشرط مقدر يقتضيه السياق، كأنه قيل: وأياً ما كان، فلا تدع تكبيره، ونحوه قولك: زيداً فاضربه، قال النحاة: تقديره: تنبه فاضرب زيداً، فالفاء جواب الأمر، إما على أنه مضمن معنى الشرط، وإما على أن الشرط بعده محذوف على الخلاف الذي فيه عندهم، وكبر فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ الواو عاطفة، وثيابك مفعول مقدم، والفاء تقدّم القول فيها قريباً، وطهر فعل أمر. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ عطف أيضاً على ما تقدم. ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتمنن فعل مضارع مجزوم بلا، وتستكثر فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، والجملة نصب على الحال، أي: ولا تعط مستكثراً، وقرىء مجزوماً على أنه جواب النهي، أو على البدلية من تمنن، والتقدير: على جعله جواباً للنهي، أي: إنك إن لا تمنن بعملك، أو بعطيتك، تزدد من الثواب لسلامة ذلك من الإبطال بالمن، على حدّ قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ ووجه الإبدال أنه كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وفي قراءة من جزم بدلاً من قوله يلق، وكقول الشاعر:

متى تأتنا تلممْ بنا في ديارِنا　　تجدْ حطباً جَزْلاً وناراً تأجّجا

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ الواو عاطفة، ولربك متعلقان باصبر. ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ الفاء للتسبيب والعلة، كأنه قال: اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه مغبة أذاهم، وتلقى فيه عاقبة صبرك، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وهو متعلق بما يدل عليه الإشارة في قوله: فذلك؛ لأنه إشارة إلى النقر، ويجوز أن يتعلق بما دل عليه عسير، ولا يعمل فيه عسير نفسه؛ لأن الصفة لا تعمل فيما قبلها، والتقدير: اشتد الأمر، وعسر، ونقر فعل

ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل، مستتر تقديره: هو، أي: إسرافيل. والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها، وفي الناقور متعلقان بنقر. ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ الفاء رابطة لجواب إذا، وذلك مبتدأ، والإشارة إلى وقت النقر، ويومئذ بدل من ذلك، وبني لإضافته إلى غير متمكن، وهو إذ، والتنوين عوض عن جملة، أي: يوم إذ نفخ في الصور، ويوم خبر المبتدأ، وعسير نعت. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ على الكافرين متعلقان بعسير، وغير يسير نعت ثان ليوم، وللزمخشري تعليل طريف، قال: فإن قلت: فما فائدة قوله ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ وعسير مغن عنه؟ قلت: لما قال على الكافرين، فقصر العسر عليهم، قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم، كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً؛ ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم. ويجوز أن يراد: أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً، كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ ذرني فعل أمر، والنون للوقاية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والياء مفعول، ومن الواو للمعية، ومن مفعول معه، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، ومن معطوفة على المفعول في ذرني، وجملة خلقت صلة الموصول، والعائد محذوف، أي: خلقته، ووحيداً حال من العائد المحذوف، أو حال من ضمير النصب في ذرني، أو من التاء في خلقت، أي: خلقته وحيداً، لم يشركني في خلقه أحد، فأنا أهلكه، ولا أحتاج إلى نصير، قيل: الأول أولى؛ لأن المراد به الوليد بن المغيرة المخزومي والد خالد بن الوليد؛ لأنه كان يزعم أنه وحيد قومه في رياسته، ويساره، وتقدمه في الدنيا، وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته؛ لأن هذا لقب شهر به، وقد يلقب الإنسان بما لا يتصف به، وقيل: هو عام. ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ عطف على ما تقدم، وله متعلقان بمحذوف هو المفعول الثاني، ومالاً هو المفعول الأول، وممدوداً نعت، وقيل: هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الزروع، والضروع، والتجارة. ﴿وَبَنِينَ

شُهُودًا﴾ عطف على مال، قيل: كان للوليد عشرة أولاد ذكور، أو سبعة، وهم الوليد بن الوليد، وخالد، وعمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة: خالد، وهشام، وعمارة، ونقل عن ابن حجر في «الإصابة»: أن عمارة مات كافراً، وذكر بدله الوليد بن الوليد، فهم: خالد، وهشام، والوليد. وشهوداً نعت لبنين، جمع: شاهد، بمعنى: حاضر، فهم يشهدون مع أبيهم الأندية، والمجتمعات. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ عطف على ما تقدم، وله متعلقان بمهدت، وتمهيداً مفعول مطلق. ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وفيه استبعاد، واستنكار بطمعه، وحرصه، وتهالكه على زيادة المال والنعمة، ويطمع فعل مضارع مرفوع معطوف على جعلت، ومهدت، وفاعله: مستتر تقديره: هو، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، متعلق بيطمع، أي: يطمع في الزيادة على ما ذكر من المال، والبنين، والتمهيد. ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ كلا ردع وزجر له؛ لقطع رجائه، وطمعه، وتهالكه، وإن وما بعدها جملة تعليلية للردع؛ لأن معاندة آيات المنعم مع وضوحها، وكفرانها مع شيوعها؛ من موبقات النفس، وموجبات الحرمان، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر تقديره: هو، ولآياتنا متعلقان بعنيداً، وعنيداً خبرها، والعنيد: الجاحد، والمعرض، والمجانب للحق والهدى، ويجمع على عند. ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ السين حرف استقبال، وأرهقه فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وصعوداً مفعول به ثان؛ لأن أرهقه متضمن معنى أكلفه، والصعود في اللغة: العقبة الشاقة، وإذا لم يتضمن أرهقه معنى أكلفه، كانت صعوداً في موضع نصب بنزع الخافض، أي: سأعنته بمشقة، وعسر. ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليل لاستحقاقه هذا الوعيد الآنف الذكر، وإن واسمها، وجملة فكر خبر، وقدر عطف على كفر.

رُوي: أنَّ الوليد حاجّ أبا جهل وجماعته من قريش في أمر القرآن، وقال: إن له لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن فرعه لمثمر، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى... ونحو هذا الكلام، فخالفوه، وقالوا: هو شعر،

فقال: والله ما هو بشعر، وقد عرفنا الشعر هزجه وبسيطه، قالوا: فهو كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، قالوا: هو مجنون، قال: والله ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وخنقه، قالوا: هو سحر، قال: أما هذا فيشبه أنه سحر، ويقول أقوال نفسه. وروي غير ذلك بما لا يخرج عن هذه المعاني مما يرجع إليه في المطولات. ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ الفاء عاطفة، وقتل فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هو، ومعناه: لعن، وقيل: غلب، وقهر، قال امرؤ القيس:

وما ذرفتْ عيناكِ إلا لِتَضْربي ... بِسَهْمَيْكَ في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

أي: مذلل، مقهور بالحب. فإذا كان معناه لعن، فالجملة دعائية، وإذا كان معناه: غلب، وقهر، فالجملة معطوفة على ما تقدم، وكيف اسم استفهام منصوبة على الحال من الضمير في قدر، والمقصود من الاستفهام: التعجب من تقديره، وتوبيخه، والاستهزاء به. ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ثم حرف عطف للترتيب والتراخي، وأتي بها للدلالة على أن هذه الجملة أبلغ من الجملة الأولى، فهي للتفاوت في الرتبة، وهي مؤكدة لنظيرتها المتقدمة، فالتكرار للتأكيد. ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ثم حرف عطف أيضاً للترتيب مع التراخي، أي: نظر في وجوه الناس مغضباً مما قالوه فيه، وهو أنه صبأ، ومال إلى محمد. ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ عطف أيضاً، أي: ثم قطب وجهه، ثم تشاوس، وتخازر مستكبراً. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عطف أيضاً، أي: أدبر عن الإيمان، وتكبر عن اتباع النبي، فهو عطف مساوٍ في المعنى. فقال: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ الفاء عاطفة، وإن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وسحر خبر، وجملة يؤثر صفة لسحر، أي: منقول عن السحرة. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ هذه الجملة تأكيد للجملة السابقة، أي: ملتقط من أقوال الناس. ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ السين حرف استقبال، وأصليه فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: أنا، ومفعول به أول، وسقر مفعول به ثان، والجملة كلها بدل من قوله: سأرهقه صعوداً. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ الواو عاطفة، وما اسم استفهام

في محل رفع مبتدأ، وأدراك فعل ماض، وفاعل مستتر تقديره: هو، ومفعول به أول، والجملة خبر ما، أي: أيّ شيء أعلمك، وما اسم استفهام مبتدأ، وسقر خبره، والجملة سادة مسد المفعول الثاني لأدراك المعلقة عن العمل بالاستفهام، وقد مرّ نظيره في الحاقة. ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ الجملة حالية، والعامل فيها معنى التهويل والتعظيم لأمرها؛ لأن الاستفهام بقوله: ما سقر؛ للتعظيم، فالمعنى: استعظموا سقر في هذه الحال، ولا نافية، وتبقي فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: هي، وتذر عطف على تبقي، ومفعول تبقي وتذر محذوف، أي: لا تبقي ما ألقي فيها، ولا تذره، بل تهلكه، ولك أن تجعلها جملة مستأنفة. ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ لواحة خبر لمبتدأ محذوف، وللبشر متعلقان بلواحة، والجملة حال ثانية، وقرئت لواحة بالنصب على الحال، فقيل: هي حال من سقر، وقيل: هي حال من الضمير في لا تبقي، وقيل: من الضمير في لا تذر، واختار الزمخشري نصبها على الاختصاص للتهويل. ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ الجملة حال ثالثة، أو مستأنفة كما تقدم في: لواحة للبشر، وعليها خبر مقدم، وتسعة عشر جزءان عدديان مبنيان على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر، وسيأتي المزيد من معنى هذا العدد في باب البلاغة. ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ الواو استئنافية، والكلام استئناف، مسوق للرد على أبي الأشد به كلدة بن خلف الجمحي، قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم! محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم؟! فقال أبو الأشد: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر: عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، واكفوني أنتم اثنين، فنزلت. وما نافية، وجعلنا فعل ماض وفاعل، وأصحاب النار مفعول به أول، وإلا أداة حصر، وملائكة مفعول به ثان، أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسكم تغالبونهم، وإنما جعلناهم ملائكة لا يطاقون. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وجعلنا فعل ماض، وفاعل، وعدتهم مفعول به، وإلا أداة حصر، وفتنة مفعول به ثان على حذف

مضاف، أي: سبب فتنته، وليست مفعولاً من أجله كما يتوهم، وللذين متعلقان بفتنة، وجملة كفروا صلة الموصول. ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ اللام لام التعليل، ويستيقن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، وهو متعلق بجعلنا الثانية، لا بفتنة؛ لأن الفتنة ليست معلولة للاستيقان، بل المعلول جعل العدة سبباً لفتنة الذين أوتوا الكتاب، وقيل: ليستيقين متعلق بفعل مضمر، أي: فعلنا ذلك ليستيقن، والذين فاعل، وجملة أوتوا الكتاب صلة، والكتاب مفعول أوتوا الثاني؛ لأن الواو نائب فاعل أوتوا، ويزداد عطف على ليستيقن، والذين فاعل، وجملة آمنوا صلة، وإيماناً مفعول به ثان. ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويرتاب الذين فعل مضارع وفاعل، وجملة أوتوا الكتاب صلة، والمؤمنون عطف على الذين. ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ عطف على ما تقدم، واللام لام التعليل، والذين فاعل، وفي قلوبهم خبر مقدم، ومرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الذين، وماذا اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لأراد، وبهذا متعلقان بأراد، ومثلاً حال من هذا، أي: حال كونه مشابهاً للمثل، ولك أن تجعل ما اسم استفهام مبتدأ، وذا اسم موصول خبره، وأراد الله صلة للموصول، وجملة ماذا أراد.. الخ مقول القول. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف يضل إضلالاً مثل ذلك، والله فاعل يضل، ومن مفعوله، وجملة يشاء صلة، والعائد محذوف، ويهدي من يشاء عطف على الجملة السابقة. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ الجملة مستأنفة. ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وهي ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، والضمير يعود إلى سقر، وإلا أداة حصر، وذكرى خبر، وللبشر متعلقان بذكرى.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ فن الإبهام، وقد تقدم الإلماع

إليه في هذا الكتاب، ونعيده هنا بمزيد من التفصيل لأهمية هذه الآية، ولكثرة ما خاض علماء البلاغة، والمفسرون فيها، فنقول: الإبهام فن من فنون البلاغة، وهو: أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متغايرين، لا يتميز أحدهما عن الآخر، والفرق بينه وبين الاشتراك المعيب أن: الاشتراك لا يصح إلا في لفظة مفردة، لها مفهومان، لا يعلم أيهما أراد المتكلم، والإبهام لا يكون إلا في الجمل المؤتلفة المفيدة، ويختص بالفنون كالمدح، والهجاء، والعتاب، والاعتذار، والفخر، والرثاء، والنسيب، وغير ذلك، ومنه نوع آخر يقع لأحد أمرين: إما لامتحان جودة الخاطر، وإما لامتحان قوة الإيمان وضعفه، وهذه الآية التي نحن بصددها من هذا النوع، أي: امتحان قوة الإيمان وضعفه، فإنه معنى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ مبهم أشدّ الإبهام، فإن لقائل أن يقول: ما النكتة في ذكر هذا العدد؟ ولا يقال: إن هذا السؤال ساقط، فإنه يرد على أي عدد فرض، بحيث لو قيل: عليها خمسة عشر، أو أحد عشر، أو عشرون، أو غير ذلك، ورد السؤال عليه، وما كان بهذه المثابة، فهو ساقط؛ لأنّا نقول: هذا فيما يرد من المخلوق؛ الذي يدخل خبره الخلف، وليس بمعصوم من الكذب، أما الباريء سبحانه الذي لا يدخل خبره الخلف، وإذا أخبر بشيء كان خبره على ما أخبر به، فإنه إذا أخبر بعدد لا يجوز أن يقال فيه لو قال غيره، ورد عليه السؤال؛ لأنه الحق الواقع الذي لا مرية فيه، وإذا كان ذلك كذلك يمكن لقائل أن يقول: ما الحكمة في جعل ملائكة العذاب على هذه العدة؟ فيكون السؤال وارداً مستحقاً للجواب؛ ليزول هذا الإبهام الذي على ظاهر الكلام، هذا؛ ونورد خلاصة لما قاله كبار الأعلام في تفسير هذا الإبهام، ثم نورد بعد ذلك رأياً آثرناه على غيره ليكون في ذلك إيراد للذهن، وحفز للقرائح، على أننا لم نورد ما رأيناه غير جدير بالعناية.

أما الإمام فخر الدين بن الخطيب، فقد رأى رأياً فيه كثير من السداد والحصافة، قال: لما كان المكلف عبارة عن حواس ظاهرة، وحواس

باطنة، وهي عشر، وطبائع وقوى خمس، وهي: الهاضمة، والغازية، والجاذبة، والماسكة، والدافقة. وكانت هذه الأشياء هي التي تدعوا إلى الاشتغال بالملاذ الدنيوية، والشهوات البهيمية، ودفع المضارّ البدنية عن الاشتغال بما يدني من الجنان، ويباعد من النيران، وكانت عدة هذه الأشياء تسعة عشر، جعلت الملائكة الموكلة بتعذيب الإنسان وفق هذه العدة؛ ليكون بإزاء كل شيء من هذه الأشياء ملك موكل باستيفاء ما يجب على ذلك الشيء؛ الذي هو أحد الأسباب المانعة من الخير.

هذا ما ذكره الرازي، وهو ـ على وجاهته ونفاسته ـ لا يخلو من التكليف. أما الكرخي فقد اختصر ما ذكره الرازي، وزاد عليه من جهة ثانية، فقال: وخصّ هذا العدد بالذكر؛ لأنه موافق لعدد أسباب فساد النفس الإنسانية، وهي القوى الإنسانية والطبيعية؛ إذ القوى الإنسانية اثنتا عشرة، الخمسة الظاهرة، والخمسة الباطنة، والشهوة، والغضب، والقوى الطبيعية، سبعة: الجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعة، والعادية، والنامية، والمولدة، والمجموع تسعة عشر.

أما الأقدمون ـ وعلى رأسهم الزمخشري ـ فقد استنبطوا استنباطاً بيانياً جميلاً، قال الزمخشري: إن حال هذه العدة الناقصة واحداً من عقد العشرين؛ أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله، وبحكمته، ويعترض، ويستهزىء، ولا يذعن إذعان المؤمن، وإن خفي عليه وجه الحكمة، كأنه قيل: ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها؛ لأجل استيقان المؤمن، وحيرة الكافر، واستيقان أهل الكتاب؛ لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله، وازدياد المؤمنين إيماناً لتصديقهم بذلك، كما صدقوا سائر ما أنزل، ولما رأوا من يسلم أهل الكتاب. وهذا على وجاهته لا يخلو من اعتراض.

أما القرطبي فلم يخرج عن الحدود السمعية، ولم يلجأ إلى الاجتهاد، فقال بعد كلام طويل: قلت: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر

هم: الرؤساء، والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

أما أبو حيان فقد أطال، ودندن، ووثب حيناً، وأسف حيناً، ومما نختاره من عبارته: عليها تسعة عشر: التمييز محذوف، والمتبادر إلى الذهن: أنه ملك، ألا ترى العرب، وهم الفصحاء، كيف فهموا منه: أن المراد ملك حين سمعوا ذلك. ونقل الرواية التي أوردناها، ثم قال: وقيل: التمييز المحذوف صنفاً من الملائكة، وقيل: نقيباً، ومعنى: عليها: يتولون أمرها، وإليهم جماع زبانيتها، فالذي يظهر من العدد ومن الآية بعد ذلك، ومن الحديث: أن هؤلاء هم النقباء. ويكاد هذا يكون نفس ما قاله القرطبي.

أما رأي الرازي، والكرخي، فلا يخلو من دخل عليه؛ لما فيه من التعسف والتكلف كما ترى، ووجه الدخل عليه: أنه يلزم أن يكون لكل إنسان مثل هذه العدة من الملائكة، ولم تكن هي جملة عدة الملائكة لجهنم، ولجميع من حوت من المعذبين.

أما الجواب الفني الذي يحلّ الإبهام حلاًّ أدنى إلى المنطق، وأقرب إلى الإقناع، وأشبه ببلاغة القرآن الكريم، فهو أن يقال: إنه لا مرية في أن أهل النار يزيدون على أهل الجنة بأضعاف مضاعفة، ولأن المؤمنين من كل أمة عشر معشار كفارها، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الجنة أن عرضها السموات والأرض، فما ظنك بطولها؟! والطول من كل شيء في معترف العادة أكثر من العرض، فأهلها على هذا لا يحصيهم العد، ولا يحصرهم الحد، وقد تبيّن أن أهل النار أضعافهم، فهم إلى تجاوز الحدّ في العد أقرب، وأقلّ ما يظنّ بالملائكة الموكلين بعذابهم أن تكون عدتهم وفق عدتهم؛ ليكون بإزاء كل معذَّب معذِّب، وهذا عدد لا نهاية له، ولا لكميته، فلما أراد الحق الإخبار بعدة هذه الملائكة، عدل عن ذكر عددهم؛ الذي هو معلوم عنده، وإن تجاوز النهاية بالنسبة إلينا؛ لئلا يخرج

الكلام بكثرة الألفاظ، وطول الفصول عن حد البلاغة إلى إشارة يفهم منها: أن عدة هذه الملائكة عدد لا يتناهى مرتبة، فاقتصر سبحانه على ذكر آخر مرتبة الآحاد من العدد، وأول مرتبة العشرات منه، فإن مراتب العدد أربع: آحاد، وعشرات، ومئون، وألوف، الأصول منها الآحاد، وأول مرتبته، فإن نهاية مرتبة الآحاد التسعة، وهي عبارة عن تكرار الواحد تسع مرات، ثم ينتقل إلى ذكر العشرة؛ التي هي أول مرتبة العشرات، ثم يكررها، كما كرر الواحد من العشرين إلى التسعين، كما فعل في المرتبة الأولى، ثم ينتقل إلى مرتبة الألوف، فيكررها تكرير الواحد بلفظ الآحاد، وهكذا إلى غير النهاية، وإذا انتهت مرتبة الألوف عاد إلى مرتبة العشرات، فقال: عشرة آلاف إلى ما لا نهاية له، لا يزيد على أن يضيف إلى الألف لفظ الآحاد والعشرات، فيعود إلى أصول الأعداد، فدلّ ذلك على أن أصول جميع الأعداد التي لا تتناهى الآحاد، وهي تسعة وأول العشرات هي العشرة، فالاقتصار على ذكرهما للعرب الواضعين لهذه الأسماء يشير إلى أعداد لا نهاية لها، واستغنى عن ذكر لفظتي المئة والألف؛ لما جاء في الكلام من المثال؛ الذي يحتذى على مثاله، والأصل الذي يقاس الفرع عليه، واللفظتان يعني: المئة والألف عند المخاطب معروفتان، والطريق في التكرير قد وضحت.

(٢) في قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ فن طريف، ابتدعه المتأخرون، وأساؤوا فيه؛ لأنه لا يأتي جيداً إلا في الندرة، أما تكلفه فيؤدي إلى إسفافه، وقد وضع له علماء البديع اسم: «ما لا يستحيل بالانعكاس» وسمّاه بعضهم: «القلب» وبعضهم الآخر سماه: «المقلوب المستوي» وهو: أن يكون الكلام بحيث إذا قلبته، وابتدأت من حرفه الأخير إلى الحرف الأول، كان الحاصل هو هذا الكلام عينه، وهو قد يكون في النظم، وقد يكون في النثر، أما في النظم فمنه قول القاضي الأرجاني:

مــودَّتُــه تــدومُ لكــلِّ هــولٍ وهــلْ كــلُّ مــودَّتِــه تــدومُ

وقد يكون ذلك في شطر بيت، كقول القائل:

ولمـــا تبـــدّى لنـــا وجهُـــه أرانـــا الإلـــهُ هـــلالاً أنـــارا

والشاهد في المصراع الثاني، أما في النثر فقال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ ويحكى عن العماد الكاتب: أنه لقي القاضي الفاضل يوماً، وهو راكب فرساً، فقال له: سر فلا كبا بك الفرس، فقال له القاضي: دام علا العماد، وهذا كله مستاغ لا تكلف فيه، فلذلك أتى مستملحاً جارياً في حدود الطبع، أما ما تكلفوه فقد ضربنا عنه صفحاً؛ لأنه لا يمت إلى البلاغة بأي نسب.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ إن أريد الثياب الحقيقية الظاهرة على البدن، فالكلام جار على الحقيقة، وليس فيه شيء من فنون البلاغة؛ لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة، ويقبح أن تكون ثياب المؤمن نجسة، وإن أريد القلب كان الكلام كناية، على حد قول امرىء القيس:

وإن تكُ قد ساءتكِ مني خليقةٌ فسلِّي ثيابي من ثيابكِ تنسلِي

أي: قلبي من قلبك، وقيل: كنى عن النفس بالثياب، قال عنترة:

فشككتُ بالرُّمحِ الطَّويلِ ثيابَه ليس الكريمُ عن القَنا بِمُحَرَّمِ

وقيل: كنى بها عن الجسم، قالت ليلى وقد ذكرت إبلاً:

رموها بأثوابٍ خفافٍ فلا نرى لها شبهاً إلا النَّعام المنفّرا

أي: ركبوها، فرموها بأنفسهم.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾
نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا
أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا
لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾
وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ
عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ

ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿قَسْوَرَةٍ﴾ القسورة: جماعة الرماة الذين يتصيدونها، وقيل: الأسد، يقال: ليوث قساور، وهي فعولة، من: القسر، وهو: القهر، والغلبة، وفي وزنه: الحيدرة، من أسماء الأسد، وفي المختار: القسور، والقسورة: الأسد. وفي القاموس: والقسورة: العزيز، والأسد، كالقسور، ونصف الليل، أو أوله، أو معظمه، ونبات سهلي، والجمع: قسور، والرماة من الصيادين، الواحد: قسور. وتعقبه شارحه التاج بقوله: قوله الواحد: قسور، هكذا قاله الليث، وهو خطأ لا يجمع قسور على قسورة، إنما القسورة اسم جامع للرماة، ولا واحد لها من لفظها. وعبارة أبي حيان: القسورة: الرماة، والصيادون، قاله ابن كيسان، أو الأسد، قاله جماعة من اللغويين، قال:

مضمّر تحذّره الأبطال كأنه القسورةُ الريبال

أو الرجال الشداد، قال لبيد:

إذا ما هتفنا هتفةً في ندينا أتانا الرجالُ الصَّائدون القَسَاور

أو ظلمة أول الليل لا ظلمة آخره، قاله ابن الأعرابي، وثعلب.

○ **الإعراب:**

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ كلا حرف ردع وزجر لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيراً للبشر، والواو حرف قسم وجرّ، والقمر مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، ولا معنى لما قاله الجلال: «كلا استفتاح بمعنى: ألا» ولا لما قاله القرطبي نقلاً عن الفراء: إنها صلة للقسم، والتقدير: إي والقمر. والليل جار ومجرور،

والواو للقسم، وإذ ظرف لما مضى من الزمن، متعلق بفعل القسم، وجملة أدبر في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ الواو حرف قسم وجر، والصبح مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وإذا ظرف زمان متعلق بفعل القسم المحذوف، وجملة أسفر في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وإحدى الكبر خبر إنها ﴿نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ﴾ حال من إحدى الكبر، وأعربها الزمخشري تمييز من إحدى الكبر، على معنى: أنها إحدى الدواهي إنذاراً، كما تقول: هي إحدى النساء عفافاً، وننقل فيما يلي عبارتي السمين، وأبي البقاء، ونترك لك الخيار. وقوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ﴾ فيه أوجه:

أحدها: أنه تمييز من إحدى لما تضمنته من معنى التعظيم، كأنه قيل: أعظم الكبر إنذاراً، فنذير بمعنى الإنذار.

والثاني: أنه مصدر بمعنى الإنذار أيضاً، ولكنه نصب بفعل مقدّر، قاله الفرّاء.

الثالث: أنه فعيل بمعنى مفعل، وهو حال من الضمير في إنها، قاله الزجّاج.

الرابع: أنه حال من الضمير في إحدى لما تضمنت من معنى التعظيم، كأنه قيل: أعظم الكبر منذرة.

الخامس: أنه حال من فاعل قم فأنذر أول السورة.

السادس: أنه مصدر منصوب بأنذر أول السورة.

السابع: أنه حال من الكبر.

الثامن: أنه حال من ضمير الكبر.

التاسع: هو حال من إحدى الكبر، قاله ابن عطية.

العاشر: أنه منصوب بإضمار أعني، وقيل غير ذلك.

أما عبارة أبي البقاء فهي : قوله تعالى : ﴿ نَذِيرًا﴾ في نصبه أوجه :

أحدها : هو حال من الفاعل في قوله : ﴿ قُمْ﴾ في أول السورة .

والثاني : من الضمير في : ﴿ فَأَنذِرْ﴾ حال مؤكدة .

والثالث : هو حال من الضمير في إحدى .

والرابع : هو حال من نفس إحدى .

والخامس : حال من الكبر ، أو : من الضمير فيها .

والسادس : حال من اسم إن .

والسابع : أن نذيراً في معنى إنذاراً، أي : فأنذر إنذاراً، أو : أنها لإحدى الكبر لإنذار البشر .

وفي هذه الأقوال ما لا نرتضيه ، ولكن حكيناها ، والمختار أن يكون حالاً مما دلّت عليه الجملة ، تقديره : عظمت عليه نذيراً .

أما أبو حيان فبعد أن أورد هذه الأوجه قال : قال أبو البقاء : والمختار أن يكون حالاً مما دلّت عليه الجملة ، تقديره : عظمت نذيراً ، وهو قول لا بأس به .

وقرىء نذير بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي : هي نذير ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ لمن بدل من قوله : للبشر ، بإعادة الجار ، وجملة شاء لا محل لها ؛ لأنها صلة من ، ومنكم حال ، وأن وما في حيِّزها في موضع نصب بشاء ، وفاعل شاء يعود على من ، وقيل : الفاعل ضمير يعود على الله تعالى ، أي : لمن شاء هو ، أي : الله تعالى . وقال الزمخشري : أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ، ولمن شاء خبر مقدّم عليه ، كقولك لمن توضأ أن يصلي ، ومعناه مطلق ، لمن شاء التقدم والتأخر أن يتقدم أو يتأخر ، والمراد بالتقدم : السبق إلى الخير ، والتخلّف عنه ، وهو كقوله : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ انتهى . وهو معنى لا يتبادر إلى الذهن ، وفيه حذف . ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ كلام مستأنف لبيان أن كل نفس رهن بما كسبت ،

وكل نفس مبتدأ، وبما متعلقان برهينة، وجملة كسبت لا محل لها؛ لأنها صلة ما، ورهينة خبر، وهي مصدر بمعنى رهن، كالشتيمة بمعنى الشتم، وليست بمعنى مفعول؛ لأنها بغير تاء، ولو قصدت الصفة لقيل رهين؛ لأن فعيلاً بمعنى مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث، ومنه بيت الحماسة:

أَبَعْدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِينةِ رَمْسٍ ذي تُرابٍ وجَنْدَلِ
أَأَذكرُ بالبُـقْيا على مَن أَصـابني وبُـقْيايَ أنِّـي جاهِدٌ غيرُ مُـؤْتَـلِ

والبيتان لزيادة بن مسور الحارثي، وقيل لعبد الرحمن بن زيد، قُتل أبوه زياد، فعُرض عليه فيه سبع ديّات، فأبى إلا الثأر، والاستفهام إنكاري، والنعف بالفتح: الجبل، والمكان المرتفع، وقيل: ما يستقبلك من الجبل، وكويكب: جبل بعينه، وفي هذا الإبدال من التفصيل بعد الإجمال ما ينبىء عن تفخيم المحل والحال، أي: أبعد قتل أبي المدفون في ذلك الموضع حال كونه محتبساً في رمس، وقيل: رهينة بالجر، بدل من الذي، فهو اسم ملحق بالجواحد، بمعنى الرهن، ويقال: رمست الشيء رمساً؛ إذا دفنته في التراب، فأطلق المصدر، وأُريد مكانه، وهو القبر، والجندل: الحجارة، وكررت همزة الاستفهام في قوله: أأذكر توكيداً للأولى؛ لأنها داخلة على هذا الفعل تقديراً أيضاً، ويحتمل: أنها داخلة على مقدّر، أي: أبعد أبي أفرح بالديّة، والبقيا: الإبقاء على الشيء، أي: لا أذكر بين الناس بأني أبقيت على قاتل أبي، والحال: إن إبقائي عليه كوني جاهداً، أو مصمّم العزم على الفتك به غير حالف على ذلك؛ لأني غير محتاج إلى الحلف في تنفيذ أُموري، أو غير مقصر في الاجتهاد؛ لأن الائتلاء يجيء بمعنى الحلف، وبمعنى: التقصير.

﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ إلا أداة استثناء، وأصحاب اليمين مستثنى، قيل: هو متصل؛ لأن الله تعالى جعل تكليف عباده كالدين عليهم ونفوسهم تحت استيلائه، وقهره، فهي رهينة، فمن وفى دَيْنه الذي كلِّف به خلّص نفسه من عذاب الله تعالى؛ الذي نزل منزلة علامة الرهن، وهو أخذه في الدين، ومَن

لم يوف عذّب، وقيل: هو منقطع، إذ المراد بهم الأطفال؛ لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها، وقيل: الملائكة ﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في جنات خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم في جنات، والجملة مستأنفة، كأنها نشأت جواباً لسؤال نشأ من الاستثناء، والتقدير: فما شأنهم، وحالهم، وجملة يتساءلون خبر ثانٍ، واختار أبو البقاء أن يكون في جنات حالاً من أصحاب اليمين، وأن يكون حالاً من الضمير في يتساءلون، وأن يتعلق بيتساءلون، فيكون ظرفاً للفعل، ومعنى يتساءلون: يسأل بعضهم بعضاً، وعن المجرمين متعلقان بيتساءلون، ولا بدّ من تقدير مضاف، أي: عن حال المجرمين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: قائلين فجملة القول في محل نصب حال، وما اسم استفهام مبتدأ، والاستفهام مبتدأ، والاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم، وجملة سلككم خبر، وفي سقر متعلقان به ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ قالوا فعل وفاعل، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ونكُ فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون المقدّرة على النون المحذوفة للتخفيف؛ لأنها تحذف من مضارع كان المجزوم إذا لم يله ساكن، وقد تقدم نظيره، واسم نكُ ضمير مستتر، تقديره: نحن، ومن المصلّين خبرها ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ عطف على الجملة السابقة مماثلة لها في إعرابها ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ عطف على ما تقدم، وكان واسمها، وجملة نخوض خبرها، ومع ظرف مكان متعلق بنخوض، والخائضين مضاف إليه، أي: نشرع في الباطل مع الخائضين، وهذا تحذير لكل مَن تسوّل له نفسه أن يسرع في الإجابة عمّا لا يعلمه ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ عطف على ما تقدم أيضاً ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ حتى حرف غاية وجر، وأتانا اليقين فعل ماضٍ، ومفعول به مقدّم، وفاعل مؤخر، والغاية للأمور الأربعة الآنفة ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، وتنفعهم فعل مضارع ومفعول به، وشفاعة الشافعين فاعل، والمعنى: لا شفاعة لهم، وسيأتي المزيد من معناها في باب البلاغة ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ الفاء استئنافية، وما اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ،

ولهم خبر، وعن التذكرة متعلقان بمعرضين، ومعرضين حال من الضمير المجرور باللام، ووهم مَن جعله حالاً من الضمير المستكن في الخبر؛ لأنه عائد على ما، وهي عبارة عن شيء، وسبب، ومعرضين وصف للأشخاص أنفسهم، فلا يصحّ كونه وصفاً لأسباب الإعراض، على القاعدة في أن الحال وصف لصاحبها ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ الجملة حالية من الضمير المستكن في معرضين، فهي حال متداخلة، وكأن واسمها، وحمر خبرها، ومستنفرة نعت، وقرئ في السبع بكسر الفاء وفتحها، فالأول: بمعنى نافرة، والثاني: بمعنى نفرها الأسد، أو: الصياد ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ الجملة نعت ثانٍ لحمر، وفرت فعل ماضٍ، والفاعل مستتر يعود على الحمر، والتاء تاء التأنيث الساكنة، ومن قسورة متعلقان بفرت ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ بل إضراب انتقالي عن محذوف، هو جواب الاستفهام السابق، كأنه قيل: فلا جواب لهم عن هذا السؤال، أي: لا سبب لهم في الإعراض، بل يريد، ويريد فعل مضارع مرفوع، وكل امرئ فاعل، ومنهم نعت، وأن وما في حيّزها في موضع نصب مفعول به، ويؤتى فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: هو، وصحفاً مفعول به ثانٍ، ومنشرة نعت لصحفاً، أي: منشورة غير مطويّة، يقرؤها كلُّ مَن رآها ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأٓخِرَةَ ﴾ كلا ردع عن الإرادة، وبل إضراب انتقالي لبيان سبب هذا التعنت، ولا نافية، ويخافون الآخرة فعل مضارع وفاعل ومفعول به ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴾ كلا ردع عن الإعراض، وإن واسمها، أي: القرآن، وتذكرة خبرها ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ الفاء عاطفة، ومن شرطية مبتدأ، وشاء فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، ومفعول شاء محذوف، تقديره: أن يذكره، وذكره فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة جواب الشرط، والشرط وجوابه خبر المبتدأ ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ويذكرون فعل مضارع وفاعل، وإلا أداة استثناء، وأن يشاء الله المصدر استثناء من أعمّ الأحوال، أطلق نفي الذكر، ثم استثنى منه حال المشيئة المطلقة، وهو مبتدأ، وأهل التقوى

خبره، وأهل المغفرة عطف على أهل التقوى.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ فن تقدم الإلماع إليه وهو: «نفي الشيء بإيجابه» وهو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه بشرط أن يكون المثبت مستعاراً، ثم ينفي ما هو من سببه مجازاً، والمنفي حقيقة في باطن الكلام، وقد تحدثنا عنه طويلاً في البقرة عند قوله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ وفي غافر عند قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ وهنا تعريف أكثر إيضاحاً، وهو: أن تذكر كلاماً يدل ظاهره أنه نفي لصفة موصوف، وهي نفي للموصوف أصلاً، واعتاد البلاغيون أن يمثّلوا له بقول امرىء القيس:

على لاحِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنارِهِ إذا سافَهُ العَوْدُ الدّيافِيُّ جَرْجَرا

فقوله: لا يهتدى لمناره، أي: إن له مناراً، إلا أنه لا يهتدى به، وليس المراد ذلك، بل المراد: أنه لا منار له يهتدى به، وهنا ليس المعنى أنهم يشفع لهم، فلا تنفعهم شفاعة مَن يشفع لهم، وإنما المعنى نفي الشفاعة، فانتفى النفع، أي: لا شفاعة شافعين لهم، فتنفعهم من باب: «على لاحب لا يهتدى بمناره» أي: لا مُنار له فيهتدى به، وتخصيصهم بانتفاء شفاعة الشافعين يدل على أنه قد تكون شفاعات ينتفع بها.

(٢) في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ تشبيه مرسل، شبّههم بالحمر المستنفرة، وفي ذلك مذمة ظاهرة، وتهجين لحالهم، وشهادة عليهم بالبَلَه، وقلة العقل، ولا ترى مثل نفار حمر الوحش، واطّرادها في العدو إذا رابها رائب.

* * *

سورة القيامة

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ
عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ
يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ
وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ
لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
بَيَانَهُ (١٩)﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَنَانَهُ﴾: البنان: أطراف الأصابع، جمع، أو اسم جمع لبنانة، قولان، وفي المختار: البنانة: واحد: البنان، وهي أطراف الأصابع، ويقال: بنان

مخضّب؛ لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء؛ فإنه يؤنّث ويذكّر.

﴿بَرِقَ﴾ يبرُق، من باب: دخل، برقاً، وبروقاً، وبرَقاناً، وبريقاً، البرق: ظهر، والشيء: لمع، وتلألأ، والسماء: بدا منها البرق، والرجل: توعّد، وبرق يَبرق، من باب: تعب، برقاً: تحيّر، ودهش، فلم يبصر، وقد قرىء بهما معاً.

﴿وَخَسَفَ﴾ أظلم، وذهب ضوءه.

﴿وَزَرَ﴾ ملجأ يتحصن به، وكل ما التجأت إليه من جبل، أو غيره، وتحصنت به، فهو وزرك.

○ الإعراب:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال الزمخشري: إدخال لا على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم، قال امرؤ القيس:

ولا وأبيكِ ابنةَ العامريِّ لا يدَّعي القومُ أنِّي أَفِر

وإنما كان دخول لا النافية قبل القسم شائعاً في لسان العرب؛ لأنه غالباً يكون لردّ دعوى الخصم، ونفيها، فالتقدير: ولا يحصل ذلك وحق أبيك، وقال غوثة بن سلمى:

ألا نادَتْ أُمامةُ باحْتِمال لِتَحْزُنَني فلا بِكِ ما أُبالي

وقال الزمخشري: وفائدتها: توكيد القسم، وقالوا: إنها صلة مثلها في: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ واعترضوا عليه بأنها إنما تُزاد في وسط الكلام لا في أوله، وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة، متصل بعضه ببعض، والاعتراض صحيح؛ لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام، ولكن الجواب غير سديد، ألا ترى إلى امرىء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته، والوجه: أن يقال: هي للنفي، والمعنى: أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له، يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ فكأنه بإدخال حرف النفي، يقول: إن إعظامي

له بإقسامي به كلا إعظام، يعني: أنه يستأهل فوق ذلك، وقيل: إن لا نفي لكلام، وردّ له قبل القسم، كأنهم أنكروا البعث، فقيل: لا، أي ليس الأمر على ما ذكرتم، ثم قيل: أُقسم بيوم القيامة. وقيل: هي ردّ لكلامهم حيث أنكروا البعث، كأنه قال: ليس الأمر كما ذكرتم أُقسم بيوم القيامة، وهذا قول الفراء، وكثير من النحويين. وقد تقدم الكلام عليها في الواقعة، فجدّد به عهداً. وأقسم فعل مضارع مرفوع؛ وفاعله ضمير مستتر، تقديره: أنا، وبيوم القيامة متعلقان بأقسم ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ عطف على الجملة السابقة، واللوّامة نعت للنفس، أي: التي تلوم نفسها في يوم القيامة على ما فرط منها من قصور، أو: التي لا تزال تلوم نفسها في الدنيا، وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ليس من نفس برّة ولا فاجرة، إلا وتلوم نفسها يوم القيامة، إن عملت خيراً قالت: كيف لم أزدد؟! وإن عملت شرّاً قالت: ليتني كنت أقصرت عن الشر!». وجواب القسم محذوف، أي: لتبعثنّ، دلّ عليه ما بعده، وهو: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، ويحسب فعل مضارع مرفوع، والإنسان فاعل، وأن مخفّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولن وما في حيِّزها في موضع الخبر، والفاصل هنا حرف النفي؛ وأن المخففة، وما في حيِّزها سادّة مسدّ مفعولي يحسب، وعظامه مفعول نجمع للبعث، والإحياء. قال النحّاس: وإنما خصّ العظام؛ لأنها قالب الخلق. ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ بلى حرف جواب، وهو إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام، وقادرين حال، من فاعل الفعل المقدّر المدلول عليه بحرف الجواب، أي: بلى نجمعها قادرين، وهذا هو الوجه، وقال بعضهم: هو منصوب على أنه خبر كان مضمرة، أي: بلى كنّا قادرين في الابتداء، وليس بذاك. وقرىء قادرون رفعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: بلى نحن قادرون، وعلى حرف جر، وأن المصدرية، وما في حيِّزها في تأويل مصدر مجرور بعلى، والجار والمجرور متعلقان بقادرين، وفاعل نسوّي ضمير مستتر، تقديره: نحن، وبنانه مفعول به. وعند سيبويه تنتصب قادرين بفعل مقدّر، تقديره:

نجمعها قادرين. ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ بل حرف عطف للإضراب الانتقالي، ويريد معطوف على أيحسب، فيجوز أن يكون مثله استفهاماً، وأن يكون إيجاباً، ويجوز أن تكون بل لمجرد الإضراب الانتقالي من غير عطف، كأنه أضرب عن الكلام الأول، وأخذ في آخر، ويريد الإنسان فعل مضارع وفاعل، ومفعول يريد: محذوف، والمعنى: بل يريد الإنسان الثبات والديمومة على ما هو عليه من عدم التقيد بقيد الإيمان ليسترسل على فجوره، ويدوم على غيّه. واللام للتعليل، ويفجر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وفاعله مستتر، تقديره: هو يعود على الإنسان، وأمامه ظرف مكان، استعير للزمان، أي: ليستمر في فجوره، ويدوم عليه فيما بين يديه من الأوقات، وفيما يستقبله من الزمان، لا ينزع عنه، ولا يتنصّل منه، ولام التعليل متعلقة بيريد، وأعربه الجلال وغيره على وجه آخر، خلاصته: أن اللام زائدة، ويفجر منصوب بأن مقدرة، والمصدر المنسبك منه ومن أن: مفعول يريد، ولا داعي لزيادة اللام، فالوجه الأول هو الصحيح ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الجملة في موضع نصب على الحال، أي: يريد أن يستمر في فجوره في حال كونه سائلاً على سبيل الاستهزاء: أيان يوم القيامة، وقيل: مستأنفة، وقال أبو البقاء: تفسير ليفجر، فتكون مفسِّرة مستأنفة، أو بدلاً من الجملة قبلها؛ لأن التفسير يكون بالاستئناف، وبالبدل، وأيان اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية، وهو متعلق بمحذوف في محل رفع خبر مقدّم، ويوم القيامة مبتدأ مؤخر ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب، وهو: يقول، وجملة برق البصر جملة فعلية في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ عطف على برق البصر، وهو فعل ماضٍ وفاعل ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ عطف أيضاً. داخل في حيز فعل الشرط، وجمعهما من آيات الله الكبرى ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ جملة يقول الإنسان لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ويوم ظرف أُضيف إلى مثله، وهو متعلق بيقول، والتنوين عوض عن جملة، أي: يوم إذ برق البصر... إلخ، وأين اسم

استفهام في محل نصب ظرف مكان، والظرف متعلق بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، والمفر مبتدأ مؤخر، والمفر مصدر ميمي بمعنى الفرار، أو: اسم مكان للفرار، والأول: مفتوح الفاء، والثاني: مكسورها، وقد قرىء بهما ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ كلا حرف ردع وزجر عن طلب الفرار، ولا نافية للجنس، ووزر اسمها المبني على الفتح، وخبرها محذوف، أي: موجود متاح لهم ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ إلى ربك خبر مقدم، ويومئذ ظرف أُضيف إلى مثله، وهو متعلق بفعل مقدّر، دلّ عليه المستقر، أي: يستقر الأمر إلى ربك يوم إذ كانت هذه الأمور المذكورة، ولا يجوز أن يتعلق بالمستقر؛ لأنه إن كان مصدراً فلتقدمه، وإن كان مكاناً فلا عمل له البتّة، والمستقر مبتدأ مؤخر ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ الجملة تفسيرية، مستأنفة كما تقدم، وينبأ فعل مضارع مبني للمجهول، والإنسان نائب فاعل، ويومئذ ظرف أُضيف إلى مثله، متعلق بينبأ، وبما في موضع المفعول الثاني، وجملة قدّم وأخّر المعطوفة عليها لا محل لها؛ لأنها صلة ما، أي: يخبر الإنسان يوم إذ كانت هذه الأمور الثلاثة، وهي: برق البصر، وخسف القمر، والجمع بين الشمس والقمر بما قدّم من عمل عمله، وبما أخّر منه لم يعمله ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ بل حرف عطف وإضراب انتقالي، والإنسان مبتدأ، وعلى نفسه متعلقان ببصيرة، وبصيرة يجوز فيها أن تكون خبراً للإنسان، وهو الأرجح، والمعنى: بل الإنسان بصيرة على نفسه، وعلى هذا يرد السؤال الآتي: لماذا أنّث الخبر؟ وقد اختلف النحاة في الإجابة، فقال بعضهم: الهاء فيه ليست للتأنيث، بل للمبالغة، وقال الأخفش: هو كقولك: فلان عبرة وحجّة، وقيل: المراد بالإنسان الجوارح، فكأنه قال: بل جوارحه بصيرة، أي: شاهدة، ويجوز أن تكون بصيرة مبتدأً مؤخراً، وعلى نفسه خبراً مقدماً، والجملة خبر عن الإنسان، وعلى هذا تكون بصيرة صفة لمحذوف، أي: عين بصيرة، أو جوارح، والتاء على هذا الوجه للتأنيث، وإلى هذا ذهب الزمخشري، فقال: بصيرة: حجة بيّنة، وصفت بالبصارة على المجاز، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا

مُبۡصِرَةٗ﴾ أو: لأعين بصيرة. ويجوز أن يكون على نفسه خبراً، وبصيرة فاعل به، والأصل في الإخبار الإفراد، والأوجه الثلاثة متساوية في القوة، والأرجحية. ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ الواو حالية من الفاعل المستكن في بصيرة ولو شرطية، وألقى فعل ماضٍ، وهو فعل الشرط، وفاعله مستتر، تقديره: هو، ومعاذيره مفعول به، وجواب الشرط محذوف، أي: ما ساغت، وما قبلت. والمعاذير: جمع معذرة، على غير قياس، كملاقيح، ومذاكير، جمع: لقحة، وذكر، وللنحويين في هذا ونحوه قولان: أحدهما: أنه جمع للملفوظ به، وهو لقحة. والثاني: أنه جمع لغير ملفوظ به، بل مقدّر، أي: ملقحة، ومذكار، قال الزمخشري: فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن يجمع على معاذر، معاذير؟ قلت: المعاذير ليست جمع معذرة، بل اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر. وقال أبو حيان معقباً: وليس هذا البناء من أبنية اسم الجموع، وإنما هو من أبنية جمع التكسير، فهو كمذاكير، وملاميح، والمفرد منهما: لمحة، وذكر، ولم يذهب أحد إلى أنهما من أسماء الجموع، وقيل: هما جمع للمحة، وذكر، على غير قياس، أو هما جمع لمفرد لم ينطق به، وهو: مذكار، وملمحة. ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ الجملة مقول قول محذوف، مستأنف، ولا ناهية، وتحرك فعل مضارع مجزوم بلا، وبه متعلقان بتحرك، ولسانك مفعول به، واللام لام التعليل، وتعجل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واللام وما في حيِّزها متعلقة بتحرك، وبه متعلقان بتعجل، والضمير للقرآن، أي: بقراءته، وحفظه على عجلة لئلا يفلت منك، ثم علّل النهي عن العجلة بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ﴾ إن وخبرها المقدّم، واسمها المؤخر، وقرآنه عطف على جمعه ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة قرأناه في محل جر بإضافة الظرف إليها، والفاء رابطة لجواب إذا، واتبع فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وقرآنه مفعول به، أي: فكن مقفياً فيه، ولا تراسله، وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم حرف عطف للترتيب

مع التراخي، وإن حرف مشبه بالفعل، وعلينا خبر إن المقدّم، وبيانه اسم إن المؤخر.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ فن: «صحة الأقسام» وسمّاه صاحب المثل السائر: «التناسب بين المعاني» وقد مرّت أمثلة كثيرة منه في هذا الكتاب، كما تحدّثنا عنه بإسهاب، والآية التي نحن بصددها تعدّ من محاسن التقسيم؛ لتناسب الأمرين المقسم بهما، فقد أقسم بيوم البعث أولاً، ثم أقسم بالنفوس المجزية فيه على حقيقة البعث والجزاء، فسبحان المتكلم بهذا الكلام!

﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا
نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ
مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا
صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾
ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ
كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ
ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

☆ اللغة:

﴿نَّاضِرَةٌ﴾ من: النضرة: حسنة، مضيئة، والنضرة هي: التنعم، ومنه: غصن ناضر، يقال: نضر ينضر، من باب: دخل، ونضر، ينضر، من باب: تعب، ونضر، ينضر، من باب: ظرف، نضْراً، ونضْرة، ونَضَراً، ونضوراً، ونضارة الوجه، أو اللون، أو الشجر، وغيرها: نعم، وحسن، وكان جميلاً، فهو ناضر، ونَضِر، ونضير، وأنضر العود أيضاً، قال الكميت:

وَرِثْ بك عِيدانُ المكارم كُلُّها وأورق عودي في ثَراك وأَنْضَرا

وفي الأساس: ولها سوار من نَضْر ونُضار، وهو: الذهب، وقيل: كل خالص نُضارٌ من ذهب، وغيره، وقَدَحٌ من نضار، وهو أَثْلٌ، ورْسِيّ اللون بغَوْر الحجاز. ومن المجاز: نَضَر وَجْهُه: حسُن، وغضّ. وجارية غَضّة: ناضرة، وغلام غضٌّ: ناضر، ونضَّر اللهُ وجهَه، وأنضره: حسّنه، وقد يقال نَضَره بالتخفيف، ووجه مَنْضُورٌ، وليس بذاك، قال:

نضّــر اللهُ أَعْظُمــاً دفنــوهــا بسِجِسْتــان طَلْحَــةَ الطَّلحــات

وفي الحديث: «نضّر الله من سمع مقالتي فوعاها» ونِجارٌ نُضارٌ: خالص، قال الأفوه:

كــرم الفِعْــل إذا مــا فعلــوا ونِجــارٌ فــي اليمــانيــن نُضــار

﴿ فَاقِرَةٌ ﴾ داهية عظيمة، تكسر الظهر، أو فقاره، والفَقار بفتح الفاء، كما في القاموس، وهو جمع: فَقاره بفتح الفاء، وفي المصباح: وفقرت الداهية الرجل فقراً، من باب: قتل؛ نزلت به، فهو فقير، فقيل بمعنى مفعول، وفَقارة الظهر بالفتح: الخرزة، والجمع: فقار بحذف الهاء، مثل سحابة وسحاب، قال ابنُ السكيت: ولا يقال: فِقارة بالكسر، والفقرة لغة في الفقارة، وجمعها فقر وفقرات، مثل سدرة، وسدر، وسدرات. وفي القاموس: والفِقر بالكسر، والفَقرة، والفَقارة بفتحها: ما يتصل من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب.

﴿ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ جمع الترقوة، وهي العظم الذي في أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان، والجمع: التراقي، والترايق، ويقال: ترقاه ترقاة، أي: أصاب ترقوته، وقد بلغت روحه التراقي؛ إذا شارف الموت.

﴿ رَاقٍ ﴾ اسم فاعل، إما من رَقي بالفتح في الماضي، والكسر في المضارع من الرقية، وهي كلامٌ مُعَدٌّ للاستشفاء، يرقى به المريض ليشفى، وفي الحديث: «وما أدراك أنها رقية؟!» يعني: الفاتحة، وهي من أسمائها،

وإما من رقي بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع من الرقي، وهو: الصعود، أي: إن الملائكة تقول: من يصعد بهذه الروح؟

﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ مضارع: تمطى، وفيه قولان: أحدهما: أنه من المطا، وهو: الظهر، ومعناه: يتبختر، أي: يمدّ مطاه، ويلويه تبختراً في مشيته، والثاني: أن أصله: يتمطط، من: تمطط، أي: تمدّد، ومعناه: أنه يتمدد في مشيته تبختراً، ومن لازم التبختر ذلك، فهو يقرب من معنى الأول، ويفارقه في مادته؛ إذ مادة المطا (م ط و) ومادة الثاني (م ط ط) وإنما أُبدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الأمثال، والمطيطاء: التبختر، ومدّ اليدين في المشي، والمطيط: الماء الخاثر أسفل الحوض؛ لأنه يتمطط، أي: يمتد فيه. وفي الحديث: «إذا مشيت أُمتي المطيطاء، وخدمتهم فارس والروم، فقد جعل بأسهم بينهم».

وفي كتب اللغة: ومن المجاز: تمطى الليل؛ إذا طال، قال امرؤ القيس:

فقلتُ له لما تمطَّى بصُلْبِه ... وأردفَ إعجازاً وناءَ بِكَلْكَلِ

وقال بيهس:

كلما قلتُ قد تقضّى تمطّى ... حالكَ اللونِ دامساً يحموما

﴿سُدًى﴾ هملاً، لا يكلف بالشرائع، يقال: إبل سدى، أي: مهملة، وأسديت حاجتي، أي: ضيعتها، ومعنى: أسدى إليه معروفاً؛ أنه جعله بمعنى الضائع عند المسدى إليه، لا يذكره، ولا يمنّ به عليه، وفي المصباح: والسدى: وزان الحصى، من الثوب: خلاف اللحمة، وهو ما يمدّ طولاً في النسج، وأسديت الثوب: أقمت سداه، والسدى أيضاً: ندى الليل، وبه يعيش الزرع، وسديت الأرض، فهي سدية، من باب: تعب؛ كثر سداها، وسدا الرجل سدواً، من باب: قال: مدّ يده نحو الشيء، وسدّ البعير سدواً: مدّ يده في السير، وأسديته بالألف: تركته سدى، أي: مهملاً، وأسديت إليه معروفاً: اتخذته عنده.

وفي اللسان، والأساس، وغيرهما: جمل سُدى، وإبلٌ سُدى: مهملة، وقوم سُدى، وأرض سُدى: لا تعمر، ووقع السندى، والسدى، وهو: ما يقع بالليل، وهذا الثوب سَداه حرير، وأسديته، وأسدى الحائك الثوب، وسدّاه، ومن المجاز: قد أسديت فألحم، وأسرجت فألجم، وأسدى إليه معروفاً، وسدّى منطقاً حسناً، وسدّى عليه الوشاة، قال عمر بن أبي ربيعة:

وإنّا لَمَحْقُوقونَ أن لا تردّنا أقاويلُ ما سَدَّوْا علينا وَلَصَّقُوا

وأسدى بين القوم: أصلح، وما أنت بلحمة ولا سداة: لا تضرّ ولا تنفع، والريح تسدي المعالم، وتنيرها، قال عمر بن أبي ربيعة:

لمـنِ الـدِّيـارُ كـأنَّهُـنَّ سُطُـورُ تُسدي مَعالِمَها الصَّبا وتُنِيرُ

وتسداه: علاه، وأخذه من فوقه، كما يفعل سدى الليل، قال:

وما أبو ضَمْرَة بالرّثِّ ألوانْ يَوْمَ تَسَدّى الحكمَ بنَ مَرْوانْ

وذلك أنه أخذ بناصيته وهو على فرس.

﴿يُمْنَىٰ﴾ يصب في الرحم، والمني: ما يخرج عن الجماع من الماء الدافق.

○ الإعـراب:

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ حرف ردع، وزجر، وبل إضراب انتقالي، وتحبون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والخطاب لكفّار قريش، والإنسان عموماً، وقرىء بالتاء على سبيل الالتفات، وبالياء على طريق الغيبة، والعاجلة مفعول به، أي: الدنيا ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وقرىء بالتاء والياء أيضاً على ما تقدم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وجوه مبتدأ، وناضرة نعت له، ويومئذ منصوب على الظرفية بناضرة، وإلى ربها متعلقان بناظرة، وناظرة خبر وجوه، والمعنى: أن الوجوه الحسنة يوم القيامة ناظرة إلى ربها، وهذا معنى صحيح، وتخريج سهل، ويجوز أن يكون وجوه مبتدأ أيضاً، وناضرة خبره، ويومئذ ظرف منصوب بناضرة،

وسوّغ الابتداء بالنكرة هنا كون الموضع موضع تفصيل، ويكون ناظرة نعتاً لوجوه، أو خبراً ثانياً، أو خبراً لمبتدأ محذوف، وإلى ربها متعلقان بناظرة، ويومئذ ظرف أُضيف إلى مثله، والتنوين عوض عن جملة، أي: يوم إذ تقوم القيامة، وسيأتي مزيد من الكلام على هاتين الآيتين في باب: الفوائد ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ عطف على ما تقدم، وقد تقدم القول في الإعراب، ولا بدّ من التنبيه إلى أن يومئذ ليست تخصيصاً للنكرة، فيسوغ الابتداء بها؛ لأن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة، وإنما هو معمول لباسرة، كما ذكرنا أنه معمول لناضرة فيما تقدم، وجملة تظن يجوز أن تكون خبراً على الوجه الأول، أو خبراً بعد خبر، وأن وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي تظن، وبها متعلقان بيفعل، وفاقرة نائب فاعل ليفعل، ومعنى الظن هنا الإيقان، أو التوقع مع غلبة الاعتقاد، وذلك لأنه وقت رفع الشكوك ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ كلا ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، وتذكير لهم بما يؤولون إليه من الموت؛ الذي تنقطع العاجلة عنده، وينتقل منها إلى الآجلة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة بلغت في محل جر بإضافة الظرف إليها، وفاعل بلغت مستتر، تقديره: هي، يعود إلى النفس الدّال عليها سياق الكلام، وإن لم يَجْرِ لها ذكر، كما قال حاتم:

أماويّ ما يُغني الثَّراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ؟!

وتقول العرب: أرسلت، يريدون: جاء المطر، ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء، والتراقي مفعول به ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ الواو عاطفة، وقيل: فعل ماضٍ مبني للمجهول، ونائب الفاعل، مستتر، تقديره: هو، أي: من حوله، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وراق خبره، وهو مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وجملة مَن راق مقول القول، ولا أدري معنى قول السمين: وهذه الجملة هي القائمة مقام الفاعل ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ الواو عاطفة، وظن فعل ماضٍ معناه: أيقن، وسمي اليقين ظناً؛ لأن الإنسان ما دامت روحه في بدنه؛ فإنه يطمع

في ديمومة الحياة لشدة حبه لها، وتعلّقه بها، وأن واسمها، والظرف خبرها، وأن وما في حيِّزها في موضع النصب، سدّت مسدّ مفعولي ظن ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ عطف أيضاً، وسيأتي المزيد من معناه في باب: البلاغة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم، ويومئذ ظرف متعلق بالمساق، وقد أُضيف إلى مثله، والتنوين عوض عن جمل أربع، وهي: بلغت الروح التراقي، وقيل: من راق، وظن أنه الفراق، والتفّت الساق بالساق. والمساق مبتدأ مؤخر، وجواب إذا الذي هو العامل فيها يدل على قوله إلى ربك يومئذ المساق، أي: تُساق إلى حكم ربها ومشيئته، والمساق مفعل من السوق، فهو اسم مصدر ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ عطف على قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه، ولا نافية، وصدق فعل ماضٍ، وهو دليل على جواز دخول لا النافية على الماضي، وفاعله مستتر تقديره: هو، أي: الإنسان، ولا صلى عطف على: فلا صدق، وقيل: عطف على جملة يسأل أيّان يوم القيامة ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عطف أيضاً، ولكن مخففة مهملة، وكذب فعل ماضٍ، أي: الإنسان، وتولى عطف عليه ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي والسر والاستبعاد؛ لأن مَن صدر عنه مثل ذلك ينبغي أن يخاف من حلول غضب الله، فيمشي خائفاً متطامناً، ولكن هذا يمشي متبختراً متعجرفاً، يطاول أعنان السماء، وهو أهون قدراً، وأخسّ مكاناً، وإلى أهله متعلقان بذهب، وجملة يتمطى حالية من فاعل ذهب ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ تقدم الكلام مطولاً حول إعراب هذه الكلمة في سورة القتال ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ عطف على ما تقدم، والتكرير للتأكيد، وزيادة التهديد، وقد تشبثت الخنساء بأهداب هذا التكرير، فقالت:

هممت بنفسي كلّ الهمومِ فأولى لنفسي أولى لها

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ويحسب الإنسان فعل وفاعل، وأن وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي يحسب،

ونائب الفاعل مستتر تقديره: هو، وسُدى حال من الضمير في يترك ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري الإنكاري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويك فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون المقدّرة على النون المحذوفة للتخفيف، واسم يكُ مستتر تقديره: هو، أي: الإنسان، ونطفة خبرها، ومن مني نعت، وجملة يمنى بالبناء للمجهول نعت لمني، وقرىء: بالتاء ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ عطف على ما تقدّم، وعطف بثم للتراخي، وامتداد المدة؛ لأن بين الخلق الثاني الذي هو خلق النسل، وبين الخلق الأول تراخياً وأمداً بعيداً، فوجب عطفه بثم، وكان واسمها المستتر، وعلقة خبرها، والفاءان للترتيب مع التعقيب ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ عطف أيضاً، وفيه التعقيب، وجعل فعل ماضٍ، ومنه في موضع المفعول الثاني، والزوجين مفعول جعل الأول، والذكر بدل، والأُنثى عطف عليه ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري، وذلك اسم ليس، أي: الفعال، والباء حرف جر زائد، وقادر مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس، وعلى أن يحيي الموتى: متعلقان بقادر.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ استعارة تمثيلية لشدة كرب الدنيا في آخر يوم منها، وشدة كرب الآخرة في أول يوم منها؛ لأنهما يومان قد التفا ببعضهما، واختلطا بالكرب، كما تلتف الساق على الساق، كما يقال: شمّرت الحرب عن ساق، استعارة لشدّتها، وقيل: التفافهما لشدّة المرض؛ لأنه يقبض، ويبسط، ويكرب هذه على هذه، وعبارة الزمخشري: والتفّت ساقه بساقه، والتوت عليها عند علز الموت. وهو: الرعدة تأخذ المريض.

(٢) وفي قوله: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ التجنيس الناقص، المسمى أيضاً: جناس التبديل، وهو: الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد

في الأخرى، وجميع حروف الأُخرى يوجد في أختها على استقامتها، وهو ثلاثة أقسام: قسم تقع الزيادة منه في أول الكلمة، كزيادة الميم في المساق، وقسم تقع الزيادة وسط الكلمة، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وقسم تقع الزيادة منه في آخر الكلمة، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

* الفوائـد:

لا نطيل في مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة، فهي مسألة مذكورة في أُصول الدين، ودلائل الطريقين: أهل السنّة، وأهل الاعتزال معروفة، ولما كان الزمخشري من المعتزلة، ومذهبه: أن تقديم المفعول به يدل على الاختصاص، قال في صدد قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾: ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجب حمله على معنى يصحّ معه الاختصاص، والذي يصحّ معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، يريد: معنى التوقع والرجاء، ومنه قول القائل:

وإذا نَظَـرْتُ إليـكَ مِـنْ مَلِـكٍ والبحـرُ دُونَـكَ زِدْتَنـي نِعَمَـا

وسمعت سروة مستجدية بمكة وقت الظهيرة حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول: عيينتي ناظرة إلى الله وإليكم، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا، ولا يخشون، ولا يرجون إلا إياه. قال ابن عطية: ذهبوا ـ يعني: المعتزلة ـ إلى أن المعنى إلى رحمة ربها ناظرة، أو إلى ثوابه، أو ملكه، فقدّروا مضافاً محذوفاً، وهذا وجه سائغ في العربية، كما تقول: فلان ناظر إليك في كذا، أي: إلى صنعك.

وقد عقب ابن المنير كعادته على الزمخشري، فقال: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يدندن، ويطيل في جحد الرؤية، ويشقق القباء، ويكثر،

ويتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاه، صنع في مصامتها بالاستدلال، على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول؛ لأنها حينئذٍ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى، وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، ولا يؤثر عليه غيره، ولا يعدل به عزّ وجلّ منظوراً سواه، وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى مَن ليس كمثله شيء، ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظفرته برؤية محبوبه، لم يصرف عنه لحظة، ولم يؤثر عليه، فكيف بالمحبِّ لله عزّ وجلّ إذا أخطأه النظر إلى وجهه الكريم؟! نسأل الله العظيم ألاَّ يصرف عنّا وجهه، وأن يعيذنا من مزالق البدعة، ومزلاّت الشُبهة، وهو حسبنا ونعمَ الوكيل.

* * *

سورة الإنسان

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ
يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ
مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾
وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ أخلاط، أي: من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين، الممتزجين، ووقع الجمع صفة لمفرد، أي: لنطفة؛ لأنه في معنى الجمع،

أو جعل كل جزء من النطفة نطفة، فاعتبر ذلك، فوصف بالجمع، وفي المختار: مشج بينهما: خلط، وبابه: ضرب، والشيء مشيج، والجمع: أمشاج، كيتيم وأيتام، ويقال: نطفة أمشاج لماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها. وعبارة الزمخشري: نطفة أمشاج كبرمة أعشار، وبرد أكباش، وهي ألفاظ مفردة غير جموع؛ ولذلك وقعت صفات للأفراد، ويقال أيضاً: نطفة مشج، قال الشماخ:

طَوَتْ أحشاءُ مُرْتَجَةٍ لِوَقْتٍ على مَشَجٍ سُلَالَتُهُ مَهِينُ

ولا يصحّ أمشاج أن يكون تكسيراً له، بل هما مثلان في الإفراد لوصف المفرد بهما، ومشجه ومزجه بمعنى، والمعنى: من نطفة امتزج فيها الماءان.

﴿كَافُورًا﴾ الكافور: نبت طيب، وكأن اشتقاقه من الكفر، وهو: الستر؛ لأنه يغطي الأشياء براحته، والكافور أيضاً، كمام الشجر؛ التي تغطي ثمرتها.

﴿مُسْتَطِيرًا﴾: فاشياً، منتشراً، بالغاً أقصى المبالغ، من: استطار الحريق، واستطار الفجر، وهو من طار، بمنزلة استنفر، من: نفر، يقال: استطار، يستطير، استطارة، فهو مستطير، وهو استفعل من الطيران، وقال الفراء: المستطير: المستطيل. كأنه يريد أنه مثله في المعنى، إلا أنه أبدل من اللام راء، والفجر فجران: مستطيل كذنب السرحان، وهو الكاذب، ومستطير، وهو الصادق؛ لانتشاره في الأُفق.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾ القمطرير: الشديد العبوس؛ الذي جمع ما بين عينيه، قال الزجّاج: يقال: قمطرت الناقة؛ إذا رفعت ذنبها، وجمعت قطريها، وزقت بأنفها، فاشتقته من القطر، وجعل الميم زائدة، وقال أسد بن ناعصة:

واصطليتُ الحروبَ في كلِّ يومٍ باسلَ الشَّرِّ قَمْطَرِيرَ الصَّباحِ

وفي القاموس: ويوم قماطر، كعُلابط، وقمطرير: شديد، واقمطرَّ: اشتد.

○ الإعراب:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ في هل وجهان: أحدهما: هي بمعنى قد، والثاني: هي استفهام على بابها، والاستفهام هنا للتقرير وللتوبيخ. وعبارة السمين: في هل هذه وجهان: أحدهما: أنها على بابها من الاستفهام المحض، وقال مكّي: في تقرير كونها على بابها من الاستفهام؛ الذي معناه التقرير: وهو تقرير لمن أنكر البعث، فلا بدّ أن يقول: نعم، قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه، فيقال له: مَن أحدثه بعد أن لم يكن، وكونه بعد عدمه؛ كيف يمتنع عليه بعثه وإحياؤه بعد موته؟ وهو معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أي: فهلاّ تذكرون فتعلمون: أنَ من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن قادراً على إعادته بعد موته وعدمه، فقد جعلها للاستفهام التقريري، لا للاستفهام المحض، وهذا هو الذي يجب أن يكون؛ لأن الاستفهام لا يرد من الله تعالى إلا على هذا النحو، وما أشبهه، الثاني: أنها بمعنى قد.

أما الزمخشري فقال: هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة، والأصل: أهل، بدليل قوله:

... ... أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم

فالمعنى: قد أتى على التقرير والتقريب جميعاً، أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب. أما شطر البيت الذي أورده الزمخشري، فهو عجز البيت:

سائِلْ فوارسَ يربوع بشدَّتنا أَهَلْ رَأَوْنا بِسَفْعِ القاعِ ذي الأكمِ

والبيت لزيد الخيل؛ الذي سمّاه النبي ﷺ زيد الخير، وسائل فعل أمر بمعنى: اسألهم، وراجعهم في السؤال؛ لتتيقن حقيقة الحال، ويربوع: أبو حي، والباء بمعنى عن، أي: سَلْهم عن قوتنا، والأصل في الاستفهام: الهمزة؛ ولذلك كان لها تمام التصدير في الكلام، وأصل هل بمعنى: قد، لكن لكثرة الاستعمال فيه صارت الهمزة نسياً منسياً في حيز الإهمال، والاستفهام هنا للتقرير. وأتى فعل ماضٍ، وعلى الإنسان متعلقان بأتى،

وحين فاعل، ومن الدهر نعت لحين، وجملة لم يكن فيها وجهان: أحدهما: أنها في موضع نصب على الحال من الإنسان، أي: هل أتى حين في هذه الحالة، والثاني: أنها في موضع رفع نعتاً لحين بعد نعت، وعلى هذا فالعائد محذوف، تقديره: حين لم يكن فيه شيئاً مذكوراً، والأول أرجح. وعبارة الزمخشري: فإن قلت: ما محل لم يكن شيئاً مذكوراً؟ قلت: محله النصب على الحال من الإنسان، كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور، أو الرفع على الوصف لحين، كقوله: يوماً لا يجزي والد عن ولده» ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، واسمها مستتر تقديره: هو، يعود على الإنسان، وشيئاً خبرها، ومذكوراً نعت لشيئاً ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان كيفية خلق الإنسان، وإن واسمها، وجملة خلقنا الإنسان خبرها، ومن نطفة متعلقان بخلقنا، وأمشاج نعت لنطفة، وقد تقدم في باب اللغة سرّ وقوع الجمع صفة لمفرد، على أن أبا البقاء أجاز أن تكون بدلاً من نطفة، وجملة نبتليه فيها وجهان: أحدهما: أنها حال من فاعل خلقنا، أي: خلقناه حال كوننا مبتلين له، والثاني: أنها حال من الإنسان، وصحّ ذلك؛ لأن في الجملة ضميرين كلٌّ منهما يعود على ذي الحال، ثم هذه الحال يجوز أن تكون مقارنة إن كان المعنى نبتليه بتصريفه في بطن أُمه نطفة، ثم علقة، وأن تكون مقدّرة إن كان المعنى: نبتليه: نختبره بالتكليف؛ لأنه وقت خلقه غير مكلّف ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ الفاء عاطفة للترتيب مع التعقيب، وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به، وسميعاً بصيراً مفعول به ثانٍ، وقد نزلت الكلمتان منزلة الكلمة الواحدة؛ لأنهما كناية عن التمييز والفهم؛ إذ آلتهما سبب لذلك، وهما أشرف الحواس تدرك بهما أعظم المدركات، أي: جعلناه بسبب الابتلاء حين تأهله له سميعاً بصيراً؛ ليتمكن من مشاهدة الدلائل، واستماع الآيات، فالعطف على إرادة الابتلاء لا الابتلاء فيه، فلا يرد السؤال الآتي: كيف عطف على نبتليه ما بعده بالفاء، مع أن الابتلاء متأخر عنه؟ ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الجملة تعليل للابتلاء،

وإن واسمها، وجملة هديناه من الفعل والفاعل، والمفعول خبر إنّا، والسبيل مفعول به ثانٍ، أو في محل نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بهديناه، وإما حرف شرط وتفصيل، وشاكراً وكفوراً حالان من الهاء في هديناه، أي: مكّناه، وأقدرناه على حالتيه جميعاً، أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع، وكان معلوماً أنه يؤمن، أو يكفر لإلزام الحجة، ويجوز أن يكونا حالين من السبيل، أي: عرفناه إما سبيلاً شاكراً، وإما سبيلاً كفوراً، كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ ويكون وصف السبيل بالشكر والكفر مجازاً، وسيأتي سرُّ المخالفة بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة في باب البلاغة ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ الجملة تعليل أيضاً؛ لأنه لما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد، وإن واسمها، وجملة أعتدنا خبرها، وللكافرين متعلقان بأعتدنا، وسلاسل مفعول به، ومنع من الصرف لأنه جمع على وزن مفاعل، وقرىء بالصرف للمناسبة مع أغلالاً، وهما قراءتان سبعيتان. وعبارة أبي حيان: وقرأ طلحة، وعمرو بن عبيد، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة: سلاسل ممنوع الصرف وقفاً ووصلاً، وقيل عن حمزة، وأبي عمرو الوقف بالألف وقرأ حفص، وابن ذكوان بمنع الصرف، واختلف عنهم في الوقف، وكذا عن البزّي، وقرأ باقي السبعة بالتنوين وصلاً، وبالألف المبدلة منه وقفاً، وهي قراءة الأعمش، قيل: وهذا على ما حكاه الأخفش من لغة مَن يصرف كلّ ما لا ينصرف إلا أفعل، وهي لغة الشعراء، ثم كثر حتى جرى في كلامهم، وعلّل ذلك بأن هذا الجمع لما كان يجمع، فقالوا: صواحبات يوسف، ونواكسي الأبصار، أشبه المفرد، فجرى فيه الصرف، وقال بعض الرجّاز:

والصّرف في الجمعِ أتى كثيرا ... حتى ادّعى قومٌ به التَّخييرا

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إن واسمها، وجملة يشربون خبرها، ومن كأس متعلقان بيشربون، ومفعول يشربون محذوف، أي: خمراً من كأس، والكأس: الزجاجة إذا كانت فيها خمر،

وتسمى الخمر نفسها: كأساً، قال الأعشى:

وكأس شربتُ على لذَّةٍ وأُخرى تداويتُ منها بها

وجملة: كان مزاجها كافوراً، نعت لكأس، وكان واسمها وخبرها ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ عيناً أفاض النحاة في أوجه إعرابها، والأوجه التي أوردوها تتناهى إلى السبعة، ونوردها فيمايلي باختصار، ثم نعمد إلى الترجيح:

١ ـ بدل من كافوراً؛ لأن ماءها في بياض الكافور وفي رائحته وبرودته.

٢ ـ بدل من محل من كأس، وقدّر الزمخشري على هذا الوجه حذف مضاف قال: كأنه قيل يشربون فيها خمراً خمر عين. وأما أبو البقاء فجعل المضاف مقدّراً على وجه البدل من كافوراً فقال: والثاني بدل من كافوراً أي: ماء عين أو: خمر عين.

٣ ـ مفعول يشربون، أي: يشربون عيناً من كأس.

٤ ـ النصب على الاختصاص.

٥ ـ منصوب بيشربون مقدّراً، يفسِّره ما بعده، قاله أبو البقاء أيضاً.

٦ ـ منصوب بإضمار فعل، تقديره: يعطون.

٧ ـ منصوب على الحال من الضمير في مزاجها، قاله مكّي.

ونرى أن الأول والرابع أرجح الأوجه، وأدناها إلى السهولة على أن ذلك لا يمنع الاعتراف بصحة الأوجه التي أوردناها كلها. وجملة يشرب صفة لعيناً، وبها جار ومجرور متعلقان بيشرب، والضمير يعود على الكأس، أي: يشربون العين بتلك الكأس، والباء للإلصاق، قال الزمخشري: فإن قلت: لِمَ وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً، وبحرف الإلصاق أخيراً؟ قلت: لأن الكأس مبدأ شربهم، وأول غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم، فكأن المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل. وقيل: الباء زائدة، أي: يشربها، ويدل له قراءة يشربها، معدى إلى الضمير بنفسه، وإنها بمعنى من فتكون للتبعيض،

أثبته الأصمعي، وابن مالك، والفارسي، والقتبي، وجعلوا منه هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ وعليها بنى الشافعي مذهبه في مسح بعض الرأس في الوضوء لما قام عنده من الأدلة، ويجوز أن تكون في موضع نصب على الحال، أي: ممزوجة، ويجوز أن يتضمن يشربون معنى يلتذون بها شاربين، أو يتضمن معنى يرتوي، أي: يرتوي بها عباد الله. وجملة يفجرونها في موضع نصب على الحال، أي: يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم، فهي سهلة لا تمتنع عليهم، أو نعت ثانٍ لعيناً، وتفجيراً مفعول مطلق ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ كلام مستأنف استئنافاً بيانياً؛ كأنه قيل: بِمَ استحقوا هذا النعيم؟ فقيل: يوفون، ويوفون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وبالنذر متعلقان بيوفون، ويوماً مفعول به، وجملة كان صفة ليوم، وشره اسم كان، ومستطيراً خبرها ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ عطف على يوفون ويخافون، والطعام مفعول به، وعلى حبه متعلقان بمحذوف حال، أي: محبين له، وعلى بمعنى مع، أي: للمصاحبة، وحبه مصدر أُضيف للمفعول، فالضمير للطعام، أي: مع اشتهائه، والحاجة إليه، ونحوه: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ويصحّ رجوع الضمير لله، أي: على حب الله، أي: لوجهه، وابتغاء مرضاته، والأول أمدح؛ لأن فيه الإيثار على النفس والطعام محبوب للفقراء والأغنياء، وأما على الثاني فقد يفعله الأغنياء أكثر، ومسكيناً مفعول به ثانٍ، وما بعده عطف عليه، وخصّ هؤلاء بالذكر لسرّ يأتي في باب البلاغة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ الجملة تعليل لبيان سبب الإطعام، وإنما كافّة ومكفوفة، ونطعمكم فعل مضارع وفاعل مستتر، تقديره: نحن، ومفعول به، ولوجه الله متعلقان بنطعمكم، وجملة لا نريد... إلخ حالية، ولا نافية، ونريد فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، ومنكم متعلقان بنريد، وجزاء مفعول به، ولا شكوراً عطف عليه ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ تعليل لقوله: إنما نطعمكم، وإن واسمها، وجملة نخاف خبرها، وفاعل نخاف ضمير مستتر، تقديره: نحن، ومن ربنا متعلقان بنخاف،

ويوماً مفعول به، وعبوساً نعت، وقمطريراً نعت ثانٍ ليوماً ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ الفاء عاطفة لبيان السبب، أي: فبسبب خوفهم وقاهم الله، أي: دفع عنهم شرّ ذلك اليوم، ووطأته، ووقاهم فعل ماضٍ، ومفعول به مقدّم، والله فاعل مؤخر، وشر مفعول به ثانٍ، وذلك مضاف إليه، واليوم بدل من اسم الإشارة، ولقاهم فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، ومفعول به، ونضرة مفعول به ثانٍ، وسروراً عطف على نظرة ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ وجزاهم عطف أيضاً، وجزاهم فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبما متعلقان بجزاهم، وما مصدرية، أي: بصبرهم، وجنة مفعول به ثانٍ، وحريراً عطف على جنة.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ لما كان الشكر قلّ مَن يتّصف به، قال: شاكراً، فعبّر عنه باسم الفاعل للدلالة على قلته، ولما كان الكفر كثيراً مَن يتّصف به، ويكثر وقوعه من الإنسان، قال: كفوراً، فعبّر عنه بصيغة المبالغة.

(٢) وفي قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ خصّ هؤلاء الثلاثة بالذكر؛ لأن المسكين عاجز عن اكتساب قُوته بنفسه واليتيم مات أبواه، وهما اللذان يكتسبان، وبقي عاجزاً عن الكسب لصغره، والأسير لا يملك لنفسه ضرّاً، ولا نفعاً، ولا نصراً، ولا حيلة. قال عطاء: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، وذلك أنه أجّر نفسه ليلة ليسقي نخلاً بشيء من شعير حتى أصبح وقبض الشعير، وطحنوا ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه، فلما تمّ نضجه أتى مسكين فأخرجوا له الطعام، ثم صنع الثلث الباقي، فلما تمّ نضجه أتى يتيم، فأطعموه، ثم الثالث، فلما تمّ نضجه أتى أسير من المشركين فسأل، فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، فأنزل الله فيهم هذه الآيات.

(٣) في قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ مجاز إسنادي، وقد

تقدمت له نظائر كثيرة في هذا الكتاب؛ لأن وصف اليوم بالعبوس مجاز، كما يقال: نهاره صائم، وليله قائم، والمراد: أهلهما.

* الفوائـد:

١ ـ كان في القرآن على خمسة أوجه:

١ ـ بمعنى الأول والأبد، نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

٢ ـ بمعنى المضي المنقطع، نحو: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾

٣ ـ بمعنى الحال نحو: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾

٤ ـ بمعنى الاستقبال، نحو: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾

٥ ـ بمعنى صار، نحو: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

٢ ـ ولإما خمسة معانٍ:

١ ـ الشك نحو: جاءني زيد وإما عمرو، إذا لم تعلم الجائي منهما.

٢ ـ الإبهام، نحو: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: إن الله تعالى عالم بحقيقة حالهم، وقصد الإبهام على السامع.

٣ ـ التخيير، نحو: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ولا يكون إلا بعد الطلب، فيقدّر في الآية، والأصل: يا ذا القرنين افعل، فإما أن تعذب . . . إلخ.

٤ ـ الإباحة، نحو: تعلّم إما فقهاً وإما نحواً.

٥ ـ التفصيل، نحو: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا
وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن
فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ

سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ
ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ۞

☆ **اللغة:**

﴿زَمْهَرِيرًا﴾ في المختار: الزمهرير: شدة البرد، قلت: قال ثعلب: الزمهرير أيضاً القمر، في لغة طيىء، وبه فسّر قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: فيها من الضياء والنور ما لا يحتاجون معه إلى شمس، ولا قمر.

وعبارة أبي حيّان: الزمهرير: أشد البرد، وقال ثعلب: هو القمر بلغة طيىء، وأنشد قول الراجز:

وليلـةٍ ظَـلاَمُهـا قـدِ اعْتَكَـرْ   قَطَعْتُها والزَّمْهَـرِيـرُ مـا زَهَـرْ

وعبارة الزمخشري: يعني: أن هواءها معتدل، لا حرّ شمس يحمي ولا شدّة برد تؤذي، وفي الحديث: «هواء الجنة سجسج، لا حرّ ولا قرّ».

﴿قَوَارِيرَا﴾ القارورة: إناء صافٍ، توضع فيه الأشربة، قيل: ويكون من الزجاج.

﴿زَنجَبِيلًا﴾ الزنجبيل، قال الدينوري: نبت في أرض عمان، له عروق تسري، وليس بشجر، يؤكل رطباً، وأجوده: ما يحمل من بلاد الصين، كانت العرب تحبه؛ لأنه يوجب لذعاً في اللسان إذا مزج بالشراب، فيتلذذون به، قال الشاعر:

كـأَنَّ القَـرَنْفُـلَ والـزَّنْجَبِيـ   ـلَ بـاتـا بِفيهـا وأَرْيـاً مَشُـورا

وقال المسيب بن علس:

وكـأَنَّ طَعْـمَ الـزَّنْجَبِيـلِ بـه   إذْ ذُقْتُـهُ وسُـلافَـةَ الخَمْـرِ

والضمير في به يعود للفم، وإذ ذقته، أي: حين ذقت ريقه، فهو مجاز،

وسلافة الخمر: أول ما يعصر من العنب، وقال آخرون: الزنجبيل: نبات له عروق تسري في الأرض، ويتولد فيها عقد حريفة الطعم، وتتفرع هذه العروق من نبت كالقصب.

﴿سَلْسَبِيلًا﴾ السلسبيل: ما سهل انحداره في الحلق، وقال الزجّاج: هو في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة. وقال الزمخشري: يقال: شراب سلسل، وسلسال، وسلسبيل، وقد زيدت الباء في التركيب، حتى صارت الكلمة خماسية، ودلّت على غاية السلاسة. وقال ابن الأعرابي: لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن. وقال مكّي: هو اسم أعجمي نكرة؛ فلذلك صرف. ووزن سلسبيل مثل دردبيس، وقيل: فعفليل؛ لأن الفاء مكررة، وقرأ طلحة سلسبيل دون تنوين، ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث؛ لأنها اسم لعين بعينها، وعلى هذا فكيف صرفت في قراءة العامة، ويُجاب بأنها سمِّيت بذلك لا على جهة العلمية، بل على جهة الإطلاق المجرد، أو يكون من باب تنوين سلاسل وقوارير كما تقدم، وكما سيأتي.

﴿سُندُسٍ﴾ السندس: ما رقّ من الحرير، ويكون أخضر، وغير أخضر.

﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ الإستبرق: ما غلظ من الديباج، فهو البطائن، والسندس: الظهائر.

○ **الإعراب:**

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ متكئين حال من مفعول جزاهم، ووهم أبو البقاء، فأجاز أن تكون صفة لجنة، ولا أدري كيف سبق هذا إلى وهمه! وازداد عجبي عندما رأيت الزمخشري يُجيز ذلك، قال: ويجوز أن تجعل متكئين، ولا يرون، ودانية كلها صفات لجنة. وذلك مردود لعدم بروز الضمير ليكون نعتاً سببياً، فلم يقل متكئين هم فيها، وفيها حال، أي: في الجنة، وعلى الأرائك متعلقان بمتكئين، وجملة لا يرون حال ثانية من مفعول جزاهم، ولك أن تجعلها حالاً من الضمير في متكئين، فتكون حالاً متداخلة، كما يجوز لك أن تجعلها صفة لجنة، كما قرر

أبو البقاء، والزمخشري، وفيها متعلقان بيرون، وشمساً مفعول، ولا زمهريراً عطف على شمساً ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ عطف على متكئين فيكون فيها ما فيها، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنة جامعين فيها بين السلامة من الحرّ والقرّ، وبين دنو الظلال عليهم، ولك أن تجعلها منصوبة عطفاً على محل لا يرون، وقال الزجّاج: صفة لجنة الملفوظ بها، أما أبو البقاء فأغرب؛ إذ أعربها صفة لجنة محذوفة، أي: وجنة دانية، وهو تكلّف، وتحكم لا مبرر لهما. وعليهم متعلقان بدانية، ولا بدّ من تضمين على معنى من؛ لأن الدنو لا يتعدى بعلى، وإنما لم يقل منهم؛ لأن الظلال عالية عليهم، والواو عاطفة، وذللت فعل ماضٍ مبني للمجهول، وعطف على دانية، وإنما خولف بعطف الفعلية على الاسمية؛ للإشارة إلى أن التظليل أمر دائم لا يزول؛ لأنها لا شمس فيها بخلاف التذليل؛ فإنه أمر متجدد طارىء، وقطوفها نائب فاعل، وتذليلاً مفعول مطلق ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ الواو عاطفة، ويطاف فعل مضارع مبني للمجهول، وعليهم متعلقان بيطاف، وبآنية نائب مفعول؛ لأنه هو المفعول به في المعنى، ويجوز أن تكون عليهم هي النائبة، وبآنية متعلقان بيطاف، والآنية جمع إناء، والأصل: أأنية بهمزتين الأولى مزيدة للجمع، والثانية فاء الكلمة، فقلبت الثانية ألفاً وجوباً، وهذا نظير: كساء وأكسية، وغطاء وأغطية، ونظيره في الصحيح اللام: حمار وأحمرة. ومن فضة نعت لآنية، وأكواب عطف على آنية من عطف الخاص على العام، وجملة كانت نعت لأكواب، واسم كانت مستتر يعود على الأكواب، وقوايراً خبر كانت، ويجوز أن تكون كانت تامة، فيكون قواريراً حالاً، أي: كونت، وعبارة أبي البقاء: ويقرأان بالتنوين، وبغير التنوين، والأكثرون يقفون على الأول بالألف؛ لأنه رأس آية ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ قوارير بدل من قواريراً الأولى، وقد منعت من الصرف، ومن فضة نعت لقوارير، وجملة قدّرت نعت ثانٍ، وتقديراً مفعول مطلق، وقرىء قوارير بالرفع على إضمار مبتدأ، أي: هي قوارير، ومعنى

التقدير: أنها هيئت على قدر ريّ الشاربين، أي: شهوتهم؛ لأنه لا ظمأ في الجنة من غير زيادة، ولا نقص، وذلك ألذّ الشراب ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ الواو عاطفة، ويسقون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وفيها متعلقان بيسقون، وكأساً مفعول به ثانٍ، وجملة كان صفة لكأساً، ومزاجها اسم كان، وزنجبيلاً خبرها ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ عيناً بدل من زنجبيلاً، وقيل: تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه، أو يخلق الله طعمه فيها، وعيناً على هذا القول مبدلة من كأساً، أو منصوبة على الاختصاص، ولعلّ هذا هو الأرجح، وعلى كل حال تطبق عليها الأوجه المطبقة على عيناً الأولى، وفيها نعت لعيناً، وجملة تسمى نعت ثانٍ، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هي، وسلسبيلاً مفعول به ثانٍ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ الواو عاطفة، ويطوف فعل مضارع، وعليهم متعلقان بيطوف، وولدان فاعل، ومخلدون نعت لولدان، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة رأيتهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة حسبتهم لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وحسبتهم فعل ماضٍ، وفاعل، ومفعول به، ولؤلؤاً مفعول به ثانٍ، ومنثوراً نعت، أي: متفرقاً، وفي المصباح: نثرته نثراً، من بابي: قتل، وضرب: رميت به متفرقاً، فانتثر. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط، وجملة رأيت في محل جر بإضافة الظرف إليه، ورأيت فعل وفاعل، وليس له مفعول ظاهر، ولا مقدّر لإشاعة الرؤية، وتعميمها، كأنه قيل: وإذا أوجدت الرؤية ثم، وثم ظرف مكان مختص بالبعد متعلق بثم، والمعنى: وإذا صدرت منك الرؤية في ذلك المكان رأيت، وجملة رأيت لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ونعيماً مفعول رأيت الثانية، وملكاً كبيراً عطف على نعيماً، وقال الفراء: ثم مفعول به لرأيت، والتقدير: وإذا رأيت ما ثم، فحذفت ما، وقامت ثم مقامها، ولا داعي لهذا التكلّف ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ عاليهم: في إعرابه وجهان: أحدهما: أنه ظرف مكان لأنه بمعنى فوقهم، وقد اعترض أبو حيان

على هذا الإعراب فقال: وعال وعالية اسم فاعل، فيحتاج في كونهما ظرفين إلى أن يكون منقولاً من كلام العرب: عاليك، أو عاليتك ثوب. وهذا اعتراض مردود؛ لأنه وردت ألفاظ من صيغ أسماء الفاعلين ظروفاً، نحو: خارج الدار، وداخلها، وباطنها، وظاهرها، تقول: جلست خارج الدار، وكذا البواقي، فكذلك هذا، وإذا تقرر هذا فإن الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدّم، وثياب سندس مبتدأ مؤخر، وخضر نعت لثياب، وإستبرق عطف على ثياب على حذف مضاف، أي: ثياب إستبرق، وقرىء بجر إستبرق بالعطف على سندس؛ لأن المعنى ثياب من سندس، وثياب من إستبرق.

والوجه الثاني: وهو الذي جرى عليه الأكثرون أنه حال من الضمير في عليهم، أو من مفعول حسبتهم، أو من مضاف مقدّر، أي: رأيت أهل نعيم، وملك كبير عاليهم، فعاليهم حال من أهل المقدّر، وقد ذكر الزمخشري هذا القول، وعبارته: وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير في يطوف عليهم، أو: في حسبتهم، أي: يطوف عليهم ولدان عالياً للمطوف عليهم ثياب، أو حسبتهم لؤلؤاً عالياً لهم ثياب، ويجوز أن يراد أهل نعيم. وقرىء عاليهم بسكون الياء وكسر الهاء، على أنها خبر مقدّم، وثياب مبتدأ مؤخر، كأنه قيل: فوقهم ثياب. أما نص إعراب أبي البقاء فهو: قوله تعالى: عاليهم: فيه قولان: أحدهما: هو فاعل، وانتصب على الحال من المجرور في عليهم، وثياب سندس مرفوع به، أي: يطوف عليهم في حال علو السندس، ولم يؤنث عاليه؛ لأن تأنيث الثياب غير حقيقي. والقول الثاني هو ظرف؛ لأن عاليهم جلودهم، وفي هذا القول ضعف، ويقرأ بسكون الياء؛ إما على تخفيف المفتوح المنقوص، أو على الابتداء والخبر، ويقرأ: عاليتهم بالتاء، وهو ظاهر، وخضر بالجر صفة لسندس، وبالرفع لثياب، وإستبرق بالجر عطف على سندس، وبالرفع على ثياب.

ولا أدري كيف استساغ أبو البقاء أن يستضعف وجه الظرف، والخطب فيه أهون من الحال لوروده معرفة مهما قيل في تأويله.

﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ عطف على: ويطوف عليهم، وساغ عطف الماضي على المضارع؛ لأنه مستقبل المعنى، وللإيذان بتحقيقه، وحلّوا فعل ماضٍ مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وأساور مفعول به ثانٍ، وقيل: نصب بنزع الخافض؛ لأنهم يعدّونه إلى واحد، ومن فضة نعت لأساور، وسقاهم عطف على حلّوا، وربهم فاعل، وشراباً مفعول به ثانٍ، وطهوراً نعت لشراباً ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: يقال لأهل الجنة، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، ولكم متعلقان بجزاء، واسم كان مستتر تقديره: هو، وجزاء خبرها، وكان عطف على كان الأولى، وسعيكم اسمها، ومشكوراً خبرها.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ
كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ إن واسمها، ونحن ضمير فصل، أو تأكيد لاسم إن، وجملة نزلنا خبر إنّا، وعليك متعلقان بنزلنا، والقرآن مفعول به، وتنزيلاً مفعول مطلق، ولك أن تجعل نحن مبتدأ، فتكون جملة نزلنا خبر نحن، والجملة خبر إن ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ الفاء الفصحية، أي: إن عرفت هذا فاصبر، واصبر فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، ولحكم ربك متعلقان باصبر، والواو حرف عطف،

ولا ناهية، وتطع فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، ومنهم حال، وآثماً مفعول به، وأو حرف عطف، وكفوراً عطف على آثماً، وإنما جنح إلى «أو» دون الواو لإفهام النهي عن طاعتهما معاً، ولو عطف بالواو لأفهم جواز طاعة أحدهما، وليس مراداً. وعبارة الزجّاج: أو هنا أوكد من الواو؛ لأنك لو قلت: لا تطع زيداً وعمراً، فأطاع أحدهما كان غير عاصٍ، فإذا أبدلتها بأو، فقد دللت على أن كل واحد منهما أهل أن يعصى. وعبارة أبي حيان: والنهي عن طاعة كل واحد منهما أبلغ من النهي عن طاعتهما؛ لأنه يستلزم النهي عن أحدهما؛ لأن في طاعتهما طاعة أحدهما، ولو قال: لا تضرب زيداً وعمراً لجاز أن يكون نهياً عن ضربهما جميعاً، لا عن ضرب أحدهما، وقال أبو عبيدة: «أو» بمعنى الواو والكفور، وإن كان آثماً، فإن فيه مبالغة في الكفر، ولما كان وصف الكفور مبايناً للموصوف لمجرد الإثم، صلح التغاير، فحسن العطف ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عطف على ما تقدم، واذكر فعل أمر، واسم ربك مفعول به، وبكرةً وأصيلاً ظرفان متعلقان باذكر، والمراد: الدوام على الصلاة في أوقاتها ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ومن الليل متعلقان باسجد، ومعنى من التبعيض، أي: اسجد، وصلِ له بعض الليل، واسجد فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، وله متعلقان باسجد أيضاً، وسبِّحه فعل أمر وفاعله مستتر ومفعول به، وليلاً ظرف متعلق بسبّحه، وطويلاً نعت ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ الجملة تعليل لما قبلها من النهي والأمر، وعبارة الشهاب الخفاجي: هذا التعليل لما قبله من النهي والأمر في قوله: ولا تطع إلى هنا، فكأنه قال: لا تطعهم، واشتغل بالأهمّ من العبادة؛ لأن هؤلاء تركوا الآخرة للدنيا، فاترك أنت الدنيا، وأهلها للآخرة، فالأول: علّة للنهي عن طاعة الآثم والكفور، والثاني: علّة للأمر بالطاعة، وإن حرف مشبّه بالفعل، وهؤلاء اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب اسمها، وجملة يحبون خبرها، والعاجلة مفعول به، ويذرون عطف على يحبون، ووراءهم ظرف مكان بمعنى قدّام متعلق بمحذوف حال من المفعول مقدم

عليه، ويوماً مفعول به، وثقيلاً ظرف، وسيأتي معنى الثقل في باب البلاغة ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ نحن مبتدأ، وجملة خلقناهم خبر، وشددنا عطف على خلقناهم، وأسرهم مفعول به، أي: قوينا أسرهم، والأسر كما في القاموس: الشدة، والغضب، وشدة الخَلْق والخُلُق، وشددنا أسرهم، أي: مفاصلهم. وفي المختار: أسره، من باب: ضرب، أي: شدّه بالإسار، بوزن الإزار، وهو: القِدّ بالكسر، وهو: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ، ومنه سمي الأسير؛ لأنهم كانوا يشدّونه بالقدّ، فسمي كل مأخوذ أسيراً، وإن لم يشدّ به، وأسره الله: خلقه، وبابه: ضرب، ومنه: ﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ أي: خلقهم، والأُسر بالضم: احتباس البول، كالحصر في الغائط، وأُسرة الرجل: أهله؛ لأنه يتقوى بهم. ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة شئنا في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة بدّلنا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وأمثالهم مفعول به، وتبديلاً مفعول مطلق، ومفعول بدّلنا الثاني؛ لأنها بمعنى جعلنا محذوف، تقديره: بدلاً منهم. هذا؛ وقد تورط الزمخشري ورطة كان له مندوحة عنها، ذلك أنه قال: وحقه أن يؤتى بإن لا بإذا كقوله: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ ولم يعقب على ذلك بشيء، فأوهم أنه يعني ورود القرآن في تعبيره بإذا على خلاف الحق، والواقع: أن إذا، وإن تتعاوران، فقد قالوا: إن إذا للمحقق، وإن للممكن، وهو تعالى لم يشأ، فالظاهر أن تستعمل إن، لكنه قد توضع إذا موضع إن، وإن موضع إذا، كقوله: ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ إن واسمها، والإشارة إلى السورة، وتذكرة خبره، والفاء عاطفة، ومن شرطية مبتدأ، وشاء فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، ومفعول شاء محذوف، أي: الخير لنفسه، وحسن العاقبة، واتخذ فعل ماضٍ في محل جزم جواب الشرط، وإلى ربه في موضع المفعول الثاني، وسبيلاً مفعول اتخذ الأول ﴿ وَمَا

﴿تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وتشاؤون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والمفعول به محذوف، أي: الطاعة، وإلا أداة حصر، وأن يشاء الله المصدر المؤول في موضع نصب على الظرفية؛ لأنه استثناء من أعمّ الظروف، وأصله: إلا وقت مشيئة الله، وأجاز أبو البقاء أن يكون الاستثناء من أعمّ الأحوال، فيكون المصدر حالاً، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر، وعليماً خبرها الأول، وحكيماً خبرها الثاني ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الجملة حالية من الله، ويدخل فعل مضارع مرفوع، وفاعله هو، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة من، وفي رحمته متعلقان بيدخل، والظالمين: الواو عاطفة، والظالمين منصوب بفعل مقدّر يفسِّره ما بعده، وقدّره أبو البقاء: ويعذب الظالمين، وجملة أعدّ مفسّرة، ولهم متعلقان بأعدّ، وعذاباً مفعول به، وأليماً نعت.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعارة تصريحية، فقد استعير الثقل لشدة ذلك اليوم، وهَوْله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله، ونحوه: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾.

خطأ وقياس في غير محلـه:

هذا، ومن المضحك: أن بعضهم علّق على قوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ فقال: هذه الآية ردّ على ما قاله أهل علم المعاني والبيان: إن الجمع بين الحاء والهاء مثلاً، يخرج الكلمة من فصاحتها، وجعلوا من ذلك قول أبي تمام:

كريمٌ متى أمدحه أمْدَحه والورى   معي وإذا ما لمتُه لمتُه وحدي

وهذا خطأ من الناقد؛ الذي ظن أنه يبرىء القرآن الكريم من العيوب المخلّة بالفصاحة بشجبه لما قرره علماء البلاغة، وقياس في غير محله،

فالفرق واضح بين الآية والشعر، وهو أن تكرار أمدحه هو الذي أخرجه عن مهيع الفصاحة، لا مجرد اجتماع الحاء والهاء، وإذاً فالآية سليمة من تنافر الحروف، قال الشيخ مخلوف الميناوي في حاشيته على شرح الشيخ أحمد الدمنهوري لمتن الإمام الأخضري: فإن منشأ الثقل هو تكرار أمدحه، دون مجرد الجمع لوقوعه بين الحاء والهاء في التنزيل، نحو: فسبّحه.

*** الفوائـد:**

«إن» و«إذا» يشتركان في إفادة تعليق حصول الجزاء في المستقبل بحصول الشرط فيه، لكن أصل إن، أي: موضع استعمالها الحقيقي، الشك في وقوع الشرط، قيل: والتوهم، وقيل: وكذا المظنون. وأصل إذا الجزم بوقوعه، ولا تستعمل إن في غير الشك، وإذا في غير الجزم إلا لنكتة، كما أنهما لا يدخلان على ماضٍ من شرط أو جزاء إلا لنكتة، ولو لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط.

* * *

سُورَةُ المُرسَلات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾
فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾
وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾
لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال أبو حيان في النهر: هذه السورة مكية، ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جداً، وهي أنه: ذكر أنه تعالى يرحم مَن يشاء، ويعذب الظالمين، وهذا وعد منه صادق، فأقسم على وقوعه، فقال: إن ما توعدون لواقع، ولما كان للمقسم به موصوفات قد حذفت، وأُقيمت صفاتها مقامها

وقع الخلاف في تلك الموصوفات، والذي يظهر أن المقسم به شيئان، ولذلك جاء العطف بالواو في والناشرات، والعطف بالواو يشعر بالتغاير، وأما العطف بالفاء إذا كان في الصفات، فيدل على أنها راجعة لموصوف واحد، وإذا تقرر هذا فالظاهر أنه أقسم أولاً بالرياح، ويدلّ عليه عطف الصفة بالفاء، والقسم الثاني فيه ترق إلى أشرف من المقسم به الأول، وهم الملائكة، ويكون قوله: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾ من صفاتهم، وإلقاؤهم للذكر، وهو ما أنزل الله تعالى صحيح إسناده إليهم، وما ذكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الأوصاف ينبغي أن يحمل على التمثيل لا على التعيين، وجواب القسم، وما عطف عليه ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، وما موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف، أي: إن الذي توعدونه، وهي اسم إن، وقوله: لواقع خبرها. وقد وطأنا بهذه اللمحة المفيدة جلاء للحقيقة، ودفعاً للالتباس الذي قد ينشأ عن اختلاف المفسرين، ونعود بعدها إلى الإعراب.
الواو للقسم، والمرسلات مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أُقسم، وعرفاً: إما أن يكون من عرف الفرس، وهو بضم العين، أي: شعر العنق للفرس، فيعرب حالاً من الضمير المستكن في المرسلات، والمعنى: على التشبيه، أي: حال كونها عُرفاً، أي: شبيهة بعُرف الفرس من حيث تلاحقها وتتابعها، كما أنه كذلك، أو على أنه مصدر، كأنه قال: والمرسلات إرسالاً، أي: متتابعة، وإما أن يكون من العُرف، وهو المعروف، على حدّ قول الحطيئة:

مَن يفعلِ الخيرَ لا يعدم جوازيَه لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ

وانتصابه على أنه مفعول من أجله، أي: أرسلت للإحسان والمعروف، أو منصوب بنزع الخافض ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ الفاء عاطفة للتعقيب، والعاصفات عطف على المرسلات، وهي اسم فاعل من العصف بمعنى: الشدّة، وفي المصباح: عصفت الريح عصفاً، من باب: ضرب، وعصوفاً أيضاً: اشتدت. وعصفاً مصدر مؤكد، فهو مفعول مطلق ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا

* ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا * فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ والناشرات عطف أيضاً، ونشراً مفعول مطلق، فالفارقات عطف أيضاً، وفرقاً مفعول مطلق، فالملقيات عطف أيضاً، وذكراً مفعول به للملقيات، أي: للملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ هما مصدران، من: عذر؛ إذا محا الإساءة، ومن أنذر؛ إذا خوف على الكفر، كالكفر، والشكر، وهما منصوبان على أنهما مفعول من أجله، وأجاز الزمخشري أن ينتصبا على البدل من ذكراً، وعبارة أبي البقاء: وفي عذراً أو نذراً وجهان: أحدهما: هما مصدران يسكن أوسطهما ويضم، والثاني: هما جمع عذير ونذير، فعلى الأول ينتصبان على المفعول له، أو على البدل من ذكراً، وعلى الثاني هما حالان من الضمير في الملقيات، أي: معذرين، ومنذرين». ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وإن حرف مشبّه بالفعل، وما اسم موصول اسم إن، وجملة توعدون صلة، واللام المزحلقة، وواقع خبر إن، والعائد محذوف، أي: إن الذي توعدونه ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، والنجوم نائب فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده، وجملة طمست مفسّرة لا محل لها، وفي جواب إذا قولان: أحدهما: أنه محذوف، تقديره: فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون؛ لدلالة قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ والثاني: أنه ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ على إضمار القول، أي: يقال: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ فالفعل في الحقيقة هو الجواب، ومعنى طمست: محيت، ومحقت، وذهب نورها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ جمل معطوفة على جملة، ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾، ومعنى فرجت: فتحت، فكانت أبواباً، ومعنى نسفت: تفتتت كالرمل السائل، ثم يطيرها الريح، وفي المصباح: «نسفت الريح التراب نسفاً، من باب: ضرب، اقتلعته، وفرقته» ومعنى أقتت: وقتت، وقد قرىء بهما، أي: جمعت لوقت معلوم، قال الزجاج: المراد بهذا التأقيت، أو التوقيت: تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على أُممهم، والواو إذا انضمت جاز جعلها همزة، وقال المبرد في كامله: «قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ والأصل: وقتت، ولو كان في

غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت». ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ لأي يوم متعلق بأجلت، أي: أجلت لأي يوم، والجملة مقول قول محذوف في محل نصب على الحال من مرفوع أقتت، أي: يقال لأي يوم أجلت، أو لا محل لها؛ لأنها جواب إذا كما تقدم، وليوم الفصل بدل من لأي يوم بإعادة العامل، ولك أن تعلقه بفعل محذوف، أي: أجلت ليوم الفصل ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ الواو عاطفة، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة أدراك خبرها، والكاف مفعول به أول، وقوله: ما يوم الفصل: جملة من مبتدأ، وهو ما الاستفهامية وخبر، وهو يوم الفصل سادّة مسدّ المفعول الثاني لأدراك المعلقة بالاستفهام، والاستفهام الأول معناه: الاستبعاد، والإنكار، والثاني: للتعظيم، والتهويل ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويل مبتدأ سوّغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء، وعبارة الزمخشري: «فإن قلت: كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله: ويل يومئذ للمكذبين؟ قلت: هو في أصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله، ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات معنى الهلاك، ودوامه للمدعوّ عليهم، ونحوه: سلام عليكم، ويجوز: ويلاً بالنصب، ولكنه لم يقرأ به» ويومئذ ظرف أُضيف إلى مثله، وهو متعلق بويل، أو صفة له، والتنوين عوض عن جمل محذوفة تقتبس من السياق، والتقدير: يوم إذ طمست نجوم، وكان ما بعدها، وللمكذبين خبر ويل ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري؛ لأن الاستفهام في الأصل إنكاري، وقد دخل على نفي ونفي النفي إثبات، ويعبّر عنه بالاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ونهلك فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله مستتر تقديره: نحن، والأولين مفعول به، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ونتبعهم فعل مضارع مرفوع استئنافاً، أي: ثم نتبعهم، والآخرين مفعول به ثانٍ ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل، وبالمجرمين متعلقان بنفعل، وويل يومئذ للمكذبين تقدم إعرابها، وسيأتي سرّ تكرارها في باب: البلاغة.

□ **البلاغة:**

تكررت آية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في هذه السورة عشر مرات، والسر فيها زيادة الترهيب، والتكرار في مقام الترغيب والترهيب مستساغ حسن، لا سيما إذا تغايرت الآيات السابقات على المرات المكررة، كما هنا.

* **الفوائد:**

لا يجوز عطف ﴿نُتْبِعُهُمُ﴾ على ﴿نُهْلِكِ﴾ لأن العطف يوجب أن يكون أهلكنا الأولين؛ لأن لم حرف نفي وقلب وجزم، فيكون المعنى: ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك، وليس الأمر كذلك؛ لأن هلاك الآخرين لم يقع بعد.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾
فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً
وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾
لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ
صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتخفيف، من: القدرة، وقرئ بالتشديد، من: التقدير، ويدلُّ على الأول ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ وفي القرطبي: قرأ نافع والكسائي: فقدّرنا بالتشديد، وخفّف الباقون، وهما لغتان بمعنى: فَقَدَرنا بالتخفيف. وفي المصباح: قدرت الشيء قدراً، من بابي: ضرب، وقتل، وقدّرته تقديراً

بمعنى، والاسم: القَدَر بفتحتين. وقوله: فاقدروا له، أي: قدروا عدد الشهر، فكملوا شعبان ثلاثين يوماً.

﴿ كِفَاتًا ﴾ قال الجلال: مصدر كفت بمعنى: ضم. قال في القاموس: كفته، يكفته: صرفه عن وجهه، فانكفت، والشيء إليه: ضمّه، وقبضه ككفّته، والطائر وغيره، كفتاً، وكفاتاً، وكفيتاً، وكفتاناً: أسرع في الطيران والعدو. فهل كانت كفاتاً مصدر كفت بمعنى ضمن المتعدية، أم مصدر كفت الطائر اللازمة؟! إن كلام صاحب القاموس موهِم، وقال في القاموس بعد ذلك: والكِفات بالكسر: الموضع، يكفت فيه الشيء، أي: يضم، ويجمع، والأرض كفات لنا. وعلى هذا جرى الزمخشري وأبو حيان، وقد ردّ المفسرون على الجلال؛ لأن كفت من باب: ضرب، فالحق أنه اسم مكان. وفي المختار: كفته: ضمّه إليه، وبابه: ضرب، والكِفات بالكسر: الموضع الذي يكفت فيه شيء، أي: يضم، ويجمع، والأرض كفات لنا. وعبارة السمين: الكفات: اسم للوعاء الذي يكفت فيه الشيء، أي: يجمع، يقال: كفته يكفته، أي: جمعه وضمه. إلى أن قال: وقيل: كفاتاً، جمع: كافت، كصيام وقيام، في جمع: صائم، وقائم، وقيل: بل هو مصدر، كالكتاب، والحساب. وسيأتي مزيد من هذا التقرير في باب: الإعراب.

﴿ كَٱلْقَصْرِ ﴾ من البناء في عظمة ارتفاعه.

﴿ جِمَٰلَتٌ ﴾ بكسر الجيم، جمع: جمل، والتاء لتأنيث الجمع، يقال: جمل، وجمال، وجمالة، نحو: ذكر، وذكار، وذكارة، وحجر، وحجار، وحجارة، وقيل: هو اسم جمع كالذكارة، والحجارة، وقرىء: جمالات، ويجوز أن يكون جمعاً لجمالة، وأن يكون جمعاً لجمال، فيكون جمع الجمع، ويجوز أن يكون جمعاً لجمل؛ كقوله: رجالات قريش، وسيأتي مزيد من هذا التقرير في باب البلاغة.

○ الإعـراب:

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ونخلقكم فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله مستتر تقديره: نحن، والكاف مفعول به، ومن ماء متعلقان بنخلقكم، ومهين نعت لماء، ومن الابتدائية إشارة إلى أنه تعالى قادر على الابتداء، والقادر على الابتداء قادر على الإعادة ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ الفاء عاطفة، وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به، وفي قرار في موضع المفعول الثاني، ومكين نعت لقرار، أي: مكان يحفظ فيه المني من الآفات المفسدة له كالهواء، والقرار هو: الرحم ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ إلى قدر: الجار والمجرور في موضع الحال، أي: مؤخراً إلى قدر معلوم، ومعلوم نعت لقدر ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وقدرنا فعل وفاعل، والفاء عاطفة، ونعم فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح، والقادرون فاعل، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نحن ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ونجعل فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، والأرض مفعول به أول، وكفاتاً مفعول به ثانٍ لنجعل؛ لأنها للتصيير، وأحياءً وأمواتاً منصوبان على أنهما مفعولان به لكفاتاً إن تقرر أن كفاتاً مصدر، أو جمع كافت لأنه اسم فاعل، وإن لم يكن مصدراً، بل اسم موضع، فيكون نصبهما بفعل مضمر يدّل عليه كفاتاً تقديره: تكفت، والمعنى: تكفت أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها، وعبارة أبي حيان: وانتصب أحياءً وأمواتاً بفعل يدّل عليه ما قبله، أي: يكفت أحياءً على ظهرها، وأمواتاً في بطنها. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون المعنى: تكفتكم أحياءً وأمواتاً، فينتصبا على الحال من الضمير؛ لأنه قد علم أنها كفات الإنس. ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾ الواو حرف عطف، وجعلنا فعل وفاعل، وفيها متعلقان بجعلنا إن كانت بمعنى خلقنا، وفي موضع المفعول الثاني إن كانت جعلنا

بمعنى صيّرنا، ورواسي مفعول جعلنا، وشامخات صفة لرواسي، وأسقيناكم عطف على جعلنا، وماء مفعول به ثانٍ، وفراتاً نعت لماء، والفرات: العذب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقدم إعرابها ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ الجملة مقول قول محذوف مستأنف، وانطلقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإلى ما متعلقان بانطلقوا، وجملة كنتم لا محل لها؛ لأنها صلة ما، وكان واسمها، وبه متعلقان بتكذبون، وجملة تكذبون خبر كنتم، والعائد الضمير في به ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ انطلقوا توكيد لانطلقوا الأول، وإلى ظل متعلقان بانطلقوا، وذي ثلاث شعب نعت لظل، وسيأتي مزيد من هذا المعنى في باب البلاغة ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ لا نافية، وظليل نعت منفي؛ لأن الظل لا يكون إلا ظليلاً، فنفيه عنه للدلالة على أنه جعله ظلاً تهكماً بهم، وسخرية منهم، ولا يغني من اللهب عطف على المنفي، ويغني فعل مضارع، وفاعله هو الظل، ومن اللهب متعلقان بيغني، والجملة في محل جر، أي: غير مغنٍ عنهم من حرّ اللهب شيئاً ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ الجملة بمثابة التعليل لعدم غناء الظل غير الظليل، وإن واسمها، والضمير يعود إلى جهنم؛ لأن الحديث عنها وجملة ترمي خبر إن، وبشرر متعلقان بترمي، والشرر ما تطاير منها تقول: نار ذات شرار، وشرر، وطارت منها شرارة، وشررة، وكالقصر نعت لشرر، أي: كل شررة كالقصر من القصور في عظمها، وسيأتي المزيد من هذا التشبيه في باب البلاغة ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ الجملة نعت ثانٍ لشرر، وكأن واسمها، وجمالة خبرها، وصفر نعت لجمالة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقدم إعرابها.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ التنكير، فقد نكرهما ـ مع أنها تكفت الأحياء والأموات جميعاً ـ للتفخيم، كأنه قيل: أحياء لا يعدّون، وأمواتاً لا يحصون، على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات.

(٢) ونكر رواسي شامخات، وماء فراتاً لإفادة التبعيض؛ لأن في السماء

جبالاً، قال الله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ وفيها ماء فرات كثير، بل هي منبعه، ومصبّه.

(٣) وفي قوله: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ فن طريفٌ من فنون البلاغة، أطلق عليه الأقدمون اسم «العنوان» وقد تقدمت الإشارة إليه في هذا الكتاب، وأنه عبارة عن أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف، أو فخر، أو مدح، أو عتاب، أو هجاء، أو غير ذلك من الفنون، ثم يأتي بقصد تكميله بأمثلة من ألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة، وقصص سالفة، ومن نوع عظيم جداً، وهو: ما يكون عنواناً للعلوم، وذلك أن تذكر في الكلام ألفاظاً تكون بمثابة مفاتيح لعلوم، ومداخل لها، وهذه الآية التي نحن بصددها من أصدق الدلائل على ذلك؛ فإن قوله: ﴿ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴾ عنوان للعلم المنسوب إلى إقليدس، وهو فيلسوف يوناني وضع كتاباً في علم الهيئة والهندسة والحاسب، ونقله إلى العربية الحجاج بن يوسف الكوفي، وعلم الهندسة في الإسكندرية على أيام بطليموس، ووضع مبادىء علم الهندسة السطحية، وله كتاب الأصول أيضاً شرحه ناصر الدين الطوسي وتوفي سنة (٢٨٣) فإن الشكل المثلث أول الأشكال، وهو أصلها، ومنه تتركب بقية الأشكال، وهو شكل إذا نصب في الشمس كيفما نصب على أي ضلع كان من أضلاعه، لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه، فأمر الله سبحانه هؤلاء الجهنميين بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكماً بهم، وسخرية منهم.

(٤) التشبيه، فقد شبّه سبحانه الشرر بالقصر في عظمه وكبره، وشبّهه ثانياً بالجمالة الصفر في الهيئة، واللون، والكثرة، والتتابع، وسرعة الحركة، وننقل هنا فصلاً طريفاً للزمخشري، ثم نعقب عليه بإيجاز، قال في الكشاف: شبّهت بالقصور، ثم بالجمال لبيان التشبيه، ألا تراهم يشبّهون الإبل بالأفدان، والمجادل. أي: القصور، جمع فدن، ومجدل، وكلاهما بمعنى القصر كما في الصحاح، ثم قال: وقرىء جمالات بالضم، وهي

قلوس الجسور، وقيل: قلوس: سفن البحر، الواحدة: جمالة. والقلوس: جمع قلس، وهو حبل ضخم من قلوس السفن، ثم قال: وقيل: صفر لإرادة الجنس، وقيل: صفر سود تضرب إلى الصفرة، وفي شعر عمران بن حطّان الخارجي:

دَعَـتْـهُمْ بأعلى صَوْتِها وَرَمَتْـهُمْ بِمِثْلِ الجِمَالِ الصُّفْرِ نَزَّاعةُ الشَّوَى

وقال أبو العلاء:

حَمْرَاءُ ساطِعَةُ الذَّوائِبِ في الدُّجَى تَـرْمِـي بكـلِّ شَـرَارةٍ كَطِـرَافِ

فشبّهها بالطراف، وهو: بيت الأدم، في العظم والحمرة، وكأنه قصد بخبثه: أن يزيد على تشبيه القرآن، ولتبجحه بما سُوّل له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله: «حمراء» توطئة لها، ومناداة عليها، وتنبيهاً للسامعين على مكانها، ولقد عمي ـ جمع الله له عمى الدارين ـ عن قوله عزّ وجل: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ فإنه بمنزلة قوله: كبيت أحمر، على أن في التشبيه بالقصر ـ وهو الحصن ـ تشبيهاً من جهتين: من جهة العظم، ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات، وهي القلوس، تشبيه من ثلاث جهات من جهة: العظم، والطول، والصفرة، فأبعد الله إغرابه في طرافه، وما نفخ به شدقيه من استطرافه.

وذكر صاحب «نسمة السحر» عن الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ أنه ذكر بيت أبي العلاء في صفة نار القرى من القصيدة الفائية؛ التي رثى بها النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي والمرتضى وهو:

حَمْرَاءُ ساطِعَةُ الذَّوائِبِ في الدُّجَى تَـرْمِـي بكـلِّ شَـرَارةٍ كَطِـرَافِ

وحمي عليه، وقال: إنه أراد، وقصد الزيادة على تشبيه القرآن العظيم بالقصر، قال: ولا أدري من أين له أنه قصد الزيادة على تشبيه القرآن، فمن المعلوم أن القصر أعظم من الطراف، وهي خيمة من الأدم الأحمر يتخذها

الأتراك البادون، ومياسير العرب، ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيراً.

أقول: والزمخشري ـ رحمه الله ـ يتحكّك بأبي العلاء في مواطن كثيرة وهو ـ كما نرى في نقده لبيت المعرّي الجميل ـ ظاهر التجانف والميل، وقد تعودنا من الزمخشري أن يعرض لخصوم المعتزلة، وليس أبو العلاء منهم، ولكن الزمخشري كان رجلاً أديباً، قرأ رسائل المعرّي، ووطن لموقفه من النحاة، فحمله كرهه على التحرّش به.

وهذه الخصومة النحوية قد جنت على أبي العلاء؛ فإن النحاة أهملوا شعره، وندر جداً أن تعرضوا له بشرح، أو استشهاد، أو نقد، وقد عنوا بشعر أبي تمام، والمتنبي؛ لما فيهما من تصرّف في اللغة، وفي الأساليب النحوية، وقد كان في شعر أبي العلاء ما يغريهم بدرسه، ولكنهم أعرضوا عنه، وقد مرّ في هذا الكتاب نقد أبي العلاء للنحاة، فجدّد به عهداً.

فأما تشبيه الإبل بالأفدان، وهي القصور، فكثير جداً في شعرهم، قال عنترة:

فَوَقَفْتُ فيها نَاقَتِي فكأنَّها فَدَنٌ لأَقْضِي حاجةَ المُتَلَوِّمِ

المعرّي استهواه وصف الإبل، فحاول اقتفاء آثارهم، ولكنه أغرب في ذلك إغراباً شديداً، كقوله من قصيدة له في «سقط الزند» يخاطب بها خازن دار العلم ببغداد:

وحرفٍ كدالٍ تحت ميمٍ ولم يكنْ براءٍ يؤمّ الرّسم غيره النّقط

فالحرف: الناقة، والدال تشبيه لها، والميم: الراكب المنحني من جهة التشبيه، لا من جهة التفسير اللغوي، والرائي: ضارب الرئة، من: رآه؛ إذا أصاب رئته، والرسم: أثر الديار، والنقط: المطر، وإنما استطردنا إلى هذا لنعرض لإغراب المعري؛ الذي لم يَعْدُ الزمخشري الحقيقة في نقده.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾
هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾
كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا
يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان الحالة في ذلك اليوم، وهذا مبتدأ، ويوم خبره، وجملة لا ينطقون في محل جر بإضافة الظرف إليها، وقرىء بفتح الميم، وهو نصب على الظرف، وهو متعلق بمحذوف خبر هذا، والواو حرف عطف، ولا نافية، ويؤذن فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هو، ولهم متعلقان بيؤذن، والفاء حرف عطف، ويعتذرون فعل مضارع معطوف على يؤذن منتظم في سلك النفي من غير تسبب عنه، ولهذا لم ينصب؛ لأنه لو نصب لكان مسبباً عنه لا محالة، وعبارة السمين: وفي رفع فيعتذرون وجهان:

أحدهما: أنه مستأنف، أي: فهم يعتذرون، قال أبو البقاء: ويكون المعنى: أنهم لا ينطقون نطقاً ينفعهم، أو ينطقون في بعض المواقف، ولا ينطقون في بعضها.

والثاني: أنه معطوف على يؤذن، فيكون منفياً، ولو نصب لكان مسبباً عنه.

وقال البيضاوي: عطف يعتذرون على يؤذن؛ ليدل على نفي الإذن، والاعتذار عقبه مطلقاً، ولو جعله جواباً لدلّ على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن، وأوهم ذلك أن لهم عذراً؛ لكن لم يؤذن لهم فيه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقدم إعرابها ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: ويقال لهم هذا، وهذا مبتدأ، ويوم الفصل خبره، وجملة جمعناكم مفسِّرة موضِّحة؛ لقوله ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء، وبين الأنبياء وأُممهم، فلابدّ من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم، والواو عاطفة، أو للمعية، والأولين معطوف على الكاف، أو مفعول معه ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وكان فعل ماضٍ ناقص، ولكم خبرها المقدم، وكيد اسمها المؤخر، والفاء رابطة لجواب الشرطية؛ لأنه جملة طلبية، وكيدون فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقدم إعرابها ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر أحوال المؤمنين على سبيل الإيجاز بعد أن ذكر أحوال الكفّار على سبيل الإطناب؛ ليتم التعادل بين هذه السورة، والسورة التي قبلها، وهي: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ فقد ذكر في تلك السورة أحوال الكفار على سبيل الإيجاز، وأطنب في ذكر أحوال المؤمنين، وإن واسمها، وفي ظلال خبرها، وعيون عطف على ظلال ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ عطف على ظلال، وعيون، ومما نعت لفواكه، وجملة يشتهون لا محل لها؛ لأنها صلة ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجملة مقول قول محذوف، وهذا المقول في محل نصب على الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال، أي: هم مستقرون في ظلال مقولاً لهم ذلك، وهنيئاً تقدم إعرابها كثيراً، أي: حال، أي: متهنئين، وبما متعلقان بهنيئاً، والباء سببية، وما موصولة، وجملة كنتم صلة، وكان واسمها، وجملة تعملون خبرها ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل للأمر بالأكل والشرب، أي: إن ذلك ديدننا، ودأبنا نكافىء المحسن على إحسانه، كما نجزي المسيء على مساءته، وإن واسمها، وكذلك نعت مقدّم لمصدر محذوف، وجملة نجزي خبر إنّا، والمحسنين مفعول به ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقدم إعرابها ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ الجملة مقول قول محذوف، وهذا

المحذوف في محل نصب على الحال من المكذبين، أي: الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم: كلوا، وتمتعوا، وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون، وتمتعوا عطف عليه، وقليلاً منصوب على الظرف الزمانية، والتي لا تلبث أن تنتهي بموتكم، ودثوركم، وهو على كل حال، ومهما امتد، وأنسىء فيه قليل زائل، ووشيك مسرع، إذا ما قيس إلى مدد الآخرة، وأيامها الطويلة، وجملة إنكم مجرمون تعليل للتهديد المفهوم من الأمر بالأكل والتمتع بظل زائل، ولون حائل، وسراب غرار، وإن واسمها، ومجرمون خبرها. وعبارة الكشاف: فإن قلت: كيف يصحّ أن يقال لهم ذلك في الآخرة؟ قلت: يقال لهم ذلك في الآخرة؛ إيذاناً بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم، وكانوا من أهله تذكيراً بحالتهم السمجة، وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم، والملك الخالد، وفي طريقته قوله:

إخْـوَتِـي لا تَبْعَـدُوا أبـداً وبَلَـى واللهِ قَـدْ بَعِـدُوا

يريد: كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك، وعلّل ذلك بكونهم مجرمين، دلالة على أن كل مجرم ما له إلا الأكل والتمتع أياماً قلائل، ثم البقاء في الهلاك أبداً، ويجوز أن يكون كلوا، وتمتعوا كلاماً مستأنفاً خطاباً للمكذبين في الدنيا. أي: فيكون راجعاً إلى ما قبل قوله: إن المتقين، وإلى هذا ذهب الجلال، وأيده القرطبي، وأبو حيان ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقدم إعرابها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ الواو عاطفة، متصلة بقوله للمكذبين، كأنه قيل: ويل للذين كذبوا، والذين إذا قيل لهم: اركعوا، أو بقوله: إنكم مجرمون، على طريق الالتفات كأنه قيل: هم أحرياء بأن يقال لهم كلوا، وتمتعوا، ثم بكونهم مجرمين، وبكونهم إذا قيل لهم صلّوا لا يصلّون. وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولهم متعلقان بقيل، وجملة اركعوا مقول القول، وجملة لا يركعون لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقدم إعرابها ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن لم يؤمنوا بالقرآن، فيؤمنون بأي شيء؟ وبأي متعلقان بيؤمنون، وحديث مضاف إليه، وبعده ظرف متعلق بمحذوف نعت لحديث، ويؤمنون فعل مضارع مرفوع.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ مجاز مرسل، علاقته المحلية، وهي الجنة؛ لأن الظلال تمتد، والعيون تجري، والفواكه تنضج فيها.

(٢) وفي قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ مجاز مرسل أيضاً علاقته البعضية؛ لأنه سمّى الصلاة باسم جزء من أجزائها، وهو الركوع، وإنما خصّ الركوع بالذكر مع أن الصلاة تشتمل على أفعال كثيرة؛ لأن العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود، قال مقاتل: نزلت في ثقيف قالوا لرسول الله ﷺ حطّ عنّا الصلاة، فإنّا لا ننحني إنها مسبّة فأبى، وقال: لا خير في دين لا صلاة فيه، وفي رواية: لا ركوع فيه ولا سجود.

* الفوائد:

قال النحاة: في نحو: ما تأتينا فتحدّثنا، يجوز في الثاني النصب والرفع، فالنصب من وجهين يجمعهما: أن الثاني مخالف للأول فأحد المعنيين ما تأتينا محدّثاً، والوجه الآخر ما تأتينا، فكيف تحدّثنا، وأما الرفع فعلى وجهين: أحدهما: أن يكون الفعل شريكاً للأول داخلاً معه في النفي، كأنك قلت: ما تأتينا وما تحدّثنا، فهما جملتان منفيتان، والوجه الثاني: أن يكون معنى ما تأتينا، فتحدّثنا، أي: ما تأتينا، فأنت تحدّثنا، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أي: فلا يعتذرون، ومنه قول جميل ابن معمر العذري:

ألم تسألِ الرَّبْعَ القواءَ فَيَنْطِقُ   وهل يخْبِرَنْكَ اليومَ بَيْداء سَمْلَقُ؟

فقد قطع ينطق مما بعده ورفعه على الاستئناف، أي: فهو ينطق على كل حال قال سيبويه: لم يجعل الأول سبب الآخر، ولكنه جعله ينطق على كل حال.

* * *

سورة النبإ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾
لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم، وفي المختار: السبات: النوم، وأصله: الراحة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ وبابه: نصر. وفي المصباح: والسُّبات ـ بالضم ـ كغُراب: النوم الثقيل، وأصله: الراحة، يقال منه: سبت، يسبت، من باب: قتل، وسُبِت ـ بالبناء للمفعول ـ: غشي عليه، وأيضاً: مات. وعبارة الزمخشري: سباتاً: موتاً، والمسبوت:

الميت، من: السبت، وهو القطع؛ لأنه مقطوع عن الحركة، والنوم أحد التوفيين، وهو على بناء الأدواء. أما أبو حيان فقال: والسبات: علّة معروفة يفرط على الإنسان السكوت حتى يصير قتيلاً.

﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ المعصر، قال الفراء: السحاب الذي يجلب المطر، ولما يجتمع، مثل الجارية المعصر، قد كادت تحيض، ولما تحض، وقال نحوه ابن قتيبة، وقال أبو النجم العجلي:

تمشي الهُوَيْنى مائِلاً خمارُها قد أعصرتْ أو قد دنا إعصارُها

وقال عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجني دون من كنت أتَّقي ثلاث شُخوصٍ كاعبان ومِعْصَر

﴿ثَجَّاجًا﴾ الثج: الانصباب بكثرة وشدة، وفي الحديث: «أحبُّ العمل إلى الله العج والثج» فالعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة دماء الهدي، ويقال: ثج الماء بنفسه، أي: انصبّ، وثججته أنا، أي: صببته، ثجاً، وثجوجاً، فيكون لازماً، ومتعدياً. وفي المختار: ثج الماء، والدم: سال، وبابه: رد، ومطر ثجاج، أي: منصب جداً، والثج أيضاً: سيلان دماء الهدي، وهو لازم، تقول منه: ثج الدم يثج بالكسر، ثجاً بالفتح، قلت: وقد نقل الأزهري عن أبي عبيدة مثل هذا.

﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة. وفي الأساس: لفّ الثوب وغيره، ولفّ الشيء في ثوبه، ولففه، ولفّ رأسه في ثيابه، والتفّ في ثيابه، وتلفف، والتفّ النبت، وفي الأرض تلافيفُ من عشب، وجناتٍ ألفافاً: ملتفة، وبه لَفَفٌ من الأشجار، قال الطرمّاح:

ولقد عَرَتْني منكَ جَدْوَى أَنْبَتَتْ خَضراً إلى لَفَفٍ من الأشجارِ

ورجل ألَفُّ، وامرأة لفّاء وقد لفّت تلفّ لَفَفاً، وهو: تداني الفخذين من السمن، وهو عيبٌ في الرجل، مدح في المرأة، قال نصر بن سيّار ملك خراسان:

ولو كنتُ القتيلَ وكان حيّاً تشمَّرَ لا ألَفَّ ولا سَؤُومُ

وقال يصف نساء:

عراض القَطا ملتفّة رَبَلاتُها وما اللُّفُّ أفخاذاً بتاركة عَقلا

وقال الزمخشري: ألفافاً: ملتفة، لا واحد له، وقيل: الواحد: لِفّ بكسر اللام. فيكون نحو: سر وأسرار، وقيل: إنه جمع لفيف، قاله الكسائي، ومثله شريف وأشراف، وشهيد وأشهاد.

○ الإعراب:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ عن حرف جر، وما اسم استفهام مجرور بعن، وقد تقدم حذف ألف ما في الاستفهام؛ إذا دخل عليها حرف جر في الأكثر، وقرىء عمّا بإثبات الألف وقد تقدم أنه يجوز ضرورة، أو في قليل من الكلام، وعليه قول حسان بن ثابت:

على ما قام يشتمُني لئيمٌ كخنزيرٍ تمرَّغَ في رَمَاد

والظاهر أن عمّ متعلق بيتساءلون، والاستفهام لتفخيم الشأن، كأنه قال: عن أيّ شيء يتساءلون، ونحوه: كقوله: زيد ما زيد، جعلته لانقطاع نظيره كأنه شيء خفي عليك، فأنت تسأل عن جنسه، وتفحص عن كنهه وجوهره، تقول: ما الغول؟ وما العنقاء؟ تريد: أي: شيء من الأشياء هذا؟ ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام الله تعالى؛ الذي لا تخفى عليه خافية، وعن النبأ العظيم: كلام مستأنف، مسوق لبيان ذلك الشيء فهو متعلق بمحذوف دلّ عليه يتساءلون وليس صلة ليتساءلون؛ لأن عم صلة، أي: يتساءلون عن النبأ العظيم، فهو عطف بيان نحوي، والذي صفة ثانية للنبأ، وهم مبتدأ، وفيه متعلقان بمختلفون، ومختلفون خبر هم، والجملة صلة الذي ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع ووعيد للمتسائلين هزؤاً، وفيه معنى الوعيد والتهديد، فالردع بكلمة كلا، والوعيد بكلمة سيعلمون ومفعول سيعلمون محذوف تقديره: ما يحلّ بهم، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وكلا سيعلمون تأكيد لفظي للجملة السابقة، ولا يضر توسط حرف العطف، والنحويون يأبون إلا أن يكون عطفاً، وإن أفاد التأكيد،

ويمكن أن يُجاب بأن ثمة تغايراً ملحوظاً، وهو أن الوعيد الثاني أشد من الأول، وبهذا الاعتبار صار مغايراً لما قبله؛ ولذا عطف بثم ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان قدرته سبحانه على البعث، وإيراد الدلائل عليه، وذكر منها تسعة، والوجه فيها: أنه إذا كان قادراً على هذه الأشياء، فهو بحكم البديهة قادر على البعث، والهمزة للاستفهام التقريري، أي: جعلنا الأرض مهاداً، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ونجعل فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، والأرض مفعول به أول، ومهاداً مفعول به ثانٍ؛ لأن الجعل بمعنى التصيير، ويجوز أن يكون بمعنى الخلق، فيكون مهاداً حالاً مقدرة، والجبال أوتاداً عطف على: الأرض مهاداً ﴿وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ عطف على ما تقدم، وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به، وأزواجاً حال، أي: متجانسين، متشابهين ذكوراً وإناثاً ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ عطف أيضاً، وجعلنا فعل ماضٍ وفاعل، ونومكم مفعول جعلنا الأول، وسباتاً مفعول جعلنا الثاني ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ عطف أيضاً، والجملة مماثلة لما قبلها في الإعراب ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ عطف أيضاً، وهي مماثلة لما قبلها أيضاً، ومعاشاً مصدر ميمي بمعنى المعيشة، وقد وقع هنا ظرفاً للزمان، أي: وقت معاش ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ عطف أيضاً، وبنينا فعل ماضٍ وفاعل، وفوقكم ظرف متعلق ببنينا، وسبعاً مفعول به، أي: سبع سموات، وشداداً صفة ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ عطف أيضاً، وسراجاً مفعول جعلنا، ووهاجاً صفة، والجعل هنا بمعنى: الخلق ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ عطف أيضاً، وأنزلنا فعل وفاعل، ومن المعصرات متعلقان بأنزلنا، وماء مفعول به، وثجاجاً صفة ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ اللام لام التعليل، ونخرج فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وهي متعلقة بأنزلنا أيضاً، وبه متعلقان بنخرج، وحباً مفعول نخرج، ونباتاً عطف على حباً ﴿وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا﴾ عطف على حباً، وعلامة نصبه الكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وألفافاً نعت لجنات، أي: بساتين ملتفة.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ تشبيه بليغ، ووجه الشبه الستر لأن كلاً من اللباس، والليل يستر المتلبس به، أي: يستركم عن العيون إذا أردتم النجاة بأنفسكم من عدو يلاحقكم، أو بياتاً له إذا أردتم إنزال الوقيعة به في منأى عن العيون، أو يعينكم على إخفاء ما لا ترغبون في أن يطّلع عليه أحد، وقد رمق أبو الطيب هذه السماء العالية كعادته، فقال:

وكَمْ لِظَلامِ اللَّيلِ عِنْدَكَ من يَدٍ تُخَبِّرُ أنَّ المانويَّةَ تَكْذِبُ
وَقَاكَ رَدَى الأعداءِ تَسْرِي إليهم وزَارَكَ فيه ذُو الدَّلالِ المُحَجَّبُ

والمانوية: نسبة إلى ماني، مؤسّس مذهب المانوية بمبدأين بالوجود: مبدأ الخير، ومبدأ الشر: النور والظلام، دخل ماني في التصوير الفارسي، ونسق التصوير الصيني، ورسم الملائكة والشياطين وتوفي سنة (٢٧٦م) وإيضاح مسألة المانوية أنهم قالوا: تجد في العالم خيراً كثيراً، وشراً كثيراً، والواحد لا يكون خيّراً شريراً، فلكلٍّ من الخير والشر فاعل مستقل، قالوا فاعل الخير هو النور، وفاعل الشر هو الظلمة، فاعتقدوا أنهما جسمان قديمان، حسّاسان، سميعان، بصيران، وكل ذلك ظاهر البطلان.

وقال أبو الطيب أيضاً متشبثاً بأهداب هذه البلاغة العالية:

أزورُهم وسوادُ الليلِ يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصُّبْحِ يغرِ بي

وقال ابن زيدون:

سرّان في خاطرِ الظَّلماءِ يكتمان حتى يكادُ لسانُ الصُّبْحِ يغشينا

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ

مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا
عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا
يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ
ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿سَرَابًا﴾ السراب: ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر، كأن ماء تنعكس فيه البيوت والأشجار وغيرها، ويضرب به المثل في الكذب والخداع، يقال: «هو أخدع من السراب» يعني: أنها تصير شيئاً كلا شيء لتفرّق أجزائها، وانبثاث جواهرها، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾، وسيأتي المزيد من معناه في باب البلاغة.

﴿أَحْقَابًا﴾ جمع حُقب، بضم الحاء، ويجمع أيضاً على أحقب: ثمانون سنة، أو أكثر، والدهر، والسنة، أو السنون، وسيأتي مزيد من المراد به في باب الإعراب.

﴿بَرْدًا﴾ البرد هو: مسّ الهواء القرّ، أي: لا يمسّهم منه ما يستلذ، أو ينفس حرّ النهار عنهم، وقال أبو عبيدة، والكسائي، والفضل بن خالد، ومعاذ النحوي: البرد ـ هنا ـ: النوم، والعرب تسمّيه بذلك؛ لأنه يبرد سورة العطش، ومن كلامهم: منع البرد البرد، وقال الشاعر:

فلو شِئتُ حَرَّمْتُ النساءَ سِواكُمُ   وإن شِئتُ لم أُطعمْ نَقاخاً ولا بَرْدَا

النقاخ: الماء البارد، والبرد: النوم، وفي كتاب «اللغات في القرآن»: أن البرد هو النوم بلغة هذيل، وقد أوردت المعاجم اللغوية البرد بمعنى: النوم، ولكن وروده بهذا المعنى في الآية تكلّف، والصواب ما قاله الجمهور من: أن البرد، هو: الشراب البارد، وهو مناسب لكلمة الذوق، ومنه قوله:

أماني من سعدى حِسان كأنَّما سَقَتْكَ بها سعدى على ظمأ بردا
مُنىً إن تكن حقّاً تكنْ أحسنَ المنى وإلاّ فقد عِشْنا بها زمناً رَغْدا

والذوق على هذا حقيقة، لا مجاز.

﴿وَغَسَّاقًا﴾ قرىء بالتخفيف والتشديد، وقد تقدم ذكره، وأنه: ما يسيل من صديد أهل النار.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ كلام مستأنف، مسوق للرد على سؤال قد يرد بعد أن أثبت الله البعث بالأدلة المتقدمة، وهو: ما وقت البعث؟ فقال: إن يوم... إلخ، وإنّ واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر، تقديره: هو، وميقاتاً خبرها ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يوم بدل من يوم الفصل، وأجاز أبو البقاء أن يكون بدلاً من ميقاتاً، أو منصوب بفعل محذوف، تقديره: أعني، وجملة ينفخ في محل جر بإضافة الظرف إليها، وينفخ فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: هو، يعود على إسرافيل الذي ينفخ في الصور، فتأتون عطف على ينفخ، وأفواجاً حال من الواو ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ عطف على: فتأتون، وإنما عدل عن المضي إلى المضارع لتحقق الوقوع، وقيل: الواو حالية، والجملة في محل نصب على الحال، أي: فتأتون، والحال أن السماء قد فتحت، والسماء نائب فاعل، فكانت عطف على فتحت، واسم كان مستتر، تقديره: هي، وأبواباً خبرها، وقرىء فتحت بالتشديد ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عطف أيضاً، وسيّرت فعل ماضٍ مبني للمجهول، والجبال نائب

فاعل، فكانت عطف على سيّرت، وسراباً خبر كانت ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في وصف أهوال جهنم بعد أن فرغ من وصف الأحوال العامة ليوم القيامة، وإن واسمها، وجملة كانت خبرها، واسم كانت مستتر، تقديره: هي، أي: جهنم، ومرصاداً خبر كانت، أي: راصدة للمعذبين فيها مترقبة لهم، أو مرصدة بمعنى معدّة لهم، فهي إما من: رصد الثلاثي، بمعنى: ترقب، وإما من أرصد الرباعي، أي: أعدّ، والمرصاد في معاجم اللغة: الطريق، والممر، وعبارة الزمخشري: المرصاد: الحدّ الذي يكون فيه الرصد. ﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ للطاغين متعلقان بمرصاداً، ومآباً خبر ثانٍ لكانت، أي: مثابة لهم، ومرجعاً يثوبون، ويرجعون إليها، ويجوز تعلق للطاغين بمرصاداً ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ لابثين حال مقدّرة من الضمير المستكن في للطاغين، وأحقاباً ظرف متعلق بلابثين، فإن قيل: إن الأحقاب مهما امتدت، وتراخى بها الزمن، فهي متناهية على كل حال، وعذاب الكفّار غير متناهٍ، قيل: في الجواب عن هذا السؤال وجوه؛ منها:

١ ـ ما روي عن الحسن قال: إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: لابثين فيها أحقاباً، فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل حقب إلى الأبد، وليس للأحقاب مدة إلا الخلود.

٢ ـ إن لفظ الأحقاب لا يدل على نهاية، والحقب الواحد متناهٍ، والمعنى: أنهم يلبثون فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً، فالتوقيت لأنواع العذاب، لا توقيت للّبث والمكوث.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ جملة لا يذوقون حال من الضمير في لابثين، أي: لابثين غير ذائقين، فهي حال متداخلة، أو صفة لأحقاباً، وقيل: مستأنفة، ولا نافية، ويذوقون فعل مضارع مرفوع، وفيها متعلقان بيذوقون، وبرداً مفعول به، والواو حرف عطف، ولا نافية، وشراباً عطف على برداً ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ إلا أداة حصر، وحميماً بدل من شراباً؛ لأن

الكلام غير موجب، وغساقاً عطف عليه، وهذا أسهل مما سلكه المفسرون، فقد قال بعضهم أنه استثناء منقطع، وعليه جرى في الكشاف، قال: لا يذوقون فيها برداً ينفّس عنهم حرّ النار، ولا شراباً يسكن عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميماً. وتبعه الجلال، وقال أبو حيان: الظاهر أنه متصل من قوله ولا شراباً. ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ جزاء مصدر منصوب بفعل محذوف، أي: جوّزوا بذلك جزاءً، ووفاقاً نعت لجزاء، فتكون الجملة مستأنفة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ الجملة تعليل لقوله: جزاء، وإن واسمها، وجملة كانوا خبر إنهم، وكان واسمها، وجملة لا يرجون خبرها، وحساباً مفعول يرجون، أي: محاسبة ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ الواو عاطفة، وكذبوا فعل وفاعل، وبآياتنا متعلقان بكذبوا، وكذاباً مفعول مطلق، أي: تكذيباً، وفِعّال في باب فعّل كله فاشٍ في كلام فصحاء العرب، لا يكادون يقولون غيره، قال الزمخشري: وسمعني بعضهم أُفسّر آية، فقال: لقد فسّرتها فساراً ما سمع بمثله، وقرىء بالتخفيف، وهو مصدر كذب، بدليل قوله:

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمرءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾ الواو عاطفة، وكل شيء منصوب على الاشتغال، أي: وأحصينا كل شيء أحصيناه، وهذه الجملة معترضة بين السبب ومسبّبه، فإن قوله الآتي: فذوقوا: مسبّب عن تكذيبهم، وفائدة الاعتراض: تقدير ما ادّعاه من قوله: جزاء وفاقاً، وجملة أحصيناه مفسِّرة، لا محل لها، وأحصيناه فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به، وكتاباً يجوز أن يكون مصدراً من معنى أحصيناه، أي: إحصاء، وأحصيناه بمعنى: كتبنا لالتقاء الإحصاء، والكتبة في معنى: الضبط، والتحصيل، أو يكون مصدر لأحصينا، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى مكتوباً ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ الفاء تعليلية؛ لأنه ـ كما قلنا ـ مسبّب عن كفرهم بالحساب، وتكذيبهم بالآيات، وذوقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، ومعنى

الأمر: الإهانة، والتحقير، والفاء عاطفة، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ونزيدكم فعل مضارع منصوب بلن، والكاف مفعول به أول، وإلا أداة حصر، وعذاباً مفعول به ثانٍ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان أحوال أهل الجنة، وللمتقين خبر إن المقدم، ومفازاً اسم إن المؤخر، والمفاز مصدر ميمي، أو اسم مكان لموضع الفوز، وفي المختار: الفوز: النجاة، والظفر بالخير، وهو الهلاك أيضاً، وبابهما: قال. وعلى هذا فإطلاق المفازة على الفلاة الخالية من الماء حقيقي؛ لأنها مهلكة؛ لأن من معاني الفوز الهلاك كما رأيت، وفي القاموس: الفوز: النجاة، والظفر بالخير، والهلاك ضد، فاز: مات، وبه: ظفر، ومنه: نجا. ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ حدائق، جمع: حديقة، وهي القطعة المستديرة من الأرض ذات النخل والماء، وهي بدل بعض من كل من مفازاً، وأعناباً وما بعده عطف على حدائق، ولا معنى لعطفها على مفازاً بحجة أنها ذكرت بعد الحدائق تنويهاً بشأنها، فذلك بعيد عن سهولة القرآن، وعدم تعسّف الكلام فيه ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ الجملة حال من المتقين، ولا نافية، ويسمعون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وفيها متعلقان بيسمعون، ولغواً مفعول به، ولا كذاباً عطف على لغواً ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ جزاء مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: جزاهم الله بذلك جزاء، ومن ربك نعت لجزاء، وعطاء بدل من جزاء، وفي هذا البدل سرّ لطيف، وهو: الإلماع إلى أن ذلك تفضّل وعطاء وجزاء مبني على الاستحقاق، وأعربه الزمخشري منصوباً بجزاء نصب المفعول به، أي: جزاهم عطاءً، وحساباً نعت لعطاء، والمعنى كافياً، فهو مصدر أُقيم مقام الوصف، أو باقٍ على مصدريته مبالغة ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ رب بالجر على أنه بدل من ربك، وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو رب، وما عطف على السموات والأرض، وبينهما ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ما، والرحمن بدل، أو نعت لرب أيضاً، وجملة لا يملكون، مستأنفة، ومنه متعلقان بيملكون، وخطاباً مفعول، وقرىء

برفع الرحمن، فيكون مبتدأ، وجملة لا يملكون خبره ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ يوم ظرف متعلق بلا يملكون، أو بلا يتكلمون، وجملة يقوم الروح، والملائكة في محل جر بإضافة الظرف إليها، وصفاً حال، أي: مصطفّين، وجملة لا يتكلمون تأكيد لقوله لا يملكون، أو مستأنفة، وإلا أداة حصر، ومن بدل من الواو في يتكلمون، أو نصب على الاستثناء؛ لأن الكلام غير موجب، وجملة أذن صلة من، وله متعلقان بأذن، والرحمن فاعل، وقال فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، تقديره: هو، وصواباً صلة لمصدر محذوف، أي: قولاً صواباً ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ ذلك مبتدأ، واليوم بدل، والحق خبر ذلك، ولك أن تجعل اليوم خبراً، والحق نعتاً للخبر، فمن الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط محذوف، كأنه قيل: وإذا كان الأمر بهذه المثابة، وكما ذكر من تحقق اليوم المذكور فمن، ومن شرطية مبتدأ، وشاء فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، ومفعول المشيئة محذوف، واتخذ فعل ماضٍ في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط، وجوابه خبر من، وإلى ربه متعلقان بمآباً، ومآباً مفعول اتخذ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ إن واسمها، وجملة أنذرناكم خبرها، وأنذرناكم فعل وفاعل ومفعول به أول، وعذاباً مفعول به ثانٍ، وقريباً نعت ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ يوم ظرف متعلق بعذاباً، وجملة ينظر المرء في محل جر بإضافة الظرف إليها، وما مفعول به، وجملة قدّمت يداه صلة ما، ويقول الكافر عطف على ينظر المرء، ولك أن تجعلها مستأنفة، أو حالية، ويا حرف تنبيه، أو المنادى محذوف، وليتني: ليت واسمها، وجملة كنت خبرها، وتراباً خبر كنت.

□ البلاغـة:

التشبيه كثير في هذه السورة، ونشير هنا إلى قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ وهو تشبيه بليغ، حذفت منه الأداة، وحذف وجه الشبه أيضاً، وهو:

أن المرئي خلاف الواقع، فكما يرى السراب من بعيد للظامىء الملتاح كأنه ماء، فيستبشر به، ويخفّ إليه، حتى إذا أدركه بعد طول الأين لم يجده شيئاً، وكذلك ترى الجبال كأنها جبال، وليست كذلك في نفس الأمر.

* * *

سورة النازعات

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ
سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم
بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ في المختار: الرجفة: الزلزلة، وقد رجفت الأرض، من باب: نصر. وسيأتي مزيد من معناها في باب البلاغة.

﴿ ٱلرَّادِفَةُ ﴾ التابعة، وفي القاموس: ردفه كسمعه، ونصره: تبعه، كأردفه.

﴿ ٱلْحَافِرَةِ ﴾ الحالة الأولى يعنون: الحياة بعد الموت، قال الزمخشري:

فإن قلت: ما حقيقة هذه الكلمة؟ قلت: يقال: رجع فلان في حافرته، أي: في طريقه التي جاء فيها، فحفرها، أي: أثر بمشيه فيها، جعل أثر قدميه حفراً، كما قيل: حفرت أسنانه حفراً؛ إذا أثر الأكال في أسناخها، والخط المحفور في الصخر، وقيل: حافرة، كما قيل: عيشة راضية، أي: منسوبة إلى الحفر، والرضا، أو كقولهم: نهارك صائم، ثم قيل: لمن كان في أمر فخرج منه، ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته، أي: إلى طريقته، وحالته الأولى، قال:

أحافِرةٌ على صَلَعٍ وشَيْبٍ مَعَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ

أنشده ابن الأعرابي، والهمزة للإنكار، والحافرة في الأصل: الطريق المحفور بالسير، فتسميته حافرة مجاز عقلي، أو على معنى النسب، أي: ذات حفر، ثم استعملت في كل حال كنت فيه، ثم رجعت إليه، وهي نصب بمحذوف، أي: أأرجع حافرة، أي: في طريقتي الأولى من الشباب والصبا، أو على نزع الخافض، أي: أأرجع إليها، والصلع: انحسار شعر الجبهة، ويغلب في الهرم.

﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ الأرض البيضاء المستوية، سمِّيت بذلك لأن السراب يجري فيها، من قولهم: عين ساهرة: جارية الماء، وفي ضدها: نائمة، قال الأشعث بن قيس:

وسَاهِرةٍ يُضْحِي السَّرابُ مُجَلّلاً لأَقْطَارِها قد جُبْتُها مُتَلَثِّما

○ الإعراب:

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ الواو واو القسم، أقسم تعالى بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، وجواب القسم بهذه الأمور التي أقسم الله بها محذوف، أي: والنازعات وكذا وكذا لتبعثنّ، وغرقاً يجوز فيه أن يكون مصدراً على حذف الزوائد، بمعنى: إغراقاً، وانتصابه بما قبله لملاقاته له في المعنى، أو بفعل محذوف، وإما على الحال، أي: ذوات إغراق،

وعبارة أبي البقاء: غرقاً مصدر على المعنى؛ لأن النازع هو المغرق في نزع السهم، أو: في جذب الروح، وهو مصدر محذوف الزيادة، أي: إغراقاً. وعبارة الزمخشري: أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد. إلى أن يقول: غرقاً: إغراقاً في النزع، أي: تنزعها من أقاصي الأجساد. وقيل: النازعات: الخيل، أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعاً، تغرق فيه الأعنّة لطول أعناقها؛ لأنها عراب، والناشطات نشطاً: عطف على: والنازعات غرقاً، وكذلك قوله: والسابحات سبحاً. وفي المختار: السِّباحة بالكسر: العوم، وقد سبح يسبَح بالفتح، والسبح: الفراغ، والسبح أيضاً: التصرّف في المعاش، وبابه: قطع، وقتل. فالسابقات سبقاً عطف على ما تقدم، وكذلك: فالمدبرات أمراً، والفاء فيهما للدلالة على ترتبهما بغير مهلة، وأمراً مفعول به بالمدبرات، وجواب هذه الأقسام محذوف كما تقدم ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ يوم ظرف زمان متعلق بالجواب المحذوف، ولك أن تعلّقه بما دلّ عليه قوله الآتي: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: يوم ترجف وجفت القلوب، وجملة ترجف الراجفة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ الجملة في محل نصب حال من الراجفة، أي: ترجف تابعة لها الرادفة، والرادفة فاعل تتبعها ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ قلوب مبتدأ، وسوّغ الابتداء بالنكرة أنه موصوف، ويومئذ ظرف أُضيف إلى مثله متعلق بواجفة، وواجفة صفة لقلوب، وأبصارها مبتدأ، وخاشعة خبر أبصارها، والجملة الاسمية خبر قلوب، وأُضيفت الأبصار إلى القلوب على حذف مضاف، أي: أبصار أصحابها ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ الجملة خبر لمبتدأ مضمر، أي: هم يقولون، ويقولون فعل مضارع مرفوع، وفاعل، والهمزة للاستفهام الإنكاري؛ لأنهم أنكروا الرد، ونفوه، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومردودون خبر إنّا، وفي الحافرة متعلقان بمردودون، وفي بمعنى إلى، أي: إلى الحافرة، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال، وتكون «في» باقية على معناها، ويكون معنى الحافرة: الأرض التي قبورهم فيها،

والمعنى: أئنا لمردودون، ونحن في الحافرة، وفيما يلي عبارة الراغب عن الحافرة: وقوله في الحافرة مثل لمن يردّ من حيث جاء، أي: أنردّ إلى الحياة بعد أن نموت؟! وقيل: الحافرة: الأرض التي قبورهم فيها، ومعناه: أئنا لمردودون ونحن في الحافرة؟ أي: في القبور، وقوله «في الحافرة» على هذا في موضع الحال، وقيل: رجع فلان على حافرته، ورجع الشيخ إلى حافرته، أي: هرم، كقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ والحافرة: قيل: فاعلة بمعنى مفعولة، وقيل: على النسب، أي: ذات حفر، والمراد: الأرض، والمعنى: ائنا لمردودون في قبورنا أحياء، وقيل: الحافرة جمع: حافر، بمعنى القدم، أي: أنمشي أحياء على أقدامنا، ونطأ بها الأرض. ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ الاستفهام تأكيد لمضمون إنكار الرد، ونفيه بنسبته إلى حال منافية له، وإذا ظرف مستقبل، والعامل فيه يدل عليه مردودون، أي: أئذا كنّا عظاماً بالية نردّ ونبعث مع كوننا أبعد شيء عن الحياة؟ ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لحكاية كفر آخر متفرع على كفرهم السابق، وتلك مبتدأ، والإشارة إلى الرجعة، والردّة في الحافرة، وإذا حرف جواب وجزاء لا عمل لها، جيء بها لإفادة تأكيد الرجعة الخاسرة، وكرة خبر تلك، وخاسرة نعت لكرة ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ الفاء متعلقة بمحذوف، معناه: لا تستصعبوها، فإنما هي زجرة واحدة بمعنى: لا تحسبوا الكرة صعبة على الله تعالى؛ فإنما هي سهلة هينة بقدرته تعالى. وإنما كافّة ومكفوفة، وهي مبتدأ، وزجرة خبر، وواحدة نعت لزجرة، أي: نفخة واحدة، وسمِّيت النفخة زجرة؛ لأنه يفهم منها النهي عن المنع، والتخلّف عنه ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدّر، أي: فإذا نفخت، وإذا فجائية، وقد تقدم القول فيها، وهم مبتدأ، وبالساهرة خبر.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ مجاز إسنادي، فقد جعل سبب

الرجف راجفاً، وفي القرطبي: وأصل الرجفة: الحركة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ وليست الرجفة ها هنا من الحركة فقط، بل من قولهم: رجف الرعد، يرجف، رجفاً، ورجيفاً، أي: أظهر الصوت، والحركة، ومنه سمِّيت الأراجيف؛ لاضطراب الأصوات بها، وإفاضة الناس إليها.

(٢) وفي قوله: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ مجاز إسنادي، فقد أسند الخسار للكرة، والمراد: أصحابها، والمعنى: إن كان رجوعنا إلى القيامة حقاً، فتلك الرجعة رجعة خاسرة.

(٣) وكذلك في قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ أسند السهر إلى الأرض البيضاء مجازاً، كما أسندوا إليها النوم في ضدها، قال الأشعث بن قيس:

وساهرةٍ يُضْحِي السَّرابُ مُجَلّلاً ... لأَقْطارها قد جُبْتُها مُتَلَثِّما

والساهرة: الأرض البيضاء؛ لأن السراب يجري فيها، ووصفت بالسهر لأن السائر فيها ساهر لا ينام خوف الهلكة، فهو مجاز عقلي، ومجللاً خبر يضحي، أي: ساتراً لأقطارها وجوانبها، يقول: رب مفازة يسترها النهار بسراب يشبه حبل الفرس، قد أتيتها لابساً اللثام خوف الحر، والريح.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ
ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

○ الإعراب:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسلية رسول الله ﷺ على تكذيب قومه له، وهل بمعنى قد، وقيل: هي للاستفهام التقريري، والمعنى: أليس قد أتاك حديث موسى، وأتاك فعل ماضٍ، ومفعول به، وحديث موسى فاعل ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ إذ ظرف لما مضى من

الزمن متعلق بحديث موسى، لا بأتاك، كما يتوهم لاختلاف وقتيهما، وجملة ناداه في محل جر بإضافة الظرف إليها، وناداه فعل ماضٍ ومفعول به، وربه فاعل، وبالواد متعلقان بناداه، وحذفت ياء الوادي إتباعاً لرسم المصحف، والمقدس صفة للوادي، وطوى بدل، وقد تقدم الكلام فيه مطوّلاً، وقد قرىء بالتنوين وتركه، قال الجوهري: وطوى: اسم موضع بالشام تكسر طاؤه وتضم، ويصرف، ولا يصرف، فمن صرفه: جعله اسم واد، ومكان، وجعله نكرة، ومن لم يصرفه: جعله بلدة، وبقعة، وجعله معرفة. ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ الجملة مقول قول محذوف، تقديره: فقال اذهب، ويجوز أن تكون جملة مفسِّرة للنداء، وإلى فرعون متعلقان باذهب، وإنْ واسمها، وجملة طغى خبرها، وجملة إنه طغى تعليل للأمر بالذهاب ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ الفاء عاطفة، وقل فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، وهل حرف استفهام معناه: العرض لاستدعائه بالملاطفة، والملاينة، والمداراة، ولك خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: رغبة، وإلى أن تزكى متعلقان بالمبتدأ المضمر، أي: هل لك رغبة في التزكية، ومثله هل لك في الخير، أي: هل لك رغبة في الخير، وأصل تزكى: تتزكى، حذفت إحدى التاءين، أي: تتطهر من الشرك، وجملة الاستفهام مقول القول، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بإلى، كما تقدم ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ الواو حرف عطف، وأهديك، عطف على تزكى، والكاف مفعول به، وإلى ربك متعلقان بأهديك، فتخشى عطف على أهديك، جعل الخشية غاية للهداية؛ لأنها ملاك الأمر، وجمّاع التقوى، ومتى خشي الإنسان ربه لم يصدر عنه إلا الخير ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ الفاء عاطفة على محذوف، يعني: فذهب فأراه، وأراه فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: هو، والهاء مفعول أرى الأول، والآية مفعول أرى الثاني، والكبرى صفة للآية، وهي قلب العصا حيّة، أو اليد ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وأتى بها؛ لأن إبطال الإيمان، ونقضه

يقتضي زماناً طويلاً، وجملة يسعى حال من الضمير في أدبر ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عطف أيضاً، وجملة أنا ربكم الأعلى مقول القول ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ الفاء عاطفة، وأخذه الله فعل ماضٍ، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، ونكال الآخرة والأولى مفعول مطلق، فهو مصدر لأخذ، والتجوّز إما في الفعل، أي: نكل بالأخذ نكال الآخرة والأولى، وإما في المصدر، أي: أخذه أخذ نكال، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله، أي: لأجل نكاله، واقتصر الزمخشري على المصدرية المؤكدة، قال: هو مصدر مؤكد، كوعد الله، وصبغة الله، كأنه قيل: نكل الله به نكال الآخرة والأولى. ويجوز أن يكون انتصاب نكال بنزع الخافض، أي: بنكال، ورجح الزجّاج أنه مصدر مؤكد، وفي المصباح: ونكل به، ينكل من باب: قتل، نكلة قبيحة: أصابه بنازلة، ونكّل به بالتشديد، مبالغة، والاسم: النكال. والآخرة والأولى صفتان لكلمتي فرعون. فالكلمة الآخرة هي قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ والكلمة الأولى قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ وكان بين الكلمتين ـ على ما قيل ـ أربعون سنة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبر إن المقدم، واللام لام الابتداء المؤكدة، وعبرة اسم إن المؤخر، ولمن صفة لعبرة، وجملة يخشى صلة من.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ
أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ
مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ
ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ
ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ

مُنتَهَاهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿سَمْكَهَا﴾ رفعها، يقال: سمك، يسمك، من باب: نصر؛ الشيء: رفعه، ويقال: سمك الله السماء، وقال الفرزدق:

إنَّ الذي سمكَ السَّماءَ بنى لنا بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ

والسمك مصدر: سمك: السقف، أو من أعلى البيت إلى أسفله، والقامة من كل شيء.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ جعلها مستوية ملساء، ليس فيها ارتفاع، ولا انخفاض.

﴿وَأَغْطَشَ﴾ في القاموس: غطش الليل، يغطش، من باب: ضرب؛ أظلم، كأغطش، وأغطشه الله. وقال الراغب: وأصله من: الأغطش، وهو: الذي في عينه عمش، والتغاطش: التعامي. ويقال: أغطش الليل قاصراً، كأظلم، فأفعل فيه متعدٍّ ولازم.

﴿دَحَىٰهَآ﴾ دحا الأرض، يدحوها، دحوّاً، ودحى يدحى، أي: بسطها، ومدّها، فهو من ذوات الواو والياء، فيكتب بالألف والياء.

○ **الإعراب:**

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ الهمزة للاستفهام التقريعي والتوبيخي، وأنتم مبتدأ، وأشد خبر، وخلقاً تمييز، وأم حرف عطف، والسماء عطف على أنتم، وجملة بناها حالية، كأنها بيان لكيفية خلقها، ويجوز أن تكون مفسّرة لا محل لها، ويجوز أن تعرب السماء مبتدأ خبره محذوف، تقديره: أشد خلقاً ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ الجملة بدل من جملة بناها، تابعة لها، ورفع سمكها فعل ماضٍ، ومفعول به، وفاعل مستتر تقديره: هو، يعود على الله تعالى، فسوّاها عطف على رفع ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ عطف على ما

تقدم، وليلها مفعول أغطش، وضحاها مفعول أخرج ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ الواو عاطفة، والأرض منصوب على الاشتغال بفعل محذوف يفسِّره ما بعده، وبعد ذلك ظرف متعلق بدحاها، وجملة دحاها مفسّرة ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ الجملة مفسّرة لما لابدّ منه في تأتي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب، وإمكان القرار عليها، ويجوز أن تكون حالية بإضمار قد، أي: مخرجاً، وهو قول الأكثرين، وإن كنت أميلُ إلى القول الأول، ومنها متعلقان بأخرج، وماءها مفعول به، ومرعاها عطف على ماءها، والمرعى هنا مصدر ميمي بمعنى: المفعول ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ الواو عاطفة، والجبال نصب على الاشتغال أيضاً كما تقدم، والجملة معطوفة على الأولى ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ متاعاً مفعول لأجله، أي: فعل ذلك تمتيعاً لكم، واختار زاده في حاشيته على البيضاوي أن يكون مصدراً لفعله المحذوف، المدلول عليه بسياق الكلام، أي: متّعناكم بها تمتيعاً، وليس ببعيد، ولكم متعلقان بمتاعاً، ولأنعامكم عطف على لكم ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ الفاء عاطفة، للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها، كما ينبىء عليه لفظ المتاع، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط، وجملة جاءت في محل جر بإضافة الظرف إليها، والطامة فاعل، والكبرى نعت للطامة، والطامة: القيامة، وفي المختار: جاء سيل فطمّ الركية، أي: دفنها، وسوّاها، وكل شيء كثر حتى علا، وغلب، فقد طمّ، من باب: ردّ، يقال: فوق كل طامّة طامّة، ومنه سمِّيت القيامة: طامة، والطِّم بالكسر: الجرّ، يقال: جاء بالطم والرّم، أي: بالماء الكثير. وعبارة الزمخشري الطامة: الداهية التي تطم على الدواهي، أي: تعلو، وتغلب. وفي أمثالهم: جرى الوادي فطمّ على القرى. وهي القيامة لطمومها على كل هائلة، وقيل: هي النفخة الثانية. وجواب إذا محذوف يدل عليه التفصيل المذكور، والتقدير: كان من عظائم الأمور ما لا يخطر في بال، ولا تراه عين، ولا تسمع به أُذن. ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ يوم بدل من إذا، بدل بعض من كل، وجملة يتذكر في محل جر بالإضافة، والعائد محذوف

تقديره: يتذكر الإنسان فيه، ولك أن تجعله بدلاً مطابقاً، أو كلاًّ من كل، يعني: إذا رأى أعماله مدوّنة في كتابه تذكرها، وكان قد نسيها، والإنسان فاعل يتذكر، وما موصولة، أو مصدرية ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ عطف على جاءت، وبرزت فعل ماضٍ مبني للمجهول، والجحيم نائب فاعل، ولمن متعلقان ببرزت، وجملة يرى لا محل لها؛ لأنها صلة من ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ الفاء استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لبيان حال الناس في الدنيا، ولهذا كان جعل الفاء جواباً لإذا متهافتاً غير وارد، وأما حرف شرط وتفصيل، ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وجملة طغى لا محل لها، وآثر عطف على طغى، والحياة مفعول به، والدنيا نعت للحياة، والفاء واقعة في جواب أما، وإن حرف مشبّه بالفعل، والجحيم اسمها، وهي ضمير فصل، أو مبتدأ، والمأوى خبر إن، والجملة خبر من وأل في المأوى، عِوَض عن الضمير العائد على من، وقيل: العائد محذوف، أي: هي المأوى له، والأول مذهب الكوفيين، والثاني مذهب البصريين ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ الجملة عطف على الجملة السابقة، وعبارة الرازي: وهذان الوصفان مضادّان للوصفين المتقدمين، فقوله: وأما مَن خاف مقام ربه ضد قوله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ ضد قوله: ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبائح، دخل في هذين جميع الطاعات. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لحكاية نوع آخر من تعنتهم، ويسألونك فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، وعن الساعة متعلقان بيسألونك، وأيان اسم استفهام في محل نصب على الظرف الزماني، متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومرساها مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها تفسير لسؤالهم عن الساعة، أي: متى إرساؤها؟ أي: إقامتها وإثباتها، أو منتهاها ومستقرها، من: مرسى السفينة، وهو: حيث تنتهي إليه، وتستقر عنده ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ فيمَ خبر مقدّم، وتقدم حذف ألف ما الاستفهامية إذا سبقت بحرف جر، وأنت مبتدأ مؤخر، ومن

ذكراها متعلقان بما تعلق به الخبر، والمعنى: أنت في أي: شيء من ذكراها، والجملة لا محل لها، كأنها إنكار وردّ لسؤالهم عن الساعة، وبيان لبطلان السؤال. وقيل: فيمَ إنكار لسؤالهم، وما بعده من الاستئناف تعليل للإنكار، أي: فيمَ هذا السؤال؟ ثم ابتدىء فقيل: أنت من ذكراها، أي: ففيمَ ليس خبراً مقدماً لما بعده، بل هو خبر مبتدأ محذوف، أي: فيمَ هذا السؤال الواقع من الكفرة، فتمّ الكلام عنده، ثم استأنف بجملة أنت من ذكراها بياناً لسبب الإنكار عن سؤالهم، كأنه قيل: إنها قريبة غير بعيدة؛ لأنك علامة من علاماتها، فإرسالك يكفيهم دليلاً على دنوها، والاهتمام بتحصيل الاعتداد لها، فلا معنى لسؤالهم عنها، فمعنى: أنت من ذكراها: أنت من علاماتها، ومذكراتها ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ إلى ربك خبر مقدّم، ومنتهاها مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ إنما كافّة ومكفوفة، وأنت مبتدأ، ومنذر خبر، ومن مضاف إليه، وجملة يخشاها صلة من لا محل لها ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ كأن واسمها، ويوم ظرف زمان متعلق بما في كأن من معنى التشبيه، وجملة يرونها في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة لم يلبثوا خبر كأنهم، وإلا أداة حصر، وعشية ظرف زمان متعلق بيلبثوا، وأو حرف عطف، وضحاها عطف على عشية، وعبارة الزمخشري: فإن قلت: كيف صحّت إضافة الضحى إلى العشية؟ قلت: لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد، فإن قلت: فهلاّ قيل: إلا عشية أو ضحى؟ وما فائدة الإضافة؟ قلت: للدلالة على أن مدة لبثهم، كأنها لم تبلغ يوماً كاملاً، ولكن ساعة منه عشيته، أو ضحاه، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته، فهو كقوله: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ مجاز مرسل؛ لأنه أطلق المرعى على ما يأكله الناس، فاستعمل المرعى في مطلق المأكول للإنسان وغيره، والعلاقة استعمال المقيد في المطلق، ويجوز أن يكون استعارة

تصريحية، حيث شبّه أكل الناس برعي الدواب، وإلى هذا جنح الزمخشري، فقال: وأراد بمرعاها: ما يأكل الناس والأنعام، واستعير الرعي للإنسان، كما استعير الرتع في قوله: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾.

(٢) في قوله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ فن المقابلة، وقد تقدمت عبارة الرازي في هذا الصدد.

(٣) في قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ استعارة تصريحية، فقد استعار الإرساء، وهو لا يُستعمل إلا فيما له ثقل.

* * *

سورة عبس

ترتيبها ٨٠ آياتها ٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ
ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ
يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى
صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ
أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَصَدَّىٰ﴾ أصلها: تتصدى، أي: تتعرض بالإقبال عليه، والمصاداة: المعارضة، ويقال: تصدى، أي: تعرض، وأصله: تصدد، من: الصدد، وهو ما استقبلك، وصار قبالتك، فأبدل أحد الأمثال حرف علّة، وقيل: هو من الصدى، وهو الصوت المسموع في الأماكن الخالية، والأجرام الصلبة، وقيل: من الصدى، وهو: العطش، والمعنى على التعرّض.

○ الإعراب:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ عبس وتولى فعلان ماضيان مبنيان على الفتح، وفاعلهما مستتر، تقديره: هو، وإنما جيء في هذين الموضعين، وفي موضع ثالث بعدهما إجلالاً له عليه الصلاة والسلام، ولطفاً به لما في المشافهة والمجابهة بتاء الخطاب ما لا يخفى، وأن جاءه: في موضع نصب مفعول لأجله، وناصبه إما عبس، وإما تولى، وجاءه فعل ماضٍ ومفعول به، والأعمى فاعل، والأولى أن يقال: أن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بعبس؛ لأن المجيء ليس من أفعال القلوب، فاختل شرط من شروط نصب المفعول لأجله ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴾ الواو عاطفة، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة يدريك خبر، والكاف في موضع المفعول الأول ليدري، وجملة الترجّي في موضع المفعول الثاني، ولعله لعلّ واسمها، وجملة يزّكّى، أي: يتطهر، خبر لعل، وقيل: مفعول يدريك الثاني محذوف مقدّر، والتقدير: وما يدريك أمره، ومغبة حاله، وجملة لعله يزكّى ابتدائية، وأو حرف عطف، ويذكر عطف على يزّكّى، والفاء هي فاء السببية، وتنفعه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، والهاء مفعول به، والذكرى فاعل، وقرىء: فتنفعُه بالرفع، على أن الفاء عاطفة، وتنفعه بالرفع عطف على: أو يذكر ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ أما حرف شرط وتفصيل، ومن اسم موصول مبتدأ، وجملة استغنى صلة لا محل لها، والفاء رابطة، وأنت ضمير بارز منفصل في محل رفع مبتدأ، وله متعلقان بتصدى، وجملة تصدى خبر أنت، والجملة الاسمية خبر من، والواو حالية، وما نافية، وعليك خبر مقدم، وأن وما في حيّزها مبتدأ مؤخر، أي: ليس عليك بأس في عدم تزكيته بالإسلام، واختار أبو حيان أن تكون ما استفهامية للإنكار، فتكون مبتدأ، وعليك خبرها، وألا يزكّى منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بما تعلق به عليك، أي: الاستقرار،

والجملة حال من الضمير في تصدى ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ الواو عاطفة، وأما حرف شرط وتفصيل، ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وجملة جاءك لا محل لها؛ لأنها صلة من، وجملة يسعى حال من فاعل جاءك، والواو حالية، وهو مبتدأ، وجملة يخشى خبر، والجملة حال من فاعل يسعى، فهي حال متداخلة، والفاء رابطة لجواب أما، وأنت مبتدأ، وعنه متعلقان بتلهى، وتلهى، أي: تتلهى، فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، والجملة خبر، وجملة أنت عنه تلهى خبر من، أي: تتشاغل، أي: هو من لهى بكذا يلهى، أي: تشاغل به، وليس هو من اللهو في شيء؛ لأنه مسند إلى ضمير النبي، ولا يليق بمنصبه الكريم أن ينسب إليه الفعل من اللهو بخلاف الاشتغال؛ فإنه يجوز أن يصدر عنه في بعض الأحيان، وفي القاموس: لها، لهواً: لعب، كالتهى، وألهاه ذلك، ولهي به، كرضي: أحبه، وعنه: سلا، وغفل، وترك ذكره، ولها كدعا، لُهِيّاً، ولهياناً، وتلهى. ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ كلا حرف ردع وزجر لكل إنسان عن ارتكاب مثل المعاتب عليه، روي أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قطُّ، ولا تصدى لغني، وإن واسمها، وتذكرة خبر إن، والضمير للموعظة، أو السورة، والفاء اعتراضية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وشاء فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، وفاعله هو، والمفعول محذوف، أي: الاتعاظ، وذكره فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، ومفعول به، وهو في محل جزم جواب الشرط، والجملة اعتراضية لا محل لها ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ في صحف خبر ثانٍ لإنها، ومكرمة وما بعدها نعت لصحف، وبأيدي نعت أيضاً، أو خبر لمبتدأ محذوف، وسفرة مضاف إليه، وما بعدها نعت، والسفرة: جمع سافر، وهو: الكاتب، ومثله: كاتب وكتبة، وسفرت بين القوم، أسفر، سفارة: أصلحت بينهم، وفي المختار: «وسفر الكتاب: كتبه، وبابه: ضرب». ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ الجملة دعائية لا محل لها، ومعنى قتل: لعن، وعذب، والإنسان نائب فاعل، وما نكرة

تامة بمعنى شيء في محل رفع مبتدأ، وأكفره فعل ماضٍ، وفاعله مستتر وجوباً، تقديره: هو ـ هنا خاصة ـ والهاء مفعول به، قالوا: قاتله الله ما أخبثه! وأخزاه الله ما أظلمه! والمعنى: أعجبوا من كفر الإنسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا. وقيل: ما استفهامية مبتدأ، وجملة أكفره خبر، أي: أيّ شيء دعاه إلى الكفر، وهو استفهام توبيخ، ولا داعي لهذا؛ لأنه تعجب من إفراطه في كفره، والتعجب بالنسبة إلى المخلوقين؛ إذ هو مستحيل في حق الله تعالى، أي: هو ممن يقال فيه: ما أكفره! وللزمخشري عبارة مستحسنة، قال: ما أكفره: تعجب من إفراطه في كفران النعمة، ولا ترى أسلوباً أغلظ منه، ولا أخشن مسّاً، ولا أدلّ على سخط، ولا أبعد شوطاً في المذمّة مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للأئمة على قصْر متنه.

* الفوائـد:

روى التاريخ: أن عبد الله بن أُم مكتوم بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، وأُم مكتوم أُم أبيه، واسمها عاتكة بنت عامر المخزومي، وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد. والذي في النووي على مسلم أن ابن أُم مكتوم اسمه: عبد الله بن عمرو، وأم مكتوم زوجة عمرو، فهي أُم عبد الله، وقيل: اسمه عمرو، واسم أبيه: زائدة، جاءه وعنده صناديد قريش: عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم، فيتأيّد بهم الإسلام، ويسلم بإسلامهم أتباعهم، فتعلو كلمة الله تعالى، فقال: يا رسول الله! أقرئني، وعلّمني مما علّمك الله تعالى، وكرر ذلك، وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه، وعبس، وأعرض عنه، فنزلت، فكان رسول الله ﷺ يكرمه، ويقول إذا رآه: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» ويقول له: «هل لك من حاجة؟» واستخلفه على المدينة مرتين. قال القرطبي: وهذا كله غلط من المفسرين لأن أُمية والوليد كانا بمكة، وابن أُم

مكتوم كان بالمدينة، ما حضر معهما، وماتا كافرين، أحدهما: قبل الهجرة، والآخر: في بدر، ولم يقصد قطُّ أُمية المدينة، ولا حضر معه مفرداً ولا مع أحد. وقال أبو حيان: والغلط من القرطبي: كيف ينفي حضور ابن أُم مكتوم معهما؟! وهو وهم منه، وكلهم من قريش وكان ابن أُم مكتوم بها، والسورة مكية كلها بالإجماع. وكيف يقول: وابن أُم مكتوم بالمدينة كان أولاً بمكة، ثم هاجر إلى المدينة، وكانوا جميعاً بمكة حين نزول هذه الآية؟!. وهناك رواية أُخرى ذهب إليها بعضهم، وهي أن المحدّث عنه بالعبوس ليس النبي ﷺ، بل هو رجل من بني أُمية، وهو الذي عبس لما أتى ابن أُم مكتوم؛ لأن العبوس ـ كما يقول الشريف المرتضى ـ ليس من صفاته ﷺ مع الأعداء المباينين، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين. وهذا كله يراه القارىء في المطولات، فليرجع إليها إن شاء.

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿غُلْبًا﴾ جمع أغلب، كحمر في: أحمر، وحمراء. يقال: حديقة غلباء، أي: غليظة الشجر، ملتفة الحدائق، فالحدائق ذات أشجار غلاظ، فهو مجاز مرسل، كالمرسن بمعنى: الغليظ مطلقاً، وفيه تجوّز في الإسناد أيضاً؛ لأن الحدائق نفسها ليست غليظة، بل الغليظ أشجارها، وعبارة

الزمخشري: ويحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء، فيريد تكاثفها، وكثرة أشجارها، وعظمها، كما تقول: حديقة ضخمة، وأن يجعل شجرها غلباً، أي: عظاماً، غلاظاً، والأصل في الوصف بالغلب: الرقاب، فاستعير. قال عمرو بن معد يكرب:

يَمْشِي بها غُلْبُ الرِّقابِ كأَنَّـهُمْ بُزْلٌ كُسِيْنَ مِنَ الكَحيل جلالا

ويقال: أسد أغلب، أي: غليظ العنق والقلب، جمعه، ثم استعير لكل غليظ، والبزل: جمع بازل، للمذكر والمؤنث من الإبل؛ إذا انفطر نابه، وذلك في السنة التاسعة. والكحيل: القطران، والجلال: جمع جلّ، يصف مفازة تمشي فيها أسود غلاظ الأعناق؛ كأنها فتيات من الإبل، دهنت بالقطران، حتى صار عليها كالجلال، فكسين استعارة مصرّحة، والجلال ترشيح، ويروى: كأنهم؛ باستعارة ضمير العقلاء لغيرهم.

وفي الأساس واللسان ما خلاصته: بينهما غلاب، أي: مغالبة، وتغالبوا عليه البلد، وغلبته على الشيء: أخذته منه، وهو مغلوب عليه، وأيغلب أحدكم أن يصاحب الناس معروفاً، بمعنى: أيعجز، وهو رجل حر، وقد أبى، أفنغلبه على نفسه: أفنكرهه، وشاعر مغلّب: غُلب كثيراً، أو غُلّب، فهو ذم ومدح، قال امرؤ القيس:

فإنَّك لم يفخرْ عليك كعاجزٍ ضَعِيفٍ ولم يغلِبْك مُغَلَّب

ومن المجاز: هضبة غلباء، وعِزّة غَلْباء، واغْلَولب العشبُ ﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾.

﴿وَأَبّٗا﴾ في المصباح: الأبّ: المرعى الذي لم يزرعه الناس، مما تأكله الدواب والأنعام. ويبدو أنه مأخوذ من أبه؛ إذا قصده؛ لأنه يؤم، وينتجع له، أو من: أبّ لكذا؛ إذا تهيأ له؛ لأنه متهيىء للرعي. وعبارة الزمخشري: والأب: المرعى؛ لأنه يؤب، أي: يؤم، وينتجع، والأب والأُم أخوان، قال:

جِـذْمُنـا قَيْـسٌ ونَجْـدٌ دَارُنـا ولنـــا الأبُّ بـــه والمَكْـــرَعُ

والجذم بالكسر، وقد يفتح الأصل: الذي يقتطع منه غيره، والأب والأم بالفتح والتشديد بمعنى المرعى؛ لأنه يؤبّ، ويؤمّ، أي: يقصد. والمكرع: المنهل. يقول: نحن من قبيلة قيس ونجد، هي دارنا، ولنا به، أي: في نجد المرعى، والمروى، وفيه: تمدح بالشرف، والشجاعة.

وقيل: إن الصحابة ـ وهم أهل الحجاز، وأصحاب اللغة التي نزل بها القرآن ـ لم يفهموا بعض الغريب في آيات الكتاب، من ذلك ما أخرجه أبو عبيد في الفضائل عن إبراهيم التيمي: أن أبا بكر الصديق سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: أي سماء تظلّني! وأي أرض تقلّني! إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. ونقل عن أنس: أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر! وفي رواية: ثم رفض عصا كانت بيده، وقال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا بن أم عمر ألاّ تدري ما الأبّ، ثم قال: اتبعوا ما تبيّن لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه. وقد علّق الزمخشري على كلمة عمر تعليقاً بديعاً، نورده فيما يلي:

فإن قلت: فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن، والبحث عن مشكلاته، قلت: لم يذهب إلى ذلك، ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفاً عندهم، فأراد أن الآية مسوقةٌ في الامتنان على الإنسان بمطعمه، واستدعاء شكره، وقد علم من فحوى الآية: أن الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعاً له ولأنعامه، فعليك بما هو أهمّ من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك، ولم يشكل مما عدّد من نعمه، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأبّ، ومعرفة النبات الخاص؛ الذي هو اسم له، واكتف بالمعرفة الجميلة إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت، ثم وصّى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن.

* كيف بدأ تفسير القرآن؟

ونرى استيفاء لهذا البحث الهامّ: أن نعرض لهذا الموضوع بشيء من التفصيل؛ لعلاقته التامة بالمنهج الذي جرينا عليه في هذا الكتاب؛ فالواقع: أن القرآن شغل طوائف كثيرة من الناس فترة من الزمن، شغل به أهل الإيمان، وتتبعه أهل الكفر كلٌ من ناحية اهتمامه، وأول ما بدأت دراسات القرآن وتفسيره زمن الرسول ﷺ، ففي عهده نرى أعرابياً يسأله في معنى بعض ألفاظ القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قائلاً: «وأيّنا لم يظلم نفسه؟» وفسّره النبي ﷺ بالشرك، واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وروي عن النبي ﷺ في كتب الحديث كالبخاري ومسلم، وغيرها كثير من الأحاديث التي تتعلق بتفسير القرآن، وبعضها ينحصر في ذكر فضائله، وتفسير بعض آياته تفسيراً مختصراً، يبيّن وجه التشريع، أو الموعظة في الآية.

وروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾».

على أنه قد لا يوضع موضع الاعتبار كل ما جاء من الحديث في التفسير، فأحمد بن حنبل ـ في القرن الثالث الهجري ـ يقول: ثلاثة أشياء لا أصل لها: التفسير، والملاحم، والمغازي، ولعلّه يقصد بالتفسير: الذي خلط فيه الناس بين الصحيح وغير الصحيح من الحديث؛ مما كان مدار أخذ وردّ، وقول كثيرين في عصره.

على أنّ الصحابة وقفوا في صدر الإسلام موقفين:

متحرّج من القول في القرآن، ومن هؤلاء: أبو بكر، وعمر، وعبد الله بن عمر، وغيرهم. وكان عبد الله يأخذ على ابن عباس تفسيره القرآن بالشعر.

والقسم الثاني: الذين لم يتحرّجوا، وفسّروا القرآن حسب ما فهموا من الرسول، أو حسب فهمهم الخاص بالمقارنة إلى الشعر العربي وكلام العرب، ومن هؤلاء: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، ومن أخذ عنهما، وقد وقف ابن عباس على رأس المفسرين بالرأي المتخذين شعر العرب وسيلة إلى كشف معاني القرآن، وكان علي بن أبي طالب يثني على ابن عباس ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق.

وفي كامل المبرد، وأغاني أبي الفرج الأصبهاني: أنه دخل عمر بن أبي ربيعة ـ وهو غلام ـ على ابن عباس، وعنده نافع بن الأزرق، فقال له ابن عباس: ألا تنشدنا شيئاً من شعرك يا بن أخي؟ فأنشده:

أمن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمبكرُ غـداةَ غـدٍ أم رائـحٌ فمهجـرُ

حتى أتمّها وهي ثمانون بيتاً، فقال له الأزرق: لله أنت يا بن عباس أنضرب إليك أكباد الإبل، نسألك عن الدين، ويأتيك غلامٌ من قريش ينشدك سفهاً فتسمعه! فقال: تالله ما سمعت سفهاً، فقال: أما أنشدك؟

رأت رجلاً أما إذا الشمسُ عارضتْ فيخـزى وأمـا بـالعشـيِّ فيخسـرُ

فقال: ما هكذا قال، إنما قال: فيضحى وأما بالعشي فيخصر، قال: أو تحفظ الذي قال؟ فقال: والله! ما سمعتها إلا ساعتي هذه، ثم أنشدها من أولها إلى آخرها، فقيل له: ما رأينا أروى منك! فقال: ما سمعت شيئاً قطّ فنسيته، وإني لأسمع صوت النائحة فأسدّ أذني كراهة أن أحفظ ما تقول. ثم أن نافعاً اتفق له أنه سأل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ قال: لا تعرق فيها من شدة حرّ الشمس، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت قول الشاعر: «فيضحى». ومن هؤلاء الصحابة الذين يذهبون هذا المذهب ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وغيرهما، وتبعهم الحسن البصري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وغيرهم.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ في المختار: الصاخة: الصيحة تصمّ بشدتها، تقول: صخ

الصوت، من باب: ردّ، ومنه سمّيت القيامة: الصاخة. وقال الزمخشري: صخ لحديثه، مثل: أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازاً؛ لأن الناس يصخون لها. وقال أبو بكر بن العربي: الصاخة: هي التي تورث الصمم، وإنها لمسمعة، وهذا من بديع الفصاحة، كقوله:

أصمّهم سرهم أيّام فرقتِهم فهل سمعتُم بسرٍّ يورثُ الصَّمما؟!

وقول أبي تمام:

أصمَّ بك النَّاعي وإن كان أَسْمَعا وأصبحَ مغنى الجودِ بعدك بَلْقَعا

ولعمر الله: أن صيحة القيامة مسمعة تصمّ عن الدنيا، وتسمع أمور الآخرة.

﴿ تَرْهَقُهَا ﴾ في المختار: رهقه: غشيهُ، من باب: طرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ وفي الحديث: «إذا صلى أحدكم على الشيء فليرهقه»، أي: فليغشه، ولا يبعد عنه.

﴿ قَتَرَةٌ ﴾ سواد كالدخان، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه.

○ الإعراب:

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للشروع في بيان ما أنعم عليه بعد المبالغة في وصفه بكفران نعم خالقه، ومن أيّ شيء متعلقان بخلقه، والاستفهام للتقرير مع التحقير، جمع بينهما بعض المفسرين، فقال: هنا الاستفهام لتقرير التحقير، ومن نطفة بدل بإعادة الجار من قوله: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ والفاء للترتيب في الذكر، وقدّره فعل ماضٍ، وفاعل مستتر جوازاً، تقديره: هو، ومفعول به ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، والسبيل منصوب على الاشتغال بفعل مقدّر، تقديره: ثم يسّر السبيل يسّره، والتعريف لإفادة العموم، وجملة يسّره مفسّرة، وعبارة السمين: قوله:

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ يجوز أن يكون الضمير للإنسان، والسبيل ظرف، أي: يسّر للإنسان الطريق، أي: طريق الخير، أو الشر، كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ . وقال أبو البقاء: ويجوز أن ينتصب بأنه مفعول ثانٍ ليسّره، والهاء للإنسان، أي: يسّره للسبيل، أي: هداه له. قلت: فلا بدّ من تضمينه معنى أعطى حتى ينصب اثنين، أو يحذف حرف الجر، أي: يسّره للسبيل، أي: هداه له. وما بعده عطف عليه، وقال: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ ولم يقل فقبره؛ لأن القابر هو الدافن بيده، والمقبر هو الله تعالى. يقال: قبر الميت: إذا دفنه بيده، وأقبره: إذا أمر غيره أن يجلعه في قبر، ومفعول المشيئة محذوف، والتقدير: إذا شاء إنشاره ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ ردع وزجر للإنسان المسترسل في عمايته المغترّ باغتراره المتطاول تيهاً بعجبه، ولما حرف نفي جازم، ويقض فعل مضارع مجزوم بلما، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وجزم بلما للدلالة على أن العجب والكبر ما زالا يلازمان الإنسان حتى الساعة التي هو فيها، وما مفعول به، وجملة أمره صلة، والعائد محذوف، أي: به ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في تعداد النعم المترادفة على الإنسان، واللام لام الأمر، وينظر فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والإنسان فاعل، وإلى طعامه متعلقان بينظر ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ أنّا بفتح الهمزة، وهي وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بدل اشتمال من طعامه، والمعنى: أن صبّ الماء سبب في إخراج الطعام، فهو مشتمل عليه، وقرىء بكسر الهمزة على الاستئناف المبين لكيفية إحداث الطعام، وأن واسمها، وجملة صببنا فعل وفاعل، والماء مفعول به، وصباً مفعول مطلق ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ عطف على الجملة السابقة مماثلة لها في إعرابها، وسيأتي سرّ إسناد الشقّ له تعالى في باب البلاغة ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ الفاء عاطفة، وأنبتنا فعل وفاعل، وفيها متعلقان بأنبتنا، وحباً مفعول به، وما بعده عطف عليه. والقضب والقضبة: الرطبة ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ متاعاً مصدر مؤكد لأنبتنا؛ لأن إنباته الأشياء إمتاع لجميع الكائنات الحيّة، أو مفعول لأجله، والعامل

فيه محذوف، تقديره: فعل ذلك متاعاً لكم، ولكم متعلقان بمتاعاً، ولأنعامكم عطف على لكم ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ الفاء استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان أحوالهم يوم المعاد، ولك أن تجعل الفاء عاطفة، والكلام معطوف لترتيب ما بعدها على ما قبلها من النعم السوابغ، والآلاء المترادفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف المفهوم من قوله: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ ﴾ والتقدير: اشتغل كل واحد بنفسه، وجملة جاءت في محل جر بإضافة الظرف إليها، والصاخة فاعل، ويوم بدل من إذا، أي: يفرّ فيه، وجملة يفرّ في محل جر بإضافة الظرف إليها، والمرء فاعل، ومن أخيه متعلقان بيفر، وما بعده عطف على أخيه، ولكل امرىء خبر مقدّم، ومنهم نعت لامرىء، ويومئذ ظرف أضيف إلى مثله، وهو متعلق بيغنيه، والتنوين عوض عن أي يوم، إذا حصلت هذه الأمور المتعددة، وشأن مبتدأ مؤخر، وجملة يغنيه نعت لشأن ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ وجوه مبتدأ، سوّغ الابتداء به مع أنه نكرة التنويع، ويومئذ ظرف أضيف لمثله متعلق بمسفرة، والتنوين عوض عن جملة، ومسفرة خبر وجوه، وضاحكة ومستبشرة خبران آخران لوجوه ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ الواو عاطفة، ووجوه مبتدأ، ويومئذ ظرف أضيف لمثله متعلق بترهقها، وعليها خبر مقدم، وغبرة مبتدأ مؤخر، والجملة خبر وجوه، وجملة ترهقها قترة خبر ثانٍ لوجوه، وترهقها فعل مضارع، ومفعول به مقدم، وقترة مبتدأ مؤخر ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ أولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثانٍ، والكفرة الفجرة خبران لأولئك، أو لِهُمْ، والجملة خبر أولئك.

□ البلاغة:

الإسناد المجازي في قوله: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ إسناد مجازي، فقد أسند تعالى الشق إلى نفسه من باب إسناد الفعل إلى السبب، وقيل: الإسناد

حقيقي، وإن القول بمجازيته هو من أقوال المعتزلة، ولكن البيضاوي نفسه يتبع الزمخشري في مجازية الإسناد، فيقول: أسند الشق إلى نفسه تعالى إسناد الفعل إلى السبب، والحق مع الزمخشري في هذا؛ فإن مجازيته لا تعني أن أفعال العباد مخلوقة لهم؛ لأن الفعل إنما يسند حقيقة لمن قام به، لا لمن أوجده، فالاعتراض عليه تعسُّف.

* * *

سورة التكوير

ترتيبها ٨١ آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا
ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ
زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا
ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ
أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿كُوِّرَتْ﴾ لفّت، وذُهب بضوءها. وفي المصباح: كار الرجل العمامة، كوراً، من باب: قال؛ أدارها على رأسه. وكل دور كور تسميته بالمصدر، والجمع: أكوار، مثل: ثوب وأثواب، وكوّرها بالتشديد مبالغة، ومنه يقال: كورت الشيء؛ إذا لففته على وجه الاستدارة، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ المراد به: طويت كطي السجل. وعبارة الزمخشري: في التكوير وجهان: أن يكون من: كورت العمامة؛ إذا لففتها، أي: يلف

ضوءها لفّاً، فيذهب انبساطه، وانتشاره في الآفاق، وهو عبارة عن إزالتها، والذهاب بها؛ لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطاً غير ملفوف، أو يكون لفّها عبارة عن رفعها وسترها؛ لأن الثوب إذا أريد رفعه لفّ وطوي، ونحوه قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ وأن يكون من: طعنه فجوَّره، وكوّره: إذا ألقاه، أي: تلقى، وتطرح عن فلكها، كما وصفت النجوم بالانكدار. ويتلخص مما أوردته معاجم اللغة ما يلي: كار، يكور، كوراً العمامة على رأسه: لفّها، وأدارها وكور الله الليل على النهار: أدخل هذا في هذا، وكورت الشمس: جمع ضوءها، ولُفّ، كما تلف العمامة، قيل: اضمحلت، وذهبت.

﴿ٱنكَدَرَتْ﴾ انقضت، وتساقطت على الأرض، والأصل في الانكدار: الانصباب، وقال أبو عبيدة: انكدرت: انصبّت، كما تنصبّ العقاب إذا كسرت، قال العجاج يصف صقراً:

أبصَـرَ خِـرْبـاتٌ فَـلاةً فـانْكَـدَرْ تقضي البازي إذا البازيّ كسر

﴿ٱلْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل، جمع: عشراء، كالنفاس، جمع: نفساء، وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، وهي أنفس ما يكون عند أهلها. وروي أنه صلى الله عليه وسلم مرّ في أصحابه بعشار من النوق، فغضّ بصره، فقيل له: هذه أنفس أموالنا، فلم لا تنظر إليها؟ فقال: «قد نهاني الله عن ذلك» ثم تلا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية.

﴿سُجِّرَتْ﴾ سجر، يسجُر، سجراً، من باب: نصر، التنور: ملأه وقوداً، وأحماه، وسجر الماء النهر: ملأه، وسجر البحر: فاض، وسجر الماء في حلقه: صبّه، وسجر الكلب: شدّه بالساجور، وسجر الشيء: أرسله، هذا ما ذكرته معاجم اللغة بصدد هذه المادة. وفي الأساس: كلب مسجور، ومُسجّر، ومُسَوْجَر، وقد سجرتُه، وسجّرته، وسَوْجَرْته: طوّقته الساجور، وهو طوق من حديد مسمّر بمسامير حديدة الأطراف، وبحر مسجور ومسجّر، وعين مسجورة ومسجّرة: مفعمة. وسجر السيلُ الآبارَ

والأحساء، ومررنا بكل حاجر وساجر، وهو: كل مكان مرّ به السيل فملأه، وسجر التنور: ملأه، سجوراً، وهو وقوده. وسَجَره بالمِسْجَرة، وهي المِسْعَر. ومن المجاز: سجرتِ الناقةُ سجراً، وسجّرت تسجيراً: مدّت حنينها في إثر ولدها، وملأت به فاها، قال:

حَنَّتْ إلى بَرْكٍ فَقُلْتُ لها: قُري بعضَ الحنينِ فإنَّ سَجْرَكِ شائقِي

ومنه: ساجرته مُساجَرة، وهي: المخالَّة، والمخالطة وهو سَجيري، وهم سُجرائي؛ لأن كل واحد منهما يسجُر إلى صاحبه: يحنّ، ومنه: ماء أسجر، وهو: الذي خالطته كدرة وحمرة من ماء السماء، يقال: إن فيه لسجرة، وإنه لأسجر، وقطرة سجراء، وعين سجراء، قال الحُوَيْدرة:

بِغَريضِ ساريـةٍ أَدَرَّتْـهُ الصَّبَـا من ماء أَسْجَرَ طيِّبِ المُسْتَنْـقَعِ

وعين سجراء: خالطت بياضها حمرة، وإن في عينك لسجرة، وفي أعناقهم السواجير، أي: الأغلال. وقد مرّ شيء من معنى هذه المادة في الطور، وعلى هذا كثرت الأقوال في المراد بها هنا، وقد أحصى القرطبي كعادته الأقوال فيه، ونشير إليها بإيجاز:

١ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: أي: ملئت من الماء، فيفيض بعضها إلى بعض، فتصير شيئاً واحداً.

٢ ـ وقيل: أرسل عذبها على مالحها حتى امتلأت.

٣ ـ وقيل: صارت بحراً واحداً.

٤ ـ وقيل: يبست، فلا يبقى من مائها قطرة.

٥ ـ وقيل: أوقدت فصارت ناراً.

٦ ـ وقيل: هي حمرة مائها حتى تصير كأنها الدم.

﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ قال في الأساس: وأد ابنته: أثقلها بالتراب ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ وقال الفرزدق:

وجدِّي الذي مَنَـعَ الوائـداتِ وأحيـا الـوئيـدَ فلـم يُـوأد

ووأد ابنته يئدها، من باب: ضرب؛ دفنها في التراب وهي حيّة، فالابنة وئيد، ووئيدة، ومؤودة. وقال الزمخشري في الكشاف: وأد، يئد مقلوب من: آد يؤود؛ إذا أثقل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ لأنه إثقال بالتراب. وتعقبه أبو حيان في «البحر» فقال: لا يدّعى في وأد أنه مقلوب من آد؛ لأنَّ كلاًّ منهما كامل التصرف في الماضي، والأمر، والمضارع، والمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، وليس فيه شيء من مسوِّغات ادّعاء القلب، والذي تعلم به الأصالة من القلب أن يكون أحد النظمين فيه حكم يشهد له بالأصالة، والآخر ليس كذلك، أو كونه مجرداً من حروف الزيادة، والآخر فيه مزيد، أو كونه أكثر تصرفاً، والآخر ليس كذلك، أو أكثر استعمالاً من الآخر، وهذا على ما قرر، وأحكم في علم التصريف، فالأول: كيئس وأيس، والثاني: كطأمن واطمأن، والثالث: كشوائع وشواع، والرابع: كلعمري ورعملي.

○ الإعراب:

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجوابها في الاثني عشر موضعاً التي وقعت فيها قوله: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ﴾ كما سيأتي، وهي متعلقة بجوابها، والشمس نائب فاعل بفعل مقدّر، يفسره ما بعده، وإلى هذا جنح الزمخشري، ومنع أن يرتفع بالابتداء؛ لأن إذا تتقاضى الفعل لما فيها من معنى الشرط، ولكن ما منعه الزمخشري من وقوع المبتدأ بعدها أجازه الكوفيون، والأخفش من البصريين، وجملة كورت مفسّرة لا محل لها ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ عطف على ما تقدم، مماثلة لها في الإعراب، ولكن النجوم هنا فاعل بفعل يفسِّره قوله: ﴿ٱنكَدَرَتۡ﴾. ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ عطف أيضاً، والجبال والعشار نائبا فاعل بفعل محذوف، ومعنى تعطيلها: تركها بلا راع ولا حلب؛ لما دهاهم من الأمر ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾ عطف أيضاً، ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ عطف أيضاً، والمعنى: ردّت الأرواح إلى أجسادها، وهذا بناء

على أن التزويج بمعنى: جعل الشيء زوجاً، والنفوس على هذا بمعنى: الأرواح، وقيل: يقرن كل امرىء بشيعته، وكل مشاكل بمشاكله، فيقرن بين الرجل الصالح والرجل الصالح في الجنة ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ عطف أيضاً، وبأي متعلقان بقتلت، والجملة سدّت مسدّ مفعول سئلت الثاني، وكان العرب إذا ولد لأحدهم بنت، واستحياها ألبسها جبّة من صوف أو شعر، وتركها ترعى الإبل والغنم، وإذا أراد قتلها تركها حتى إذا صارت سداسية، قال لأمها: طيّبيها، وزيّنيها، حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر حفرة، أو بئراً في الصحراء، فيذهب بها إليها، ويقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها، ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض، وقد افتخر الفرزدق ـ وهو أبو فراس، همّام بن غالب بن صعصعة ـ بجدّه صعصعة إذا كان منع وأد البنات كما تقدم. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ عطف على ما تقدم أيضاً ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب إذا كما تقدم، وعلمت نفس فعل ماضٍ وفاعل، وما مفعول به، وجملة أحضرت لا محل لها؛ لأنها صلة ما.

□ البلاغة:

التنكير:

في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ التنكير في نفس، وفائدته: العموم، وقد يعترض معترض بأن النكرة لا تفيد العموم إلا إذا كانت في سياق النفي، وعلى هذا فهي ـ هنا ـ واقعة في سياق الإثبات، وهي فيه تكون للإفراد، أو النوعية، فكيف يتفق الإفراد والنوعية مع المقام الذي يناسبه العموم؟ والجواب عن هذا الاعتراض: أنّ ما ذكر من كونها في سياق النفي والإثبات أكثري لا كلّي، فلا ينافي أنه قد يقصد بها العموم بمعونة المقام، وثمّة جواب آخر عن هذا الاعتراض، وهو: أن النكرة هنا وقعت في سياق

الشرط، وسياق الشرط كسياق النكرة في أن النكرة للعموم إذا وقعت في كلٍّ منهما.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِٱلۡخُنَّسِ ﴾ الخنس: الكواكب كلها، أو السيارات منها فقط، أو بعضها من الخنس، وهو: الرجوع؛ لأنها ترجع في مجراها وراءها، والفعل: خنس، يخنس، من باب: دخل، وفي الصحاح: الخنس: الكواكب كلها؛ لأنها تخنس في المغيب، ولأنها تخفى نهاراً، ويقال: هي الكواكب السيّارة منها دون الثابتة، وقال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ أنها: النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد؛ لأنها تخنس في مجراها، وتكنس كما تكنس الظباء في المغار، والخنس أيضاً: مأوى الظباء، والظباء نفسها، والبقر الوحشية.

﴿ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ في المصباح: وكِناس الظبي بالكسر: بيته، وكنس الظبي، كنوساً، من باب: نزل؛ دخل كناسه، وتكنس الظبي: تغيب، واستتر في كناسه، وتكنس الرجل: دخل في الخيمة، وتكنست المرأة: دخلت في الهودج.

﴿ عَسۡعَسَ ﴾ أقبل بظلامه، أو أدبر، قال العجاج:

حتّى إذا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسا　　　وانْجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسَا

○ الإعـراب:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾
الفاء استئنافية، ولا تقدم القول فيها، فجدِّد به عهداً، وأقسم فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، تقديره: أنا، وبالخنس متعلق بأقسم، والجواري نعت، أو بدل، والكنس نعت للجواري، والليل: الواو للقسم أيضاً، والليل مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وإذا ظرف متعلق بفعل القسم، وجملة عسعس في محل جر بإضافة الظرف إليها، والصبح إذا تنفس عطف على الجملة السابقة، وإنما لم نعطف الليل على الخنس؛ لأن الواو ابتداء قسم، فإن قيل: فقد خالفتم سيبويه، فإنه لا يرى الواو المتعقبة للقسم ابتداء قسم، بل عاطفة، وقد جعلتم الواو الأولى، وهي متعقبة للقسم ابتداء قسم؟ قلنا: إنما تكلم سيبويه في الواو، وأما الآية فالقسم الأول فيها بالباء والفعل، فجعلنا الواو بعد ذلك قسماً وتبعاً، وهو أبلغ، كأنه أقسم بشيئين مختلفين. فإن قيل: أجل، إنما تكلم سيبويه على الواو المتعقبة للقسم، فما الفرق بين الواو المتعقبة للقسم بالواو، والواو المتعقبة للقسم بالباء، وما هما إلا سواء، فإن كل واحد منهما آلة له، والتاء تدل على الباء، فحكمهما واحد؟ قلنا: ليستا سواء، فإن القسم متى صدر بالواو، ولم تله واو أخرى، فجعلها قسماً الآخر فيه تكرار مستكره؛ إذ الآلة واحدة، ولا كذلك الآية، إذ اختلفت الآلة، فإن عاملة التكرار مأمونة إذاً، ألا ترى أنه لو صدر القسم بالواو، ثم تلاه قسم بالباء لتحتم جعلهما قسمين مستقلين، فكذلك لو خولف هذا الترتيب، وأيضاً فإنه إن كان المانع لسيبويه من جعل الواو الثانية قسماً مستقلاً، فجيء الجواب واحداً، واحتياج الواو الأولى إلى محذوف، فالعطف يغني عن تقدير محذوف، فلا يلزم اطّراد الباء؛ لأنها أصل القسم، لا سيما مع التصريح بفعل القسم ثم تأكيده بزيادة لا، فإن في مجموع ذلك ما يغني عن إفراده بجواب مذكور، ولا كذلك الواو؛ فإنها ضعيفة المكنة في القسم

بالنسبة إلى الباء، فلا يلزم من حذف جواب تمكنت الدلالة عليه حذف جواب دونه في الوضوح.

ونختم الكلام على هذا السؤال بنكتة بديعة، وهي: أنه إنما خصصت إيراد السؤال بالواو الثانية في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ دون الثالثة؛ لأنه غير متوجه عليها، ألا تراك لو جعلتها عاطفة لم يلزمك العطف على عاملين؛ لأنك تجعلها نائبة عن الباء، وتجعل إذا فيها منصوبة بالفعل مباشرة إذا لم يتقدم في جملة الفعل ظرف تعطف عليه إذا، فتصير بمثابة قولك: مررت بزيد وعمرو اليوم، فاليوم منصوب بالفعل مباشرة وفهم من المثال: أن مرورك بزيد مطلق غير مقيد بظرف، وإنما المقيد باليوم مرورك بعمرو خاصة، لكن يطابق الآية، فإن الظرف فيها ـ وإن عمل فيه الفعل مباشرة ـ فهو مقيد للقسم بالليل، لا للقسم بالخنس ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وقول خبرها، ورسول مضاف إليه، وكريم نعت، وسيأتي المراد به في باب: الفوائد ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ ذي قوة صفة ثانية لرسول، وعند ذي العرش حال من مكين؛ لأنه كان في الأصل صفة له، فلما قدم نصب حالاً، ومكين صفة ثالثة، ومطاع صفة رابعة، وثم ظرف بمعنى هناك متعلق بمطاع، وأمين صفة خامسة ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ الواو عاطفة، والجملة عطف على: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ وما نافية حجازية، وصاحبكم اسمها، والباء حرف جر زائد، ومجنون مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ عطف على قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ﴾ إلخ فهو داخل في حيز المقسم به، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، ورآه فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، وبالأفق متعلقان برآه، والمبين نعت للأفق ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ عطف أيضاً، وما نافية حجازية، وهو اسمها، وعلى الغيب متعلقان بضنين، والباء حرف جر زائد، وضنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، وعلى بمعنى الباء، أي: فلا يبخل به

عليكم، بل يخبركم به، وقرىء بظنين ـ بالظاء المعجمة ـ أي: بمتهم، وفي المصباح: والظِّنة بالكسر: التهمة، وهي اسم من: ظننته، من باب: قتل؛ إذا اتهمته، فهو ظنين، فعيل بمعنى مفعول وفي السبعة: وما هو على الغيب بظنين، أي: بمتهم. وفي المصباح أيضاً: ضن بالشيء، يضنّ، من باب: تعب، ضناً، وضِنّة بالكسر، وضنانة بالفتح: بخل، فهو بخيل، ومن باب: ضرب، لغة فيه. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ عطف أيضاً، وهو نفي لقولهم: أنه كهانة وسحر ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ الفاء عاطفة، وأين اسم استفهام في محل نصب ظرف مكان مبهم لا مختص، متعلق بتذهبون، وتذهبون فعل مضارع مرفوع وفاعل، أي: فأي طريق تسلكون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ إن نافية، وهو مبتدأ، وإلا أداة حصر، وذكر خبر، وللعالمين متعلقان بذكر، أو نعت له، ولمن بدل من قوله للعالمين بإعادة العامل، وهو اللام، وجملة شاء لا محل لها؛ لأنها صلة من، ومنكم حال، وأن وما في حيِّزها مفعول به لشاء ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وتشاؤون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، وأن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بتشاؤون، والله فاعل ورب العالمين بدل، أو نعت لله، واختار البيضاوي نصب المصدر المؤول على الظرفية، وعبارته: وما تشاؤون الاستقامة يا من تشاؤونها إلا أن يشاء الله، أي: إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم، فله الفضل، والحق عليكم باستقامتكم.

* الفوائـــد:

اختلف أهل التفسير، فذهب منهم الجمّ الغفير إلى أن المراد بالرسول الكريم ـ هاهنا ـ إلى آخر النعوت: محمد ﷺ، فإن يكن الأمر كذلك، فذلك فضل الله المعتاد على نبيِّه، وذهب منهم الجم الغفير أيضاً إلى: أن المراد به: جبريل عليه السلام، وقد شجر الخلاف حول المفاضلة بين الملائكة و لرسل، والمشهور عن أبي الحسن الأشعري: تفضيل الرسل،

ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة، إلا أن المختلفين أجمعوا على أنه لا يسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين بما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل؛ لأن التفضيل وإن كان ثابتاً، إلا أن في التعيين إيذاء للمفضول، وعليه حمل الحذّاق قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تفضّلوني على يونس بن متى» أي: لا تعينوا مفضولاً على التخصيص؛ لأن التفضيل على التعميم ثابت بإجماع المسلمين، أي: تفضيل النبي ﷺ على جميع النبيين أجمعين. وكان ابن فارس ـ رحمه الله ـ يوضّح ذلك بمثال، فيقول: لو قلت بحضرة جماعة من الفقهاء: فلان أفضل أهل عصره، لكان في الجماعة احتمال لهذا التفضيل، وإن لزم اندراجهم في المفضولين، ولو عينت واحداً منهم، وقلت: فلان أفضل منك؛ لأسرع به الأذى إلى بعضك.

وقال القاضي البيضاوي: واستدل به على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام، حيث عدّ فضائل جبريل، واقتصر على نفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم، وهو ضعيف؛ إذ المراد منه: ردّ قولهم ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ لا تعداد فضلهما، والموازنة بينهما.

أما الكرخي فقال: ثم إنك إذا أمعنت النظر، وقعت على إن إجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام إدماج لتعظيم رسول الله ﷺ، وأنه بلغ من المكانة، وعلو المنزلة عند ذي العرش بأن جعل السفير بينه وبينه مثل هذا الملك المقرّب المطاع الأمين، فالقول في هذه الصفات بالنسبة إلى رسول الله ﷺ رفعة منزلة له، كالقول في قوله: ﴿ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ بالنسبة إلى رفعة منزلة جبريل عليه السلام.

أما الزمخشري فقد أتى بما لعل جبريل صلوات الله عليه ما كان ليرضى به من تقصير في حق البشير النذير؛ بقوله: «وناهيك بهذا دليلاً على مكانة جبريل عليه السلام، وفضله على الملائكة، ومباينة لمنزلة أفضل الإنس محمد ﷺ إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما، وقايست بين قوله:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ وبين قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾».

وقد ردّ ابن المنير كعادته على الزمخشري، فقال: ثم يعود الكلام على الآية بعد تسلم أن المراد جبريل، وبعد أن نكله في تعيينه النبي ﷺ، وعدّه مفضولاً إلى الله، فنقول: لم يذكر فيها نعت إلا وللنبي ﷺ مثله، أو لها رسول كريم، فقد قال في حقه صلى الله عليه وسلم في آخر سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ وقد قيل أيضاً: إن المراد جبريل إلا أنه يأباه قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾ وقد وافق الزمخشري على ذلك فيما تقدم، فهذا أول الفوت، وأعظمها، وأما قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ فليس محل الخلاف؛ إذ لا نزاع في أن لجبريل عليه السلام فضل القوة الجسمية، ومَن يقتلع المدائن بريشة من جناحه لا مِراء في فضل قوته على قوة البشر، وقد قيل هذا في تفسير قوله: ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ وقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ فقد ثبتت طاعة الملائكة أيضاً لنبيّنا ﷺ، وورد أن جبريل عليه السلام قال للنبي: إن الله يقرئك السلام، وقد أمر ملك الجبال يطيعك عندما آذته قريش، فسلّم عليه الملك، وقال: إن أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، فصبر النبي ﷺ، واحتسب، وأعظم ذلك، وأشرف مقامه المحمود في الشفاعة الكبرى يوم لا يتقدمه أحد؛ إذ يقول الله تعالى له: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسَلْ تعطه، واشفع تشفع، وأما أمين فقد قال: «والله إني لأمين في الأرض، أمين في السماء» وحسبك قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾، إن قرأته بالظاء فمعناه: أنه ﷺ أمين على الغيب غير متهم، وإن قرأته بالضاد رجع إلى الكرم، فكيف يذهب إلى التفضيل بالنعوت المشتركة بين الفاضل والمفضول سواء؟!.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ استعارة مكنية، فقد شبّه الليل بإنسان يقبل ويدبر، ثم حذف المشبه، وأخذ منه شيئاً من لوازمه،

وهي لفظة عسعس، أي: أقبل وأدبر، كما شبّه الصبح بكائن حي يتنفس، فحذف المشبه، وأتى بشيء من لوازمه، وهو التنفس، أي: خروج النفس من الجوف، أو يقال: أنه شبّه الليل بالمكروب الحزين الذي حبس بحيث لا يتحرك، فإذا تنفس وجد راحته، وهنا لما طلع الصبح، فكأنه تخلص من الحزن كلية، فعبّر عن ذلك بالتنفس.

(٢) وفي قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ فن الالتزام، فقد لزمت النون قبل السين.

* * *

سُورَةُ الانْفِطَار

ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا
ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا
بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ
لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بُعْثِرَتْ ﴾ قال الزمخشري: بعثر وبحثر بمعنى، وهما مركبان من البعث والبحث، مع راء مضمومة إليهما، والمعنى: بحثت، وأخرج موتاها، وقيل لبراءة: المبعثرة؛ لأنها بعثرت أسرار المنافقين. وفي المختار: بحثره فتبحثر، أي: بدده فتبدد، وقال الفراء: بحثر متاعه، وبعثره، أي: فرّقه،

وقلب بعضه على بعض، وقال أبو الجراح: بحثر الشيء، وبعثره، أي: استخرجه، وكشفه.

○ الإعراب:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، والسماء فاعل لفعل محذوف يدل عليه المذكور، وجملة انفطرت مفسّرة، وجملة انفطرت السماء في محل جر بإضافة الظرف إليها، والظرف متعلق بالجواب، وهو علمت، وما بعده عطف عليه، والبحار والقبور نائب فاعل لفعل محذوف، وجملة علمت لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعلمت نفس فعل وفاعل، وما مفعول به، وجملة أخّرت لا محل لها؛ لأنها صلة ما ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ يا حرف نداء، وأيّها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب بيا، والهاء للتنبيه، والإنسان بدل، وما اسم استفهام مبتدأ، وجملة غرّك: خبره، وبربك متعلقان بغرّك، والكريم صفة لربك، وقرأ ابن جبير، والأعمش: ما أغرّك، فاحتمل أن تكون أن استفهامية، وأن تكون تعجبية. وإنما قال سبحانه: ﴿ ٱلْكَرِيمِ ﴾ دون غيره من أسمائه الحسنى وصفاته؛ لأنه تعالى؛ كأنه لقنه الإجابة، حتى يقول: غرّني كرم الكريم ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ الذي صفة ثانية لربك مقرّة بالربوبية، وجملة خلقك صلة الذي، فسوّاك عطف على خلقك، وكذلك فعدلك ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بركبك، وما زائدة، وجملة شاء صفة لصورة، والمفعول به محذوف، أي: شاءها، والمعنى: وصفك في أيّ صورة اقتضتها مشيئته من حسن، ودمامة، وطول، وقصر، وذكورة، وأنوثة، وعدلك: أي: صيّرك معتدل القامة، متناسب الخلقة من غير تفاوت. ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال، أي: ركّبك حال كونك حاصلاً في بعض الصور، وقال الزمخشري: ويجوز أن يتعلق بعدلك،

ويكون في أيّ معنى التعجب، أي: فعدلك في صورة عجيبة. ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ كلا حرف ردع وزجر، وبل حرف إضراب انتقالي إلى بيان السبب الأصيل في اغترارهم، وعبارة الراغب: «بل هنا لتصحيح الثاني، وإبطال الأول، كأنه قيل: ليس هنا ما يقتضي أن يغرّهم به تعالى شيء، ولكن تكذيبهم هو الذي حملهم على ما ارتكبوه. وتكذبون فعل مضارع مرفوع وفاعل، وبالدين متعلقان بتكذبون ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ الواو حالية، مقررة للإنكار، والجملة حالية من الواو في تكذبون، أي: تكذبون والكتبة يكتبون كل ما يصدر عنكم، ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لإخبارهم بذلك ليرتدعوا عما هم عليه، وإن حرف مشبّه بالفعل، وعليكم خبرها المقدّم، واللام للتأكيد، وحافظين اسم إن، أو هو صفة لاسمها، أي: ملائكة، وكراماً نعت لحافظين، وكاتبين نعت ثانٍ ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ الجملة نعت ثالث، ويعلمون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وما مفعول به، وجملة تفعلون صلة، والعائد محذوف، أي: تفعلونه ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للإجابة عن سؤال مقدّر، تقديره: لم يكتبون ذلك؟ فكأنه قيل: ليجازي الأبرار بالنعيم، والفجّار بالجحيم. وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي نعيم خبرها، وجملة وإن الفجّار.. إلخ عطف على الجملة السابقة مماثلة لها في إعرابها ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ الجملة حال من الضمير من الجار والمجرور، وهو لفي جحيم، ويصلونها فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والهاء مفعول به، ويوم الدين ظرف متعلق بيصلونها، ويجوز أن تكون جملة يصلونها مستأنفة، مسوقة للإجابة عن سؤال مقدّر تقديره: وماذا يؤول إليه أمرهم في الجحيم. ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ أراد: يصلون النار يوم الدين، وما يغيبون عنها قبل ذلك، أي: في قبورهم ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ الواو عاطفة، وما اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ، وجملة أدراك خبر، وأدراك فعل مضارع وفاعل مستتر، تقديره: هو، والكاف مفعول به أول، وما اسم

استفهام معناه: التهويل، والتعظيم في محل رفع مبتدأ، ويوم الدين خبره، والجملة المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ مفعول أدراك الثاني، قال ابن عباس: كلُّ ما في القرآن من قوله: ﴿ مَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد أدراه، وكل ما فيه من قوله، وما يدريك فقد طوي عنه. ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ يوم مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، وجعله أبو البقاء ظرفاً متعلقاً بمحذوف، تقديره: يجازون، وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو بدل من يوم الدين، وجملة لا تملك في محل جر بإضافة الظرف إليها، ونفس فاعل، والتنوين للتعميم، أي: كل نفس، وشيئاً مفعول به، والأمر مبتدأ، ويومئذ ظرف أضيف إلى مثله متعلق بمحذوف حال، والتنوين عوض عن جملة، ولله: خبر الأمر.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ الوصل، وقد تقدم القول في الوصل والفصل، وفيه من مقتضيات الوصل: اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية مع الاتصال، أي: الجامع بينهما، وهو ـ هنا ـ التضاد.

(٢) وفي هاتين الآيتين أيضاً: فن الترجيع، وهو: ضرب من السجع، وذلك أن تكون كل لفظة في صدر البيت، أو فقرة النثر موافقة لنظيرتها في الوزن، والروي، والإعراب، ومما ورد منه شعراً قول أبي فراس:

وأفعالُنا للرَّاغبينَ كريمةٌ وأموالُنا للطَّالبين نِهابُ

* * *

سورة المطففين

آياتها ٣٦ — ترتيبها ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو
وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨
كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا
كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ التطفيف: البخس في الكيل والوزن؛ لأن ما يبخس شيء طفيف حقير، وطفف المكيال: نقصه قليلاً، وقال الزجّاج: وإنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان: مطفف؛ لأنه يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف.

﴿ ٱكْتَالُوا۟ ﴾ قال الفرّاء: يقال: اكتلت على الناس: استوفيت منهم،

واكتلت منهم: أخذت ما عليهم، فعلى: بمعنى: من.

﴿سِجِّينٌ﴾ قال الزمخشري: فإن قلت: قد أخبر الله عن كتاب الفجار إنه في سجين، وفسّر سجيناً بكتاب مرقوم، فكأنه قيل: إن كتابهم في كتاب مرقوم، فما معناه؟ قلت: سجين كتاب جامع، وهو ديوان الشر، دوّن الله فيه أعمال الشياطين، وأعمال الكفرة والفَسَقَة من الجن والإنس، وهو كتاب مرقوم مسطور بيِّن الكتابة، أو معلّم، يعلم مَن رآه أنه لا خير فيه، فالمعنى: أن ما كتب من أعمال الفجّار مثبت في ذلك الديوان، وسمّي سجيناً فعيلاً من السجن، وهو: الحبس، والتضييق؛ لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم. إلى أن يقول: فإن قلت: فما سجين؟ أصفة هو أم اسم؟ قلت: بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم، وهو منصرف؛ لأنه ليس فيه إلا سبب واحد، وهو: التعريف.

وعبارة أبي حيان: وسجين: قال الجمهور: فعيل، من: السجن، كسكير، أو في موضع ساجن، فجاء بناء مبالغة في سجين على هذا صفة لموضع محذوف، قال ابن مقبل:

ورفقة يضربُون البيضَ ضاحيةً ضرباً تواصتْ به الأبطالُ سجينا

ثم أورد ما قاله الزمخشري قال: واختلفوا في سجين: إذا كان مكاناً اختلافاً مضطرباً حذفنا ذكره، والظاهر: أن سجيناً هو كتاب، ولذلك أبدل منه ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ﴾ وقال عكرمة: سجين عبارة عن الخسار والهوان، كما تقول: بلغ فلان الحضيض؛ إذا صار في غاية الجمود، وقال بعض اللغويين: سجين نونه بدل من لام، وهو من السجل، فتلخص من أقوالهم: أن سجيناً نونه أصلية، أو بدل من لام، وإذا كانت أصلية فاشتقاقه من السجن.

وأورد صاحب القاموس في مادة السجن ما نصّه: وكسكين: الدائم الشديد، موضع فيه كتاب الفجّار، وواد في جهنم، أعاذنا الله تعالى منها، أو حجر في الأرض السابعة.

﴿مَّرْقُومٌ﴾ مكتوب مسطور، وأصل الرقم: الكتابة، ومنه قول الشاعر:

سأرْقُم في الماءِ القَراحِ إليكمُ ... على بُعْدِكُمْ إن كان للماءِ راقِمُ

○ الإعـراب:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ويل مبتدأ، وسوّغ الابتداء به كونه دعاء، وللمطففين خبره، ولو نصب لجاز، وقيل: والمختار في ويل وشبهه إذا كان غير مضاف: الرفع، ويجوز فيه النصب، فإن كان مضافاً، أو معرّفاً كان الاختيار فيه النصب، نحو: ويلكم لا تغترّوا. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الذين صفة للمطففين، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط، وهو متعلق بالجواب المحذوف، وتقديره: قبضوا منهم، وجملة اكتالوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعلى الناس متعلقان باكتالوا، وقيل: متعلقان بيستوفون، وإنما قدّم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية، قال الزمخشري: لما كان اكتيالهم اكتيالاً يضرّهم، ويتحامل فيه عليهم، أبدل على مكان من للدلالة على ذلك، ويجوز أن يتعلق بيستوفون، وقدّم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية، أي: يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها. وقد جعل ابن هشام «على» بمعنى «من» موافقاً بذلك الزمخشري. وجملة يستوفون في موضع نصب على الحال من فاعل الجواب المحذوف، أي: قبضوا منهم مستوفين ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب المحذوف، وتقديره: استوفوا لها، وجملة كالوهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وكالوهم فعل ماضٍ وفاعل، والهاء منصوب بنزع الخافض، أي: كالوا لهم الطعام، وأو حرف عطف، ووزنوهم عطف على كالوهم موازن له في إعرابه، وعبارة الزمخشري: والضمير في كالوهم، أو وزنوهم ضمير منصوب راجع إلى الناس، وفيه وجهان: أن يراد: كالوا لهم، أو: وزنوا لهم، فحذف الجار، وأوصل الفعل، كما قال:

ولقد جَـنَيْتُـكَ أَكْمُـؤاً وعَسَاقِلاً ... ولَقَدْ نَـهَيْتُـكَ عن بَنَـاتِ الأَوْبَـرِ

فجنى لا يتعدى إلا لواحد وللثاني باللام، فالأصل: جنيت لك، فحذف الجار، وأوصل الضمير، أو ضمنه معنى: أنجيتك، فعدّاه لهما، والأكمؤ: جمع كمء، كأفلس، وهو واحد: الكمأة، وهي لنوع كبير من نبات يسمى: شحمة الأرض، سمي كمأة لاشتهاره بها، والعساقل: جمع عسقول، كعصفور، وكان حقه: عساقيل، فحذفت الياء للوزن، وقيل: أنه جمع عسقل، وهو نوع صغير منها جيد أبيض، ونبات أوبر: نوع رديء منها أسود، مزغب، كأن عليه وبراً، وقيل: هو جنس يشبه القلقاس، أو اللفت، ونبات أوبر: جمع ابن أوبر؛ لأنه علم لما لا يعقل، وأل فيه زائدة، وقال المبرد: هو اسم جنس، والبيت هو من باب التمثيل لحال من أغري على الطيب، فعدل إلى الخبيث، ثم رجع يتندم على عاقبته.

ونعود إلى ما نحن بصدده فنقول: ومن أمثلة المنصوب بنزع الخافض: قولهم: الحريص يصيدك لا الجواد، والأصل: يصيد لك، وما قيل من أن هم ضمير رفع مؤكد للواو في كالوهم خطأ. وأو حرف عطف، ووزنوهم معطوف على كالوهم، ويقال في إعرابه ما قيل في كالوهم، أي: وزنوا لهم، وعبارة أبي حيان: وكال ووزن مما يتعدى بحرف الجر، فتقول: كلت لك، ووزنت لك، ويجوز حذف اللام، كقولك: نصحت لك، ونصحتك، وشكرت لك، وشكرتك، والضمير ضمير نصب، أي: كالوا لهم، ووزنوا لهم، فحذف حرف الجر، ووصل الفعل بنفسه، والمفعول محذوف، وهو: المكيل، والموزون. وجملة يخسرون حال من الجواب المحذوف ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ولا نافية، ويظن فعل مضارع مرفوع، والظن ـ هنا ـ بمعنى: اليقين، أي: ألا يوقن أولئك، ولو أيقنوا ما نقصوا في الكيل، والوزن، وأولئك فاعل، والإشارة للمطففين، وأنْ وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي يظن، وأن واسمها، ومبعوثون خبرها، وليوم متعلقان بمبعوثون، أو: هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، وإنما بني على الفتح

لإضافته إلى الفعل، وعظيم نعت، ويوم بدل من ليوم تابع له على المحل، ومحله النصب بمبعوثون المذكور، أو بمقدّر مثله؛ لأن البدل على نية تكرير العامل، وجملة يقوم الناس في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولرب العالمين متعلقان بيقوم، وعن ابن عمران: قرأ هذه السورة، فلما بلغ قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ بكى نحيباً، وامتنع من قراءة ما بعده. وعن عبد الملك بن مروان: أن أعرابياً قال له: قد سمعت ما قال الله في المطففين، أراد بذلك: أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به، فما ظنك بنفسك، وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن؟! ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ كلا ردع وزجر لهم عن التطفيف، والغفلة عن الحساب والبعث، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي سجين خبر إن، وما اسم استفهام مبتدأ، وجملة أدراك خبر، وما اسم استفهام مبتدأ، وسجين خبر، والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ مفعول أدراك الثاني، وكتاب بدل من سجين، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو كتاب مرقوم، ومرقوم صفة كتاب، وإذا اعتبر سجين اسم موضع؛ فالأرجح الخبرية، أو تقدير مضاف من: سجين ليندفع الاعتراض بأن سجيناً اسم موضع، فكيف يفسّر بكتاب مرقوم ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ويل مبتدأ، كما تقدم، ويومئذ ظرف أضيف إلى مثله متعلق بويل، وللمكذبين خبر، والذين نعت للمكذبين، وجملة يكذبون لا محل لها؛ لأنها صلة الذين، وبيوم الدين متعلقان بيكذبون ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وما نافية، ويكذب فعل مضارع مرفوع، وبه متعلق بيكذب، وإلا أداة حصر، وكل معتدٍ أثيم فاعل يكذب ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه، وهو قال، وجملة تتلى في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعليه متعلقان بتتلى، وآياتنا نائب فاعل تتلى، وجملة قال لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وأساطير الأولين خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي. وتقدم: أن الأساطير جمع: أُسطورة، أو

إساطرة بالكسر، وهي: الحكاية التي سطرت قديماً.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ مقابلة أتت على أحسن وجه، وأنظمه، أي: إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه، وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه، سواء باشروه أو لا، فالضمير لا يدل على مباشرة، ولا إشعار أيضاً بذلك، والذي يدلك على أن الضمير لا يعطي مباشرة الفعل، إن لك أن تقول: الأُمراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوقة، لست تعني: أنهم يباشرون ذلك بأنفسهم، وإنما معناه: أن فعل ذلك من جهتهم خاصة، قيل: كان أهل المدينة تجّاراً يطففون، وكانت بياعاتهم: المنابزة، والملامسة، والمخابرة، فنزلت، فخرج رسول الله ﷺ، فقرأها عليهم، وقال: «خمس بخمس» قيل: يا رسول الله! وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلّط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات، وأُخِذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر». وقيل: نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، أي: يأخذ بواحد، ويعطي بآخر.

﴿كَلَّا بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ

أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

☆ **اللغة:**

﴿رَانَ﴾ غلب، وأحاط، وغطى تغطية الغيم للسماء. وفي المختار: الرين: الطبع، والدنس. يقال: ران ذنبه على قلبه، من باب: باع، وريوناً أيضاً: غلب. وقال أبو عبيدة: كل ما غلبك فقد ران بك، ورانك، وران عليك، ورين الرجل: إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، ولا قبل له به. وعبارة الزمخشري: ران على قلوبهم: ركبها كما يركب الصدأ، وغلب عليها، وهو: أن يصرّ على الكبائر، ويُسوِّف التوبة حتى يطبع على قلبه، فلا يقبل الخير، ولا يميل إليه. وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يسودّ القلب. يقال: ران عليه الذنب، وغان عليه، ريناً، وغيناً. والغين: الغيم. ويقال: ران فيه النوم: رسخ فيه، ورانت به الخمر: ذهبت به. قلت: وران يائية وواوية، وهي ـ هنا ـ يائية، يقال: ران، يرين، ريْناً، وريوناً الشيء فلاناً، وعليه، وبه: غلب عليه. تقول: ران هواه على قلبه، أي: غلب عليه، ورانت نفسه: خبثت، وغشت. وران الموت عليه، وبه: ذهب، ورين به: وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، ولا طاقة له به، ومات، ووقع في غم، وأران إرانة القوم: هلكت ماشيتهم، فهم مرينون، والران: حذاء كالخف، إلا أنه أطول منه، والرَّينة: الخمر؛ لغلبتها على العقل.

أما الواوية فيقال: ران يرون روناً، من باب: دخل، الأمر: اشتد، ورانت الليلة: اشتد هولها، أو غمّها، والرُّون بضم الراء المشددة: الشدة، والجَمْع: رؤون، ورُونة الشيء بالضم: معظمه، وشدته. يقال: كشف الله عنك رونة هذا الأمر، أي: شدّته، وغمته. والأرونان: الصعب، ويقال:

الأرونان، والأروناني: الشديد في كل شيء من حرّ وبرد، وجلبة، وصياح، وحزن، وفرح، ومؤنثه: أرونانة، وأرونانية.

﴿ عِلِّيُّونَ﴾ قال الزمخشري: وعليون: علم لديوان الخير؛ الذي دوّن فيه كل ما عملته الملائكة، وصلحاء الثقلين، منقول من جمع عليّ، فعيل، من العلو، كسجين من السجن، سُمِّي بذلك؛ إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة، حيث يسكن الكروبيون تكريماً له، وتعظيماً. وعبارة أبي حيان: عليون: جمع، واحده: عليّ، مشتق من العلو، وهو: المبالغة، قاله يونس، وابن جنّي، قال أبو الفتح: وسبيله أن يقال: عِليّة، كما قالوا للغرفة: عِليَّة، فلما حذفت التاء عوّضوا منها الجمع بالواو والنون، وقيل: هو وصف للملائكة؛ فلذلك جمع بالواو والنون، وقال الفراء: هو اسم موضوع على صيغة الجمع، ولا واحد له من لفظه، كقوله: عشرين، وثلاثين، والعرب إذا جمعت جمعاً، ولم يكن له بناء من واحده، ولا تثنية، قالوا في المذكر والمؤنث بالواو والنون. وقال الزجّاج: أعرب هذا الاسم كإعراب الجمع: هذه قنسرون، ورأيت قنسرين. وقال ابن هشام في بحث: ما ألحق بجمع المذكر السالم: والرابع: ما سمي به في هذا الجمع، وما ألحق به كعليون. أي: فإنه ملحق بهذا الجمع، ومسمى به أعلى الجنة. وقال الراغب: قيل: هو اسم أشرف الجنان، كما أن سجين هو أشرف النيران، وقيل: بل ذلك في الحقيقة اسم سكانها، وهذا أقرب إلى العربية؛ إذا كان هذا الجمع يخصّ الناطقين، والواحد: عليّ، ومعناه: أن الأبرار في جملة هؤلاء.

○ الإعراب:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ كلا حرف ردع وزجر للمعتدي الأثيم عن ذلك القول الباطل، وتكذيب له فيه، وبل حرف عطف وإضراب، وران فعل ماضٍ مبني على الفتح، وعلى قلوبهم متعلقان بران، وما فاعل، وجملة كانوا لا محل لها؛ لأنها صلة، وكان واسمها، وجملة يكسبون خبر

كانوا ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ كلا حرف ردع وزجر أيضاً عن الكسب الرائن على قلوبهم، وإن واسمها، وعن ربهم متعلقان بمحجوبون، ويومئذ ظرف أُضيف إلى مثله، متعلق بمحجوبون أيضاً، ومحجوبون خبر إن، والتنوين في إذ عوض عن جملة تقديرها: يوم إذ يقوم الناس، وسيأتي معنى قوله: محجوبون في باب البلاغة ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ ثم حرف عطف لتراخي الرتبة؛ فإن صلي الجحيم أشدّ من الإهانة والحرمان من الرحمة والكرامة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وصالوا الجحيم خبر إن ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ثم حرف عطف للترتب والتراخي أيضاً، ويقال: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب لفاعل مستتر، تقديره: هو، وهذا مبتدأ، والذي خبره، وجملة كنتم صلة، وكان واسمها، وبه متعلقان بتكذبون، وجملة تكذبون خبر كنتم ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ كلا تأكيد للردع، ووجوب الارتداع، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي عليين خبرها، وعلامة جرّ عليين الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والواو حرف عطف، وما اسم استفهام مبتدأ، وجملة أدراك خبر، وما اسم استفهام للتفخيم والتعظيم مبتدأ، وعليون خبر، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والجملة المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ مفعول أدراك الثاني ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ كتاب بدل من عليون، أو خبر لمبتدأ محذوف، وهو الأولى، ومرقوم نعت لكتاب، وجملة يشهده نعت ثانٍ، والهاء مفعول به، والمقربون فاعل ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في محاسن أحوالهم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي نعيم خبرها، وعلى الأرائك متعلقان بينظرون، وجملة ينظرون حالية من الضمير المستكن في خبر إن، أو: مستأنفة، والمراد بالأرائك السرر في الحجال، والحجال ـ كما يقول الجوهري ـ: جمع حَجَلة بالتحريك، واحده: حجال العروس، وهو: بيت يزيّن بالثياب والأسرّة. وقال الشهاب: الحَجَلة بفتحتين: بيت مربع من الثياب الفاخرة، يرخى على

السرير، يُسمَّى في عُرف الناس بالناموسية، أي: الكلة ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإيذان المخاطب بالالتفات إليهم، والتأمل في آثار النعيم على وجوههم، وقرىء بالبناء للمجهول، فتكون نضرة النعيم نائب فاعل، وفي وجوههم متعلقان بتعرف، ونضرة النعيم مفعول به ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ يسقون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، ومن رحيق متعلقان بيسقون، ومختوم نعت، أي: خمر خالصة من كل شائبة، أو غش، وختامه مسك مبتدأ وخبر، والجملة نعت ثانٍ لرحيق، والظاهر: أن الرحيق ختم عليه لتوفير النظافة، والرائحة المسكية كما فسّره بعد، وفي الصحاح: الختام: الطين الذي يختم به، وكذا قال مجاهد، وابن زيد: ختم إناؤه بالمسك بدل الطين، قال:

كأنَّ مُشعشعاً من خَمْر بصرى نمته البحت مشدود الخِتام

والواو حرف عطف، وفي ذلك متعلقان بقوله: فليتنافس، والفاء عاطفة لزيادة الاهتمام، واللام لام الأمر، ويتنافس فعل مضارع مجزوم باللام، والمتنافسون فاعل. وفي المختار: ونفس الشيء، من باب: ظرف: صار مرغوباً فيه، ونافس في الشيء، منافسة، ونِفاساً بالكسر؛ إذا رغب فيه على وجه المباراة في الكرم، وتنافسوا فيه، أي: رغبوا. ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ الواو عاطفة، ومزاجه مبتدأ، ومن تسنيم خبر، وهو علم لعين بعينها، سُمِّيت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه؛ إذا رفعه؛ لأنها تأتيهم من فوق، على ما روي: أنها تجري في الهواء فيشربونها صرفاً للمقربين، وممزوجة لسائر أهل الجنة، وقيل: سميت بالتسنيم؛ لأنها أرفع شراب في الجنة، وعيناً منصوب على المدح بفعل محذوف، تقديره: أمدح، وقال الزجّاج: نصب على الحال من تسنيم بوصفها علماً، قال أبو البقاء: وقيل: تسنيم مصدر، وهو: الناصب عيناً. وقال الأخفش: يسقون عيناً. وجملة يشرب نعت عيناً، وبها متعلقان بيشرب، أي: منها،

على أن التضمين في الحرف، أو يكون التضمين بالفعل، أي: يلتذ بها، والمقربون فاعل يشرب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسلية المؤمنين، وتقوية قلوبهم بما أعدّ للأبرار في الجنة. وإن واسمها، وجملة أجرموا لا محل لها؛ لأنها صلة الذين، وجملة كانوا خبر إن، وكان واسمها، ومن الذين متعلقان بيضحكون، وجملة يضحكون خبر كانوا، فقد كان مشركو مكة كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأشياعهم يضحكون من عمار، وصهيب، وخباب، وبلال، وغيرهم من فقراء المؤمنين، ويستهزئون بهم. وقيل: جاء علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في نفرٍ من المؤمنين، فسخر منهم المنافقون، وضحكوا، وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم، فقالوا: رأينا اليوم الأصلع، فضحكوا منه ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، متعلق بيتغامزون، وجملة مروا بهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة يتغامزون لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وإذا ظرف مستقبل أيضاً، وجملة انقلبوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، وإلى أهلهم متعلقان بانقلبوا، وجملة انقلبوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وفكهين حال، أي: معجبين، وقرىء فاكهين، أي: فرحين، ناعمين ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ الواو عاطفة، أيضاً، وإذا ظرف مستقبل، وجملة رأوهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة قالوا لا محل لها، والضمير المرفوع عائد على المؤمنين، والمنصوب على المجرمين، أي: إذا رأى المؤمنون المجرمين ينسبونهم إلى الضلال، ويجوز العكس، وإن واسمها وخبرها، والجملة مقول قولهم ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ الواو حالية، والجملة حال من الواو في قالوا، وما نافية، وأرسلوا فعل ماضٍ مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وعليهم متعلقان بحافظين، وحافظين حال ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ الفاء عاطفة

للتفريع، واليوم ظرف متعلق بيضحكون، والذين مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، ومن الكفّار متعلقان بيضحكون أيضاً، وجملة يضحكون خبر الذين، وعلى الأرائك متعلقان بينظرون، وجملة ينظرون حالية من الضمير في يضحكون، أي: يضحكون حال كونهم ناظرين إليهم، وإلى ما هم فيه من التردّي، والهوان ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: يقولون: هل ثوب؟ وأجازوا: أن تكون الجملة معلقة بالاستفهام في محل نصب بنزع الخافض، وثوب فعل ماضٍ مبني للمجهول، والكفار نائب فاعل، وثوّب ـ هنا ـ بمعنى الجزاء، أي: هل أُثيبوا؟ أو: هو من: ثابَ، بمعنى: رجع؛ لأن الثواب هو ما يرجع على الإنسان في مقابل عمله، وما في موضع نصب مفعول به ثانٍ، وجملة كانوا صلة ما، وجملة يفعلون خبر كانوا، قال أوس:

سأجزيكِ أو يَجْزِيكِ عنّي مُثَوِّبٌ　　وحَسْبُكِ أن يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِي

□ البلاغة:

في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ تمثيل؛ للاستخفاف بهم، وإهانتهم؛ لأنه لا يؤذن على ذوي العلية والمراتب السامية إلا للمقربين المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء الموسومون بالمهانة، والقماءة، والصَّغار. وقد رمق أبو تمام سماء هذا المعنى، فقال مبرِّراً احتجابَ المعتصم عن الرعية:

ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً　　إنَّ السماءَ تُرجى حين تحتجب

* * *

ترتيبها ٨٤

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

آياتها ٢٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا
فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ
سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ
بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَأَذِنَتۡ ﴾ استمعت أمره، يقال: أذنت لك، أي: استمعت كلامك، وفي الحديث: «ما أَذِنَ الله لشيء إِذْنه لنبي يتغنى بالقرآن». وقال الشاعر:

صُـمٌّ إذا سَمِعُوا خَـيْراً ذُكِرْتُ به وإنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عندَهم أَذِنُوا

وفي المختار: وأذن له: استمع، وبابه: طرب، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ . ويقال: أذن، يأذن، أَذَناً إليه، وله: استمع له معجباً، أو عام، ولرائحة الطعام: اشتهاه، وأذن بالشيء، كسمع إذناً بالكسر، ويحرّك، وأذاناً، وأذانة: علم به ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ ﴾ أي: كونوا على علم، وآذنه الأمر، وبه: أعلمه، وأذّن تأذيناً: أكثر الإعلام، وفلاناً: عرك أذنه، وردّه عن الشرب، فلم يسقه، والنعل، وغيرها: جعل لها أُذُناً، وفعله بإذني، وأذيني: بعلمي، وأذن له في الشيء، كسمع، إذناً بالكسر، وأُذيناً: أباحه له، واستأذنه: طلب منه الإذن، إلى آخر هذه المادة العجيبة.

﴿ كَادِحٌ ﴾ جاهد في عملك، والكدح: جهد النفس في العمل، والكد فيه، حتى يؤثر فيها، من: كدح جلده؛ إذا خدشه. وفي المختار: الكدح: العمل، والسعي، والكد، والكسب، وهو: الخدش أيضاً، وباب الكل: قطع. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: ساعٍ، وبوجهه كدوح، أي: خدوش، وهو يكدح لعياله، ويكتدح، أي: يكتسب. ومن طريف أمر الكاف والدال إذا وقعا فاءً وعيناً للكلمة دلّت على الجهد، والدأب، والتأثير، يقال: فلان كدود: يكدّ نفسه في العمل، ويتعبها. ومن المجاز: كدّ لسانه بالكلام، وقلبه بالفكر، وكدّت الدواب الأرض بالحوافر، وهي الكديد، وكددت رأسي وجلدي بالأظافر؛ إذا حككته حكاً بإلحاح، ومنه قول كثير:

غَنِيتُ فلم أَرْدُدْكُمْ عند بُغْيَةٍ وحُجْتُ فلم أَكْدُدْكُمُ بالأصابعِ

أي: لم ألحّ عليكم في السؤال، وبئر كدود: لا ينال ماؤها إلا بجهد، وناقة كدود، ورجل كدود: لا ينال درّها وخيره إلا بعد عسر، وكان ابن هبيرة يقول: كدوني فإني مكد، أي: سلوني فإني أعطي على السؤال، وكدر الماء عن ابن الأعرابي فيه اللغات الثلاث، وماء أكدر، وكدر بين الكدر. ومن المجاز: كدر عينه، وتكدر، وخذ ما ضفا، ودع ما كدر، وكدر عليّ فلان، وهو كدر الفؤاد عليّ، قال:

وإنّي لمشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ يرقُّ ويصفو إن كدرتُ عليهِ

وله كُدْسٌ من الطعام، وأكداس، قال المتلمّس:

لم تدرِ بُصرى بما آليتُ من قَسَمٍ ولا دمشقُ إذا دِيسَ الكداديسُ

أراد: الأكداس، وهو: اسم جمع، وكدس الطعام، فتكدس، ولا يخفى ما فيه من الثقل والجهد. وكدمه: عضّه بأدنى الفم، وحمار مكدّم: معضض. وإنه لذو كدنة، وعبالة، وهي: غلظه وثقله، ومنه الكودن، وهو: البرذون التركي. وأكدى الحافر: بلغ الكدية، وهي صلابة الأرض، فمنعته، كقولهم: أجبل الحافر، ومن المجاز: أكدى الرجل، أخفق ولم يظفر بحاجته، وفلان مكد: لا ينمى ماله؛ إلى آخر ما جاء من هذه المادة.

﴿ثُبُورًا﴾ الثبور: الهلاك، وفي المصباح: وثبر الله الكافر، ثبوراً، من باب: قعد؛ أهلكه، وثبر ثبوراً: هلك، يتعدى، ولا يتعدى.

﴿يَحُورَ﴾ يرجع، قال الراغب: الحور: التردد في الأمر، ومنه: نعوذ بالله من الحور بعد الكور. أي: من التردد في الأمر بعد المضي فيه، ومحاورة الكلام: مراجعته، والحور: العود الذي تجري فيه البكرة لترددها عليه، وفي المختار: حار: رجع، وبابه: قال، ودخل. فالمصدر بوزن قول، ودخول، يقال: حَوْراً، وحؤوراً، ومحاراً، ومحارة. هذا: وتأتي حار بمعنى: صار، فترفع الاسم، وتنصب الخبر.

○ الإعراب:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن، والسماء فاعل بفعل محذوف يفسّره ما بعده، والتقدير: إذا انشقّت السماء انشقت؛ لأن إذا الشرطية يختصُّ دخولها بالجمل الفعلية، وما جاء من هذا ونحوه فمؤول؛ محافظة على قاعدة الاختصاص، وقد تقدم القولُ مُفصَّلاً فيه في سورة التكوير، وجملة انشقت مفسّرة لا محل لها؛ وجملة انشقت المحذوفة في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجواب إذا محذوف، وإنما

حذف تنبيهاً على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو ليذهب المقدّر كل مذهب، وقيل: جوابها ما دلّ عليه: فملاقيه، أي: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه، وقيل: لا جواب لها؛ إذ هي قد نصبت باذكر نصب المفعول به، فليست شرطاً، والواو حرف عطف، وأذنت فعل ماضٍ، ولربها متعلقان بأذنت، أي: استمعت له، وحقّت فعل ماضٍ مبني للمجهول، واعلم أن الفاعل في هذا التركيب هو الله تعالى، أي: حقّ الله عليها ذلك، أي: سمعه وطاعته، يقال: هو حقيق بكذا، وتحقق به، والمعنى: وحقّ لها أن تفعل ذلك، فالفاعل إذاً محذوف، وهو الله تعالى، والمفعول به هو: سمعها، وطاعتها، وهو غير مذكور، بل الإسناد في الآية إنما هو للسماء نفسها، فيحتاج إلى تقدير، والتقدير: وحقّت هي، أي: حقّ سمعها وطاعتها، أي: حقّه الله تعالى عليها، وأوجبه، وألزمها به، هذا هو الظاهر، وأجاز البيضاوي أن يكون نائب الفاعل هو ضمير السماء المستكن في الفعل من غير تقدير، ونصّ عبارته: وحقّت؛ أي: جعلت حقيقة بالاستماع، والانقياد. ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ عطف على ما تقدم، مماثل له في إعرابه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ يا حرف نداء، وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، والهاء للتنبيه، والإنسان بدل، وإن واسمها، وكادح خبرها، وإلى ربك متعلقان بكادح، و«إلى» هنا معناها الغاية، أي: غاية كدحك في الخير والشر تنتهي بلقاء ربك، وهو: الموت، وكدحاً مفعول مطلق، والفاء حرف عطف، وملاقيه عطف على كادح، ويجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف، أي: فأنت ملاقيه فعلى الأول يكون من عطف المفرد على المفرد، وعلى الثاني يكون من باب عطف الجمل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الفاء استئنافية، وأما حرف شرط وتفصيل، ومن اسم موصول مبتدأ، وجملة أُوتي صلة لا محل لها، ونائب الفاعل مستتر يعود على من، وكتابه مفعول به ثانٍ، وبيمينه متعلقان بأُوتي ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ الفاء رابطة لجواب أما، وسوف حرف استقبال، ويحاسب فعل مضارع مبني

للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: هو، وحساباً مفعول مطلق، ويسيراً نعت حساباً ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ الواو حرف عطف، وينقلب فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: هو، وإلى أهله متعلقان بينقلب، ومسروراً حال، وجملة سوف يحاسب خبر من ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾ عطف على الجملة السابقة مماثل له في إعرابه، ووراء ظهره منصوب بنزع الخافض، أي: يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، والفاء رابطة، وجملة سوف يدعو ثبوراً خبر منْ، وثبوراً مفعول يدعو، أي: ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه! لأن نداء ما لا يعقل يراد به التمنّي، فالدعاء بمعنى الطلب بالنداء ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ عطف على يدعو، وسعيراً مفعول يصلى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ تعليل لما يلاقيه، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، وفي أهله حال، ومسروراً خبر كان ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ تعليل ثانٍ، وإن واسمها، وجملة ظن خبرها، والظن ـ هنا ـ بمعنى: العلم، والتيقن، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويحور فعل مضارع منصوب بلن، وجملة لن يحور خبر أن، وأن وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي ظن ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا﴾ بلى حرف جواب لإيجاب ما بعد النفي، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، وبه متعلقان ببصيراً، وبصيراً خبر كان، وجملة إن وما في حيِّزها جواب قسم مقدّر، أو تعليل لما أفادته بلى من إيجاب لما بعد لن.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ استعارة مكنيّة؛ فقد شبّهت حال السماء في انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطواع للأمر، ثم حذف المشبه به، واستعير لفظ الإذن والاستماع المستعمل في غايته.

(٢) في قوله: ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾ استعارة مكنية، فقد شبّهت حال

الأرض بحال المرأة الحامل تلقي ما في بطنها عند الشدّة والهول، ثم حذف المشبه به، واستعير لفظ الالقاء.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ
طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا
يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣
فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ
مَمۡنُونِۭ ٢٥ ﴾

☆ **اللغة:**

(الشَّفَق) قال الزمخشري: الشفق: الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس، وبسقوطه يخرج وقت المغرب، ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما يروى عن أبي حنيفة في إحدى الروايتين أنه: البياض، وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه. وسُمِّي شفقاً لرقّته، ومنه الشفقة على الإنسان، وهي: رقة القلب عليه. وقال الراغب: الشفق: اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس، والإشفاق عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب المشفق عليه، ويخاف ما يلحقه، فإذا عدّي بمن، فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدّي بعلى فمعنى العناية فيه أظهر. وقال السمين: والشفق شفقان: الشفق الأحمر، والشفق الأبيض، والشفق والشفقة اسمان للاشفاق. وقال أبو حيان: الشفق: الحمرة بعد مغيب الشمس حين تأتي صلاة العشاء الآخرة، قيل: أصله من: رقة الشيء، يقال: شيء مشفق، أي: لا يتماسك لرقته، ومنه أشفق عليه: رقّ قلبه، والشفقة الاسم من الشفاق، وكذلك الشفق، قال الشاعر:

تهوى حياتي وأهوى موتَها شَفَقاً والموتُ أكرمُ نزَّالٍ على الحُرَمِ

وعبارة القاموس: الشَّفَق ـ محركة ـ: الحمرة في الأُفق من الغروب إلى

العشاء الآخرة، أو إلى قربها، أو إلى قريب العتمة. وهذا هو الصحيح، ومنه قول الشاعر:

قمْ يا غلام أعنّي غير مُرْتَبِك   على الزّمان بكأسٍ حشوها شَفَق

﴿ وَسَقَ ﴾ جمع وضم، يقال: وسقه فانشق، واستوسق، ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين: اتسع واستوسع، وفي القاموس: وسقه، يسقه، من باب: ضرب، جمعه، وحمله، ومنه: ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾

﴿ ٱتَّسَقَ ﴾ اجتمع، واستوى ليلة أربع عشرة، قال الفراء: وهو امتلاؤه، واستواؤه ليالي البدر. وهو افتعل من الوسق، وهو الضم، والجمع، كما تقدم، وأمر فلان متسق، أي: مجتمع على ما يسر.

○ الإعراب:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها في جواب شرط مقدم، أي: إذا عرفت هذا، أو إذا تحققت الرجوع بالبعث، فلا أُقسم، وقد تقدم القول في: لا أُقسم، فجدّد به عهداً، وبالشفق متعلقان بأقسم، والليل عطف على الشفق، والواو حرف عطف، وما يجوز أن تكون موصولة اسمية، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة، ويجوز أن تكون مصدرية، وعلى كونها موصولة، أو نكرة موصوفة، فعائد الصلة، أو الصفة محذوف، أي: وسقه، أي: جمعه، والمعنى ضم ما كان سارباً بالنهار من أصناف الخلق، وأنواع الكائنات؛ لأنّ كل شيء منها في الليل يعود إلى مأواه، والقمر عطف أيضاً، وإذا ظرف خالٍ من معنى الشرط، متعلق بفعل القسم، أي: وقت اتّساقه، واستوائه، واللام جواب القسم، وتركبن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والنون نون التوكيد الثقيلة، وطبقاً حال، أو مفعول به، وعن طبق، أي: أُمة من الناس صفة لطبقاً، أي: طبقاً مجاوزاً الطبق، وعلى كون طبقاً مفعولاً به يكون على حذف مضاف، أي: لتركبن سنن، أو طريقة

طبقة بعد طبق، وعبارة الزمخشري: فإن قلت: ما محل عن طبق؟ قلت: النصب على أنه صفة لطبقاً، أي: طبقاً مجاوزاً لطبق، أو حال من الضمير في لتركبن، أي: لتركبن طبقاً مجاوزين لطبق، أو مجاوزاً، أو مجاوزة على حسب القراءة. وقال الزمخشري أيضاً: قرىء لتركبن، على خطاب الإنسان في: يا أيها الإنسان، ولتركبن بالضم على خطاب الجنس؛ لأن النداء للجنس، ولتركبن بالكسر على خطاب النفس، وليركبن بالياء على ليركبن الإنسان، والطبق: ما طابق غيره، يقال: ما هذا بطبق لذا، أي: لا يطابقه، ومنه: قيل للغطاء الطبق، وإطباق الثرى: ما تطابق منه، ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق، ومنه قوله عزّ وجلّ: طبقاً عن طبق، أي: حالاً بعد حال، كل واحدة مطابقة لأُختها في الشدّة والهَوْل، ويجوز أن يكون جمع طبقة، وهي: المرتبة من قولهم: هو على طبقات، ومنه طبق الظهر لفقاره، الواحدة: طبقة، على معنى: لتركبنّ أحوالاً بعد أحوال، هي طبقات في الشدّة بعضها أرفع من بعض، وهي: الموت، وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها. قلت: ومن ورود الطبق بمعنى الأُمة قول العباس بن عبد المطلب في رسول الله ﷺ:

وأنتَ لما ولدتَ أشرقتِ الأر ضُ وضاءتْ بنورك الأُفق

تنقّل من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مضى عالمٌ بدا طبق

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الفاء الفصيحة، وما اسم استفهام مبتدأ، ولهم خبر، وجملة لا يؤمنون حال ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ الجملة معطوفة على الجملة الحالية السابقة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قرىء في محل جر بإضافة الظرف إليها، والقرآن نائب فاعل، وجملة لا يسجدون لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴾ حرف إضراب انتقالي، والذين مبتدأ، وجملة كفروا لا محل لها؛ لأنها صلة الذين، وجملة يكذبون خبر الذين ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ الواو حرف عطف، والله مبتدأ، وأعلم خبره، وبما متعلقان

بأعلم، وجملة يوعون لا محل لها؛ لأنها صلة ما ، أي: يضمرون في قلوبهم من التكذيب ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبعذاب متعلقان ببشرهم، وأليم نعت ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ إلا حرف استثناء، والاستثناء منقطع، فهو بمعنى: لكن، والذين مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، وعملوا الصالحات عطف على الصلة داخل في حيِّزها، ولهم خبر مقدّم، وأجر مبتدأ مؤخر، وغير ممنون نعت، أي: غير مقطوع ولا منقوص، والجملة الاسمية خبر الذين، هذا ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً، فيكون الذين مستثنى.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ فن الالتزام، أو: لزوم ما لا يلزم، ومنهم مَن يسمّيه: الإعنات، وقد تقدمت الإشارة إليه؛ وهو: أن يلتزم الشاعر في شعره والناثر في نثره حرفاً، أو حرفين فصاعداً قبل حرف الروي، على قدر طاقته، مشروطاً بعدم الكلفة، وقلنا: إن لأبي العلاء المعري ديواناً التزم فيه ما لا يلزم، أما في الآية فقد التزمت النون قبل القاف.

* * *

سورة البروج

ترتيبها ٨٥ — آياتها ٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْبُرُوجِ ﴾ جمع: برج، وهو في الأصل: الركن، والحصن، والقصر، وكل بناء مرتفع على شكل مستدير، أو مربع يكون منفرداً، أو قسماً من بناية عظيمة، والبرج أيضاً: أحد بروج السماء، وهي حسب تعبير اللغويين: اثنا عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. وأصل التركيب للظهور، يعني: أن أصل معنى البرج: الأمر الظاهر، من: التبرّج،

ثم صار حقيقة في العرف للقصر العالي لظهوره، ويقال لما ارتفع من سور المدينة: برج أيضاً.

﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ مفرد، وجمعه: أخاديد، والخَد ـ بفتح الخاء ـ بمعنى الأخدود، وجمعه: خدود، وهو الشقّ في الأرض، أو حفرة، مستطيلة فيها، ويجمع على أخاديد، والأخاديد أيضاً: آثار الضرب بالسوط، ومنه: أخاديد الأرشية في البئر، وهي: تأثير جرّها فيه. ويقال للشيخ: قد تخدّد، ويراد: قد تشنّج جلده.

○ الإعراب:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ الواو حرف قسم وجر، والسماء مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وذات البروج نعت للسماء، واليوم الموعود عطف على السماء، أو قسم برأسه، والمراد به: يوم القيامة، وقيل غير ذلك، وارجع إلى المطولات. وشاهد ومشهود عطف أيضاً، والمراد به: محمد ﷺ، وقيل: غير ذلك أيضاً، وجواب القسم محذوف، واختلف فيه، فقيل: دلّ عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل: محذوف صدره، والتقدير: لقد قتل، وإنما احتيج لهذا الحذف؛ لأن المشهور عند النحاة: أن الماضي المثبت المتصرّف الذي لم يتقدم معموله إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام، وقد، ولا يجوز الاقتصار على أحدهما إلا عند طول الكلام، والتقدير: لقد قتل، فالجملة على ذلك خبرية، لا دعائية ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ قتل فعل ماضٍ مبني للمجهول، وأصحاب الأخدود نائب فاعل، والنار بدل اشتمال من الأخدود؛ لأن الأخدود مشتمل على النار، ولا بدّ من تقدير ضمير بدل الاشتمال، والتقدير: النار فيه، وذات الوقود نعت للنار، وقد اختلف في الرابط؛ لأنهم اشترطوا في بدل اشتمال أن يتصل بضمير يرجع إلى المبدل منه، كما اشترطوا ذلك في

بدل البعض من الكل ليربط البعض بكله، فقيل: الرابط محذوف متصل بغير البدل، أي: النار فيه، وهو قول البصريين، وقيل: لا تقدير، والأصل: ناره، ثم نابت أل عن الضمير، وهو قول الكوفيين ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بقتل، أي: لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين عليها في مكان مشرف عليها من حافات الأخدود، وهم مبتدأ، وعليها متعلق بقعود، وقعود جمع قاعد، خبر هم، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها، وهم مبتدأ، وعلى ما يفعلون متعلقان بشهود، وشهود خبرهم، أي: يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة، وقيل: على بمعنى مع، وشهود بمعنى حضور، والمعنى: وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لقسوة قلوبهم، وهذا التقدير أكثر ملاءمة لنظم القرآن، وقد جرى عليه أبو نواس فقال:

أنت على ما بك من قدرةٍ		فلست مثل الفَضْلِ بالواجِد

وعندئذ تكون في محل نصب على الحال، أي: حال فعلهم، بالمؤمنين ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وما نافية، ونقموا فعل ماضٍ وفاعل، ومنهم متعلقان بنقموا، وإلا أداة حصر، وأن يؤمنوا مصدر مؤول في محل نصب مفعول نقموا، أي: ما عابوا منهم، وما أنكروا إلا الإيمان، وسيأتي مزيد بسط لهذا المعنى في باب البلاغة. وعبروا بالمستقبل بقوله يؤمنوا؛ مع أن الإيمان وجد منهم في الماضي؛ لأن تعذيبهم إياهم، وإنكارهم عليهم ليس للإيمان الماضي، وإنما لديمومته متمكناً فيهم مركوزاً في صدورهم، فكأنه قيل: إلا استمرارهم على إيمانهم. وبالله متعلقان بيؤمنون، والعزيز الحميد صفتان لله؛ ذكر الأوصاف التي يستحقّ بها أن يعبد، وأن يؤمن به كل مخلوق، ومنها العزّة والإنعام الذي يستحق عليه الحمد ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الذي نعت ثالث، وله خبر مقدّم، وملك

السموات والأرض مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها صلة، والله مبتدأ، وشهيد خبره، وعلى كل شيء متعلقان بشهيد.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فن توكيد المدح بما يشبه الذم، وقد تقدمت الإشارة إليه في المائدة؛ وهو أن يستثني من صفة ذم منفية صفة مدح، أو أن يثبت لشيء صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أُخرى، ومن الأول بيت النابغة في مديح الغسانيين:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سُيوفَهم بهنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكتائبِ

وقول ابن الرقيات، وقد اقتبس لفظ القرآن، ورمق سماء بلاغته:

مــا نَقَمُــوا مــن أُميَّــة إلا أنهــم يحلمــونَ إن غَضِبُــوا

ومنه قول ابن نُباتة المصري:

ولا عيبَ فيه غيرَ أنّي قصدتُه فأنستني الأيامُ أهلاً وموطنا

وقول المعرّي:

تُعَـدُّ ذُنـوبـي عنـد قـومٍ كثيـرة ولا ذنبَ لي إلا العُلا والفَضَائل

وأما الثاني فقليل في الشعر، ومنه قول بعضهم:

مـا فيـكِ مـن الجمـالِ سـوى أنّــكِ مــن أقبـحِ القبيحــات

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ
ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ

وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَتَنُوا۟﴾ عذبوا، والمراد ـ هنا ـ: حرقوهم بالنار، يقال: فتنت الشيء؛ إذا حرقته بالنار، والعرب تقول: فتن فلان الدينار؛ إذا أدخله الكور لينظر جودته. وفي المختار: الفتنة: الاختبار، والامتحان، تقول: فتن الذهب، يفتنه بالكسر، فتنة، ومفتوناً أيضاً؛ إذا أدخله النار لينظر جودته، ودينار مفتون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: حرقوهم، ويسمّى الصائغ: الفتّان، وكذا الشيطان. وقال الخليل: الفتن: الإحراق، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ وعبارة القاموس: الفَتْن بالفتح: الفن، والحال، ومنه: العيش فتَنان، أي: لونان: حلو، ومر، والإحراق، ومنه: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ والفِتنة ـ بالكسر ـ: الخبرة، كالمفتون، ومنه: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ وإعجابك بالشيء، وفتنه، يفتنه، فتناً، وفتوناً، وأفتنه، والضلال، والإثم، والكفر، والفضيحة، والعذاب، وإذابة الذهب والفضة، والإضلال، والجنون، والمحنة، والمال، والأولاد، واختلاف الناس في الآراء، وفتنه، يفتِنُه: أوقعه في الفتنة، كفتّنه، وأفتنه، فهو مُفْتَن، ومفتون، ووقع فيها لازم ومتعدٍّ كافتتن فيهما، وإلى النساء فتوناً، وفُتن إليهنّ بالضم، أراد الفجور بهنّ، وكأمير: الأرض الحرّة السوداء، والجمع ككتب، والفتان: اللص، والشيطان، كالفاتن، والصائغ، والفتانان: الدرهم والدينار، ومُنكر ونكير، والفتين: النجار، وفاتون: خباز فرعون، قتيل موسى، والفُتنان: الغُدوة والعشيّ، والفتان ككتاب: غشاء للرحل من أدم، وكصاحب وزبير اسمان، والمفتون: المجنون. قال شارحه: والمفتون: المجنون، وبه فسّر قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾. وقال الجوهري: الباء زائدة، والمفتون: الفتنة، وهو مصدر كالمعقود، والمجلود، والمخلوف. قال ابن برّي: إذا كانت الباء زائدة فالمفتون

الإنسان، وليس بمصدر، فإن جعلت غير زائدة فالمفتون مصدر. وإنما نقلنا المادة كلها لننفي وهماً تورّط به الشيخ الجمل في حاشيته على الجلالين إذا قال: وفي القاموس: إن فتن بهذا المعنى من باب: كتب، فعلى هذا يكون له بابان. ومن مطالعة ما كتبناه، ونقلناه عن القاموس، يتضح هذا الوهم.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر وعيد المجرمين أولاً، ثم يردفه بذكر ما أعد للمؤمنين. وإن حرف مشبّه بالفعل، والذين اسمها، وجملة فتنوا صلة الذين لا محل لها، والمؤمنين مفعول به، والمؤمنات عطف على المؤمنين، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويتوبوا فعل مضارع مجزوم بلم، والجملة عطف على فتنوا، وإنما استعمل ثم؛ لأن التوبة مقبولة مهما يتراخَ بها الزمن ويمتد، فلهم: الفاء رابطة لشرط مقدّر مفهوم من المبتدأ، ولهم خبر مقدّم، وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر، ولهم خبر مقدّم، وعذاب الحريق مبتدأ مؤخر، وجملة فلهم عذاب جهنم: خبر إن الذين فتنوا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ كلام مستأنف كما تقدم، مسوق لذكر ما أعدّ للمؤمنين، وإن واسمها، وجملة آمنوا صلة الذين، وجملة وعملوا الصالحات: عطف على الصلة داخلة في حيِّزها، ولهم خبر مقدّم، وجنات مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر إن الذين آمنوا، وجملة تجري نعت لجنات، ومن تحتها متعلقان بتجري، والأنهار فاعل، وذلك مبتدأ، والفوز خبر، والكبير نعت، وتذكير الإشارة للتنبيه للمذكور من حيازتهم للجنة، واستحقاهم إيّاها، ولام البعد جيء بها للإيذان بعلوّ درجته في الفضل ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ كلام مستأنف أيضاً، مسوق لتسلية النبي عمّا يكابده من كفّار قومه، وإن أمرهم مغلول، ومكرهم سيزول. وإن واسمها، واللام المزحلقة. وشديد خبرها ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ إن واسمها، وهو مبتدأ،

وجملة يبدىء خبر هو، والجملة خبر إن، ويجوز أن يكون هو ضمير فصل، وجملة يبدىء خبر إنه ويعيد عطف على يبدىء، أي: مَن كان قادراً على الإبداء والإيجاد قادر بحكم الطبع والبداهة على الإعادة ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والغفور وما بعده أخبار، وبهذه الآية يستدلّ النحاة على تعدّد الخبر، وسلك الزمخشري طريقاً آخر، فقال: فعال خبر مبتدأ محذوف، وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة. وقال الفرّاء: هو رفع على التكرير والاستئناف؛ لأنه نكرة محضة. ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير بطشه تعالى، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ، أي: هل أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم، وهل: قيل هي بمعنى قد، وقيل: هي استفهام تقريري تعجبي، وأتاك فعل ماضٍ ومفعول به، وحديث الجنود فاعل، وفرعون وثمود بدل من الجنود على حذف مضاف؛ لأنه أراد بفرعون إياه وآله، وبل إضراب انتقالي للأشد، والذين مبتدأ، وفي تكذيب خبره، وسيأتي مزيد من معناه في باب البلاغة ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ، ومن ورائهم متعلقان بمحيط، ومحيط خبر الله ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ بل إضراب انتقالي عن شدة كفرهم إلى وصف القرآن، وهو مبتدأ، وقرآن خبر، ومجيد صفة، أي: يسبح وحده في البلاغة والبيان، وفي لوح صفة ثانية، ومحفوظ صفة للوح.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أورد الخبر الإنكاري، وهو تأكيد الكلام وجوباً للمنكر، وقد أكد الكلام بأن واللام.

(٢) وفي قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ﴾ مجاز مرسل، علاقته الحالية؛ لأن التكذيب معنى من المعاني، ولا يحلّ الإنسان فيه، وإنما يحلّ في مكانه، فاستعمال التكذيب في مكانه مجاز أطلق فيه الحال، وأُريد

المحل، فعلاقته الحالية، وعدل عن يكذبون إلى جعلهم في التكذيب، وأنه لشدته أحاط بهم إحاطة البحر بالغريق، والسوار بالمعصم، وفي الوقت نفسه جاء بالتكذيب نكرة للدلالة على تعظيمه، وتهويل أمره.

* الفوائد:

قد يتعدد خبر المبتدأ الواحد، فيكون أكثر من واحد؛ لأن الخبر كالنعت، فيجوز تعدده، وإلى ذلك أشار ابن مالك في الخلاصة قال:

وأخبروا باثنين أو بأكثرا عن واحدٍ كهم سراة شعرا

ويطّرد ذلك في وجهين:

أحدهما: أن يتعدد لفظاً لا معنى، نحو: الرمان حلو حامض؛ لأن معنى الخبرين راجع إلى شيء واحد، إذ معناهما مز، فهما بمنزلة اسم واحد.

والثاني: أن يتعدد لفظاً ومعنى، نحو: زيد كاتب شاعر.

وضابط الأول أنه لا يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر؛ لأنهما بمثابة اسم واحد، وضابط الثاني أنه يجوز أن يعطف الثاني على الأول، وأن لا يعطف.

* * *

سورة الطارق

آياتها ١٧ — ترتيبها ٨٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا
حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ
وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ
ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ
كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلطَّارِقُ ﴾ أصله: كل آتٍ ليلاً، ومنه: النجوم؛ لطلوعها ليلاً، ومنه: قول جرير:

طرقتك صائدةُ القلوبِ وليس ذا وقت الزِّيارةِ فارجعي بِسلام

وقد نقدته سكينة بنت الحسين إذ قالت لرواية جرير: قبح الله صاحبك، وقبح الله شعره! وأي وقت أشهى من الطروق؟! وهو اسم فاعل من: طرق،

طرقاً، وطروقاً؛ إذا جاء ليلاً، والمراد به ـ هنا ـ: النجم، وإنما سُمِّي طارقاً لطلوعه ليلاً، وكل مَن آتاك ليلاً فقد طرقك، ولا يكون الطروق إلا بالليل، قالت هند بنت عتبة:

نحــنُ بنــاتُ طــارِق نَمْشِــي علــى النَّمــارِق

تريد: أن أبانا كالنجم في علوّه وشرفه. وأصل الطرق: الدق، ومنه سمِّيت، المطرقة، وإنما سمي قاصد الليل طارقاً؛ لاحتياجه إلى طرق الباب، أي: دقّه غالباً، ثم اتسع به في كل ما ظهر بالليل كائناً ما كان. ثم اتسع كل التوسع، حتى أطلق على الآتي نهاراً. وفي المصباح: طرقت الباب طرقاً، من باب: قتل، وطرقت الحديدة: مددتها، وطرّقتها بالتثقيل؛ مبالغة، وطرق النجم طروقاً، من باب: قعد؛ طلع، وكل ما أتى ليلاً فقد طرق، وهو طارق، والمِطرقة ـ بالكسر ـ: ما يطرق به الحديد. أما ابن جنّي فقد منع أن يأتي الطروق نهاراً، قال: وأما قول العامة: نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار، فغلط؛ لأن الطروق لا يكون إلا بالليل، والصواب أن يقال: نعوذ بالله من طوارق الليل وجوارح النهار؛ لأن العرب تقول: طرقه؛ إذا أتاه ليلاً، وجرحه؛ إذا أتاه نهاراً. وفي الصحاح: الطارق: النجم الذي يقال له: كوكب الصبح.

﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ المضيء لثقبه الظلام، قال أبو عبيدة: العرب تقول: أثقبْ نارك، أي: أضِئْها، وقيل: الثاقب العالي، يقال: ثقب الطائر؛ إذا علا في الهواء، وأسف إذا دنا من الأرض، ودوّم إذا سكن جناحيه ليستقل، وعبارة الأساس، واللسان: ثقب الشيء بالمثقب، وثقب القداح عينه ليخرج الماء النازل، وثقّب اللآآل الدرّ، ودرّ مثقّب، وعنده: در عذارى؛ لم يُثقّبن، وثقبن البراقع لعيونهنّ، قال المثقّب العبدي:

أريـن مَحَـاسنـاً وكنـنّ أُخـرى وثَقَّبْـنَ الـوَصَـاوِصَ لِلْعُيُـونِ

وبه سُمِّي المثقب. ومن المجاز: كوكب ثاقب، ودرّيّ: شديد الإضاءة، والتلألؤ؛ كأنه يثقب بالظلمة، فينفذ فيها، ويدرؤها، ورجل ثاقب

الرأي؛ إذا كان جزلاً نظاراً، وثقب الطائر؛ إذا حلق كأنه يثقب السكّاك، وثقّب الشيب في اللحية: أخذ في نواصيها، وباب الجميع: دخل.

﴿ٱلصُّلۡبِ﴾ الشديد، يقال: هو صلب في دينه، وراع صلب العصا؛ إذا كان يعنّف الإبل، وعظم في الظهر ذو فقار، يمتد من الكاهل إلى العَجبْ، أو أسفل الظهر، ويجمع على: أصلاب، وأصلُب، وصلبة، وهو المراد هنا، ويقال: هو من صلب فلان، أي: من نسله وولده، وفيه أربع لغات بضم الصاد، وسكون اللام، والصَّلَب بفتحتين، والصُّلُب بضمتين، وقد قرىء بها جميعاً، وثمة لغة رابعة، وهي: الصّالب.

﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ الترائب: عظام الصدر حيث تكون القلادة، وعن عكرمة: الترائب ما بين ثديي المرأة، وحكى الزجّاج: أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، وفي الحديث: «إن الولد يخلق من ماء الرجل، يخرج من صلبه العظم والعصب، ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم». وفي المختار: والترائب: جمع تريبة، كصحيفة وصحائف. قال امرؤ القيس:

مُهَفْهَفَـةٌ بيضـاءُ غيـرُ مُفَـاضَـةٍ تَرَائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ

يعني: المرآة، ويقال: تريب بغير هاء، وأنشد للمثقب العبدي:

ومِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ على تَرِيبٍ كَلَوْنِ العاجِ ليس بذي غُضُون

وسيأتي مزيد من معناه في باب: البلاغة.

﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيّات، وما أخفي من الأعمال، وبلاؤها: تعرفها، وتصفحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبث، وعن الحسن أنه سمع رجلاً ينشد:

سَيَبْقَى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا سَرِيرةُ وُدٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائِرُ

فقال: ما أغفله عمّا في السماء والطارق! وفي المختار: السر: الذي يكتم، وجمعه: أسرار، والسريرة مثله، والجمع: سرائر.

﴿ٱلرَّجۡعِ﴾ المطر؛ لأنه يعود كل حين، فالسحاب تحمل الماء من الأمطار، ثم ترجعه إلى الأرض، ويسمّى أوباً؛ لأنه يؤوب، أي: يرجع، قال المتنخل الهذلي:

رَبَّـاءُ شَمَّـاءُ لا يَـأْوِي لِقُلَّتِهـا إلاَّ السَّحابُ وإلاَّ الأَوْبُ والسَّبَلُ

يرثي ابنه، أو يصف رجلاً بأنه رباء، أي: طلاع، من: ربأ، وارتبأ؛ إذا طلع لينظر إلى أمر، ومنه: الربيئة، وإضافته إلى شماء من إضافة الوصف لمفعوله، وهي: القلعة المرتفعة، من: الشمم، وهو الارتفاع، والقلة: أعلى الجبل، وقنته، والأوب: المطر، سُمِّي به بذلك؛ لأن أصله من مياه البحر، ثم يؤوب إليها، والسَّبَل ـ بالتحريك ـ: المطر، من: أسبلت الستر؛ إذا أرسلته، وأرخيته. وقال الواحدي: الرجع: المطر في قول جميع المفسرين.

﴿ٱلصَّدۡعِ﴾ الشق؛ لأنه يصدع الأرض، فتنصدع به، وفي الأساس: وانصدعت الأرض بالنبات، وصدعها الله تعالى ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾.

○ الإعراب:

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾
الواو حرف قسم وجر، والسماء مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، والطارق قسم أيضاً منسوق على ما قبله، والواو حرف عطف، وما اسم استفهام مبتدأ، وجملة أدراك خبرها، وما اسم استفهام، والطارق خبرها، والجملة المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ مفعول أدراك الثاني، والنجم بدل من الطارق، أو خبر لمبتدأ محذوف، كأنه جواب للاستفهام الوارد قبله تفخيماً له، وجملة إن كل نفس لما عليها حافظ لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب القسم، وما بين القسم وجوابه اعتراض، وإن بالتخفيف نافية، وكل نفس مبتدأ، ولما بالتشديد بمعنى: إلا، وعليها خبر مقدّم، وحافظ مبتدأ مؤخر، والجملة

الاسمية خبر كل، وقرئت لما بالتخفيف، فاللام الفارقة، وإن مخففة من الثقيلة مهملة، وما زائدة، وإلى هذا أشار ابن مالك في الخلاصة فقال:

وخفّفـــت إن فقــل العمــل وتلـزم الــلام إذا مـا تهمـل

وقد تقدّم نظيرها في يس ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ الفاء الفصيحة، واللام لام الأمر، وينظر فعل مضارع مجزوم باللام، والإنسان فاعل، وممَّ: من حرف جر، وما استفهام في محل جر بمن، وقد تقدم أن ما الاستفهامية قد يحذف ألفها إن سبقها حرف جر، والجار والمجرور متعلقان بخلق، وجملة خلق في موضع نصب بقوله: فلينظر المعلّق عنها بالاستفهام، وجواب الاستفهام خلق من ماء، وجملة خلق من ماء دافق مستأنفة، كأنها جواب سؤال مقدّر، وخلق فعل ماضٍ مبني للمجهول، ومن ماء متعلق بخلق، ودافق نعت لماء، أي: مدفوق، أو هي من صيغ النسب، كلابن وتامر، أو: هو مجاز بالإسناد فقد أسند إلى الماء ما لصاحبه مبالغة، وجملة يخرج نعت ثانٍ، أو حالية، ومن بين الصلب متعلقان بيخرج، والترائب عطف على الصلب ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ إن واسمها، وعلى رجعه متعلقان بقادر، والضمير في إنه يعود على الله، واللام المزحلقة، وقادر خبر إن، ويوم ظرف متعلق برجعه، ولا يصحّ تعليقه بقادر؛ لأنه تعالى قادر على رجعه في كل وقت من الأوقات، ولا تختصّ قدرته بوقت دون وقت، وقيل: هي معمول لمحذوف، تقديره: يرجعه يوم، أو اذكر يوم، ولعله أولى، وقال بعضهم: متعلق بناصر، وهو فاسد؛ لأن ما بعد ما النافية، وما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلهما. والفاء عاطفة، وما نافية، وله خبر مقدّم، ومن حرف جر زائد، وقوة مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً؛ لأنه مبتدأ مؤخر، والواو حرف عطف، ولا نافية، وناصر عطف على قوة، وجملة تبلى السرائر في محل جر بإضافة الظرف إليها، والسرائر نائب فاعل تبلى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ الواو حرف قسم وجر، والسماء مجرور بواو القسم،

والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، وذات الرجع نعت للسماء، والأرض ذات الصدع عطف على الجملة المتقدمة ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وهي للتوكيد، وقول: خبر إن، وفصل نعت لقول، والواو حرف عطف، وما حجازية تعمل عمل ليس، وهو اسمها، والباء حرف جر زائد، والهزل مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه خبر ما ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ كلام مستأنف، مسوق للإجابة عن سؤال نشأ من فحوى الكلام، كأنه قيل: وماذا تتسمى مكابرتهم وعنادهم؟ فقيل: إنهم، وإن واسمها، وجملة يكيدون خبرها، وكيداً مفعول مطلق، والفاء فصيحة، أي: إن شئت أن ترى مغبة أمرهم، فلا تستعجل بالانتقام منهم، ومهل فعل أمر، والكافرين مفعول به، وأمهلهم كرر فعل الأمر تأكيداً لرسوله، وزاد في الصيغة لزيادة تسكين قلبه وتصبيره ورويداً نصب على المصدر، والأصل: إرواداً، فهو تصغير ترخيم بحذف الزوائد، وفي المختار: وفلان على رود بوزن عود، أي: على مهل، وتصغيره: رويد، ويقال: أرود في السير إرواداً، ومروداً بضم الميم وفتحها، أي: رفق، تقول: رويدك عمراً، أي: أمهله، وهو مصغّر، تصغير ترخيم من: إرواد مصدر: أرود، يرود. وعبارة السمين: اعلم أن رويداً يستعمل مصدراً بدلاً من اللفظ بفعله، فيضاف تارة، كقوله: فضرب الرقاب، ولا يضاف أخرى، نحو: رويداً زيداً، ويقع حالاً، نحو: ساروا رويداً، أي: متمهلين، ونعتاً لمصدر محذوف، نحو: ساروا رويداً، أي: سيراً رويداً. هذا؛ وتأتي رويد زيداً اسم فعل بمعنى: أمهله، وهو مشتق من مسمّاه الذي هو أرود، وأصله: المصدر الذي هو إرواد، وصغّر بحذف الزوائد تصغير الترخيم، ومثله: تيد زيداً في معنى: رويد زيداً، والذي نراه: أنه إن أُضيف، فهو اسم فعل أمر مبني على الفتح، ولا محل له من الإعراب، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: أنت، فإن نوّنته، نحو: رويداً

أخاك، أو أضفتهما، نحو: رويد أخيك، فهو حينئذ منصوب على المفعولية المطلقة.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ طباق، فقد طابق بين عظم الظهر وعظم الصدر، وأفرد الأول، وجمع الآخر؛ لأن صدر المرأة هو تريبتها، فيقال للمرأة: ترائب، يعني: بها التريبة وما حواليها، وما أحاط بها، وكذلك تقول العرب: رأيت خلاخيل المرأة وثديها، وإنما لها ثديان وخلخالان، أو: يقال أنه تعالى أراد: يخرج من بين الأصلاب والترائب، فاكتفى بالواحد عن الجماعة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ ولم يقل: والأرضين؛ هذا وقد رمق أبو الطيب سماء هذه الآية، فنقلها نقلاً خفياً ينمّ على قدرة وألمعية، فقال متغزلاً، وأجاد:

بِأَبي الشُّمُوسُ الجانحاتُ غَوَاربا ... اللابساتُ مِنَ الحريرِ جَلَابِبا
المَنْهِبـاتُ قُلُـوبَنـا وعُقُـولَنـا ... وَجَنَـاتِهِـنَّ النَّـاهِبـاتِ النَّـاهِبـا
النَّاعِماتُ القَاتِلاتُ المُحْيِيا ... تُ المُبْدِياتُ مِنَ الدَّلالِ غَرَائِبا
حَاوَلْنَ تَفْدِيَتي وخِفْنَ مُرَاقِباً ... فَوَضَعْنَ أيديهُنَّ فوقَ تَرَائِبا
وَبَسَمْنَ عن بَرَدٍ خَشِيتُ أُذِيبهُ ... مَنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبا

وإنما أوردنا القطعة لنفاستها، والشاهد في البيت الرابع حيث اقتبس مكان شهوة المرأة، فجعلها تضع أيديها عليها؛ ولهذا لم يستطع أحد من شرّاح ديوان أبي الطيب فَهْم البيت على حقيقته، وخلطوا خلطاً عجيباً، فقال ابن جنّي: أشرن إليّ من بعيد، لم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء، والوشاة. وهذا كلام غير مفهوم؛ فإن الخوف من الوشاة والرقباء يستدعي وضع الأيدي على الوجوه، لا على الترائب، وقال الواحدي، وخاض في بيداء من الوهم: طلبن أن يقلن: نفديك بأنفسنا، وخفن الرقيب فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة، أي: أنفسنا تفديك. وهذا يحتمل

للكلام ما لا يحتمله، ولعل ابن فورجة كان أذكى من صاحبيه، فقال: وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام، وإنما أراد وضعن أيديهنّ فوق ترائبهنّ تسكيناً للقلوب من الوجيب. على أنه رغم نفاسته منقوض بصدر البيت.

(٢) وفي قوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ الفصل، وسياق الكلام يقتضي الوصل؛ لأنه قصد إشراكهما في الحكم، واتفقا فيه، وإنما عدل عنه تفخيماً لشأنه، فأقسم أولاً بما يشترك فيه هو وغيره، وهو الطارق، ثم سأل عنه بالاستفهام تفخيماً لشأنه ثانياً، ثم فسّره بالنجم إزالة لذلك الإبهام الحاصل بالاستفهام، روي: أن أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ، فانحطّ نجم، فجزع أبو طالب، وقال: أيّ شيء هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله».

(٣) وفي قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ فن المماثلة، وهو تماثل ألفاظ الكلام كلها، أو بعضها في الزنة دون التقفية؛ فالطارق والثاقب وحافظ متماثلة في الزنة دون التقفية، وقد تأتي بعضُ ألفاظ المماثلة مقفّاة من غير قصد كقول امرىء القيس:

كأنَّ المُدامَ وصوبَ الغمام ... وريحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القُطُرْ

وأورد الشيخ عبد الغني النابلسي للقاضي يحيى بن أكثم بيتين في المماثلة:

إنَّما الدُّنيا طَعَام ... ومُدام وغُلام
فإذا فاتَكَ هذا ... فعلى الدُّنيا السَّلام

وأورد لابن الصّايغ أيضاً:

زار الحبيبُ بليلةٍ ... ووشاتُه لم يَشْعُروا
فضممتُه ولثمتُه ... وفعلتُ ما لا يُذْكَرُ

ولهذا قال ابن حجة عن فن المماثلة: أنه نوع سافل بالنسبة إلى غيره.

* الفوائـد :

أجوبة القسم :

أجوبة القسم أربعة : إنّ، وما، واللام، ولا، فحرفان يوجبان، وهما : إن، واللام، وحرفان ينفيان، وهما : ما، ولا، كقولك : والله ما قام زيد، ولقد قام زيد.

* * *

سُورَةُ الأَعْلَى

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ
ٱلْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا
يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)
وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ
مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰٓ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾

☆ **اللغة:**

﴿غُثَآءً﴾ في القاموس: الغثاء كغراب، وكزنار: القمش، والزبد، والهالك البالي من ورق الشجر. وفيه أيضاً: القمش: جمع: قماش، وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء، حتى يقال لرذالة الناس: قماش، وما أعطاني إلا قماشاً، أي: أردأ ما وجده. وفي المصباح: غثاء السيل:

حميله، وغثا الوادي غثواً، من باب: قعد، امتلأ من الغثاء، وغثت نفسه، تغثي، غثياً، من باب: رمى، وغثياناً، وهو: اضطرابها حتى تكاد تتقيأ مِن خلط ينصبّ إلى فم المعدة.

﴿أَحْوَىٰ﴾ الأحوى أفعل من الحوة، وهي سواد يضرب إلى خضرة، وقيل: الأحوى: خضرة عليها سواد، والأحوى: الظبي؛ لأن في ظهره خطين، ويقال: رجل أحوى، وامرأة حواء، وجمعها: حو، نحو: أحمر وحمر، وفي القاموس: الحُوة بالضم: سواد إلى الخضرة، أو: حمرة إلى السواد، وحوي كرضي، حوىً. وقال ابن جني: والحوة: حمرة تضرب إلى السواد، وتكون في الشفة، والعرب تستحبُّ ذلك، قال ذو الرمة:

لمياءُ في شَفَتَيْها حُوّةٌ لَعَسٌ		وفي اللّثاتِ وفي أنيابها شَنَب
صفراءُ في نعجٍ بيضاءُ في دعجٍ		كأنّها فضّةٌ قد مسّها ذَهَب

وأنشد أبو عبيدة لذي الرمّة أيضاً في المرعى الأحوى:

حَوّاءُ قَرْحَاءُ أَشْراطيّةٌ وكَفَتْ		فيها الذِّهابُ وحفّتْها البَرَاعِيمُ

والقرحاء: البيضاء، يقال للغرة: القُرحة، وأشراطية: مطرت بنوء الشَّرطَين، والذِّهاب ـ بكسر الذال ـ: المطر الخفيف، والبراعيم: جمع برعومة، وهي: الوردة قبل أن تتفتح، ويقال لها: الكِم، والجمع: أكمام.

○ **الإعراب:**

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ سبّح فعل أمر، أي: نزّه، وقد تقدم، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، واسم ربك مفعوله، وجعله الجلال مقحماً على حدّ قول لبيد:

إلى الحولِ ثم اسمُ السَّلامِ عليكما		ومن يَبْكِ حَولاً كاملاً فقدِ اعْتَذَر

ولا داعي لهذا التكلف، فإن التنزيه يقع على الاسم، أي: نزّه اسم ربك عن أن يسمى به صنم، أو وثن، فيقال له: رب، أو إله. والأعلى صفة لربك، وأجاز ابن هشام أن يكون صفة لاسم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ الذي صفة

ثانية للرب، وجملة خلق صلة، ومفعول خلق محذوف، أي: كلِ شيء، والفاء عاطفة، وسوّى عطف على خلق، والمراد بالتسوية: أنه خلق ما أراد على أتم وجه، وأكمله، ووفق نظام موصوف بالإحكام، والإتقان، مبرأ من الشوائب، والاختلال ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ عطف أيضاً، منسوق على ما تقدم ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ عطف على ما قبله أيضاً، وجملة أخرج صلة الذي، والمرعى مفعول به، فجعله عطف على أخرج، والهاء مفعول به أول، وغثاء مفعول به ثانٍ، وأحوى صفة لغثاء، لكن يشكل أن الغثاء هو اليابس، والحوة: خضرة دائمة، فيتناقضان، فالأولى أن يعرب أحوى حالاً من المرعى، أي: أخرجه أحوى أسود من شدّة الخضرة، فجعله غثاء بعد حوّته. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون أحوى حالاً من المرعى، أي: أخرجه من المرعى أسود من شدة الخضرة، والريّ، فجعله غثاء بعد حوّته. وقال أبو البقاء: قوله تعالى: ﴿ أَحْوَىٰ ﴾ قيل: هو نعت لغثاء، وقيل: هو حال من المرعى، أي: أخرج المرعى أخضر، ثم صيّره غثاء، فقدم بعض الصّلة. وقال أبو حيان: والظاهر: أن أحوى صفة لغثاء، قال ابن عباس: المعنى: فجعله غثاء أحوى، أي: أسود؛ لأن الغثاء إذا قدم، وأصابته الأمطار اسودّ وتعفّن، فصار أحوى، وقيل: أحوى حال من المرعى، أي: أخرج المرعى أحوى، أي: للسواد من شدّة خضرته، ونضارته لكثرة ريّه، وحسن تأخير أحوى لأجل الفواصل، قال:

وغيث من الوَسْمي حوٌّ تلاعه تبّطنتــــه بشيظـــم صلّتـــان

وقال ابن خالويه: في كتابه: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم»: فجعله غثاء أحوى، أي: جعل الله المرعى أحوى، والأحوى: شديد الخضرة يضرب إلى السواد لريّه، ثم صيّره غثاء بعدما يبس، فمعناه تقديم وتأخير». وقال ابن هشام في كتابه «المغني» في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها: الرابع عشر: قول بعضهم في أحوى إنه صفة لغثاء، وهذا ليس بصحيح على الإطلاق، بل إذا فسّر الأحوى بالأسود

من الجفاف واليبس، وأما إذا فسّر بالأسود من شدّة الخضرة لكثرة الريّ، كما فسّر «مدهامتان» فجعله صفة لغثاء، كجعل قيماً صفة لعوجاً، وإنما الواجب: أن تكون حالاً من المرعى، وآخر لتناسب الفواصل. ولعمري لقد حسم الخلاف فيما قرره: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ السين حرف استقبال، ونقرئك فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، والكاف مفعول به، والفاء حرف عطف، ولا نافية، وتنسى فعل مضارع مرفوع، وعبارة أبي السعود: سنقرئك فلا تنسى: بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله ﷺ إثر بيان هداية الله العامة لكافة مخلوقاته، وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي، وحفظ القرآن، وهدايته للناس أجمعين، والسين إما للتأكيد، وإما لأن المراد إقراء ما أوحى الله إليه حينئذ، وما سيوحي إليه بعد ذلك، فهو وعد باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء، أي: سنقرئك ما نوحي إليك وفيما بعده على لسان جبريل، أو سنجعلك قارئاً بإلهام القراءة، فلا تنسى أصلاً من قسوة الحفظ والإتقان، مع أنك أُميّ لا تدري ما الكتابة وما القراءة، فيكون ذلك آية أُخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البيّنات من حيث الإعجاز، ومن حيث الإخبار بالمغيّبات. والفاء عاطفة، ولا نافية، أخبر الله تعالى نبيّه أنه لا ينسى، وتنسى فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف، وقيل: لا ناهية، وتنسى فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ثم أُتي بالألف دعامة لفتح السين ليوافق رؤوس الآي كقوله: السبيلا. وقد أحسن أبو حيان عندما شجب هذا الوجه قال: وهذا قول ضعيف، ومفهوم الآية في غاية الظهور، وقد تعسفوا في فهمها. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ إلا أداة حصر، وما مفعول تنسى، والاستثناء مفرّغ من أعمّ المفاعيل، وجملة شاء الله صلة ما، وجملة إن وما في حيّزها تعليل لما قبله، وإن واسمها، وجملة يعلم خبرها، والجهر مفعول به، والواو حرف عطف، وما موصولة منسوقة على الجهر، وجملة يخفى صلة. قال السمين: «ولا يجوز أن تكون

مصدرية؛ لئلا يلزم خلو الفعلِ من فاعلٍ، ولولا ذلك لكان كونها مصدرية أحسن ليعطف مصدر مؤول على مثله صريح. ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ الواو حرف عطف، ونيسرك عطف على سنقرئك، وهو فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، والكاف مفعول به، ولليسرى متعلقان بنيسرك، أي: للشريعة الإسلامية السمحاء، والفاء الفصيحة، أي: إن علمت أنك من أرباب الفيوضات الكمالية بهدايتنا، وتوفيقنا فذكر، وإن شرطية، ونفعت فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، والذكرى فاعل، وفي إن معنى الاستبعاد كأنما هو واثق من عدم جنوحهم إلى الهدى، وإصرارهم على ركوب متن الشطط، وجواب إن محذوف دلّ عليه ما قبله، وللزمخشري سؤال لطيف، وإجابة ألطف قال: فإن قلت: كان الرسول ﷺ مأموراً بالذكرى نفعت، أو لم تنفع، فما معنى اشتراط النفع؟ قلت: هو على وجهين:

أحدهما: أن رسول الله قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم، وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوّاً وطغياناً، وكان النبي ﷺ يتلظى حسرة وتلهفاً، ويزداد وجداً في تذكيرهم، وحرصاً عليه، فقيل له: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، وأعرض عنهم، وقل سلام، وذكّر إن نفعت الذكرى، وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير.

والثاني: أن يكون ظاهره شرطاً، ومعناه: ذمّاً للمذكرين، وإخباراً عن حالهم، واستبعاداً لتأثير الذكرى فيهم، وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم، كما تقول للواعظ: عظْ المكّاسين إن سمعوا منك قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك، وأنه لن يكون. أما ابن خالويه، فبعد أن أورد الوجه الذي أوردناه، قال: ويقول آخرون: إن بمعنى قد، أي: فذكر قد نفعت الذكرى، وهو بعيد جداً، ولا يليق بأُسلوب القرآن: الافتراض، والمجازفة. أما أبو حيان فقد قال: والظاهر: أن أمره بالتذكير مشروط بنفع الذكرى، وهذا الشرط إنما جيء به توبيخاً لقريش، أي: إن نفعت الذكرى

في هؤلاء الطغاة العتاة، ومعناه: استبعاد انتفاعهم بالذكرى، فهو كما قال الشاعر:

لقد أسْمَعْتَ لو ناديتَ حيّاً ولكـنْ لا حيـاةَ لمـن تُنـادي

وقال الفراء، والنحّاس، والزهراوي، والجرجاني: معناه: وإن لم تنفع، فاقتصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ السين حرف استقبال، ويذكر فعل مضارع مرفوع، ومن موصول فاعل، وجملة يخشى صلة لا محل لها، ويتجنبها منسوق على سيذكّر، والهاء مفعول به، والضمير يعود على الذكرى، والأشقى فاعل، قال ابن خالويه: يقال: زيد الأشقى، والمرأة الشقيا، مثل الأعلى والعليا، ويقال: كلّم الأشقى الشقيا، وكلم الأشقيان الشقيين، وكلم الأشقون الأشقَيْن، وكلمت الشقيياتُ الشقيياتِ. والذي نعت للأشقى، وجملة يصلى لا محل لها؛ لأنها صلة الذي، وفاعل يصلى مستتر يعود على الأشقى، والنار مفعول به، والكبرى نعت للنار، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ولا نافية، ويموت فعل مضارع مرفوع، وفيها متعلقان بيموت، ولا يحيا عطف على لا يموت، ومعنى التراخي: أن الترجح بين الحياة والموت أشدّ هولاً من الصلي، فهو متراخ عنه في مراتب الشدة، ومَن يمت يسترح أما هؤلاء، فلا هم أموات فيستريحوا، ولا هم أحياء فيجدوا متنفساً من العذاب ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قد حرف تحقيق، وأفلح فعل ماضٍ، ومن فاعل، وجملة تزكى، أي: تطهر لا محل لها؛ لأنها صلة من، وذكر عطف على تزكى، واسم ربه مفعول به، فصلى عطف على ذكّر ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ إضراب عن مقدّر ينساق إليه الكلام، والتقدير: أنتم لا تفعلون ما فيه صلاح أمركم بل تؤثرون، وتؤثرون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والحياة مفعول به، والدنيا نعت للحياة، والمراد بإيثار الحياة الدنيا: الركون إليها، والاغترار بزخارفها، واستجلاء أفاويقها، والواو

حالية، والآخرة مبتدأ، وخير خبر، وأبقى عطف على خير، ففيها لذات الدنيا، وما لا يتصور العقل من زيادة عليها، ولها بعد ذلك صفة الديمومة والخلود ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وهذا اسمها، والإشارة إلى إفلاح مَن تزكى، وما تلاه من كلام، واللام المزحلقة، وفي الصحف خبر إن، والأولى نعت للصحف، وصحف إبراهيم، وموسى بدل من الصحف.

* الفوائـد:

لمحة عن صحف إبراهيم وموسى:

جاء في «الخازن» ما يلي: عن أبي ذر قال: دخلت المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «إن للمسجد تحية» فقلت: وما تحيته؟ يا رسول الله! قال: «ركعتان تركعهما» قلت: يارسول الله! هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: «يا أبا ذر اقرأ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾» قلت: يا رسول الله! فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عِبَراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك؟ عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يغضب؟ عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل».

وجاء في القرطبي ما يلي: وروى الآجري عن أبي ذر، قال: قلت يا رسول الله! فما كانت صحف إبراهيم قال: كانت أمثالاً كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور! إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلوم، فإني لا أردّها، ولو كانت من فم كافر. وكان فيها أمثال: وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يفكّر فيها في صنع الله عزّ وجلّ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل ألا يكون طامعاً إلا في ثلاث: تزود

لمعاد، ومرحة لمعاش، ولذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه.

* * *

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾
تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ
وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا
تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾
وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾
وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ
وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق، وفي المختار: الغشاء:

الغطاء، وجعل على بصره غشاوة بضم الغين، وفتحها، وكسرها. وفي المصباح: ويقال: إن الغشى تعطل القوى المحرّكة والأوردة الحسّاسة لضعف القلب بسبب وجع شديد، أو برد، أو جوع مفرط، وقيل: الغشى هو الإغماء، وقيل: الإغماء: امتلاء بطون الدماغ من بلغم بارد غليظ، وقيل: الإغماء: سهو يلحق الإنسان مع فتور الأعضاء لعلة، وغشيته، أغشاه، من باب: تعب؛ أتيته، والاسم: الغِشيان بالكسر.

﴿ءَانِيَةٍ﴾ بلغت إناها في الحرارة، وفي القاموس: وأنى الحميم: انتهى حرّه، فهو آن، وبلغ هذا أناه، ويكسر، أي: غايته.

﴿ضَرِيعٍ﴾ في القاموس: والضريع كأمير: الشِّبْرِق، أو يبيسه، أو نبات رطبه يسمّى الشبرق، ويابسه الضريع، لا تقربه دابة لخبثه، والسُّلَّاء، والعوسج: الرطب، أو نبات في الماء الآجن له عروق لا تصل إلى الأرض، أو شيء من جهنم أمرّ من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأحرّ من النار، ونبات منتن يرمي به البحر، ويبيس كلّ شجر، والخمر، أو رقيقها، والجلدة على العظم تحت اللحم. وفي الكشاف: الضريع: يبيس الشبرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطباً، فإذا يبس تحامته الإبل، وهو سمٌّ قاتل، قال أبو ذؤيب:

رَعَى الشِّبْرِقَ الرَّيَّانَ حتى إذا ذَوَى		وعاد ضَرِيعاً بانَ عنهُ النَّحَائِصُ

وقال:

وحُبِسْنَ في هَزْمِ الضَّرِيعِ فكلُّها		حَـدْبَـاءُ دَامِيَـةُ اليَـدَيْـنِ حَـرُودُ

﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة بضم النون وكسرها، لغتان، أشهرهما الأولى، وهي وسادة صغيرة، وفي القاموس: والنمرقة مثلثة: الوسادة الصغيرة، أو المثيرة، أو الطنفسة فوق الرحل.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ في القاموس: الزرابي: النمارق، والبسط، أو كل ما يبسط، ويتكأ عليها، الواحدة: زربي بالكسر ويضم. والطنافس أيضاً: جمع

طنفسة، بتثليث الطاء والفاء، ففيه تسع لغات، وهي المسمّاة الآن: بالسجادة.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مفرقة في المجلس.

﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ بمسلط عليهم ومسيطر، اسم جاء مصغراً، ولا مكبّر له، كقولهم: رويداً، والثريا، وكميت، ومبيقر، ومبيطر، ومهيمن، وفي قراءة بمسيطَر بفتح الطاء، وغريبة هذه القراءة، فقد جاء في تاج العروس: سيطر جاء على فيعل، فهو مسيطر، ولم يستعمل مجهولاً فعله، وننتهي في كلام العرب إلى ما انتهوا إليه، وسيأتي مزيد بحث عن التصغير في باب الفوائد.

○ الإعراب:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ هل حرف استفهام، ومعناه: التعجب، والتشويق إلى استماع حديث الغاشية، وجعلها بعضهم بمعنى قد، وجعلها ابن خالويه مطّردة في كل ما في القرآن من: هل أتاك، قال: فهو بمعنى: قد أتاك. وأتاك فعل ماضٍ، ومفعول به، وحديث الغاشية فاعل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ وجوه مبتدأ، وساغ الابتداء به لوجود التنويع والوصف كما سيأتي، ويومئذ ظرف متعلق بخاشعة، والتنوين في إذ عوض عن جملة لم يتقدم ما يدلّ عليها إلا قوله: الغاشية، فيمكن استنتاج الجملة منها أي يوم إذ غشيت الغاشية، وخاشعة خبر، وعاملة ناصبة خبران آخران، وقيل: خاشعة وعاملة وناصبة صفات للمبتدأ، والخبر هو جملة تصلى، وعلى الأول جملة تصلى خبر رابع، وكلا الوجهين مستقيم، وحسن، وناراً مفعول به، وقرىء بضم التاء، فتكون ناراً مفعولاً ثانياً، ونائب الفاعل مستتر، وحامية نعت للنار، وتسقى فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: هي، أي: وجوه، والمراد: أصحابها، ومن عين متعلقان بتسقى، وآنية صفة لعين ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق للإجابة عن سؤال مترتب على ما سبق، كأنه قيل: وما هو طعامهم بعد ما ذكر شرابهم؟ فقيل: ليس

لهم . . . ، وليس فعل ماضٍ ناقص، ولهم خبرها المقدّم، وطعام اسمها المؤخر، وإلا أداة حصر، ومن ضريع صفة لطعام، أو بدل منه على القاعدة، ويجوز أن يكون في محل نصب على الاستثناء﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ الجملتان صفتان لضريع لا لطعام؛ لأن الضريع هو المثبت، وقد نفى عنه الإسمان والإغناء من الجوع، ولا نافية، ويسمن فعل مضارع، وفاعله هو، ولا يغني عطف على لا يسمن، ومن جوع متعلقان بيغني، وجعل الشهاب في حاشيته على البيضاوي من زائدة، وجوع على هذا يكون في موضع نصب مفعول يغني﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ وجوه مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة للتنويع، وسيأتي سرُّ عدم اقترانها بالواو كما يقتضي ظاهر السياق في باب البلاغة، ويومئذ ظرف أُضيف إلى مثله متعلق بناعمة، وناعمة خبر وجوه، ولسعيها متعلقان براضية، وراضية خبر ثانٍ لوجوه﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ في جنة خبر ثانٍ لوجوه، وعالية نعت لوجوه، وجملة لا تسمع . . . إلخ صفة ثانية لجنة، ولا نافية، وتسمع فعل مضارع مرفوع، وفاعله أنت، وقرىء بالتاء، وفيها متعلقان بتسمع، ولاغية مفعول به، وهي على معنى النسب، أي: كلمة ذات لغو، أو على إسناد اللغو إليها مجازاً﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ الجملة نعت ثالث لجنة، وفيها خبر مقدّم، وعين مبتدأ مؤخر، وجارية نعت لعين﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ الجملة صفة رابعة لجنة، وفيها خبر مقدّم، وعين مبتدأ مؤخر، وجارية نعت لعين، وما بعده عطف عليه﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير ما مضى من حديث الغاشية، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف على مقدّر يستحقه المقام، والتقدير: أينكرون البعث فلا ينظرون، ولا نافية، وينظرون فعل مضارع مرفوع، وإلى الإبل متعلقان به، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، وخلقت فعل ماضٍ مبني للمجهول، وفاعله مستتر، تقديره: هي، والجملة بدل اشتمال من الإبل. وينظرون تعدّى إلى الإبل بواسطة إلى، وتعدى إلى كيف على سبيل التعليق، وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي

قبلها وإن لم يكن فيه استفهام على خلاف في ذلك، كقولهم: عرفت زيداً أبو مَن هو، والعرب يدخلون إلى على كيف، فيقولون: إلى كيف يصنع؟ وكيف سؤال عن حال، والعامل فيها خلقت، وإذا علق العامل عمّا فيه من الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته، وللزمخشري كلام جميل، نورده فيما يلي: أفلا ينظرون إلى الإبل نظر اعتبار، كيف خلقت خلقاً عجيباً دالاًّ على تقدير مقدّر، شاهداً بتدبير مدبر، حيث خلقها للنهوض بالأثقال، وجرّها إلى البلاد الشاحطة، فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر، ثم تنهض بما حملت، وسخّرها منقادة لكل مَن اقتادها بأزمّتها، لا تعاز ضعيفاً، ولا تمانع صغيراً، وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار. وعن بعض الحكماء أنه حدّث عن البعير، وبديع خلقه، وقد نشأ في بلادٍ لا إبل بها، ففكر، ثم قال: يوشك أن تكون طوال الأعناق، وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبّرها على احتمال العطش، حتى إن أظماءها لترتفع إلى العشر فصاعداً، وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم. هذا، والإبل اسم جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده: بعير، وناقة، وجمل. وعبارة القاموس: الإبل بكسرتين وتسكين الباء، مؤنث واحد، يقع على الجمع، ليس بجمع، ولا اسم جمع، وجمعه: آبال، وتصغيرها إبيلة، والسحاب الذي يحمل ماء المطر. وعلى هذا يصحّ أن يُراد بها السحاب لينتظمها الذكر على حسب النظم، على أن هذا لا يتفق مع سهولة بيان القرآن ونظمه، وإنما أوردها منتظمة مع السماء والأرض والجبال؛ لأن العرب في بواديهم وأوديتهم يألفون رؤيتها جميعاً، فانتظمها الذكر مع هذه الأشياء. ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ كلام منسوق على ما تقدم، مماثل له في إعرابه، قال ابن خالويه نقلاً عن الزمخشري: وروي عن هارون الرشيد أنه قرأ: كيف سطّحت بالتشديد، والقراءة بتخفيفها لاجتماع الكافّة عليها. ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ الفاء الفصيحة أي: إن كانوا لا ينظرون إلى هذه الأشياء نظر اعتبار، وتدبر، وتأمل، فذكّرهم. وذكر

فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، ومفعوله محذوف، أي: فذكّرهم، ولا تلحّ عليهم؛ إذ ليس عليك هداهم، وإنما كافّة ومكفوفة، وأنت مبتدأ، ومذكّر خبر، وجملة إنما أنت: تعليلية للأمر بالتذكير، ولست: ليس واسمها، وعليهم متعلقان بمسيطر، والباء حرف جر زائد، ومسيطر مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه خبر ليس ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ إلا أداة استثناء، ومن مستثنى على الاستثناء متصل من مفعول فذكر، أو من الهاء في عليهم، وقيل: الاستثناء منقطع، وإلا بمعنى لكن، ألغي عملها، ومن مبتدأ، خبره جملة: فيعذبه، وكلاهما جيد محتمل، وجملة تولى صلة من، وكفر عطف على الصلة، وجملة إلا من تولى، وكفر: في محل نصب على الاستثناء المنقطع، وهذه جملة تضاف إلى الجمل التي لها محل من الإعراب، والفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط، ويعذبه فعل مضارع مرفوع، والهاء مفعول به، والله فاعل، والعذاب مفعول مطلق، ومن الغريب: أن ابن خالويه أعربها مفعولاً به ثانياً، وصدق ابن هشام عندما قرّر أن ابن خالويه من ضعفاء النحويين، والأكبر نعت للعذاب ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها تعليل للعذاب الأكبر، وإن حرف مشبّه بالفعل، وإلينا خبر مقدّم لإن، وإيابهم اسمها المؤخر، وثم حرف عطف للتراخي، وسيأتي سرّه في باب البلاغة، وما بعده عطف على ما قبله مماثل له في إعرابه.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴾ فن التتميم، وقد تقدم مراراً؛ فقوله: ولا يغني من جوع، جملة لا يمكن طرحها من الكلام؛ لأنه لما قال: لا يسمن، ساغ لمتوهّم أن يتوهم أن هذا الطعام الذي ليس من جنس طعام البشر انتفت عنه صفة الإسمان، ولكن بقيت له صفة الإغناء، فجاءت جملة: ولا يغني من جوع تتميماً للمعنى المراد، وهو: أن هذا الطعام انتفت عنه صفة إفادة السمن والقوة، كما انتفت عنه صفة إماطة الجوع

وإزالته، وجعله بعضهم من باب: نفي الشيء بإيجابه، على حدّ قول امرىء القيس:

على لاحب لا يهتدى بمناره ... ...

أي: أنه لا منار له أصلاً، وكما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس، تريد: نفي الظل على التوكيد، وليس ببعيد، والأول أرصن، وأبعد عن التكلّف.

(٢) الحذف: تكلمنا في هذا الكتاب كثيراً عن الحذف، وسنخصّص هنا لمعة عن حذف المفعول به خاصة لزيادة الفائدة، وذلك بمناسبة قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ فنقول: يجوز حذف المفعول به لغرض: إما لفظي كتناسب الفواصل، أي: رؤوس الآي، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ والأصل: وما قلاك، فحذف المفعول ليناسب قوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ وكالإيجاز في نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ والأصل: فإن لم تفعلوه، ولن تفعلوه، أي: الإتيان بسورة من مثله. وإما معنوي كاحتقاره، نحو: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ أي: لأغلبنّ الكافرين، فحذف المفعول زيادة في امتهانه واحتقاره، أو لاستهجانه، واستقباح التصريح به كقول عائشة رضي الله عنها: ما رأى منّي ولا رأيت منه، أي: العورة.

(٣) وفي قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ تقديم الجار والمجرور، والسرّ فيه: التشديد بالوعيد، وأن إيابهم ليس إلا على الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس إلا عليه، وفي العطف بثم للدلالة على التراخي في الرتبة لا في الزمان، أي: أنه قد يكون مباشرة بعد الإياب، ولكن التفاوت بين الموقفين أمر لا تكتنه أهواله، ولا يدري أحد مداه، ولا يتصوره العقل على الإطلاق، ولا يخفى أن الخبر جاء مؤكداً بإن، فأتى طلبياً، كأنهم ـ وقد ترددوا ـ بحاجة إلى تأكيد هذا الأمر؛ الذي أشاحوا عنه، ولم يتدبروه.

* الفوائـد :

١ ـ التصغير ومراميه: أول مَن تكلم على التصغير الخليل بن أحمد ـ رحمه الله ـ ويكون للتحقير، والتعظيم، والترحم، والتحبّب، ولتقليل العدد، ولتقريب الزمان، وقد جمعها بعضهم بقوله:

فعظّـم وحقّـر وقـرب زمـانـي		ترحّم تحبّب رزقت الأماني
وأقلـلْ بتصغيـرهـم يـا فتـى		فما زلتَ في محفلٍ من معاني

قال ابن خالويه: العرب تصغّر الاسم على المدح، لا تريد به التحقير، كقولهم: فلان صُدَيّقي؛ إذا كان من أصدق أصدقائه، ومن ذلك قول عمر في ابن مسعود: «كُنَيّف مليء علماً» مدحه بذلك. وقال الأنصاري: أنا جذيلها المحكّك، وعُذيقها المرجّب، وحُجيرها المؤام. ومن ذلك: أن رجلاً قال: رأيت الأُصيلع عمر بن الخطاب يقبّل الحجر، يريد: مدحه بذلك.

واختلف في قول عمر بن أبي ربيعة في رائيته المشهورة:

وغاب قميرٌ كنتُ أهوى غروبه		وروَّح رُعيـانٌ ونـوَّم سُمَّـر

فقال سعيد بن المسيب لما سمع هذا البيت: ما له؟ قاتله الله! صغّر ما كبر الله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ﴾. قال ابن خالويه: فيجوز أن يكون ابن أبي ربيعة صغّر قميراً على المدح لما ذكرت، ومع ذلك فإن ابن أبي ربيعة قد أنشد هذه القصيدة لابن عباس، فما أنكر عليه شيئاً، ومن ذلك قول الرجل لابنه: يا بنيّ! لا يريد تحقيره، فاعرف ذلك. ولابن أبي ربيعة حجة أخرى، وذلك: أن العرب تقول للقمر في آخر الشهر وأوله: شفا قُمير، فيصغِّرونه. وهذا الذي ذكرناه من معاني التصغير يردّه البصريون، وجميع ما ذكرناه عندهم راجع إلى معنى التحقير.

وهذا، ونضرب على سبيل المثال مثلاً بيت لبيد بن ربيعة، وهو:

وكلُّ أُناسٍ سوف تدخلُ بينهم		دويهيـةٌ تصفـر منهـا الأنـامـل

فالكوفيون ذهبوا إلى أن التصغير في قوله: دويهية للتعظيم، وبيان هذا: أن الشاعر أراد بها الموت، ولا داهية أعظم منها، فأما كونه أراد بها الموت، فيدلُّ لذلك وصفها بقوله: «تصفر منها الأنامل» والأنامل ـ هنا ـ: الأظفار، وهي إنما تصفر بالموت، قال الطوسي في شرح ديوان لبيد: إذا مات الرجل، أو قتل اصفرّت أنامله، واسوّدت أظافره. وقد ردّ البصريون أن التصغير يأتي للتعظيم، وجرى على مذهبهم الرضي المحقق فقال: قيل: مجيء التصغير للتعظيم يكون من باب الكناية، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية؛ لأن الشيء إذا جاوز حدّه جانس ضده، ورد بأن تصغيرها على حسب احتقار الناس لها، وتهاونهم بها؛ إذ المراد بها الموت، أي: يجيئهم ما يحتقرونه مع أنه عظيم في نفسه تصفر منه الأنامل. وقال البصريون عن بيت لبيد: فأما قوله دويهية، فالمراد: أن أصغر الأشياء قد يفسد الأصول العظام، فحتف النفوس قد يكون الأمر الذي لا يؤبه له. ولا يخفى ما في هذا القول من الرصانة والقوة، فتنبّه لهذا الفصل؛ الذي وإن طال بعض الطول، فهو كالحسن ليس بمملول.

٢ ـ الخيال: تختلف الخياليات باختلاف الأسباب، والعادات، والعُرف العام، فتتفاوت بالأمم، فلا يستنكر قوله تعالى في هدايتهم إلى الاستدلال على الصانع الحكيم: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾... إلخ إلا من يجهل أن الخطاب مع العرب وما في خيالهم إلا الإبل؛ لأن معظم انتفاعهم في مطاعمهم، وملابسهم، ومتاجرهم منه، وإلا أرض ترعاها الإبل، وإلا سماء تسقيهم وإياها، وإلا جبال هي معاقلهم عند شنّ الغارات، فظهر أن من وقف على أحوال العربي البدوي يعرف وجه تقارن الصور المذكورة في أذهانهم، ووجه وقوعها في القرآن العظيم على المنهج المذكور، ومن أنكره من أهل الحضر، فذلك لجهله بمقتضى الحال، ولقد أحسن المتنبي إذ قال:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفتـهُ مـن الفَهْـم السَّقيـم!

سورة الفجر

ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿الشفع﴾ الزوج من العدد، يقال: أشفع هو أم وتر؟ أي: أزوج أم فرد؟ ويجمع على: أشفاع، وشفاع، ومصدر شفع يشفع، من باب: فتح، شفعاً الشيء، أي: صيّره شفعاً، أي: زوجاً بأن يضيف إليه مثله، يقال: كان وتراً فشفعه بآخر، أي: قرنه به، وفي القاموس: الشفع: خلاف الوتر، وهو الزوج، وقد شفعه كمنعه، ويوم الأضحى، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ هو الخلق؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أو: هو الله

عزّو جلّ؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ .

﴿الوتر﴾ في القاموس: الوتر بالكسر ويفتح: الفرد، أو ما لم يتشفع من العدد، ويوم عرفة.

وقال أبو حيان: والشفع والوتر، ذكر في كتاب «التحرير والتحبير» فيها ستة وثلاثين قولاً، ضجرنا من قراءتها فضلاً عن كتابتها في كتابنا هذا.

وقال الزمخشري: وقد أكثروا في الشفع والوتر، حتى كادوا يستوعبون معظم ما يقعان فيه، وذلك قليل الطائل، جدير بالتلهّي عنه.

﴿ حِجْرٍ ﴾ عقل، وسمّي العقل بذلك؛ لأنه يحجر صاحبه عمّا لا يحلّ، ولا ينبغي، كما سمي عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن القبائح، وينهاه، ولأنه ينهى عمّا لا يحلّ، ولا ينبغي، وأصل الحجر: المنع، وقد تقدم القول في هذه المادة، وقال ابنُ خالويه: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ ، أي: لذي عقل، ولذي لب. والحجر: ديار ثمود، وحجر الكعبة، والفرس الأنثى.

﴿ جَابُوا ﴾ قطعوا، وفي المختار: وجاب: خرق، وقطع، وبابه: قال، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ وجبت البلاد بضم الجيم، من باب: قال، وباع، وأجبتها: قطعتها.

○ الإعراب:

﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ الواو حرف قسم وجر، والفجر مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بأقسم، والواو حرف عطف، وليالٍ عطف على الفجر مجرور، وعلامة جرّه الفتحة نيابة عن الكسرة المقدّرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. وقد أشار ابنُ مالك إلى هذه القاعدة الهامة بقوله:

وكُنْ لِجَمْعٍ مُشْبِهٍ مَفَاعِلا أو المَفَاعِيلَ بِمَنْعٍ كَافِلا

أي: إن الجمع المشبه مفاعيل، أو المفاعيل في كونه مفتوح الفاء وثالثه ألف بعدها حرفان كمفاعل، أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن كمفاعيل، يمتنع

صرفه لقيام الجمع فيه مقام علتين، وهي: الجمع، وعدم النظير في الواحد، وشمل قوله مفاعل ما أوله الميم كمساجد، أو ما أوله غيرها كدراهم، وشمل قوله المفاعيل ما أوله ميم كمصابيح، أو ما أوله غيرها كدنانير، ثم إن من هذا الجمع ما يجيء معتل اللام، وهو قسمان:

أحدهما: ما قلبت فيه الكسرة التي بعد الألف فتحة، فانقلبت الياء ألفاً، نحو: عذارى، ولا إشكال في منع التنوين.

والآخر: ما استثقلت في بابه الفتحة، فحذفت، ولحقها التنوين، وإلى ذلك أشار بقوله:

وذا اعْتِلالٍ منه كالجَوَارِي رَفْعاً وجَرّاً أَجْرِهِ كَسَارِي

يعني: أن ما كان من الجمع المعتل اللام، مثل: جوار، في كونه على ما ذكر من حذف الحركة، يجري مجرى سار في لحاق التنوين بآخره في حالة الرفع والجر، فتقول: هذه جوار، ومررت بجوار، وسكت عن حالة النصب، ففهم أنه على الأصل كالصحيح، فتقول: رأيت جواري.

وعشر نعت لليال، قالوا: وأراد بالليالي العشر: عشر ذي الحجة، وجاءت منكرة لفضيلتها على غيرها من ليالي السنة، وقيل: هي العشر الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول من المحرم ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ منسوق على الفجر، وليال، وكذلك الوتر والليل، وإذا ظرف متعلق بفعل القسم المحذوف، أو بفعل قسم مقدر، وعلى ذلك جرى أبو البقاء، أي: أقسم بالليل وقت سراه، ويسري فعل مضارع، مأخوذ من السرى، وهو خاصّ بسير الليل، وقد تقدّم، وقال في المصباح: سريت الليل، وسريت به، سرى، والاسم: السراية؛ إذا قطعته بالسير، وأسريت بالألف لغة حجازية، ويستعملان متعديين بالباء إلى مفعول، فيقال: سريت بزيد، وأسريت به، والسّرية بضم السين، وفتحها، أخصّ، يقال: سرينا سُرْية من الليل، وسرية، والجمع السُّرى، مثل: مدية ومدى، قال أبو زيد: ويكون السرى أول الليل، وأوسطه، وآخره. وقد استعملت العرب سَرَى

نعت لفرعون، كان يدق للمعذّب أربعة أوتاد، ويشدّه بها مسطوحاً على الأرض، ثم يعذبه بما يريد من ضرب، وإحراق، وغيرهما. وفي المصباح: الوتد بكسر التاء في لغة الحجاز، وهي الفصحى، وجمعه: أوتاد، وفتح التاء لغة، وأهل نجد يسكنون التاء، فيدغمون بعد القلب، فيبقى ودّ، ووتد الوتد، أتده، وتداً، من باب: وعد: أثبته بحائط، أو بالأرض، وأوتدته بالألف لغة. ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ الذين إما مجرور على أنه صفة للمذكورين، أو منصوب على الذم، قال الزمخشري: أحسن الوجوه فيه: أن يكون في محل النصب على الذم، ويجوز أن يكون مرفوعاً على هم الذين طغوا، أو مجروراً على وصف المذكورين: عاد، وثمود، وفرعون. وجملة طغوا صلة الذين، وفي البلاد متعلقان بطغوا ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ الفاء عاطفة، وصبّ فعل ماضٍ مبني على الفتح، وعليهم متعلقان بصبّ، وربك فاعل، وسوط عذاب مفعول به، وسيأتي معنى هذا التعبير في باب البلاغة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها تعليل لما قبلها، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وبالمرصاد متعلقان بمحذوف خبر إن، وسيأتي معناها أيضاً في باب البلاغة.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ استعارة مكنية، فقد استعمل الصب، وهو خاص بالماء؛ لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب، قال:

فصبّ عليهم محصرات كأنّها ... شآبيبُ ليست من سحابٍ ولا قطر

وقال آخر في وصف الخيل:

صَبَبْنا عليهم ظالمين سياطَنا ... فطارتْ بها أيدٍ سراعٍ وأرجل

واستعار السوط للعذاب؛ لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف، ولا غيره، وعبارة الزمخشري جميلة في بابها قال: «يقال: صبّ

عليه السوط، وغشاه، وقنعه، وذكر السوط إشارة إلى ما أحلّه بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدّ لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به. والسوط ـ كما في القاموس ـ هو الخلط، أو أن تخلط شيئين في إنائك، ثم تضربهما بيدك حتى يختلطا، كالتسويط، والمقرعة؛ لأنها تخلط اللحم بالدم، والجمع: سياط، وأسواط، وقال الفراء: هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب، وأصل ذلك: أن السوط هو عذابهم؛ الذي يعذبون به، فجرى لكل عذاب إذا كان في غاية العذاب.

(٢) وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ استعارة تمثيلية، شبّه كونه تعالى حافظاً لأعمال العباد، مراقباً عليها، ومجازياً على ما دقّ، وجلّ منها، بحيث لا ينجو منه بحال من قعد على الطريق مترصداً لمن يسلكها؛ ليأخذه، فيوقع به ما يريد، ثم أطلق لفظ أحدهما على الآخر.

*** الفوائـــد:**

خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وطريقة عرضها، وإرادة حوادثها، وتسلسل مشاهدها لمقتضيات الأغراض الدينية، وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات متعددة، ولكن هذا الخضوع الكامل للأغراض الدينية، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنعا بروز الخصائص الفنية في عرضها، ولا سيما في التصوير، وهو أبرز خصائص القرآن. وقد كنّا نودّ لو نقلنا لك قصة ذات العماد، كما نقلها الرواة والمفسرون، ولكن الأمر يطول، فحسبنا أن ننقل لك خلاصتها لتلمح على ضوء تلك الخلاصة خصائصها الفنية، ثم نحيلك على المطوّلات؛ فقد رووا أنه كان لعاد ابنان، وهما: شداد، وشديد، فملكا، وقهرا، ثم مات شديد، فخلص الأمر لشداد، وملك الدنيا، ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة فقال: سأبني مثلها، فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلاثمئة سنة، وكان عمره تسعمئة سنة، وهي مدينة عظيمة، أضفى عليها الخيال تهاويل من الوصف الرائع، فقصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت،

وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطّردة، ولما تمّ بناؤها سار إليها بأهل مملكته، فلما كان على مسيرة يوم وليلة، بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا.

وعن عبد الله بن قلابة: أنه خرج في طلب إبل له، فوقع عليها، فحمل ما قدر عليه مما ثم، وبلغ خبره معاوية، فاستحضره، فقصّ عليه، فبعث إلى كعب فسأله، فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر، أشقر، قصير، على حاجبه خال، وعلى عقبه خال، يخرج في طلب إبل له، ثم التفت، فأبصر ابن أبي قلابة، فقال: هذا والله ذلك الرجل.

وعلى كل حال ليس لهذه أصل ديني تستند إليه، وقد أدخلت خرافات مختلفة، ونسجت أقاصيص منحولة، وأساطير مفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه.

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا
مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا
تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ ۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ
وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ
ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ
وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى
فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلتُّرَاثَ﴾ الميراث، والتاء بدل من الواو؛ لأنه من الوراثة، كما قالوا: في تجاه، وتخمة، وتكأة.

﴿ لَّمًّا﴾ جمعاً. وفي المختار: أكلاً لماً، فعله من باب: رد، يقال: لمّ الله شعثه، أي: أصلح، وجمع ما تفرّق من أمره. وقال أبو عبيدة: لممت ما على الخوان؛ إذا أكلت جميع ما عليه بأسره، وقال الحطيئة:

إذا كـان لَمّـاً يَتْبَـعُ الـذَّمُّ رَبَّـهُ		فلا قَدَّسَ الرحمنُ تلك الطَّواحِنا

ومنه: لممت الشعث، قال النابغة الذبياني:

ولسـت بمستبـقٍ أخـاً لا تلمـه		على شعثٍ أيّ الرجالِ المهذَّبُ؟

﴿وَثَاقَهُۥ﴾ في المصباح: وثق الشيء بالضم وثاقه: قوي، وثبت، فهو وثيق ثابت، وأوثقته: جعلته وثيقاً، والوثاق بفتح الواو وكسرها: القيد، والحبل، ونحوه، والجمع: وثق، مثل: رباط، وربط.

○ الإعـراب:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ الفاء استئنافية، ومفهوم كلام الزمخشري أنها عاطفة، قال: فإن قلت: بم اتصل قوله: فأما الإنسان؟ قلت: بقوله: إن ربك بالمرصاد، كأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة، والسعي للعاقبة، وهو مرصد بالعقوبة للعاصي، فأما الإنسان فلا يريد ذلك، ولا يهمه إلا العاجلة، وما يلذه، وينعمه فيها. وفي كلامه نفحة اعتزالية واضحة. وأما حرف شرط وتفصيل، والإنسان مبتدأ، وإذا ظرف متعلق بيقول، وما زائدة، وجملة ابتلاه في محل جر بإضافة الظرف إليها، وربه فاعل، فأكرمه عطف على ابتلاه، ونعمه عطف أيضاً، والفاء رابطة لما في أما من معنى الشرط، وجملة يقول: خبر الإنسان، ولا يمتنع تعلق الظرف بيقول الواقعة خبراً؛ لأن الظرف في نيّة التأخير والتقدير، فأما الإنسان فقائل: ربي أكرمني وقت الابتلاء، وربي مبتدأ، وجملة أكرمني خبر، وحذفوا الياء من أكرمن اختصاراً ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ عطف على الجملة السابقة، وإعرابها كإعرابها ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ كلا

حرف ردع وزجر للإنسان عن قوله، وبل حرف إضراب من قبيح إلى أقبح للترقي في ذمّهم، ولا نافية، وتكرمون اليتيم فعل مضارع مرفوع، وفاعل، ومفعول به، ولا تحاضّون عطف على لا تكرمون، وعلى طعام المسكين: متعلقان بتحاضّون ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ عطف أيضاً، والتراث مفعول تأكلون، وأكلاً مفعول مطلق، ولماً صفة، وتحبون المال حباً جماً: عطف أيضاً، مماثل للجملة السابقة في الإعراب ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ كلا حرف ردع وزجر لهم عن ذلك كله، وإذا ظرف متعلق بيتذكر، وجملة دكّت في محل جر بإضافة الظرف إليها، والأرض نائب فاعل، ودكّاً دكّاً مصدران في موضع الحال على رأي أبي حيان، والزمخشري، وليس الثاني تأكيداً، بل التكرار للدلالة على الاستيعاب، كقرأت النحو باباً باباً، وأعرب ابن خالويه دكّاً الأول مصدراً، والثاني تأكيداً، وليس بعيداً ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ عطف على ما تقدم، وجاء ربك فعل وفاعل، والملك عطف على ربك، وصفّاً صفّاً حال، أي: مصطفين، أو ذوي صفوف، وهو المسوغ لمجيء الحال جامداً هو الترتيب، وضابطه: أن يأتي التفصيل بعد ذكر المجموع بجزأيه مكرراً، قال الرضي: وفي نصب الجزء الثاني خلاف ذهب الزجّاج إلى أنه توكيد، وذهب ابن جنّي إلى أنه صفة، وذهب الفارسي إلى أنه منصوب بالأول؛ لأنه لما وقع موقع الحال جاز أن يعمل، قال المرادي: والمختار أنه وما قبله منصوبات بالعامل الأول؛ لأن مجموعهما هو الحال، ونظيره في الخبر: هذا حلو حامض، ولو ذهب ذاهب إلى أن نصبه بالعطف على تقدير: حذف الفاء، والمعنى: باباً فباباً، وصفّاً فصفّاً، لكان مذهباً حسناً، ونص أبو الحسن على أنه لا يجوز أن يدخل حرف العطف في شيء من المكررات إلا الفاء، وخاصة ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ الواو عاطفة، وجيء: فعل ماضٍ مبني للمجهول، ويومئذٍ ظرف أضيف إلى مثله متعلق بجيء، وبجهنم في موضع رفع نائب فاعل، ويومئذ ظرف أضيف إلى مثله، وهو بدل من إذا، وجملة يتذكر الإنسان لا محل

لها؛ لأنها جواب إذا، والواو حالية، وأنى اسم استفهام معناه: النفي في محل نصب ظرف مكان، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، وله متعلقان بما تعلق به الظرف، والذكرى مبتدأ مؤخر، ولا بدّ من تقدير: حذف المضاف، أي: ومن أين له منفعة الذكرى، وإلا فبين يتذكر وأنى له الذكرى تنافٍ وتناقض ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ الجملة بدل اشتمال من جملة يتذكر، أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ منه، كأنه قيل: ماذا يقول عند تذكره؟ فقيل: يقول. . .، ويا حرف تنبيه، أو المنادى محذوف، وليتني ليت واسمها، وجملة قدمت خبرها، ولحياتي متعلقان بقدمت، وجملة النداء مقول القول ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ الفاء عاطفة، ويومئذ ظرف متعلق بيعذب، والتنوين عوض عن جملة تفيد ما تقدم من هَوْل الموقف، ولا نافية، ويعذب فعل مضارع مبني للمعلوم، وعذابه مفعول مطلق، والضمير في عذابه يعود إلى الله، والعجب من ابن خالويه فقد أعربها مفعولاً به، ولا أدري ما هي وجهة نظره، وأحد فاعل يعذب، بالبناء للمجهول، فيكون أحد: نائب فاعل، والضمير في عذابه يعود وقرىء يُعذب على الكافر، وعبارة القرطبي بهذا الصدد هي: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ أي: لا يعذب كعذاب الله أحد، ولا يوثق لوثاقه أحد، والكناية ترجع إلى الله تعالى، وهو قول ابن عباس، والحسن، وقرأ الكسائي: لا يعذَّب ولا يوثق بفتح الذال والثاء، أي: لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كما يوثق الكافر. وقوله: ولا يوثق. . . إلخ عطف على الجملة السابقة، ويقال في إعرابها ما قيل في الأولى، وقد أورد ابن خالويه بحثاً طريفاً، ننقله فيما يلي: ولا يوثق نسق على يعذب، والمصدر أوثق يوثق إيثاقاً، فهو موثق، فإن قال قائل: هل يجوز همز يوثق، كما همز يؤمن؟ فقل: ذلك غير جائز؛ لأن أوثق فاء الفعل منه، مثل: أوفض يوفض، وأسرع يسرع، وأورى يوري، وأوقد يوقد، كل ذلك غير مهموز، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ و ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ وإنما يهمز من هذا ما كانت فاء الفعل منه همزة، نحو: آمن يؤمن؛ لأن الأصل أأمن، فاستثقلوا

همزتين في أول كلمة، فلينت الثانية، فاعرف ذلك، وإن كانت فاء الفعل ياء مثل: أيسر، وأيقن، وأيفع الغلام، انقلبت الياء واواً في المضارع لانضمام ما قبلها وسكونها، ولم يجز أيضاً همزها، نحو: يوقنون، ويوقع الغلام، ويوسر، وحدّثني أبو الحسن المقرىء قال: روى أبو خليفة البصري عن المازني عن الأخفش قال: سمعت أبا حية النميري يقول: يؤقنون مهموزة، وأبو حيّة الذي يقول:

إذا مضغت بعد امتناع من الضُّحى أنـابيب من عُـود الأراكِ لمخلّق
سقت شعبَ المسواكِ ماءُ غمامة فضيضـاً بجـادي العـراق المروق

غير أن من العرب من يهمز ما لا يهمز تشبيهاً بما يهمز، كقولهم: حلأت السويق، ورثأت الميت، وحدّثني أحمد، عن علي، عن أبي عبيدة، قال: قرأ الحسن: (ولا أدرأكم به) مهموزاً، وهو غلط عند أهل النحو؛ لأنه من دريت. ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ الجملة في موضع نصب بقول محذوف، أي: يقول الله للمؤمن، ويا حرف نداء، وأية منادى نكرة مقصودة مبني على الضم، وقد مرّت نظائره كثيراً، والهاء للتنبيه، والنفس بدل، والمطمئنة نعت للنفس، وارجعي فعل أمر مبني على حذف النون، والياء فاعل، وإلى ربك متعلقان بارجعي، وراضية مرضية حالان ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ نسق على ارجعي، وفي عبادي متعلقان بادخلي، وادخلي في جنتي عطف أيضاً، أي: انتظمي في سلكهم، وادخلي جنتي معهم.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ فن الإفراط في الصفة، كما سمّاه ابن المعتز، وسمّاه قُدامة: المبالغة، وسمّاه غيرهما: التبليغ، والمشهورة تسمية قدامة، وعرّفه بقوله: هو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت، فلا يقف عندها حتى يزيد في كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده. وهي على ضروب شتى، ومنها: إخراج الكلام مخرج الإخبار عن

الأعظم الأكبر للمبالغة، والإخبار عنه مجاز، كقول من رأى موكباً عظيماً، أو جيشاً خضماً: جاء الملك نفسه، وهو يعلم أنّ ما جاء جيشه، فقد جعل في الآية مجيء جلائل آياته مجيئاً له سبحانه.

* الفوائد:

١ ـ أيها وأيتها: قرأ الجمهور: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ﴾ بتاء التأنيث، وقرأ زيد ابن علي: يا أيها بغير تاء، ولا نعلم أحداً ذكر أنها تذكّر، وإن كان المنادى مؤنثاً إلا صاحب البديع، وهذه الآية شاهدة بذلك، ولذلك وجه من القياس، وذلك: أنه لم يثن، ولم يجمع في نداء المثنى والمجموع، فكذلك لم يذكّر في نداء المؤنث، وأي وأية مبنيان على الضم؛ لكون كلٍّ منهما منادىً مفرداً، وهاء التنبيه فيهما زائدة لازمة للفظ، أي: وأية عوضاً عن المضاف إليه، مفتوحة الهاء.

٢ ـ كيف يتعدى «دخل»؟ إذا كان المدخول فيه غير ظرف حقيقي تعدّت إليه «دخل» بفي، نحو: دخلت في الأمر، ودخلت في غمار الناس، ومنه: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ أي: في جملة عبادي الصالحين، وإذا كان المدخول فيه ظرفاً حقيقياً، تعدّت إليه في الغالب بغير وساطة «في» ومنه: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ وعلى كل حال تعرب جنتي مفعولاً به على السعة؛ لأنه في الأصل لا يتعدى بنفسه كما تقدم.

* * *

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (٢) وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدۡ خَلَقۡنَا
ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ (٥) يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا (٦)
أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٧) أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ (٨) وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ (٩) وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ (١٠) فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي
يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ (١٤) يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ (١٥) أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ (١٧) أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ (١٩) عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ (٢٠)﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلۡبَلَدِ﴾ في القاموس: «البلد، والبلدة: مكة شرّفها الله تعالى، وكل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة، أو غامرة، والتراب، والبلد: القبر،

والمقبرة، والدار، والأثر، وأُدْحِيُّ النعام» إلى أن يقول: وبلد بالمكان، بلوداً: أقام، ولزمه، أو اتخذه بلداً».

﴿حِلٌّ﴾ يقال: حلّ وحلال، وحرم وحرام بمعنى واحد، وحلّ في المكان: إذا نزل فيه، يحُل بضم الحاء، حلولاً، فهو حالّ، والمكان: محلول فيه، وسيأتي المزيد من معناه في باب الإعراب.

﴿كَبَدٍ﴾ نصب ومشقة، يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، وفي المصباح: والكَبَد ـ بفتحتين ـ: المشقة، من: المكابدة للشيء، وهو تحمّل المشاق في فعله. وعبارة الزمخشري: وأصله: من: كبد الرجل كبداً، من باب: طرب، فهو أكبد؛ إذا وجعته كبده، وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقّة، ومنه اشتقت المكابدة، كما قيل: كبته الله بمعنى: أهلكه، وأصله: كبده، أي: أصاب كبده، قال لبيد يرثي أخاه أربد:

يـا عَيْـنُ هـلاَّ بَكَيْـتِ أَرْبَـدَ إِذْ قُمْنَا وقام الخُصُومُ في كَبَدِ

أي: في شدّة الأمر، وصعوبة الخطب. هذا، ومن غريب أمر الكاف والباء: أنهما إذا وقعتا فاءً وعيناً للكلمة، دلّتا على الشدّة، والمعاناة، والقهر، يقال: كببته في الهوّة، وكبكبته، وكببته، وكذلك: إذا رمى به من رأس جبل، أو حائط، والفارس يكبّ الوحوش، وهم يكبون العشار، قال:

يكبّـون العشـارَ لمـن أتـاهُـم إذا لـم تُسكـت المئةُ الـوليـدا

ومن المجاز: أكبّ على عمله، وهو مكب عليه، لازم له لا يفارقه، قال لبيد:

جنُـوحَ الهـالكـيّ علـى يـديْـهِ مكبّـاً يجتَلـي نُقَـبَ النِّصـالِ

وكبت الله عدوّك: كبه، وأهلكه، وتقول: لا زال خصمك مكبوتاً، وعدوّك مكبوتاً. وكبح فرسه: جذب عنانه حتى يصير منتصب الرأس؛ ولهذا قيل أيضاً: في كبد، أي: منتصباً، ولم يجعله يمشي على أربع، فيتناول الشيء بفيه، ولا على بطنه؛ لأن الله تبارك وتعالى كرّم بني آدم بأشياء

هذه إحداها. وقال أعرابي آخر: ما للصقر يحبّ الأرنب ما لا يحب الخرب؟ قال: لأنه يكبح سبلته ويردّه، أي: يصيب سبلته بذرقه فيلثقه. وكبر الأمر، وخطب كبير، وكبر علي ذلك؛ إذا شق عليك. ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ وكبر الرجل في قدر، وكبر في سنّه، وشيخ كبير، وذو كبر، وكُبْر، وعلة الكبرة، والمكبرة: علو السن، وما تقتضيه من معاناة وجهد، قال:

عجوزٌ علَتْها كَبْرَةٌ في ملاحةٍ أقاتلتي يا لَلرِّجالِ عجُوزُ

وكبس الحفرة: طمّها، وكبس رأسه في جيب قميصه: أدخله فيه، وهو عابس كابس، ووقع عليه الكابوس. وانتطحت الكباش، وهو كَبْشُ كتيبة، وهم كِباش الكتائب، قال:

وإنّا لممّا نضربُ الكبش ضربةً على رأسه تُلقي اللِّسانَ من الفَمِ

وفلان مُكَلَّب مُكَبَّل، مأسور بالكَلْب، وهو القدّ، مقيّد بالكَبْل، وهو القيد، وكَبَلْت الأسير، وكبّلته، واكتبلته، وفي ساقيه كَبْلٌ وكُبول، قال جرير:

ومكتبلاً في القدِّ ليس بنازعٍ له من مراسِ القدِّ رِجلاً ولا يدا

وكبا لوجهه، وتقول: الحدّ ينبو والجدّ يكبو، إلى آخر هذه المادة العجيبة في لغتنا الحبيبة.

﴿لُّبَدًا﴾ كثيراً، تكدس بعضه على بعض، ولا يخاف فناؤه من كثرته، وما له سَبَد ولا لبد، وهو المراد هنا، ولبد أيضاً: آخر نسور لقمان، قيل: بعثته عاد إلى الحرم يستسقي لها، فلما أهلكوا خُيّر لقمان بين بقاء سبع بعرات من أظْبٍ عُفر، في جبل وعْر، لا يمسّها القطر، أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر، فاختار النسور، وكان آخرها لبداً، فلما مات مات لقمان، وذلك في عصر الحارث الرائش أحد ملوك اليمن، وقد ذكره الشعراء، فقال النابغة:

أضحتْ خلاءً واضحى أهلُها احتملوا أَخْنَى عليها الذي أخنى على لبدِ

﴿ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ الطريقين، يعني: طريق الخير وطريق الشر، والنجد: الطريق في ارتفاع، وقيل: الثديين، رُوي عن ابن عباس وعلي: لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه، فالنجد: العلو، وجمعه: نجود، ومنه: سمِّيت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة، وفي القاموس: النجد: ما أشرف من الأرض، وجمعه: أنجُد، وأنجاد، ونجاد، ونُجود، ونُجُد، وجمع النجود: أنجدة، والطريق الواضح المرتفع، وما خالف الغور، أي: تهامة، وتضم جيمه، مذكر، أعلاه تهامة واليمن، وأسفله العراق والشام، وأوله من جهة الحجاز: ذات عرق، وما ينجّد به البيت من بسط، وفرش، ووسائد، والجمع: نجود: ونجاد، والدليل الماهر، والمكان لا شجر فيه. إلى أن يقول: «والثدي».

﴿ٱلۡعَقَبَةُ﴾ الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها: مجاوزتها، وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب البلاغة.

﴿مَسۡغَبَةٖ﴾ مصدر ميمي، من: سغب، يسغب، سغباً، من باب: فرح: جاع، وفي القاموس: سغب كفرح، ونصر، سغباً، وسغابة، وسغوبة، ومسغبة: جاع، فهو ساغب، وسغبان، وسغب، وهي سغبى، وجمعها: سغاب، والسغب: العطش، وليس بمستعمل.

﴿مَتۡرَبَةٖ﴾ في المختار: وترب الشيء: أصابه التراب، وبابه: طرب، ومنه: ترب الرجل، أي: افتقر، كأنه لصق بالتراب، وتربت يداه: دعاء عليه، أي: لا أصاب خيراً، وتربه تتريباً، فتترّب، أي: لطخه بالتراب، فتلطخ، وأتربه: جعل عليه التراب، وفي الحديث: «أتربوا الكتاب؛ فإنه أنجح للحاجة». وأترب الرجل؛ استغنى؛ كأنه صار له من المال بقدر التراب، والمتربة: المسكنة، والفاقة، و﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ أي: لاصق بالتراب. وقال ابن خالويه: أخبرنا أبو عبد الله نفطويه عن ثعلب، قال: يقال: ترب الرجل؛ إذا افتقر، وأترب؛ إذا استغنى، ومعناه: صار ماله كالتراب كثرة، فإن سأله سائل فقال: إذا كان الأمر كما زعمت، فما وجه

قول رسول الله ﷺ للرجل الذي استشاره في التزويج، فقال له: «عليك بذات الدين تربت يداك» والنبي لا يدعو على أحد من المؤمنين؟ ففي ذلك أجوبة، والمختار منها جوابان:

أحدهما: أن يكون أراد عليه السلام الدعاء الذي لا يراد به الوقوع، كقولهم للرجل إذا مدحوهضح

: قاتله الله ما أشعره! وأخزاه الله ما أعلمه! قال الشاعر في امرأة يهواها، وهو جميل بثينة:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغرِّ من أنيابها بالقوادح
وفي وجهها الصَّافي المليح بقُتمةٍ وفي قلبها القاسِي بودٍّ مماتح

والجواب الثاني: أن هذا الكلام مخرجه من الرسول ﷺ مخرج الشرط، كأنه قال: عليك بذات البين تربت يداك إن لم تفعل ما أمرتك به، وهذا حسن، وهو اختيارُ ثعلب، والمبرِّد.

﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ مطبقة، بالهمز، وهي قراءة حفص، وأبي عمرو، وحمزة، وبالواو الساكنة، وهي قراءة الباقين، وهما لغتان، يقال: أصدت الباب، وآصدته، وأوصدته؛ إذا أغلقته، وأطبقته، وقيل: معنى المهموز: المطبقة، ومعنى غير المهموز: المغلقة، ولم يفرق بينهما في القاموس.

○ الإعراب:

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ تقدم إعراب لا أقسم، والقول بزيادتها كثيراً، فجدِّد به عهداً، وبهذا متعلقان بأقسم، والبلد بدل من هذا، والواو حالية، أو اعتراضية، وأنت مبتدأ، وحلّ خبر، وبهذا متعلقان بحل، والبلد بدل، واختار الزمخشري أن تكون الواو اعتراضية، والجملة معترضة، وردّه أبو حيان، وفيما يلي عبارة الزمخشري، وردّ أبي حيان.

قال الزمخشري: أقسم سبحانه بالبلد الحرام، وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق، والشدائد، واعترض بين القسم والمقسم

عليه بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حُرمتك يستحلّ بهذا البلد الحرام، كما يستحلّ الصيد في غير الحرم. إلى أن يقول: أو سلّى رسول الله ﷺ بالقسم ببلده، على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد، واعترض بأن وعده بفتح مكة تتميماً للتسلية، والتنفيس عنه، فقال: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: وأنت حلٌّ به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر. إلى أن يقول: فإن قلت: أين نظير قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ﴾ في معنى الاستقبال؟ قلت: قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ومثله واسع في كلام العباد، تقول لمن تعده بالإكرام، والحباء: أنت مكرم محبو، وهو في كلام العرب أوسع؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة، وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال، وأن تفسيره بالحال مُحال: أن السورة بالاتفاق مكيّة، وأين الهجرة من وقت نزولها، فما بال الفتح؟!.

وقال أبو حيان: وحمله على أن الجملة اعتراضية لا يتعين، وقد ذكرنا أولاً أنها جملة حالية، وبينّا حُسن موقعها، وهو إفادةُ تعظيم المقسم به، وهي حال مقارنة لا مقدرة، ولا محكية، فليست من الإخبار بالمستقبل، وأما سؤاله والجواب، فهذا لا يسأله من له أدنى تعلّق بعلم النحو؛ لأن الإخبار قد يكون بالمستقبلات، وأن اسم الفاعل، وما جرى مجراه حالة إسناده، أو الوصف به لا يتعين حمله على الحال، بل يكون للماضي تارة، وللحال أخرى، وللمستقبل أخرى، وهذا من مبادىء علم النحو، وأما قوله: وكفاك دليلاً قاطعاً... إلخ، فليس بشيء؛ لأنّا لم نحمل: ﴿وأنت حل﴾ على أنه يحلّ لك ما تصنع في مكة من الأسْر والقتل وقت نزولها بمكة، فتنافيا، بل حملناه على أنه مقيم بها خاصة، وهووقت النزول كان مقيماً بها ضرورة، وأيضاً فما حكاه من الاتفاق على أنها نزلت بمكة ليس بصحيح، وقد يُحكى الخلاف فيها عن قوم.

وإنما أوردنا هذا النقاش، وقوة الحجة لدى المتناقشين؛ مما تَحْدا

بالمفسرين جميعاً على وجه التقريب التزام الحياء في هذا النزاع، ولهذا لم نشأ نحن الترجيح أيضاً، على أن الكرخي أيّد وجهة نظر الزمخشري؛ إذ قال: أقسم الله بالبلد الحرام على أنه خلق الإنسان في كبد، واعترض بينهما بأن وعده فتح مكة تتميماً للتسلية لقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ﴾ أي: به في المستقبل، تصنع ما تريد من القتل، والأسر. وكذلك أيّد الجلال في تفسيره الزمخشري، فقال: فالجملة اعتراض بين المقسم والمقسم عليه. وتعقبه السمين فأورد كلامه وقال: وقيل: إنها حالية، ولا نافية، أي: لا أُقسم بهذا البلد، وأنت حالّ مقيم به؛ لعظيم قدرك، أي: لا أُقسم بشيء، وأنت أحقّ بالإقسام بك منه. وأيّد ابن خالويه أبا حيان.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ عطف على القسم السابق، والمراد بالوالد: آدم، وما: عطف على والد، وجملة ولد صلة، أي: ذريته، وأحسن من ذلك ما قاله أبو حيان: والظاهر: أن قوله: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ لا يراد به معين، بل ينطلق على كل والد. أما الزمخشري فقد جنح إلى رأي آخر، فقال: فإن قلت: ما المراد بوالد وما ولد؟ قلت: رسول الله ﷺ ومن ولده، أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه، وحرم أبيه إبراهيم، ومنشأ أبيه إسماعيل عليهما السلام، وبمن ولده وبه، فإن قلت: لِمَ نكر؟ قلت: للإبهام المستقل بالمدح والتعجب، فإن قلت: فهلاّ قيل: ومن ولد؟ قلت: فيه ما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ يعني: موضوعاً عجيب الشأن. وقال الفراء: وما للناس كقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ و﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ وهو الخالق للذكر والأنثى. ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ الجملة جواب القسم، واللام واقعة في الجواب، وقد حرف تحقيق، وخلقنا فعل وفاعل، والإنسان مفعول به، وأل فيه للجنس؛ لأنه أراد جنس الإنسان، وفي كبد متعلقان بمحذوف على أنها حال من الإنسان، أي: مكابداً للمشاق، منتصباً على قدميه، يؤدي دوره في بناء مجتمعه، لا كالحيوان الذي يتناول طعامه بفمه ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ، ويحسب فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر يعود على

الإنسان، أو على بعض صناديد قريش الذين كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويقدر فعل مضارع منصوب بلن، وعليه متعلقان بيقدر، وأحد فاعل يقدر، ومن العجيب أن يقول ابن خالويه ما نصّه: أن حرف ناصب، ولن حرف نصب، ويقدر منصوب بلن، والعرب إذا جمعت بين حرفين عاملين ألغت أحدهما. فهذا هو الهراء الذي ما بعده هراء، وهذا هو الخرق الفاضح لإجماع النحاة على استشهادهم بالآية المذكورة؛ لأنه يشترط في أن المفتوحة إذا خفِّفت أن يكون اسمها ضميراً للشأن، ولم يسمع ذكره إلا في ضرورة الشعر، كقول جنوب أُخت عمرو ذي الكلب:

وقد علم الضَّيفُ والمرملونَ إذا غابر أُفقٌ وهبَّتْ شمالا

بأنّك ربيعٌ وغيثٌ مريع وأنّك هناك تكونُ الثّمالا

فقد أتى اسمها ضميراً مذكوراً، وليس للشأن، وأما خبرها فيجب أن يكون جملة، ثم إن كانت الجملة اسمية، أو فعلية فعلها جامد، أو دعاء لم تحتج إلى فاصل، فالاسمية نحو: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والفعلية التي فعلها جامد، نحو: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ والفعلية التي فعلها دعاء، نحو: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ﴾ ويجب الفصل في غيرهنّ ليكون عوضاً مما حذفوا من أنه، وهو أحد النونين، والاسم، أو لئلا يلتبس بأن المصدرية، والفصل إما بقد؛ لأنها تقرّب الماضي من الحال، نحو: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أو تنفيس، نحو: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ أو نفي بلا، أو لن، أو لم، فمثال لن: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فإن قيل: قد أوجبوا أن تكون مخفّفة بعد فعل العلم، أما بعد فعل الظن فقد أجازوا أن تكون مخففة، ومصدرية، قلت: ما كان أرفع أسلوب القرآن عن إقحام عاملين بمعنى واحد، واضطرارنا إلى إلغاء أحدهما، وهذا ما يترفع عنه أسلوب القرآن العظيم ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ الجملة حالية، أو استئنافية، والقول على سبيل الفخر والمباهاة، وجملة أهلكت مقول

القول، ومالاً مفعول به، ولبداً نعت ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ أيضاً، وإعرابها كإعراب سابقتها ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ونجعل فعل مضارع مجزوم بلم، وله متعلقان بنجعل؛ لأنها بمعنى نخلق، وعينين مفعول به، ولساناً وشفتين عطف على عينين، والشفة محذوفة اللام، والأصل: شفهة بدليل تصغيرها على شفيهه، وجمعها على: شفاه، ونظيره: سنة، ولا تجمع بالألف والتاء استغناء بتكسيرها على شفاه، وهديناه فعل ماضٍ، وفاعل، ومفعول به، والنجدين مفعول به ثانٍ، أو منصوب بنزع الخافض، كما تقدم ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ الفاء عاطفة، ولا نافية، وهو قول أبي عبيدة، والفراء، والزجّاج، كأنه قال: ووهبنا له الجوارح، ودللناه على السبيل، فما فعل خيراً، أي: فلم يقتحم، وقال الفراء، والزجّاج: ذكر «لا» مرة واحدة، والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيدها، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ إنما أفردها لدلالة آخر الكلام على معناه، فيجوز أن يكون قوله الآتي، ثم كان... إلخ قائماً مقام التكرير، كأنه قال: اقتحم العقبة ولا آمن، وقيل: هو جارٍ مجرى الدعاء، كقوله: لا نجا ولا سلم، دعاء عليه ألاّ يفعل خيراً. وقال الزمخشري بعد أن تنحل مقالة الفراء، والزجّاج، وأبي عبيدة: هي بمعنى لا متكررة في المعنى؛ لأن معنى ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: فلا فكّ رقبة، ولا أطعم مسكيناً، ألا ترى أنه فسّر اقتحام العقبة بذلك. ولا يتمّ له هذا إلا على قراءة من قرأ: فكّ فعلاً ماضياً، على أن أغرب ما قرأناه هو قول الشيخ الجلال: أن لا بمعنى هلاّ، أي: حرف تحضيض، وقد ارتكن الجلال على رواية لأبي زيد، ولكننا لم نسمع أن لا وحدها تكون للتحضيض، وليس معها الهمزة، وعبارة ابن هشام في «المغني»: وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ فإن لا فيه مكررة في المعنى؛ لأن المعنى: فلا فكّ رقبة، ولا أطعم مسكيناً، لأن ذلك تفسير للعقبة، قاله الزمخشري. وقال الزجّاج: إنما جاز لأن ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟﴾ معطوف عليه، وداخل في النفي، فكأنه قيل: فلا اقتحم ولا آمن. ولو صحّ لجاز: لا أكل زيد وشرب، وقال بعضهم: لا دعائية دعا عليه ألاّ يفعل خيراً. وقال آخر: تحضيض، والأصل: فألا اقتحم، ثم حذفت الهمزة، وهو ضعيف.

ومن مراجعة هذه الأقوال: يتبين أن جعلها دعائية هو الأرجح، والأمثل بأُسلوب القرآن الكريم. قال الدماميني: هذا وجه ظاهر الحسن، لا غبار عليه، فكان الأولى تقديمه على غيره من الأقوال.

واقتحم العقبة: فعل ماضٍ وفاعل مستتر، تقديره: هو، أي: القائل، ومفعول به، وسيأتي المزيد من معنى اقتحام العقبة في باب البلاغة، والواو اعتراضية، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة أدراك خبر ما، وما اسم استفهام مبتدأ، والعقبة خبر، والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام في محل نصب سدّت مسدّ مفعول أدراك الثاني، والجملة معترضة مقحمة لبيان العقبة مقررة لمعنى الإبهام، والتفسير، فإن قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ عين تلك العقبة؛ لأن المعرّف بالألف واللام إذا أُعيد كان الثاني عين الأول ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ فكّ رقبة خبر لمبتدأ مضمر، أي: هو فكّ، والتقدير: وما هو اقتحام العقبة هو فك رقبة، أو إطعام... إلخ، وإنما احتيج إلى تقدير هذا المضاف ليتطابق المفسِّر والمفسَّر، ألا ترى أن المفسِّر بكسر السين مصدر، والمفسَّر بفتح السين، وهو: العقبة غير مصدر، فلو لم يقدّر المضاف لكان المصدر ـ وهو فكّ ـ مفسِّراً للعين، وهي العقبة، وقرىء: فَكَّ رقبة على أنه فعل ماضٍ، وفاعله هو، ورقبة مفعول، والجملة الفعلية عندئذ بدل من قوله: ﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ المنفي بلا، فكأنه قيل: فلا فكّ رقبة، ولا أطعم، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الزمخشري.

أو إطعام عطف على فكّ رقبة على القراءة الأولى، وفي يوم متعلقان

بإطعام، وذي مسغبة نعت يوم، ويتيماً مفعول لإطعام على أنه مصدر استوفى شروط النصب، أو مفعول أطعم على القراءة، وذا مقربة نعت ليتيماً، وأو حرف عطف، ومسكيناً عطف على يتيماً، وذا متربة نعت لمسكيناً ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ ثم حرف عطف يفيد التراخي في الرتبة؛ لأن الإيمان هو الأصل، والأسبق، ولا يتم عمل إلا به، وكان فعل ماضٍ ناقص، واسمها مستتر يعود عليه، ومن الذين خبرها، وجملة آمنوا صلة، وتواصوا عطف على الصلة داخل في حيِّزها، وبالصبر متعلقان بتواصوا، وتواصوا بالمرحمة عطف أيضاً ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴾ أولئك مبتدأ، وأصحاب الميمنة خبر، والذين مبتدأ، وجملة كفروا صلة، وبآياتنا متعلقان بكفروا، وهم مبتدأ، وأصحاب المشأمة خبره، والجملة خبر الذين، وسيأتي بحث قيِّم عن اختلاف صيغ التعبير في باب البلاغة، وعليهم خبر مقدّم، ونار مبتدأ مؤخر، ومؤصدة صفة لنار، والجملة خبر ثانٍ، ولك أن تجعلها استئنافية.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ استعارة تصريحية، فقد استعار النجدين للخير والشر، وحذف المشبه وهو الخير والشر، وأبقى المشبه به. فإن قلت: أما تشبيه الخير بالنجد، وهو المرتفع من الطريق، فلا غبار عليه؛ لأنه ظاهر، بخلاف الشر فإنه هبوط، وارتكاس من ذروة الفطرة إلى حضيض الابتذال، قلنا: إنه جمع بينهما إما على سبيل التغليب، وإما على توهم المخيلة أن فيه صعوداً، وارتكاساً، وإسفافاً، وهذا من أبلغ الكلام، وأروعه.

(٢) وفي قوله: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ ترشيح للاستعارة بذكر ما يلائم المشبه، وقد مرّت أمثلتها، ونضيف هنا أن مبنى الترشيح تناسي التشبيه وتقوّله الادّعاء والمبالغة؛ ولهذا كان الترشيح أبلغ من التجريد، وهو ذكر

ما يلائم المشبه دون المشبّه به؛ لأن فيه اعترافاً بالتشبيه، حتى يبنى على علو القدر المشبه بالعلو المكاني ما يبنى على العلو المكاني، كما قال أبو تمام:

ويصعد حتى يظنّ الجَهُول بأنَّ له حاجةً في السَّماء

استعار الصعود لعلو القدر، ثم بنى عليه ما يبنى على علو المكان، فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه، ويصرّ على إنكاره، فيجعله صاعداً في السماء، لما كان لهذا الكلام وجه، ثم إنهم يفعلون ذلك التناسي مع التصريح بالتشبيه والاعتراف بالأصل، فمع جحد الأصل، والإصرار عليه، كما في الاستعارة أولى فأولى، كقول العباس بن الأحنف:

هي الشَّمسُ مسكنُها في السَّماء فعزِّ الفؤادَ عزاءً طويلا
فلن تستطيعَ إليها الطُّلوعَ ولن تستطيعَ إليك النُّزولا

ولا يخفى أن هذا التناسي وقع مع الاعتراف بالأصل، وهو: هي في قوله: هي الشمس؛ لأنها راجعة إلى الحبيبة، وهذا واضح، وجعله ضمير القصة كما توهمه بعضهم تكلف.

ومن أمثلة الاستعارة المجردة أيضاً قول الشاعر:

فإن يهلك فكلُّ عمودِ قوم من الدُّنيا إلى هلك يصير

ففي قوله: عمود استعارة تصريحية أصلية، شبّه رئيس القوم بالعمود بجامع أن كلاهما يحمل، والقرينة يهلك، وفي إلى هلك يصير تجريد، وقد يجتمع الترشيح مع التجريد لجواز أن يتناسى التشبيه في بعض الصفات دون بعض، ومن أمثلته قول أبي الطيب:

سَقَاكَ وحَيَّانا بكَ اللهُ إنَّما على العِيْسِ نَورٌ والخُدُورُ كَمَائِمُهْ

فالنور الزهر، أو الأبيض منه، والمراد به ـ هنا ـ: النساء، والجامع الحسن، فالاستعارة تصريحية أصلية، وفي ذكر الخدور تجريد، وفي ذكر الكمائم ترشيح، وتسمى الاستعارة عندئذ: مطلقة.

(٣) وفي قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ خولف في التعبير، فقد أشار إلى المؤمنين تكريماً لهم، وأنهم حاضرون عنده تعالى في مقام كرامته، وبمثابة الجالسين أمامه لا يعدو الأمر أكثر من الإشارة إليهم بالبنان، ثم استعمل لفظ الإشارة الدّال على البعد، فلم يقل هؤلاء إيذاناً ببُعد منزلتهم عنده، ونيلهم شرف الحظوة والقرب منه، أما الكافرون، فقد ذكرهم بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم غائبون عن مقام تجلياته، وسبحات فيوضاته، وأنهم لا يستأهلون أن يمتّوا إليه ولو بأوهن الأسباب، وهذا من العجب العجاب فتدبّره.

* * *

سُورَةُ الشَّمْسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا
يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا
فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣)
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ
عُقْبَاهَا (١٥)﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَضُحَاهَا﴾ قال القرطبي: الضحى مؤنثة، يقال: ارتفعت الضحى فوق الضحو، وقد تذكر، فمن أنّث ذهب إلى أنها جمع ضحوة، ومن ذكّر ذهب إلى أنها اسم على فُعَل، نحو: صُرَد. وقال ابن خالويه: الضحى مقصور، مثل: هدى، والضحى مؤنثة، تصغيرها: ضحية، والأجود أن تقول في

تصغيرها: ضحيّ بغير هاء؛ لئلا يشبه تصغيرها ضحوة، والضحى: وجه النهار، ويقال: ليلة أضحيان؛ إذا كان القمر فيها مضيئاً من أولها إلى آخرها، وقد أضحى النهار؛ إذا ارتفع، ويقال: ضحِيَ فلان للشمس، يضحى؛ إذا برز لها، وظهر، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ ورأى ابن عمر رجلاً يلبي، وقد أخفى صوته، فقال له: إضْحَ لمن لبّيت له، أي: أظهر، وقال عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رَجُلاً أمَّا إذا الشمسُ عارضَتْ فيَضْحَى وأمَّا بالعَشيِّ فيَخْصَرُ

وفي القاموس: الضّحو، والضحوة، والضّحية كعشيّة: ارتفاع النهار، والضحى: فويقة، ويذكّر، ويصغّر ضحيّاً بلا هاء، والضحاء بالمدّ؛ إذا قرب انتصاف النهار، وبالضم والقصر، وأتيتك ضحوة، وضُحى، وأضحى: صار فيها، والشيءَ: أظهره، وضاحاه: أتاه فيها.

﴿جَلَّىٰهَا﴾ أظهرها، وكشفها.

﴿طَحَىٰهَا﴾ بسطها؛ لأن ما يظهر للرائي فيها يكون كالبساط، فلا ينافي كرويتها، وفي المختار: طحاه: بسطه، مثل دحاه، وبابه: عدا. وفي القاموس: وطحا، يطحو: بعد، وهلك، وألقى إنساناً على وجهه، والطحا: المنبسط من الأرض، وطحى كسعى، وبسط، وانبسط، واضطجع، وذهب في الأرض، وطحا به قلبه: ذهب به في كل شيء.

﴿دَسَّىٰهَا﴾ التدسية: النقص والإخفاء بالفجور، وأصل دسى: دسس، كما قيل في تقضض: تقضى، وكما قيل: قصيت أظفاري، وأصله: قصصت أظفاري.

﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبق عليهم العذاب بذنبهم فأهلكهم، قال الفراء: وحقيقة الدمدمة: تضعيف العذاب، وترديده، ويقال: دمدمت على الشيء: أطبقت عليه. وفي الصحاح. ودمدمت الشيء؛ إذا ألزقته بالأرض، ودمدم الله عليهم، أي: أهلكهم، ويقال: دمدمت على الميت التراب، أي: سوّيته عليه. وقال ابن الأنباري: دمدم، أي: غضب،

والدمدمة: الكلام الذي يزعج الرجل. وفي القاموس: ودمم الأرض: سوّاها، وفلاناً عذّبه عذاباً تاماً، والقوم: أهلكهم، كدهدم، ودمدم عليهم.

﴿عُقْبَٰهَا﴾ تبعتها، وعاقبتها، وفي القاموس: وأعقبه الله بطاعته: جازاه، والعقبى: جزاء الأمر.

○ الإعراب:

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ الواو حرف قسم وجر، والشمس مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، وضحاها عطف على الشمس، والقمر عطف أيضاً، وإذا لمجرد الظرفية متعلقان بفعل القسم المحذوف، وقد استشكل بأن فعل القسم إنشاء وزمانه الحال، فلا يعمل في إذا؛ لأنها للاستقبال، والإلزام اختلاف العامل والمعمول في الزمان، وهو محال، وأُجيب بأنه يجوز أن يقسم الآن بطلوع النجم في المستقبل، فالقسم في الحال، والطلوع في المستقبل، ويجوز أن يقسم بالشيء المستقبل، كما تقول: أقسم بالله؛ إذا طلعت الشمس، فالقسم متحتّم عند طلوع الشمس، وإنما يكون فعل القسم للحال إذا لم يكن معتمداً على شرط، هذا، وقد بسطنا القول بسطاً مفيداً، ووافياً عند الكلام على سورة التكوير، وجملة تلاها في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ الجملتان منسوقتان على ما تقدم، مماثلتان له في الإعراب ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ عطف أيضاً، و«ما» في الجمل الثلاث مصدرية، أو بمعنى: من، وعلى كل حال فهي معطوفة على الاسم قبلها، أو المصدر المنسبك منها، ومن الفعل معطوف عليه، وشجب الزمخشري كونها مصدرية. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ منسوق أيضاً على ما تقدم، والتنكير في نفس لإرادة الجنس، كأنه قال: وواحدة من النفوس ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الفاء عاطفة، وألهمها فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، ومفعول به، وفجورها مفعول به ثانٍ، وتقواها عطف على فجورها، وقد اختلفوا في معنى الإلهام؛ قال ابن جبير: ألزمها، وقال ابن عباس: عرفها، وقال

ابن زيد: بيّن لها، وقال الزجّاج: وفّقها للتقوى، وألهمها فجورها، أي: خذلها، وقيل: عرفها، وجعل لها قوة يصحّ معها اكتساب الفجور، واكتساب التقوى، وقال الزمخشري: ومعنى إلهام الفجور والتقوى: إفهامها، وإعقالها، وأن أحدهما حسن، والآخر قبيح، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما. وفيه تلميحٌ إلى مذهب المعتزلة القائل بالتحسين والتقبيح العقليين، أي: إن الحسن والقبح مدركان بالعقل، أما أهل السنّة فيقولون بالتحسين والتقبيح الشرعيين، أي: إن الحسن والقبح لا يدركان إلا بالسمع؛ لأنهما راجعان إلى الأحكام الشرعية مع عدم إلغاء حظ العقل من إدراك الأحكام الشرعية، وعندهم: أنه لا بدّ في علم كل حكم شرعي من مقدمتين عقلية، وهي الموصلة إلى العقيدة، وسمعية مفرغة عليها، وهي الدالّة على خصوص الحكم. هذا، والإلهام في اللغة: إلقاء الشيء في الروع، قال الراغب: ويختص بما يكون من جهته تعالى، وجهة الملأ الأعلى، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ فعلم أنه غير مختص بالخير، بل يعمّه، والشر، وفي الاصطلاح: إلقاء معنى في القلب بطريق الفيض من غير كسب، فيختصّ بالخير لعدم إطلاق الفيض في الشرّ، بل يطلق فيه الوسوسة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ الجملة جواب القسم، وحذفت اللام لطول الكلام، وقيل: الجواب محذوف، تقديره: لتبعثنّ، وقال الزمخشري: تقديره: ليدمدمنّ الله عليهم، أي: على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ، كما دمدم على ثمود؛ لأنهم كذبوا صالحاً، وأما: قد أفلح، فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء. وقد حرف تحقيق، وأفلح فعل ماضٍ، ومن موصول فاعل، وجملة زكّاها صلة، وفاعل زكاها ضمير يعود على من، وقيل: ضمير الله تعالى، أي: قد أفلح مَن زكّاها الله تعالى بالطاعة، وقد خاب مَن دسّاها، عطف على الجملة السابقة مماثلة لها ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير ما ذكر من فلاح من زكى نفسه، أو زكّاها الله، ومن دسى نفسه، أو دساها

الله. وكذبت ثمود فعل ماضٍ وفاعل، وبطغواها متعلقان بكذبت، ومعنى الباء: السببية، أي: بسبب طغيانهم، وجعلها في الكشاف للاستعانة مجازاً، كقولك: كتبت بالقلم، يعني: فعلت التكذيب بطغيانها، وكل من الطغوى والطغيان مصدر، لكن اختير التعبير بالطغوى؛ لأنه أشبه برؤوس الآي، قال في المختار: طغَى، يطغَى بفتح الغين فيهما، ويطغو طغياناً، وطغواناً، أي: جاوز الحدّ، وطغي بالكسر مثله، والطغوى بالفتح، مثل: الطغيان. أما الزمخشري فقال: والطغوى من الطغيان، فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى، من بنات الياء بأن قلبوا الياء واواً في الاسم، وتركوا القلب في الصفة، فقالوا: امرأة خزيى، وصديى. وإذ ظرف لما مضى من الزمن، متعلق بكذبت، أو بالطغوى، وجملة انبعث في محل جر بإضافة الظرف إليها، وأشقاها فاعل انبعث، والمراد به: قُدار بن سالف بضم القاف، ويُضرب به المثل في الشؤم، فيقال: أشأم من قدار، ويلقب بأحمر ثمود، ويجوز أن يكونوا جماعة، والإفراد لتسويتك في التفضيل إذا أضفته بين الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث. وعبارة ابن خالويه ـ وقد خلط بها خلطاً عجيباً ـ: فإذا كان المذكر أشقى فالمرأة شقواء؛ لأنه من ذوات الواو، كقوله: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وشقاوتنا و«ها» جرّ بالإضافة، وجمع أشقى: شُقو، مثل: حمر، وصفر، فإن جمعت جمع سلامة قلت في المذكر، أشقون، وفي المؤنث: شقواوات، مثل: حمراوات. قال ابن هشام معقِّباً: قوله: إذا كان المذكر أشقى فالمؤنث شقواء والجمع شقو ليس بجيد؛ إذ لم يفرّق بين أفعل الذي يكون نعتاً للنكرة، وبين أفعل الذي يجري مجرى الأسماء، ولا يكون نعتاً للنكرة إلا بمن، وإنما يكون مضافاً، أو مقروناً بأل، وإنما الأُنثى في هذا الشقيا، وجمع المذكر: الأشقون، والأشاقي في القياس جائز، وكما تقول: الأكبر، والأكبرون، والأكابر، وجمع الأُنثى: الشّقَى، والشقْييات، كما تقول: الكبرى، والكبر، والكبريات.

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا﴾ الفاء عاطفة، وقال فعل ماضٍ مبني على الفتح، ولهم متعلقان بقال، ورسول الله فاعل، وناقة الله منصوب على التحذير على حذف مضاف، أي: ذروا عقرها، واحذروا سقياها، وسيأتي بحث عن التحذير في باب الفوائد، وسقياها عطف على ناقة الله، أي: وشربها ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا﴾ الفاء عاطفة، وكذبوه فعل، وفاعل، ومفعول به، فعقروها عطف على فكذبوه، أي: عقرها قدار في رجليها، فأوقعها، فذبحوها، وتقاسموا لحمها، فدمدم عطف أيضاً، وعليهم متعلقان بدمدم، وربهم فاعل، وبذنبهم متعلقان بدمدم أيضاً، والباء للسببية، أي: بسبب ذنبهم، فسوّاها عطف على دمدم، والواو حرف عطف، ولا نافية، ويخاف عقباها فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإنما جعلنا الواو عاطفة لتلائم قراءة الفاء، وهي سبعية أيضاً، على أن المعربين والمفسرين يقولون: إن الواو حالية، أو استئنافية، وممّن قال بأنها عاطفة: ابن خالويه.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا﴾ استعارة تمثيلية، على اعتبار أن الضمير في يخاف لله عزّ وجلّ، وهو الظاهر، أي: أنه سبحانه لا يخاف عاقبتها، كما تخاف الملوك عاقبة أفعالها، والمقصود من الاستعارة: إهانتهم، وإذلالهم، ويجوز أن يعود الضمير على الرسول، أي: أنه لا يخاف عاقبة إنذاره لهم، وتبقى الاستعارة، وقال السدّي، ومقاتل، والزجّاج، وأبو علي: الواو واو الحال، والضمير في يخاف عائد على أشقاها، أي: انبعث لعقرها، وهو لا يخاف عقبى فعله؛ لكفره، وطغيانه، والعقبى خاتمة الشيء، وما يجيء من الأُمور بعقبه، وهذا فيه بُعد لطول الفصل بين الحال وصاحبها.

* **الفوائـد :**

التحذير : هو نصب الاسم بفعل محذوف ، يفيد التنبيه ، والتحذير ، ويقدّر بحسب ما يناسب المقام ، كاحذر ، وباعد ، وتجنب ، وقِ ، وتوقَ ، ونحوها ، ويكون التحذير :

١ ـ تارة بلفظ إياك وفروعه ، نحو : إياك والكذب ؛ فإياك ضمير بارز منفصل في محل نصب مفعول لفعل محذوف تقديره : باعد ، أو قِ ، أو احذر ، والكذب معطوف على إياك ، أو مفعول به لفعل محذوف أيضاً ، كما تقدم ، ولك أن تجعل الواو للمعية ، والكذب مفعولاً معه .

٢ ـ وتارة بدون إياك وفروعه ، نحو : نفسك والشر ، والأسد الأسد ، وإعرابها كما تقدم .

٣ ـ وتارة بلفظ إياه ، وإياي ، وفروعهما إذا عطف على المحذّر ، كقوله :

فـلا تَصْحَـبْ أخـا الجَهْـلِ		وإيـــــاكَ وإيَّـــــاهُ

والعامل في التحذير يضمر وجوباً في ثلاثة مواضع :

١ ـ أن يكون المحذّر به نفس إياك وفروعه .

٢ ـ أن يكون هناك عطف .

٣ ـ أن يكون هناك تكرار ، كقولك : الأسد الأسد .

ومن العجيب : أن النسفي ذكر في تفسيره أن قوله تعالى : ناقة الله وسقياها ، إغراء ، ولا شك في إشكاله بحسب الظاهر ؛ لأن الإغراء لا يصدق عليه بحسب الظاهر ، بل الصادق عليه إنما هو التحذير .

* * *

سورة الليل

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ
لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ
وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١ إِنَّ
عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا
ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ
يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ
يَرۡضَىٰ ٢١ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾

الواو حرف قسم وجر، والليل مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، تقديره: أقسم، وإذا ظرف لمجرد الظرفية المجردة عن

الشرط، وهو متعلق بفعل القسم، وقد تقدم البحث فيه، وجملة يغشى في محل جر بإضافة الظرف إليها، والنهار إذا تجلى عطف على الجملة السابقة، وما خلق: ما مصدرية، أو موصولة، عطف على ما تقدم، وإن سعيكم لشتى جواب القسم؛ أقسم سبحانه على أن أعمال عباده شتى، جمع: شتيت، وقيل للمختلف المتباين: شتى؛ لتباعد ما بين بعضه وبعضه، والشتات: الافتراق. وفي المصباح: شت شتاً، من باب: ضرب؛ إذا تفرق، والاسم: الشتات، وشيء شتيت وزان: كريم، متفرق، وقوم شتى فعلى: متفرقون، وجاؤوا أشتاتاً كذلك، وشتان ما بينهما، أي: بعد. وإن واسمها، واللام المزحلقة، وشتى خبر إن ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الفاء استئنافية، وأما حرف شرط وتفصيل، ومن اسم موصول مبتدأ، وجملة أعطى صلة، واتقى عطف على أعطى، وصدّق بالحسنى عطف أيضاً، فسنيسّره: الفاء رابطة لجواب الشرط، والسين للتسويف، ونيسره فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، ولليسرى متعلقان بنيسّره ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ عطف على ما تقدم، مماثل له في إعرابه ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ويجوز أن تكون استفهامية في معنى الإنكار، في محل نصب مفعول مطلق ليغني، أي: أيّ إغناء يغني، وبعضهم يعربها مفعولاً مقدّماً، ويقدّر: أي شيء يغني، ويغني فعل مضارع مرفوع، وعنه متعلقان بيغني، وماله فاعل، وإذا ظرف لمجرد الظرفية متعلق بيغني، وجملة تردى في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولابن خالويه في تردى بحث لطيف، قال: تردى فعل ماضٍ، والمصدر: تردّى، يتردّى، تردّياً، فهو متردّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ يقال: تردّى في بئر، وفي أهويّة، وفي هلكة؛ إذا وقع فيها، ويقال: ردي زيد، يردى، ردىً؛ إذا هلك، وأرداه الله، يرديه، إرداء، ويقال: رَدَى الفرس، يردي، رَدَياناً، قال الأصمعي: سألت منتجع بن بنهان عن رديان الفرس، فقال: هو عدوه بين آريّه ومتمعّكه؛ الآري: الآخيّة، أي: المعلف، والمتمعّك: الموضع الذي

يتمرغ فيه، والآري: وزنه فاعول: سُمّي بذلك لحبسه الدابة، يقال: تأريت بالمكان؛ إذا لزمته، وتحبست به. وقال المبرد: قيل فيه قولان: أحدهما: إذا تردى في النار، والآخر: إذا مات، وهل تفعّل من الردى. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإخبارهم بأن عليه سبحانه بمقتضى حكمته بيان الهدى من الضلال. وإن حرف مشبّه بالفعل، وعلينا خبرها المقدّم، واللام للتأكيد، والهدى اسم إن المؤخر ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ الواو عاطفة، وما بعدها عطف على ما تقدم، مماثل له في الإعراب ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ الفاء عاطفة على مقدّر، أي: فمَن طلب الدنيا والآخرة من غير مالكهما الحقيقي، وهو الله، فقد أخطأ الطريق، وضلّ سَواء السبيل، وأنذرتكم فعل ماضٍ، وفاعل، ومفعول به، وناراً مفعول به ثانٍ، وجملة تلظى نعت لناراً، وتلظى فعل مضارع، والأصل: تتلظى، وعبارة ابن خالويه جيدة، وهي: تلظى فعل مضارع، والأصل: تتلظى، وقد قرأ ابن مسعود بذلك، وقرأ ابن كثير: ناراً تلظى بإدغام التاء، يريد: ناراً تتلظى، ولو كان تلظى فعلاً ماضياً لقيل: تلظت؛ لأن النار مؤنثة، والمصدر تلظّت، تتلظى، تلظّياً، فهي متلظية، ويقال في أسماء جهنم: سقر، وجهنم، والجحيم، ولظى ـ نعوذ بالله منها ـ وهذه الأسماء معارف لا تنصرف للتأنيث، والمعرفة. ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ لا نافية، ويصلاها فعل مضارع مرفوع، والهاء مفعول به، وإلا أداة حصر، والأشقى فاعل يصلاها ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ الذي نعت للأشقى، وجملة كذب لا محل لها؛ لأنها صلة، وتولى عطف على كذب داخل في حيز الصلة ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ الواو عاطفة، والسين حرف استقبال جيء به للتأكيد، ويجنبها فعل مضارع مرفوع، ومفعول به، والأتقى فاعل، والذي نعت، وجملة يؤتي صلة، وماله مفعول به، ويتزكى فعل مضارع، وفاعله مستتر، والجملة إما بدل من يؤتي، فتكون لا محل لها؛ لأنها داخلة في حيز صلة الذي، وإما حال من فاعل يؤتي، أي: متزكياً به عند الله ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ الواو حرف عطف، وما نافية، ولأحد الجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدّم، وعنده ظرف متعلق بمحذوف حال، ومن حرف جر زائد، ونعمة مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ، وإلا أداة استثناء بمعنى لكن، وابتغاء مستثنى من غير الجنس؛ لأنه منقطع؛ لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة، أي: ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه، والأحسن أن يعرب ابتغاء مفعولاً لأجله؛ لأن المعنى لا يؤتي ماله إلا لابتغاء وجه ربه، لا لمكافأة نعمة، وقرىء ابتغاء بالرفع، على لغة مَن يقول: ما في الدار أحد إلا حمار، فتكون بدلاً من محل نعمة، قال:

وبَلْـــدةٍ ليـــس بهـــا أنيـــسُ ... إلاَّ اليَعَـــافيـــرُ وإلاَّ العِيـــسُ

وقال بشر بن أبي حازم:

أضحتْ خَلاءً قِفازاً لا أَنِيسَ بها ... إلاَّ الجَـآذِرُ والظِّلْمَـانُ تَخْتَلِـفُ

وسيأتي تفصيل هذه القاعدة في باب الفوائد ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب قسم مضمر، أي: والله لسوف يرضى، وسوف حرف تسويف، ويرضى فعل مضارع، وفاعله هو، يعود على أبي بكر؛ الذي نزلت فيه الآية، لما اشترى بلالاً المعذب على إيمانه من سيده أُمية بن خلف، وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليدٍ كانت له عنده.

* **الفوائـد:**

إذا كان الاستثناء منقطعاً، وهو ما لا يكون المستثنى بعض المستثنى منه بشرط أن يكون ما قبل «إلا» دالاًّ على ما يستثنى، فإن لم يمكن تسليط العامل على المستثنى، وجب النصب في المستثنى اتفاقاً نحو: ما زاد هذا المال إلا ما نقص، فما مصدرية، ونقص صلتها، وموضعهما نصب على الاستثناء، ولا يجوز رفعه على الإبدال من الفاعل؛ لأنه لا يصحّ تسليط العامل عليه؛ إذ لا يقال: زاد النقص، ومثله: ما نفع زيد إلا ما ضرّ؛ إذ لا يقال ما نفع الضرّ وإن أمكن تسليطه على المستثنى، نحو: ما قام القوم إلا حماراً؛ إذ يصحّ أن يقال: قام حمار، فالحجازيون يوجبون النصب؛ لأنه لا يصحّ فيه الإبدال حقيقة من جهة أن المستثنى ليس من جنس المستثنى

منه، وعليه قراءة السبعة: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾، وتميم ترجّحه، وتجيز الاتباع، ويقرؤون: (إلا اتباع الظن)، بالرفع على أنه بدل من العلم باعتبار الموضع، ومنه قول جران العود عامر بن الحارث:

وبَلْــدةٍ ليــسَ بهــا أَنِيــسُ إلاَّ اليَعَــافِيــرُ وإلاَّ العِيــسُ

فأبدل اليعافير والعيس من الأنيس، وإلا الثانية مؤكدة للأولى، واليعافير: جمع يعفور، وهو: ولد البقرة الوحشية، والعِيس ـ بكسر العين ـ: جمع عيساء، كالبيض، جمع بيضاء، وهي: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، وذكر سيبويه في توجيه الرفع وجهين:

أحدهما: أنهم حملوا ذلك على المعنى؛ لأن المقصود هو المستثنى، فالقائل: ما في الدار أحد إلا حمار، المعنى فيه: ما في الدار إلا حمار، وصار ذكر أحد توكيد؛ ليعلم أنه ليس ثم آدمي، ثم أبدل من أحد ما كان مقصوده من ذكر الحمار.

الوجه الثاني: أنه جعل الحمار إنسان الدار، أي: الذي يقوم مقامه في الإنس.

وقال ابن يعيش: ومن الاستثناء المنقطع: قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ وبنو تميم يقرؤونها بالرفع، ويجعلون ابتغاء وجهه سبحانه نعمة لهم عنده.

* * *

سورة الضحى

آياتها ١١ — ترتيبها ٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ
مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ سَجَىٰ ﴾ سكن، وركد ظلامه. وفي المختار: وقد سجى الشيء، من باب: سما: سكن، ودام. وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ أي: دام، وسكن، ومنه: البحر الساجي، وطرف ساج، أي: ساكن، وسجّى الميت، تسجية، أي: مدّ عليه ثوباً، قال الشاعر:

يا حبّذا القمراءُ واللّيلُ السَّاجْ وطُـرُقٌ مثـلُ مُـلاءِ النَّسَّـاجْ

والساج أيضاً: الطيلسان الأخضر، وجمعه: سيجان، وسيأتي مزيد منه في باب البلاغة.

﴿وَدَّعَكَ﴾ قرأ العامة بتشديد الدال، من: التوديع، وهو مبالغة في الودع؛ لأن من ودعك مفارقاً، فقد بالغ في تركك، روي: أن الوحي تأخّر عن رسول الله ﷺ أياماً، فقال المشركون، إن محمداً ودعه ربه، وقلاه، وقيل: إن أُم جميل امرأة أبي لهب قالت له: يا محمد! ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزلت. وقرىء بالتخفيف، من قولهم: ودعه، أي: تركه. وقد اختلف في دع بمعنى اترك، هل يتصرف، فيأتي منه الماضي، والمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول؟ قال الجوهري: أميت ماضيه، وقال غيره: ربما جاء في الضرورة، وهو المشهور، ولكن حيث جاء في القرآن: ما ودعك، وفي الحديث: «لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكوننّ من الغافلين» أي: تركهم، وجاء اسم المفعول وغيره في الشعر، فيجوز القول بقلة الاستعمال، لا بالإماتة، وقال الشاعر:

لَيْتَ شِعْرِي عن خَلِيلي ما الذي غالَـهُ في الحُـبِّ حتى وَدَعَـهْ؟

﴿قَلَىٰ﴾ أبغض، وفي المصباح: قليته قلياً، وقلوته قلواً، من بابي: ضرب، وقتل: وهو: الإنضاج في المقلى، وهي مفعل بالكسر، وقد يقال: مقلاة بالهاء اللحم، وغيره مقلى بالياء، ومقلو بالواو، والفاعل قلّاء بالتشديد؛ لأنه صنعة كالعطّار، والنجّار. وقليت الرجل، أقليه، من باب: رمى، قِلى بالكسر والقصر، وقد يمدّ؛ إذا أبغضته، ومن باب: تعب، لغة. وفي حديث عن عائشة: أن رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ، فقال: «ائذنوا له، فبئس رجل العشيرة» فلما دخل ألان له القول، فقالت عائشة: يا رسول الله! قلتَ له الذي قلت، فلما دخل ألنت له القول؟ فقال: «يا عائشة! إن شرّ الناس منزلةً يوم القيامة مَن ودعه الناس ـ أو: تركه الناس ـ اتّقاء فحشه».

وقال ابن خالويه: يقال: قلاه، يقلاه، بفتح الماضي والمستقبل، وليس في كلام العرب فعلٌ بفتح الماضي والمستقبل فيه مما ليس فيه حرف من حروف الحلق إلا قلى يقلى، وجبى يجبى، وسلى يسلى، وأبى يأبى،

وغسى يغسى، وركن يركن، عن الشيباني. وأما قوله: قلوب البسر والسويق فبالواو، والمصدر: القلو، وأما القِلو فالحمار. ولعل رواية الشيباني؛ التي اعتمد عليها ابن خالويه، مما انفرد به؛ إذ لَم يرد في جميع معاجم اللغة التي بأيدينا إلا ما أورده صاحب المصباح، ونصّ عبارة التاج: على أن قليه في البغض كرضيه يرضاه، وفي الحديث: «وجدت الناس أخبر تقله» بالهاء للسكت، ولفظه لفظ الأمر، ومعناه: الناس، أي: من خبرهم أبغضهم، والمعنى: وجدت الناس مقولاً فيهم هذا القول.

﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ قرأ العامة: آوى بألف بعد الهمزة، رباعياً، من: آواه يؤويه، وقرأ أبو الأشهب: فأوى ثلاثياً، وفي المصباح: أوى إلى منزله، يأوي، من باب: ضرب، أوياً: أقام، وربما عدّي بنفسه، فقيل: أوى منزله، والمأوى بفتح الواو لكل حيوان: مسكنه، وآويت زيداً بالمدّ في التعدّي، ومنه مَن يجعله مما يستعمل لازماً ومتعدياً، فيقول: أويته وزان ضربته، ومنهم مَن يستعمل الرباعي لازماً أيضاً، وردّه جماعة.

﴿عَآئِلًا﴾ فقيراً، وهي قراءة العامة، يقال: عالَ زيد، من باب: سار، أي: افتقر، وأعال: كثرت عياله، وقرىء عيِّلاً بكسر الياء المشددة كسيّد، وهذه المادة لها أصلان: واوي، ويائي، أما الواوي فقد قال في القاموس فيه: عال، أي: جار، ومال عن الحق، والميزان: نقص، وجار أو زاد، يعول، ويعيل، وأمرهم: اشتد، وتفاقم، والشيءُ فلاناً: غلبه، وثقل عليه، وأهمّه، والفريضةُ في الحساب: زادت، وارتفعت، وعلتها أنا، وأعلتها، وعال فلان عولاً، وعيالة: كثر عياله، كأعول، وأعيل، وعيالَه، عولاً، وعئولاً، وعيالة: كفاهم، ومانهم، كأعالهم، وعيّلهم، وأعول: رفع صوته بالبكاء والصياح، كعوّل، والاسم العول، والعولة، والعويل، وعليه: أدلّ، وحمل، كعوّل، وفلان: حَرَصَ، كأعال، وأعيل، والقوسُ: صوّتت، وعيل عوله: ثكلته أُمه، وصبري: غُلب، فهو مَعُول، كعال فيهما، وعيل ما هو عائله: غُلب ما هو غالبه، يضرب لمن يعجب من

كلامه، ونحوه. والعول: كل ما عالك، والمستعان به، وقوت العيال، وعوّل عليه مُعَوّلاً: اتكل، واعتمد، والاسم كعنب، وعيّلك ككيس، وكتاب، من تتكفل بهم، واوية يائية، والجمع: عالة. واستدرك شارحه فقال: قال الصاغاني في التكملة: العيال: جمع عيّل، كجياد، جمع: جيد، وهو: مَن يلزم الإنفاق عليه، ويكون اسماً للواحد، كما ذكره الحريري في مقاماته، وذكره المطرزي في شرحه.

أما اليائي فقال صاحب القاموس: عال، يعيل، عيلاً، وعيلة، وعيولاً، ومَعيلاً: افتقر، فهو عائل، والجمع: عالة، وعُيّل، وعيلى كسكرى، والاسم العَيلة، والمُعيل: الأسد، والنمر، والذئب؛ لأنه يُعيل صيداً، أي: يلتمس، وعالني الشيء، عيلاً، ومعيلاً: أعوزني، وفي مشيه تمايل، واختال، وتبختر كتعيّل. إلى آخر ما جاء في هذه المادة.

○ الإعراب:

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الواو حرف قسم وجر، والضحى مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، والليل منسوق على الضحى، وأجاز ابن هشام أن تكون الواو في ﴿وَٱلَّيْلِ﴾ عاطفة، أو قسمية، قال: والصواب الأول، وإلا لاحتاج كل إلى الجواب. وإذا ظرف لمجرد الظرفية متعلق بفعل القسم، وقد تقدمت له نظائر، وجملة سجى في محل جر بإضافة الظرف إليها، وما حرف نفي، وهو جواب القسم، والجملة لا محل لها، وودعك فعل ماض، ومفعول به، وربك فاعل، وما قلى عطف على ما ودعك ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الابتداء، وهي مؤكدة لمضمون الجملة، والآخرة مبتدأ، وخير خبر، ولك متعلقان بخير، ومن الأولى متعلقان بخير أيضاً ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ الواو عاطفة، واللام للابتداء، وهي مؤكدة لمضمون الجملة أيضاً، وجملة سوف يعطيك خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: أنت، وإنما لم تكن واو قسم؛ لأنها لا تدخل

على المضارع إلا مع نون التوكيد، فتعين أن تكون للابتداء، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة المكوّنة من المبتدأ والخبر، فتعين تقدير مبتدأ، وأن يكون أصله: ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى.

ومن المفيد أن ننقل لك سؤالاً للزمخشري وجوابه، قال: فإن قلت: ما معنى الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير؟ قلت: معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر؛ لما في التأخير من المصلحة.

وسوف حرف استقبال، ويعطيك ربك فعل مضارع مرفوع، ومفعول مقدّم، وفاعل مؤخر، والفاء عاطفة، وترضى فعل مضارع معطوف على يعطيك. وقيل: اللام للقسم، وأنه إذا حصل فصل بين اللام والفعل امتنعت النون، وثبتت لام القسم ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتعداد أياديه ونعمه عليه، والغرض من تعدادها: تقوية قلبه ﷺ، وتشجيعه على السير في طريقه التي اختارها الله، وهي طريق محمودة العواقب، سليمة المغاب. والهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويجدك فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: هو، يعود على الله تعالى، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، ويتيماً مفعول به ثان، والفاء حرف عطف، وآوى عطف على قوله: ألم يجدك، أي: وجدك، ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة، لا بمعنى العلم، فتكون الكاف مفعولاً به، ويتيماً تعرب حالاً من المفعول به. وذلك أن أباه مات وهو جنين، وقبل ولادته بشهرين، وقيل: بل بعد ولادته بشهرين، وقيل: بسبعة أشهر، وقيل: بتسعة، وقيل: بثمانية وعشرين شهراً، والمشهور الأول، وتوفيت أُمه وهو ابن أربع سنين، وقيل: خمس سنين، وقيل: ست سنين، وقيل سبع سنين، وقيل: ثمان سنين، وقيل: تسع سنين، وقيل: اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام، ومات جدّه وهو ابن ثمان، وكان عبد المطلب قد وصّى أبا طالب به؛ لأن عبد الله وأبا طالب من أُم واحدة، فكان

أبو طالب هو الذي كفل رسول الله ﷺ بعد جده إلى أن بعثه الله نبياً. ووجدك معطوف، وضالاً مفعول به ثانٍ، أو حال، وأحسن ما قيل في معنى الضلال هو: خلوّه من الشريعة، فهداه بإنزالها إليه، فالمراد بضلاله: كونه من غير شريعة، وليس المراد به: الانحراف عن الحق، والتعسف في مهامه الضلال، ويؤيد هذا المعنى قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ وهناك أقوال كثيرة أربت على العد، ضربنا صفحاً عنها، ويرجع إليها في المطولات، وسيأتي مزيد من معنى الضلال في باب البلاغة. ووجدك عائلاً فأغنى منسوق على ما تقدم، مماثل له في إعرابه، قال الفراء: لم يكن غناه عن كثرة المال، ولكن الله تعالى أرضاه بما أعطاه، وتلك حقيقة الغنى. وفي الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» وقال ﷺ: «جُعِل رزقي تحت ظلِّ رمحي». ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ الفاء الفصيحة، وأما حرف شرط وتفصيل، واليتيم مفعول به مقدم لتقهر، والفاء رابطة لجواب الشرط، ولا ناهية، وتقهر فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، أي: لا تقهره على ماله، فتذهب بحقه لضعفه، وهذا تعليم سامٍ، أكده النبي بقوله: «خيرُ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحْسَن إليه، وشرُّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه» ثم قال بإصبعيه: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين». ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ منسوق على ما قبله، والأولى أن يكون السائل أعمّ من أن يسأل المال، أو العلم؛ ليوافق التفصيل التعديد، ويطابقه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ منسوق أيضاً، وبنعمة متعلقان بحدّث والفاء غير مانعة؛ لأنها بمثابة الزائدة، والنعمة أعمّ من أن تشمل الدين، والغنى، والإيواء، وما أفاء عليه من الغنائم، وأتاح له من النصر، والتحدّث بها مندوب إليه لحفز الهمم، ودفع النفوس إلى التأسّي، والاقتداء، وما أجمل ما يروى عنه ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال»! ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده. وروي أن شخصاً كان جالساً عند النبي ﷺ فرآه رثّ الثياب، فقال له ﷺ: «ألك مال؟» قال: نعم، فقال له ﷺ: «إذا آتاك الله مالاً فليرَ أثره عليك». وفي الحديث أيضاً: إن رجلاً سأله

ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أعمل البرّ وأخفيه عن المخلوقين، ثم يُطْلَع عليه، فهل لي في ذلك من أجر؟ فقال: «لك في ذلك أجران: أجر السر، وأجر العلانية».

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ مجاز عقلي، حيث أسند السكون إلى الليل، وقد تقدم في المجاز العقلي أنه إسناد الفعل، أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي، ومن روائعه قول أبي الطيب في مديح كافور:

أبا المِسْكِ أرجُو منك نَصْراً على العِدا   وآمُلُ عِزّاً يَخْضِبُ البِيضَ بالدَّمِ
ويَوْماً يَغِيظُ الحاسِدينَ وحَالةً   أُقِيمُ الشَّقَا فيها مَقَامَ التَّنَعُّمِ

فإسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي؛ لأن العز لا يخضب السيوف، ولكنه سبب القوة، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم، ففي العبارة مجاز عقلي، علاقته السببية، ، وفي الآية إسناد السجو إلى ضمير الليل غير حقيقي، وإنما المراد: أصحابه، فهم الذين يسكنون.

(٢) وفي قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ استعارة تصريحية؛ شبّه الشريعة بالهدى، وعدم وجودها بالضلال، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به، وهو الضلال، من: ضلّ في طريقه؛ إذا سلك طريقاً غير موصلة لمقصده، والمقصد ـ هنا ـ: العلوم النافعة؛ التي تسمو بالعقل، والروح معاً.

(٣) وفي قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ فن الالتزام، أو لزوم ما لا يلزم، فقد لزمت الهاء قبل الراء، وفي هاتين الفاصلتين مع الالتزام تنكيت عجيب، فإنه يقال: هل يجوز التبديل في القرينتين، فتأتي كل واحدة مكان أُختها؟ فيقال: لا يجوز ذلك؛ لأن النكتة في ترجيح

مجيئهما على ما جاءتا عليه: أن اليتيم مأمور بأدبه، وأقل ما يؤدب به: الانتهار، فلا يجوز أن ينهى عن انتهاره، وإنما الذي ينهى عنه قهره، وغلبته؛ لانكساره باليتم، وعدم ناصره، فمن هاهنا ترجّح مجيء كل قرينة على ما جاءت عليه، ولم يجز التبديل. وأدرجه بعضهم في باب: التخيير من فنون البلاغة، وقد تقدمت الإشارة إليه.

(٤) وفي قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ فن الحذف، فقد حذف مفعول يعطيك الثاني تهويلاً لأمره، واستعظاماً لشأنه، وإن هذه المعطيات أجلّ من أن تذكر، وأكبر من أن تدرج، أي: الشيء الكثير من توارد الوحي عليك بما فيه إرشاد لك، ولقومك، ومن ظهور دينك، وعلو كلمتك، وإسعاد قومك بما تشرع لهم، وإعلائك، وإعلائهم على الأُمم في الدنيا والآخرة.

* * *

سورة الشرح

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وِزْرَكَ ﴾ الوزر: الذنب، أو: الحمل الثقيل، وقد تقدّم شرحُ هذه المادة.

﴿ أَنقَضَ ﴾ أثقل، وفي المختار: وأصل الإنقاض: صوت مثل النقر. وقال أبو حيان: وقال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة؛ إذا سمعت له صريراً من شدّة الحمل، وسمعت نقيض المرجل، أي: صَريره، قال عباس بن مرداس:

وأنقض ظَهْري ما تطويت منهم		وكنتُ عليهم مُشْفِقاً مُتَحَنِّنا

وقال جميل:

وحتى تداعتْ بالنَّقيض حِبالُه وهَمتْ بَوَاني زَوْرِه أن تَحَطَّما

والنقيض: صوت الانقضاض، والانفكاك.

وعبارة ابن خالويه: والمصدر: أنقض، ينقض، إنقاضاً، فهو مُنقض، ومعناه: أثقل ظهرك، والعرب تقول: أنقضت الفراريج؛ إذا صوّتت، قال ذو الرمة:

كأن أصواتَ من إيغالهنّ بنا أواخر الميسِ أنقاض الفراريج

والنَّقض: الجمل المهزول، وجمعه: أنقاض.

والميس: شجر تتخذ منه الرحال، والمراد به ـ هنا ـ: الرحال، وقد فصل ذو الرمّة بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور.

﴿فَٱنصَبۡ﴾ فاتعب في الدعاء، وفي المختار: ونصب: تعب، وبابه: طرب. وفيه أيضاً: فرغ من الشغل، من باب: دخل، وفراغاً أيضاً. وفيه أيضاً: رغب فيه: أراده، وبابه: طرب، ورغبة أيضاً، وارتغب فيه مثله، ورغب عنه: لم يرده، ويقال: رغبه فيه، ترغيباً، وأرغبه فيه أيضاً.

○ الإعراب:

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، أي: شرحنا، ولذلك عطف عليه الماضي، قال الراغب: أصل الشرح: بسط اللحم، ونحوه، يقال: شرحت اللحم، وشرّحته، ومنه: شرح الصدر، وهو: بسطه بنور إلهي، وسكينة من جهة الله، وروح منه. ونشرح فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، ولك متعلقان بشرح، وصدرك مفعول به، قال ابن خالويه: وهذه السورة أيضاً مما عدّد الله تعالى نعمه على نبيّه ﷺ، وذكره إياها، فلما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ قال عبد الله بن مسعود: يا رسول الله! أو يشرح الصدر؟ قال: «نعم، بنور

يدخله الله فيه» قال: وما أمارة ذلك يا رسول الله؟ قال: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار القرار، والاستعداد للموت قبل الفوت». وجاء في الحديث: «اذكروا الموت فإنكم لا تكونون في كثير إلا قلّله، ولا في قليل إلا كثّره». والمصدر شرح يشرح شرحاً، فهو شارح، والمفعول به مشروح، ويقال: «شرح الرجل الجارية؛ إذا افتضّها» ولك متعلقان بنشرح، وصدرك مفعول به، ووضعنا معطوف على ألم نشرح، وعنك متعلقان بوضعنا، ووزرك مفعول به، والذي نعت للوزر، وجملة أنقض لا محل لها؛ لأنها صلة الذي، وظهرك مفعول به، قال ابن خالويه: يقال: الظهر، والمطا، والجَوْز، والمتن، والمتنة، والقرا، كله: الظهر، قال عقبة بن سابق:

ومَتْنتـــانِ خَظَـــاتـــانِ كـزُحْلُـوفٍ مـن الهَضْـبِ

ويقال للحم المتن: الذَّنوب، ويقال لأسفل الظهر: القطاة، ويقال: إن فلاناً من حمقه وَرَطاتِه، لا يعرف لَطَاته من قَطَاتِه، اللطاة: الجبهة، والقطاة: أسفل الظهر. ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ عطف على ما تقدم، ولك متعلقان برفعنا، وذكرك مفعول به، وفي تقديم الجار والمجرور هنا، وفيما تقدم على المفعول به الصريح، مع أن حقه التأخر عنه لتعجيل المسرّة، والتشويق، وعبارة ابن خالويه جميلة، حيث يقول: وكان مشركو العرب يقولون: إن محمداً صُنْبُور، أي: فرد، لا ولد له، فإذا مات انقطع ذكره، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ أي: مبغضك هو الأبتر؛ الذي لا ولد له، ولا ذكر، فأما أنت يا محمد، فذكرك مقرون بذكري إلى يوم القيامة، إذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله. ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ الفاء عاطفة على كلام محذوف لا بدّ من تقديره، والتقدير: خوّلناك ما خوّلناك، فلا يخامرك اليأس، فإن مع العسر يسراً، وإن حرف مشبه بالفعل، ومع العسر ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدّم، ويسراً اسمها المؤخر، وقرن اليسر مع العسر

زيادة في التسلية، وتقوية القلب، وإن مع العسر يسراً جملة مستأنفة؛ لتقرير: أن العسر متبوع بيسر، والألف واللام في العسر لتعريف الجنس، وفي الثاني للعهد؛ ولذلك روي عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما: «لن يغلب عسر يسرين» والسبب فيه: أن العرب إذا أتت باسم، ثم أعادته مع الألف واللام، كان هو الأول، نحو: جاء رجل فأكرمت الرجل، وكقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ ولو أعدته بغير ألف ولام كان غير الأول، فقوله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ لما أعاد العسر الثاني أعاده بالألف واللام، ولما كان اليسر الثاني غير الأول لم يعده بالألف واللام. وعبارة الزمخشري: فإن قلت: ما معنى قول ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما: «لن يغلب عسر يسرين» وقد روي مرفوعاً: أنه خرج ﷺ ذات يوم يضحك، ويقول: «لن يغلب عسر يسرين»؟ قلت: هذا حمل على الظاهر، وبناء على قوة الرجاء، وإن موعد الله لا يحمل إلا على، أو في ما يحتمله اللفظ وأبلغه، والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى، كما كرر قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لتقرير معناها في النفوس، وتمكينها في القلوب، وكما يكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة، والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير الاستئناف، وإنما كان العسر واحداً؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد، وهو العسر الذي كانوا فيه، فهو هو؛ لأن حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالاً، إن مع زيد مالاً، وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد، فهو هو أيضاً، وأما اليسر فنكرة متناولة بعض الجنس، وإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً، غير مكرر، فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بغير إشكال، فإن قلت: فما المراد باليسرين؟ قلت: يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله ﷺ، وما تيسر لهم في أيام الخلفاء، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ وهما: حسنى الظفر، وحسنى الثواب. فإن قلت: ما معنى هذا التنكير؟

قلت: التفخيم، كأنه قيل: إن مع العسر يسراً عظيماً.

وقال أبو البقاء: العسر في الموضعين واحد؛ لأن الألف واللام توجب تكرير الأول، وأما يسراً في الموضعين فاثنان؛ لأن النكرة إذا أُريد تكريرها جيء بضميرها، أو بالألف واللام، ومن هنا قيل: لن يغلب عسر يسرين.

وعبارة ابن خالويه: قال ابن عباس: لا يغلب عسر يسرين، تفسير ذلك: أن في ألم نشرح عسراً واحداً ويسرين، وإن كان مكرراً في اللفظ؛ لأن العسر الثاني هو العسر الأول، واليسر الثاني غير الأول؛ لأنه نكرة، والنكرة إذا أُعيدت أُعيدت بألف ولام، كقولك: جاءني رجل فأكرمت الرجل، فلما ذكر اليسر مرتين، ولم يدخل في الثاني ألفاً ولاماً، علم أنّ الثاني غير الأول.

وقال ابن هشام في كتابه الممتع: «مغني اللبيب» في الباب السادس من الكتاب، في التحذير من أُمور اشتهرت بين المعربين، والصواب خلافها: الرابع عشر: قولهم: إن النكرة إذا أُعيدت نكرة كانت غير الأولى، وإذا أُعيدت معرفة، أو أُعيدت المعرفة معرفة، أو نكرة كان الثاني عين الأولى، وحملوا على ذلك ما روي: «لن يغلب عسر يسرين» قال الزجاج: ذكر العسر مع الألف واللام، ثم ثنى ذكره، فصار المعنى: إن مع العسر يسرين. ويشهد للصورتين الأوليين أنك تقول: اشتريت فرساً، ثم بعت فرساً، فيكون الثاني غير الأول، ولو قلت: ثم بعت الفرس لكان الثاني عين الأول، وللرابع قول الحماسي:

صَفَحنا عن بني ذُهْلٍ وقُلنا: القومُ إخوانُ
عسى الأيامُ أن يرجِعْـ ـنَ قوماً كالذي كانُوا

ويشكل على ذلك أمور ثلاثة:

أحدها: أن الظاهر في الآية ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ أن الجملة الثانية تكرار للأولى، كما تقول: إن لزيد داراً، إن لزيد داراً، وعلى هذا فالثانية عين الأولى.

والثاني: أن ابن مسعود قال: لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين، مع أن الآية في قراءته، وفي مصحفه مرة واحدة، فدلّ على ما ادّعينا من التأكيد، وعلى أنه لم يستفد تكرر اليسر من تكرره، بل هو من غير ذلك، كأن يكون فهمه مما في التنكير من التفخيم، فتأوله بيسر الدارين.

والثالث: أن في التنزيل آيات تردّ هذه الأحكام الأربعة، فيشكل على الأول قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ وعلى الثاني: قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ فالصلح الأول خاص، وهو الصلح بين الزوجين، والثاني عام؛ ولهذا يستدل بها على استحباب كل صلح جائز، ومثله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ والشيء لا يكون فوق نفسه . . .

وعلى الرابع: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله: «إذا الناس ناس والزمان زمان» فإن الثاني لو ساوى الأول في مفهومه، لم يكن في الإخبار عنه فائدة، وإنما هذا من باب قوله: «أنا أبو النجم وشعري شعري» أي: وشعري لم يتغير عن حالته، فإن ادعي: أن القاعدة فيهنّ إنما هي مستمرة مع عدم القرينة، فأما إن وجدت قرينة فالتعويل عليها سهل.

ثم أورد ابن هشام كلمة الزمخشري المذكورة آنفاً.

وقال التفتازاني في التلويح: واعلم أن المراد أن هذا هو الأصل عند الإطلاق، وخلو المقام عن القرينة، وإلا فقد تُعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ يعني: قوة الشباب، ومنه: باب التأكيد اللفظي، وقد تُعاد النكرة معرفة مع

المغايرة، كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ ثم قال: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ وقد تُعاد المعرفة نكرة مع عدم المغايرة، كقوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ومثله في الكلام كثير، كقولهم: العلم علم كذا، ودخلت الدار فرأيت دار كذا وكذا، ومنه بيت الحماسي.

وبعد أن أوردنا أقوال الأئمة في هذه المسألة نلخصها لك تلخيصاً مفيداً فنقول:

١ ـ إن الاسم إذا كرر مرتين، فإن كانا نكرتين، فالثاني غير الأول.

٢ ـ أو معرفتين، أو الثاني فقط، فهو عينه.

٣ ـ أو الأول معرفة، والثاني نكرة، ففيه قولان: فالأول والثاني كالعسر واليسر في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ والثالث، نحو: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ﴾ والرابع كقوله: صفحنا عن بني ذهل «البيتين». وهذه القاعدة أغلبية، كما دلّت عليه كلمات الأئمة الواردة آنفاً.

على أن ابن السبكي جلا هذا الإشكال بعبارة وقعت علينا وقوع الظمآن على القطر، وهذا نصها: الظاهر أن هذه القاعدة غير محررة لانتقاضها بأمثلة كثيرة منها في المعرفتين: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ فإن الأول العمل، والثاني الثواب، وفي تعريف الثاني ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى﴾ فإن المراد بالثاني عموم الظن دون الأول، وفي النكرتين: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ فإن الثاني هو الأول.

وبعد أن كتبنا ما تقدم، وكدنا نقنع بحل ابن السبكي، عنّ لنا تعليق على هذه الاعتراضات وهو: الظاهر أن هذه الآيات لا تخرج عن القاعدة عند التأمّل بها، فإن اللام في الإحسان فيما يبدو للجنس لا للعهد، كما قال ابن السبكي، وحينئذ يكون في المعنى كالنكرة، بخلاف آية العسر، فإن أل فيها إما لمعهود ذهني، وهو ما حصل له ﷺ وللمسلمين من الشدة من

الكفار، أو للاستغراق كما يفيده الحديث، وقد تقدم ذلك، وكذا آية الظن لا نسلم فيها بأن الثاني غير الأول، بل هو عين الأول قطعاً، إذ ليس كل ظن مذموماً، كيف وأحكام الشريعة ظنية، وكذا آية الصلح لا مانع من أن يكون المراد بها الصلح المذكور، وهو الذي بين الزوجين، واستحسان الصلح في جميع الأمور، لا يكون مأخوذاً من السنّة، أو من الآية بطريق القياس، بل لا يجوز القول بعموم الآية، وإن كل صلح خير؛ لأن ما أحلّ حراماً من الصلح، أو حرّم حلالاً، فهو ممنوع، وكذا آية القتال ليس الثاني فيها عين الأول بلا شك؛ لأن المراد بالقتال المسؤول عنه هو القتال الذي وقع في سرية ابن الحضرمي سنة اثنتين من الهجرة؛ لأنه سبب نزول الآية، والمراد بالثاني جنس القتال لا ذاك القتال بعينه، فتأمل هذا، وخرج ما أشكل عليك.

فإن قلت: فما تصنع بآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ألا تراك قد أغفلت الكلام عليها؟ قلت: قال ابن السبكي نفسه: إن قوله ﴿إِلَٰهٌ﴾ في الآية بمعنى معبود، والاسم المشتق إنما يقصد به ما تضمنه من الصفة، فأنت إذا قلت: زيد ضارب عمراً وضارب بكراً، لا يتخيل أن الثاني هو الأول، وإن أخبر بهما عن ذات واحدة، فإن المذكور بالحقيقة إنما هو الضربان لا الضاربان، ولا شك في أن الضربين مختلفان، ونستنتج من هنا أن النكرتين في الآية لم يقصد منهما سوى الصفة، وهي العبادة، ولا شك في أن العبادتين متغايرتان، فالنكرة الثانية غير الأولى باعتبار المقصود، وإن وقعتا على ذات واحدة، فلم تخرج الآية أيضاً عن القاعدة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ الفاء عاطفة على مقدّر يستحقه المقام، ولك أن تجعلها استئنافية، كأنها جواب لسؤال نشأ، وهو: ماذا بعد الشكر والعبادة والاجتهاد فيهما؟ فقال: فإذا فرغت، أي: من الصلاة وغيرها من أنواع العبادات. وعن الحسن: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. ولكن هذا يتعارض مع كون السورة مكية، والأمر بالجهاد إنما كان

بعد الهجرة، فلعله تفسير ابن عباس الذاهب إلى أن السورة مدنيّة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، متضمن معنى الشرط، متعلق بالجواب، وجملة فرغت في محل جر بإضافة الظرف إليها، والفاء رابطة، وانصب فعل أمر، وفاعل مستتر، والجملة لامحل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وإلى ربك متعلقان بارغب، ولا تمنع الفاء من ذلك، وارغب فعل أمر، والجملة عطف على ما قبلها.

□ **البلاغة:**

في قوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ استعارة تمثيلية، والمراد منها: عصمته ﷺ من الوزر حيث لا وزر، فشبّه حاله، وهو ينوء تحت ما يتخيله وزراً، وليس بوزر بحال من آداه الحمل الثقيل، وبرح به الجهد، والحر اللافح، فهو يمشي مجهوداً مكدوداً، يكاد يسقط من ثقل ما ينوء بحمله، فوضع الوزر كناية عن عصمته، وتطهيره ﷺ من دنس الأوزار. ونقول في إجراء هذه الاستعارة: شبّه حاله بحال مَن آده الحمل، وكلله العرق، وبرح به الجهد، حتى إذا انحطّ عنه الحمل تنفس الصعداء، وانزاحت عنه الكروب والأهوال، بجامع أن كلاًّ منهما مجهود مكروب، مما يحتمل يتبرم به، ويتذمر منه، ويربو أن ينحطّ عن كاهله، ثم استعير التركيب الدال على حال المشبّه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية.

* * *

سورة التين

ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ الواو حرف قسم وجر، والتين مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، والزيتون نسق أيضاً، وطور سينين نسق أيضاً، وقد تقدم القول فيه، ونقول هنا: إن الطور، وهو الجبل، أُضيف إلى سينين، وهي البقعة المباركة، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، ويجوز أن يعرب إعراب جمع المذكر السالم، ويجوز أن تلزمه الياء في جميع الأحوال، وتحرّك النون بحركات الإعراب، ولم ينصرف سينين، كما لا ينصرف سيناء؛ لأنه جعل اسماً للبقعة أو الأرض، فهو علم أعجمي، ولو جعل اسماً للمكان، أو المنزل

لانصرف؛ لأنك سمّيت به مذكراً، وقرأ عمر بن الخطاب، وعبيد الله، والحسن، وطلحة: سِيناء بالكسر والمد، وعمر أيضاً، وزيد بن علي بفتحها والمدّ، وقد ذكر في سورة «المؤمنون». وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالأسماء الأعجمية.

هذا وقد أقسم الله تعالى بالتين والزيتون؛ لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة، وفي الكشاف: أنه أُهدي إلى رسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه، وقال لأصحابه: «كلوا، فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها، فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس». ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون، فأخذ منها قضيباً، واستاك به، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم السِواك الزيتون من الشجرة المباركة، يطيِّب الفم، ويذهب بالحفرة». وقال الجاحظ في كتاب «الحيوان»: والتين والزيتون: دمشق، وفلسطين. والخلاف حول ذلك كثير، وإن أردت المزيد فارجع إلى المطولات.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ نسق على ما قبله، والبلد بدل من اسم الإشارة، والأمين نعت، والمراد به: مكة، سمِّيت أميناً؛ لأن مَن دخلها كان آمناً قبل الإسلام، أما سمعت قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾؟! فأما في الإسلام فمَن أصاب حدّاً، ثم أوى إلى الحرم يقام عليه الحدّ إن كان من أهله، وإن لم يكن من أهله لم يُشار، ولم يبايع، وضيّق عليه حتى يخرج من الحرم، ثم يقام عليه الحدّ. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ اللام جواب القسم، وقد حرف تحقيق، وخلقنا فعل وفاعل، والإنسان مفعول به، وفي أحسن متعلقان بمحذوف حال من الإنسان، وتقويم مضاف إليه، وعبارة الزمخشري في هذا الصدد طريفة جداً، وهي من الإنشاء العالي لذلك اقتبسناها: ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أحسن تعديل لشكله، وصورته، وتسوية لأعضائه، ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية؛ أن رددناه أسفل من سفل خلقاً وتركيباً،

يعني: أقبح من قبح صورة، وأشوهه خلقة، وهم أصحاب النار، أو أسفل من سفل من أهل الدركات، أو: ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل حيث نكسناه في خلقه، فتقوّس ظهره بعد اعتداله، وابيضَّ شعره بعد سواده، وتشنّن جلده، وكان بضّاً، وكلّ سمعه وبصره، وكانا حديدين، وتغير منه كل شيء، فمشيه دليف، وصوته خفات، وقوته ضعف، وشهامته خرف. ومن العجيب أن يقول أبو حيان: وقد أخذ الزمخشري أقوال السلف، وحسّنها ببلاغته، وانتقاء ألفاظه. وبعد أن يورد عبارته بنصها يقول: وهذا فيه تكثير. .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ورددناه فعل ماضٍ، وفاعل، ومفعول به، وأسفل سافلين حال من المفعول، واختار آخرون أن يكون صفة لمكان محذوف، أي: مكاناً أسفل سافلين، فهو ظرف مكان، ولا أدري لِمَ غاب عن بال المعربين أنه مفعول ثانٍ لرددناه؛ لأن ردّ تنصب مفعولين، قال تعالى: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ فالكاف والميم مفعول أول، وكفّاراً مفعول ثانٍ، وحسداً مفعول لأجله، لا سيما وقد استوفت شرطها في نصب المفعولين، وهو أن تكون بمعنى رجع قال:

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً ... وَرَدَّ شُعُورَهُنَّ البِيضَ سُودا

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ إلا أداة استثناء، والذين في محل نصب على الاستثناء المتصل؛ إذا اعتبرنا المعنى الأول الذي أورده الزمخشري، أو على الاستثناء المنقطع؛ إذا اعتبرنا المعنى الثاني، وعندئذ تكون إلا بمعنى لكن، والذين مبتدأ، خبره جملة: فلهم أجر، وجملة آمنوا لا محل لها؛ لأنها صلة الذين، وعملوا الصالحات عطف على الصلة، داخل في حيّزها، والفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط، ولهم خبر مقدّم، وأجر مبتدأ مؤخر، وغير ممنون نعت لأجر، أي: غير مقطوع ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن علمت

هذا أيها الإنسان فما يكذبك؟! وما اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ، وجملة يكذبك خبر، وسيأتي سرُّ هذا الالتفات في باب البلاغة، وبعد ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، أي: بعد هذه العبر والعِظات، وظهور هذه الدلائل الدالة على وجوب الإيمان، ويجوز أن يكون الخطاب للنبي، فتكون ما بمعنى من، والمعنى: فمن يكذبك أيها الرسول بما جئت به؟! والهمزة للاستفهام التقريري، وليس فعل ماضٍ ناقص، والله اسمها، والباء حرف جر زائد، وأحكم الحاكمين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب لما سبق من قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ والسرّ فيه تشديد الإنكار على الإنسان بمشافهته بالخطاب؛ كأنه قيل له: فأيّ شيء يضطرك إلى أن تكون كاذباً بعد هذه الدلائل بسبب تكذيب الجزاء؟!

* * *

سُورَةُ العَلَق

ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى
عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ
إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾
أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا
بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ
وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿عَلَقٍ﴾ : الدم، وهو اسم جنس جمعي، وأطلق المفسرون عليه الجمع إما تسمّحاً، وهو جمع لغوي، وفي المصباح: والعلق: المني، فينتقل طوراً بعد طور، فيصير دماً غليظاً متجمداً، ثم ينتقل طوراً آخر، فيصير لحماً، وهو المضغة. وعبارة القاموس: العَلَق ـ محركة ـ: الدم عامة، أو

الشديد الحمرة، أو الغليظ، أو الجامد، القطعة منه بهاء، وكل ما علق، والطين الذي يعلق باليد، والخصومة، والمحبة اللازمتان، وذو علق: جبل لبني أسد لهم فيه يوم على ربيعة بن مالك، ودويبة في الماء تمتصّ الدم». إلى آخر ما جاء في هذه المادة المطوّلة.

﴿لَنَسْفَعًا﴾ السفع: الأخذ، والقبض على الشيء، وجذبه بشدة، وفي المختار: سفع بناصيته، أي: أخذ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ وسفعته النار، والسموم؛ إذا لفحته لفحاً يسيراً، فغيّرت لون البشرة، وبابهما: قطع.

﴿الزَّبَانِيَةَ﴾: الملائكة الغِلاظ الشداد، واحدها: زِبْنِيَة، ـ بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه وتخفيف الياء ـ من: الزبن، وهو: الدفع، أو زبنيّ على النسب، وأصله: زباني بتشديد الواو، فالتاء عوض عن الواو، وفي المختار: وأحد الزبانية: زبان، أو: زابان، قال الأخفش: واحدهم زباني، وقال بعضهم: زابي، وقال بعضهم: زبنية مثل عفرية. وفي القاموس: والزبنية كهِبْرية: متمرد الجن والإنس، والشديد، والشرطي، والجمع: زبانية، أو واحدها: زِبَّني.

○ الإعراب:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ اقرأ فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، وباسم متعلق بمحذوف حال من ضمير الفاعل، أي: مفتتحاً، وأعربها ابن خالويه زائدة، تابعاً في ذلك لأبي عبيدة، قال: الباء زائدة، والمعنى: اقرأ باسم ربك، كما قال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وأنشد:

«سود المحاجر لا يقرأن بالسور».

والمعنى: على زيادة الباء، أي: لا يقرأن السور. وقد تقدم بحث زيادة

الباء، وعبارة أبي البقاء: قوله تعالى: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ قيل: الباء زائدة، كقول الشاعر:

«سود المحاجر لا يقرأن بالسور».

وقيل: دخلت لتنبّه على البداية باسمه في كل شيء، كما قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فعلى هذا يجوز أن يكون حالاً، أي: مبتدئاً باسم ربك.

والذي نعت للرب، وهو في محل جر، وجملة خلق لا محل لها؛ لأنها صلة الذي، والضمير فيه يعود على الذي، وخلق الإنسان بدل منه، ويجوز أن يكون تأكيداً لفظياً، فيكون قد أكد الصلة وحدها، والإنسان مفعول به، ومن علق متعلقان بخلق ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ اقرأ فعل أمر تأكيد لاقرأ الأول، والواو استئنافية، ويجوز أن تكون للحال، وربك مبتدأ، والأكرم خبره، وهذا ما رأيناه، وأعربها ابن خالويه نعتاً، فتكون جملة علّم الإنسان هي الخبر، والأول أولى، والذي خبر ثانٍ، وأعربها ابن خالويه نعتاً ثانياً، ولسنا نرى هذا الرأي، وجملة علّم صلة، وفاعل علم مستتر يعود على الله، ومفعولاه محذوفان، أي: علّم الإنسان الخطَّ بالقلم، وبالقلم متعلقان بعلم، والواقع أنها متعلقة بالخط ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ جملة علّم الإنسان تأكيد لعلم الأولى، أو بدل، أو خبر كما تقدم، والإنسان مفعول به أول، وما اسم موصول مفعول به ثانٍ، وجملة لم يعلم صلة ما، والعائد محذوف، أي: لم يعلمه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ كلا ردع وزجر لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة يطغى خبر إن، ولا أدري لِمَ تهرّب المعربون من الردع، وهو أوضح من كل ما قدّروه، وإليه ذهب الزمخشري، أما الجلال فإنه تبع الكسائي فجعلها بمعنى حقاً، قال الكرخي قوله ـ أي: الجلال ـ حقاً هو مذهب الكسائي ومَن تبعه؛ لأنه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا رداً له، كما قالوا: كلا والقمر، فإنهم قالوا: معناه: إي والقمر، ومذهب أبي حيان أنها بمعنى ألا الاستفتاحية، وصوّبه

ابن هشام لكسر همزة إن بعدها، أي: لكونه مظنة جملة، كما بعد حرف التنبيه، نحو: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ ولو كانت بمعنى حقاً لما كسرت إن بعدها؛ لكونها مظنة مفرد. أما الكواشي فأجاز في ﴿كَلَّآ﴾ أن تكون تنبيهاً، فيقف على ما قبلها، وردعاً فيقف عليها، أما ابن خالويه فقد لفّق تلفيقاً عجيباً مضحكاً، قال: كلا يبتدأ به هاهنا؛ لأنه بمعنى نعم حقاً، وليس رداً. وهذا كلام لا مفهوم له، والحق: أن كلا حرف ردع وزجر، كما قال سيبويه، وقال الزجّاج: كلا ردع وتنبيه، وذلك قولك: كلا، لمن قال لك شيئاً تنكره، نحو: فلان يبغضك وشبّهه، أي: ارتدع عن هذا، وتنبه عن الخطأ فيه، قال الله تعالى بعد قوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝ كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كذلك؛ لأنه قد يوسع في الدنيا على مَن لا يكرمه من الكفار، وقد يضيق على الأنبياء والصالحين للاستصلاح.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ أن حرف مصدري ونصب، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر مفعول لأجله، ورآه فعل ماضٍ، والفاعل هو، والهاء مفعول به أول، وجملة استغنى مفعول به ثانٍ، والهاء تعود على الإنسان، ومعناه: أن رأى نفسه، وعبارة ابن خالويه جيدة، قال: فإن قيل لك: فهل يجوز أن تقول: زيد ضربه، والهاء لزيد؟ فقل: ذلك غير جائز، إنما الصواب: ضرب زيد نفسه؛ لأن الفاعل بالكلية لا يكون مفعولاً بالكلية، وإنما جاز ذلك في أن رآه؛ لأنه من أفعال الشك والعلم، نحو: ظننتني، فإذا ثنّيت هذا الحرف، قلت: إن الإنسانين ليطغيان أن رأياهما استغنيا، وكلا إن الأناسي ليطغون أن رأوهم استغنوا، وتقول للمرأة إذا خاطبتها: كلا إنك لتطغين أن رأيتك استغنيت، وكلا إنكما لتطغيان أن رأيتما كما استغنيتما، وكلا إنكنّ لتطغَيْنَ أن رأيتنّكنّ استغنَيتنّ.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ كلام مستأنف، مسوق لمخاطبة الإنسان الطاغي بطريق الالتفات، وإن حرف مشبه بالفعل، وإلى ربك خبر إنّ المقدم، والرجعى اسمها المؤخر ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ روى مسلم عن

أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته، ولأعفرنّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبه، ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً، وأجنحة، فقال النبي ﷺ: «لو دنا منّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» أرأيت: تقدم القول أنها إذا كانت بمعنى أخبرني كما هنا، فإنها تتعدى إلى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية، وقد تقدم هذا غير مرة، وهنا قد ذكرت ثلاث مرات، وقد صرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية، فتكون في موضع المفعول الثاني لها، ومفعولها الأول محذوف، وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبداً الواقع مفعولاً أول لأرأيت الأولى، وأما أرأيت الأولى فمفعولها الأول الذي، ومفعولها الثاني محذوف، وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد أرأيت الثالثة، وأما أرأيت الثانية، فلم يذكر لها مفعول لا أول ولا ثانٍ، فحذف الأول لدلالة المفعول الأول من أرأيت الأولى عليه، وحذف الثاني لدلالة مفعول أرأيت الثالثة، فقد حذف الثاني من أرأيت الأولى، والأول من الثالثة، والاثنان من الثالثة، وليس ذلك من باب التنازع؛ لأن التنازع يستدعي إضماراً، والجمل لا تضمر، إنما تضمر المفردات، وإنما ذلك من باب الحذف للدلالة، وجملة ينهى صلة لا محل لها، وعبداً مفعول ينهى، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن لمجرد الظرفية متعلق بنهى ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ أرأيت الهمزة للاستفهام، ورأيت فعل وفاعل، ومعناه: أخبرني، وإن شرطية، وكان فعل ماضٍ ناقص، وهو في محل جزم فعل الشرط، وسيأتي الكلام على الجواب، واسمها مستتر، تقديره: هو، وعلى الهدى خبره، وأو حرف عطف، وأمر فعل ماضٍ، وفاعله هو عطف على كان على الهدى، وبالتقوى متعلقان بأمر ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ أرأيت: أخبرني، وإن شرطية، وكذب فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، وتولى عطف على كذب، وسيأتي الكلام على الجواب أيضاً،

والهمزة للاستفهام للتقرير والتعجب، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويعلم فعل مضارع مجزوم بلم، والباء حرف جر زائد، وأن واسمها، وجملة يرى خبرها، وأن وما بعدها سدّت مسدّ مفعولي يعلم، أما جواب الشرط الذي في حيز الثانية، والثالثة فمحذوف، يدل عليه الجملة الاستفهامية، والتقدير: إن كان على الهدى، أو أمر بالتقوى، أفلم يعلم ذلك الناهي بأن الله يرى، وتقديره في الثالثة: إن كذب وتولى، أفلم يعلم بأن الله يرى، أي: على تقدير الفاء.

ونحا الزمخشري في إعراب هذه الآيات نحواً آخر، ننقله لك لننقل بعده ردّ أبي حيان، فترى كيف يشتجر الخلاف حول الإعراب، وفي ذلك مصقلة للعقل، ومجلاة له، وملخص إعراب الزمخشري: إن أرأيت الأولى مفعولها الموصول، وإن الثانية زائدة مكررة لتوكيد الأولى، وإن المفعول الثاني للأولى هو جملة الشرط الذي في حيِّز الثانية مع جوابه المحذوف؛ الذي يقدّر جملة استفهامية، وهي التي صرح بها في حيِّز الثالثة، وإن مفعول الثالثة الأول محذوف، تقديره: أرأيته، وجملة الشرط الذي بعدها وجوابه، وهو جملة الاستفهام المصرّح بها سادّة مسدّ المفعول الثاني، وقال في تقرير هذا الإعراب: فإن قلت: كيف صحّ أن يكون ألم يعلم جواباً للشرط، قلت: كما صحّ في قولك: إن أكرمتك أتكرمني، وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه؟.

وسخر أبو حيان من هذا الإعراب، وقال: وما قرره الزمخشري هنا ليس بجارٍ على ما قررناه، فمن ذلك أن ادّعى أن جملة الشرط في موضع المفعول الواحد والموصول هو الآخر، وعندنا: أن المفعول الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية، كقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ وهو كثير في القرآن، فتخريج هذه الآية على ذلك القانون، ويجعل مفعول أرأيت الأولى هو الموصول،

وجاء بعده أرأيت، وهي تطلب مفعولين، وأرأيت الثانية كذلك، فمفعول أرأيت الثانية والثالثة محذوف، يعود على الذي ينهى فيهما، أو على عبداً في الثانية، وعلى الذي ينهى في الثالثة على الاختلاف السابق في عود الضمير، والجملة الاستفهامية توالى عليها ثلاثة طوالب، فنقول: حذف المفعول الثاني لأرأيت، وهو جملة الاستفهام الدّال عليه الاستفهام المتأخر لدلالته، وحذف مفعول أرأيت الأخير لدلالة مفعول أرأيت الأولى عليه، وحذفا معاً لأرأيت الثانية لدلالة الأولى على مفعولها، ولدلالة الآخر لأرأيت الثالثة على مفعولها الآخر، وهؤلاء الطوالب ليس على طريق التنازع؛ لأن الجمل لا يصحّ إضمارها، فإنما ذلك من باب الحذف في غير التنازع، وأما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جواباً للشرط بغير فاء، فلا أعلم أحداً أجازه، بل نصّوا على وجوب الفاء في كل ما اقتضى طلباً بوجه ما، ولا يجوز حذفها إلا إن كان في ضرورة شعر.

أما ابن خالويه فقد كان إعرابه مضحكاً للغاية؛ لأنه نسي، أو تناسى أن هنالك مفاعيل محذوفة، أو جواباً للشرط، واكتفى باللفظ الظاهر، وما أبعد هذا عن الإعراب لا سيما في مثل هذه الآيات ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ كلا ردع وزجر لأبي جهل، واللام موطئة للقسم؛ لأنها داخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط، ومن ثم تسمى اللام المؤذنة، أو الموطئة؛ لأنها وطأت الجواب للقسم، أي: مهّدته له، وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وينته فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ولنسفعاً اللام جواب القسم جرياً على القاعدة المقررة من اجتماع: قسم، وشرط، ونسفعاً فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة، وكتبت بالألف في المصحف على حكم الوقف، والفاعل مستتر، تقديره: نحن، وبالناصية متعلقان بنسفعاً، وناصية بدل من الناصية، وجاز إبدالها من المعرفة، وهي نكرة؛ لأنها وصفت، والبصريون لا يشترطون في

البدل المطابقة، وقرئ بالرفع، على تقدير: هي، وبالنصب على الذم، وكاذبة وخاطئة نعتان، وسيأتي معنى وصفها بالكذب والخطأ في باب البلاغة. ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن استمر في غلوائه، وإن أصرّ على المعاندة، والمكابرة فليدع، واللام لام الأمر، ويدع فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة الجزم حذف الواو، والفاعل مستتر، تقديره: هو، وسيأتي معنى دعوى النادي في باب البلاغة، والسين حرف استقبال، وندعو فعل مضارع مرفوع، وقد أسقطت الواو من المصحف في كل واو ساكنة استقبلتها اللام الساكنة، والزبانية مفعول به، وكلا تأكيد للردع والزجر لأبي جهل، ولا ناهية، وتطعه فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، والهاء مفعول به، واسجد فعل أمر، واقترب عطف على واسجد.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ مجاز عقلي، فقد وصف الناصية بالكذب والخطأ، والحقيقة: صاحبها، وذلك أبلغ من أن يضاف، فيقال: ناصية كاذب خاطئ؛ لأنها هي المحدّث عنها.

(٢) وفي قوله: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ مجاز مرسل، والمراد: أهل النادي، فالنادي لا يدعى، وإنما يدعى أهله، فأطلق المحل وأُريد الحال، فالمجاز مرسل علاقته المحلية، والنادي هو: المجلس الذي ينتدي فيه القوم، ولا يسمى المكان نادياً حتى يكون فيه أهله، وفي المصباح: ندا القوم، ندواً، من باب: غزا؛ اجتمعوا، ومنه: اشتق النادي، وهو مجلس القوم للتحدّث. وفي المختار: وناداه: جالسه في النادي، وتنادوا: تجالسوا في النادي، والندي ـ على فعيل ـ: مجلس القوم، ومتحدّثهم، وكذا: الندوة، والنادي، والمنتدى، فإن تفرق القوم عنه فليس بندي، ومنه: سمّيت دار الندوة التي بناها قصيّ بمكة؛ لأنهم كانوا يندون فيها، أي: يجتمعون للمشاورة. وكان أبو جهل قد قال للنبي ﷺ لما انتهره، حيث نهاه عن

الصلاة: لقد علمت ما بها ـ أي: مكة ـ رجل أكثر نادياً مني، لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً، ورجالاً مرداً.

* **الفوائد:**

١ ـ زيادة الباء في مفعول علم: تطّرد زيادة الباء في مفعول عرفت، ونحوه، وتقلّ في مفعول ما يتعدى لاثنين، ولكنها بعد علم تكاد تكون مطّردة، قال عمرو بن كلثوم:

وقد عَلِمَ القبائلُ مِن مَعَدٍّ إذا قُبَبٌ بأبطَحِها بُنِينا
بأنَّا المُطْعِمُون إذا قَدَرْنا وأنَّا المُهْلِكُون إذا ابْتُلِينا

٢ ـ هل يتطابق البدل والمبدل منه تعريفاً وتنكيراً؟ قال الزمخشري في «المفصل»: وليس بمشروط أن يتطابق البدل والمبدل منه تعريفاً وتنكيراً، بل لك أن تبدل أيّ النوعين شئت من الآخر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وقال: بالناصية ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ خلا أنه لا يحسن إبدال النكرة من المعرفة إلا موصوفة كناصية. أما بدل النكرة من النكرة، فمثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ فقوله: مفازاً نكرة، وقد أبدل من النكرة، وهو حدائق، ومثله قول الشاعر:

وكنتُ كذي رِجْلَيْن رِجْلٍ صَحِيحةٍ ورِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ

فأبدل قوله رجل صحيحة، من قوله: رجلين، وكلاهما نكرة، ومثال بدل المعرفة من النكرة، قولك: مررت برجل زيد، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ فالثاني معرفة بالإضافة، وقد أبدله من الأول، وهو نكرة.

* * *

سورة القدر

ترتيبها ٩٧ آياتها ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ
أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ
مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ إن واسمها، وجملة أنزلناه خبرها، أي: نجوماً متفرقة بحسب الوقائع والحاجة الماسّة إليه في مدى ثلاث وعشرين سنة، وفي إضمار القرآن ـ وإن لم يتقدم له ذكر ـ شهادة له بالتشريف، وأسنده إليه تعالى، وجعله مختصّاً به دون غيره، ورفع مدة الوقت الذي أنزل فيه، فهذه ثلاثة أوجه لتعظيم القرآن، وفي ليلة القدر متعلقان بأنزلناه، وسيأتي الكلام عليها في باب الفوائد، والواو حرف عطف، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة أدراك خبر، وما اسم

استفهام في محل رفع مبتدأ، وليلة القدر خبر ما، والجملة المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ مفعول أدراك الثاني ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليلة القدر مبتدأ، وخير خبر، ومن ألف شهر متعلقان بخير، والجملة مستأنفة، كأنها جواب لسؤال نشأ عن تفخيم ليلة القدر، تقديره: وما فضائلها ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ استئناف ثانٍ، مسوق للإجابة عن السؤال نفسه، وتنزل فعل مضارع مرفوع أصله: تتنزل، والملائكة فاعل، والروح نسق على الملائكة، وإنما أفرد جبريل بالذكر تنويهاً بفضله، على حدّ قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ والنخل والرمان من الفاكهة، وفيها متعلقان بتنزل، ولك أن تعلقه بمحذوف حال من الملائكة، أي: متلبسين، وبإذن ربهم متعلقان بتنزل، ومن كل أمر، أي: من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة، متعلق بتنزل ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سلام خبر مقدّم، وهي مبتدأ مؤخر، وحتى حرف غاية وجر، ومطلع الفجر: مجرور بحتى، والجار والمجرور متعلقان بسلام، وفيه إشكال، وهو الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ، والجواب: أن الظروف والجار والمجرور يتوسع فيها ما لا يتوسع في غيرها، والأحسن ـ كما قال الخطيب ـ أن يتعلقا بمحذوف قدّره الخطيب: يستمرون على التسليم من غروب الشمس حتى مطلع الفجر.

* **الفوائـد:**

قال القرطبي: ليلة القدر سلامة وخير كلها، لا شرّ فيها حتى مطلع الفجر، وقد شاء الله إخفاءها: أن يحيي مريدها الليالي الكثيرة، فتكثر عبادته، ويتضاعف ثوابه، وألاّ يتكل الناسُ عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها». وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه، ومَن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخاري ومسلم. وقوله: إيماناً واحتساباً، أي: نيّة وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في

ثوابه طيبة به نفسه، غير كاره له، ولا مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب، فالاحتساب من الحسب، كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه؛ لأن له حينئذ أن يعتدّ بعمله، فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتدٌّ به. وقال البغوي: قوله: احتساباً، أي: طلباً لوجه الله تعالى وثوابه، ويقال: فلان يحتسب الأخبار، ويتحسبها، أي: يتطلبها. هذا ومَن أراد التوسّع فعليه بالمطولات، ففيها من أخبار هذه الليلة، وفضائلها ما تضيق به الصحائف، والأجلاد.

* * *

سورة البينة

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾

☆ **اللغة:**

﴿مُنفَكِّينَ﴾ انفكاك الشيء عن الشيء: أن يزايله بعد التحامه به، كالعظم إذا انفكّ من مفصله، والمعنى: أنهم مُتعلِّقون بدينهم، لا يتركونه،

ولا يرومون عنه انفكاكاً، قال الأزهري: ليس هو من باب: ما انفك، وما برح، وإنما هو من باب: انفكاك الشيء عن الشي، أي: انفصاله عنه.

﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين إلى الخير، قال أهل اللغة: وأصل الحنف في اللغة: الميل، وخصّه العرف بالميل إلى الخير، وسمّوا الميل إلى الشرّ إلحاداً، وفي القاموس: الحنف محرّكة: الاستقامة والاعوجاج في الرجل، أو: أن يقدّم إحدى إبهاميّ رجليه على الأخرى، أو أن يمشي على ظهر قدميه من شق الخنصر، أو ميل في صدر القدم، وقد حنف كفرح، وكرم، فهو أحنف، ورِجْل حنفاء، وكضرب: مال، وصخر أبو بحر الأحنف بن قيس تابعي كبير، والسيوف الحنيفية تنسب له؛ لأنه أول مَن أمر باتخاذها، والقياس أحنفيّ، والحنفاء: القوس، والموسى، وفرس حذيفة بن بدر، وماء لبني معاوية، وشجرة، والأَمَةُ المتلوّنة تكسل مرة وتنشط أُخرى، والحرباء، والسلحفاة، والأطُومُ لسمكة بحرية، والحنيف كأمير: الصحيح الميل إلى الإسلام، الثابت عليه، وكل مَن حجّ، أو كان على دين إبراهيم ﷺ، والفقير، والحذاء. إلى أن يقول: وأبو حنيفة كنية عشرين من الفقهاء، أشهرهم: إمام الفقهاء النعمان. وعبارة ابن خالويه جيدة، وهي: حنفاء نصب على الحال، مثل ظريف وظرفاء، والحنيف في اللغة: المستقيم، فإن قيل لك: لِمَ سمّي المعوج الرجل أحنف؟ فقل: تطيّروا من الاعوجاج إلى الاستقامة، كما يقال للديغ: سليم، وللأعمى: أبو بصير، وللأسود: أبو البيضاء، وللمهلكة: مفازة، هذا قول أكثر النحويين، فأما ابنُ الأعرابي فزعم أن المفازة ليست مقلوبة؛ لأن العرب تقول: فوّز الرجل؛ إذا مات، ومثله جنّص، قال الشاعر:

فَمَنْ لِلْقَوافي شَانَها من يَحُوكُها		إذا ما تَوى كَعْبٌ وفَوَّز جَرْوَلُ؟

يريد: كعب بن زهير، وجرول، والحطيئة. والحنيف ستة أشياء: المستقيم، والمعوج، والمسلم، والمخلص، والمختون، والحاج إلى بيت الله، ومَن عمل بسنة إبراهيم صلوات الله عليه سُمِّي حنيفاً.

○ الإعراب:

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ لم حرف نفي وقلب وجزم، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلن، والذين اسمها، وجملة كفروا صلة، ومن أهل الكتاب والمشركين: متعلق بمحذوف حال، والأرجح: أن معنى من هنا التبعيض، كما قرره الماتريدي، ومنفكين خبر يكن، وحتى حرف غاية وجر، وتأتيهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والهاء مفعول به، والبيِّنة فاعل، أي: الحجة الواضحة ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ رسول بدل من البيِّنة، بدل كل من كل، على سبيل المبالغة، جُعل الرسول نفس البيِّنة، ومن الله صفة لرسول، وجملة يتلو صفة ثانية، أو حال حسب القاعدة، وصحفاً مفعول به، ومطهرة صفة لصحفاً ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ الجملة صفة ثانية لصحفاً، وفيها خبر مقدّم، وكتب مبتدأ مؤخر، وقيمة نعت لكتب، أي: مستقيمة ناطقة بالحق، والعدل ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وتفرق الذين فعل ماضٍ وفاعل، وجملة أُوتوا لا محل لها؛ لأنها صلة الذين، والواو في أُوتوا نائب فاعل، والكتاب مفعول به ثانٍ، وإلا أداة حصر، ومن بعد متعلقان بتفرق، وما مصدرية، وجاءتهم البيِّنة فعل ماضٍ، ومفعول به، وفاعل مؤخر، وما في حيِّزها في محل جر بإضافة بعد إليها، ومن العجيب البالغ العجب: أن يعرب ابن خالويه ما موصولة، ولا مبرر لهذا الإعراب على الإطلاق، وعبارته المضحكة: وما بمعنى الذي، وهو جرّ ببعد. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ الواو للحال، والجملة حالية، مسوقة لبيان قبح ما فعلوا، واستسماجه، وهو التفرق بعد مجيء البيِّنة؛ التي يجب أن يصدع بها كل مَن له مسكة من عقل، وما نافية، وأمروا فعل ماضٍ مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، ومتعلقه محذوف، أي: بما أمرناهم به من شرائع وأحكام، وإلا أداة حصر،

وليعبدوا اللام لام التعليل، ويعبدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والواو فاعل، والجار والمجرور متعلقان بأمروا، على أنه في محل نصب مفعول لأجله، وإنما امتنع نصبه لاختلاف الفاعل، ولعلّ هذا الوجه خير مما اختاره الجلال، وعبارته: إلا ليعبدوا الله، أي: أن يعبدوه، فحذفت أن، وزيدت اللام وزاد الكرخي في الطين بلّة، فقال: وقوله: زيدت اللام: الأولى أن تكون بمعنى الباء، أي: إلا بأن يعبدوا الله. وهذا تكلّف وتمحّل، لا يليقان بأسلوب القرآن العظيم، ولعلّ هذا التوهّم تسرب إليهما عن قراءة ابن مسعود: وما أُمروا إلا أن يعبدوا. وعلى هذه القراءة يكون قولهما سائغاً ووارداً، فتكون أن وما في حيِّزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، وهو الباء، والجار والمجرور متعلقان بأمروا، أي: بأن يعبدوا. ومخلصين حال من ضمير يعبدوا، وله متعلقان بمخلصين، والدين مفعول به لمخلصين؛ لأنه اسم فاعل، وحنفاء حال ثانية، كما تقدم، أو حال من الحال قبلها، أو من الضمير المستكن فيها، فهي حال متداخلة، ويقيموا الصلاة عطف على ليعبدوا الله، ويؤتوا الزكاة عطف أيضاً، والواو عاطفة، أو حالية، وذلك مبتدأ، والإشارة إلى ما ذكر من عبادة الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ودين خبر، والقيمة مضاف إليه، وقال الفرّاء: أضاف الدين إلى القيمة، وهي نعته؛ لاختلاف اللفظين، أو هو من باب: إضافة الشيء إلى نفسه، ودخلت الهاء للمدح والمبالغة، وما في الإشارة من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته، وبُعْد منزلته. وعبارة ابن خالويه جيدة، وهي: فإن قيل لك: الدين هو القيمة، فلِمَ لم يقل: وذلك الدين القيمة؟ فقل: العرب تضيف الشيء إلى نعته، نحو قولهم: صلاة الظهر، وحبّ الحصيد، قال الشاعر:

أتمدحُ فقعساً وتذمّ عبساً ألا للهِ أُمك من هَجين

ولو أقوتْ عليك ديارُ عبس عرفت الذلّ عرفانَ اليقين

فأضاف العرفان إلى اليقين، وهو أراد: عرفاناً يقيناً، وقال آخرون:

وذلك دين الملّة القيمة، وذلك دين الحنيفية القيمة، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ أي: اسأل أهلها. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان مقر الأشقياء، وجزاء السعداء، وإن واسمها، وجملة كفروا صلة لا محل لها، ومن أهل الكتاب والمشركين حال، وفي نار جهنم خبر إن، وخالدين حال مقدّرة من الضمير المستكن في الخبر، وفيها متعلقان بخالدين، وأولئك مبتدأ، وهم مبتدأ ثانٍ، أو ضمير فصل، وشرّ البرية خبر هم، والجملة خبر إن، أو خبر أولئك، وقرىء البرئية في الموضعين، فقيل: الهمز هو الأصل، من: برأ الله الخلق، أي: ابتدعه، واخترعه، فبريئة فعلية بمعنى مفعولة، وقيل: البرية بلا همز مشتقة من البرى، وهو: التراب؛ لأنهم خلقوا منه، قال المعرّي:

ولرب أجسادٍ جديرات البرى بالصّون صارتْ في طلاءِ جدار

وقيل: البرية مخفّفة من المهموز، وعبارة ابن خالويه: البرية جر بالإضافة، والأصل: البريئة، فتركوا الهمزة تخفيفاً، وهو من: برأ الله الخلق، والله البارىء المصوّر، حدّثنا إبراهيم بن عرفة، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، قال: حدّثنا محمد بن كثير، عن سفيان، عن المختار بن فلفل، عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: يا خير البرية! فقال: «ذلك إبراهيم خليل الرحمن» وإنما قاله تواضعاً ﷺ. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ الجملة مماثلة للأولى في إعرابها تماماً، ولابن خالويه كلام نافع في البرية، ننقله فيما يلي: البرية جر بالإضافة، قال العجير لنافع بن علقمة:

يا نافعاً يا أكرم البريّهْ والله لا أكذبك العشيّهْ
إنّا لقِينا سَنَةً قسيّهْ ثم مُطرنا مطرةً رويّهْ
فنبت البقلُ ولا رعيّهْ فانظر بنا القرابة العليّهْ

والعربَ مما ولدت صفيّهْ

فأمر له بألف شاة، وقال آخرون: مَن ترك الهمزة من البرية أخذه من البرى، وهو: التراب. أنشدنا ابن مجاهد: بغيك من سارٍ إلى قومك البرى. وكلام العرب ترك الهمز، قال الشاعر:

امـــرر علـــى جـــدث الحسيــ ـــن فقـلْ لأعظمـه الـزكيّـهْ
قبـــــرٌ تضمّـــــن طيّبـــــاً آبـــاؤه خيـــرُ البـــريّـــهْ
آبـــــاؤه أهـــــل الخــــــلا فـــةِ والـــريـــاســـةِ والعطيـــهْ

هذا ما أورده ابن خالويه، وفيه مشكل لا بدّ من الإلماع إليه، وهو قول العجير لنافع بن علقمة: يا نافعاً، فقد نصب المنادى، وهو مفرد علم، ونوّنه، وحقّه البناء على الضم، ولم نجدْ ما يبرره، فقد ذكر النحاة أنه إذا كان المنادى مفرداً علماً موصوفاً بابن، ولا فاصل بينهما، والابن مضاف إلى علم جاز في المنادي وجهان: ضمّه للبناء، ونصبه نحو: يا عمرُو بن هند، ويا عمرَو بن هند، والفتح أولى، أما ضمّه فعلى القاعدة؛ لأنه مفرد علم، وأما نصبه فعلى اعتبار كلمة ابن زائدة، فيكون عمرو مضافاً، وهند مضافاً إليه، وابن الشخص يضاف إليه لمكان المناسبة بينهما، والوصف بابنة كالوصف بابن، نحو: يا هندَ بنةَ خالد، ويا هندُ بنةَ خالد، أما الوصف بالبنت، فلا يغيّر بناء المفرد العلم، فلا يجوز معها إلا البناء على الضم، نحو: يا هندُ بنتَ خالد، وعلى كل حال: فبيت العجير ليس من هذا الباب، ولا يجدي معه القول أنه موصوف بقوله: أكرم البرية، على تقدير زيادة يا؛ لأن الوصف ليس كلمة ابن، وابنة، وهبه نوّنه للضرورة، فهلاّ أبقاه مضموماً كقول الأحوص:

ســـلامُ اللهِ يـــا مطـــرٌ عليهـــا وليس عليكَ يا مَطَرُ السَّلام

وقد اهتم النحاة بهذا البيت، فأطلقوا على التنوين فيه: تنوين الضرورة، وليس بذاك، وارجع إن شئت إلى كتبهم. ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾

جزاؤهم مبتدأ، وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال من الضمير في جزاؤهم، وجنات عدن خبر، وجملة تجري من تحتها الأنهار نعت لجنات، وخالدين حال من عامل محذوف، تقديره: دخولها، ولا يجوز أن يكون حالاً من الضمير في جزاؤهم؛ لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي، وفيها متعلقان بخالدين، وأبداً ظرف زمان لاستغراق المعنى منصوب بخالدين أيضاً، وجملة رضي الله عنهم ورضوا عنه يجوز أن تكون دعائية لا محل لها، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً، وذلك مبتدأ، ولمن خبره، وجملة خشي ربه صلة لا محل لها أيضاً.

* الفوائـــد:

لعلّ من المفيد أن نشير هنا إلى معنى رضا العبد عن الله؛ وقد أجملها الراغب فقال: رضا العبد عن الله ألاّ يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو: أن يراه مؤتمراً بأمره، ومنتهياً عن نهيه. أما الجنيد فقال: الرضا: يكون على قدر قوة العلم، والرسوخ في المعرفة، والرضا حال يصحب العبد في الدنيا والآخرة، وليس محلّه محلّ الخوف، والرجاء، والصبر، والإشفاق، وسائر الأحوال التي تزول عن العبد في الآخرة، بل العبد يتنعم في الجنة بالرضا، ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم: برضائي أحلّكم داري، أي: برضائي عنكم. وقال محمد بن الفضل: الروح والراحة في الرضا واليقين، والرضا باب الله الأعظم، ومحل استرواح العابدين.

* * *

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ
ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧
وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن، متضمن معنى الشرط، متعلق بتحدث، وهو الجواب، وجملة زلزلت في محل جر بإضافة الظرف إليها، وزلزلت فعل ماضٍ مبني للمجهول، والأرض نائب فاعل، وزلزالها مفعول مطلق، وهو مصدر مضاف لفاعله، والمعنى: زلزالها الذي تستحقه، ويقتضيه جرمها، وعظمتها، وقيل: إذا لمجرد الظرفية، والعامل

فيها محذوف، أي: يحشرون، وقيل: اذكر، فهي مفعول به، وقراءة العامة بكسر الزاي، وقرىء بفتحها، فقيل: هما مصدران بمعنى واحد، وقيل: المصدر مكسور، والاسم مفتوح، قال الزمخشري: قرىء بكسر الزاي وفتحها، فالمكسور مصدر، والمفتوح اسم، وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا في المضاعف. وهذا في الغالب، وإلا فقد ورد ناقة خزعال، قال في القاموس: خزعل الضبع: عرج، وخمع، والماشي: نفض رجليه، وناقة بها خزعال: ظلع، وليس فعلال من غير المضاعف سواه، وقسطال، وخرطال. وفيه أيضاً: وزلزله، زلزلة، وزلزالاً مثلثة: حركه، والزلازل: البلايا. وقال ابن عرفة: الزلزلة والتلتلة واحد، والزلازل، والتلاتل، وأنشد للراعي:

فأبوك سيّدها وأنت أشدّها زمنَ الزَّلازلِ في التّلاتل جُولا

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ نسق على ما تقدم، وأخرجت الأرض فعل ماضٍ وفاعل، وأثقالها مفعول به، ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التقرير، وتفخيم هول الساعة، وأثقالها مفعول به، وهو جمع ثِقل بالكسر، كحمل وأحمال، كما في المختار، وعبارة الزمخشري: جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها. ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾ الواو عاطفة، وقال الإنسان فعل وفاعل، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، ولها خبر، وفي الإنسان قولان:

أحدهما: أنه اسم جنس يعمّ المؤمن والكافر، أي: يقول الجميع ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع، كما يقولون: من بعثنا من مرقدنا.

والثاني: أنه الكافر خاصة؛ لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأما المؤمن فيقول: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾. ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ يومئذ ظرف أضيف إلى مثله، ومحله النصب على أنه بدل من إذا، والعامل فيه هو العامل في المبدل منه، والتنوين عوض عن جملة، أي: يوم إذ تزلزل الأرض زلزالها، وتخرج الأرض أثقالها، ويقول الإنسان ما

لها، فحذفت هذه الجمل الثلاث، وناب منابها التنوين، فاجتمع ساكنان، وهما: الذال والتنوين، فكسرت الذال لالتقاء الساكنين، وليست هذه الكسرة في الذال بكسرة إعراب، وإن كانت إذ في موضع جر بإضافة ما قبلها إليها، وإنما الكسرة فيها لالتقاء الساكنين، وهذا التنوين يُسمّى تنوين العوض. وتحدث فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، تقديره: هي، أي: الأرض، ومفعول تحدث الأول محذوف، أي: الخلق ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباء حرف جر، وأن وما في حيِّزها في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بتحدث، والمعنى: تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها، وأمره إياها بالتحديث، وأن واسمها، وجملة أوحى خبرها، ولها متعلقان بأوحى، واللام بمعنى إلى، وإنما أوثرت على إلى لمراعاة الفواصل، وما يتعدى بإلى يجوز أن يتعدى باللام، ولا عكس ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ يومئذ ظرف أضيف إلى مثله بدل من يومئذ قبله، أو متعلق بيصدر، أو هو مفعول لأذكر مقدراً، ويصدر الناس فعل مضارع وفاعل، وأشتاتاً حال من الناس جمع شت، أي: متفرقين، يقال: أمر شت، وشتات: متشتت، ومتفرق، وهو وصف بالمصدر، ويقال: جاؤوا أشتاتاً، وجاؤوا شتاتَ شتات، أي: متفرقين، والنصب على الحالية، وقال عدي بن زيد:

قد هراق الماء في أجوافِها وتطايرن بأشتات شقق

وليروا: اللام للتعليل، ويروا فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والواو نائب فاعل، وأعمالهم مفعول به ثانٍ، والرؤية بصرية؛ ولذلك عدِّيت إلى اثنين؛ لأن أرى يتعدى إلى ثلاث، ولام التعليل ومدخولها متعلقان بيصدر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ الفاء تفريعية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويعمل فعل الشرط وفاعله هو يعود على من، ومثقال ذرة مفعول به، وخيراً تمييز، أو بدل من مثقال، ويره جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف

حرف العلة، والهاء مفعول ير، وفعل الشرط، وجوابه خبر من، والجملة الثانية عطف على الأولى، وإعرابها مماثل لإعرابها، وفي ابن خالويه: وقدم جدّ الفرزدق على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أسمعني شيئاً مما أنزل عليك، فقرأ عليه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ فلما انتهى إلى قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ... إلخ قال: حسبي يا رسول الله! وحدّثني أبو عبد الله، عن أبي العيناء، عن الأصمعي قال: قرأ أعرابي: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فقدّم وأخّر، فقلت له: قدّمت وأخّرت، فقال:

خذا جنبَ هَرْشَى أو قَفاها فإنَّـهُ كِلا جانِبْي هَرْشَى لهنّ طَرِيق

وروى هذه النادرة الزمخشري في كشافه أيضاً، وأضاف: والذرة: النملة الصغيرة، وقيل: الذر: ما يرى في شعاع الشمس من الهباء. وهرشى كسكرى، ثنية في طريق مكة عند الجحفة. أي: اسلكا أمام تلك الثنية، أو خلفها، فإنه ـ أي: الحال والشأن ـ كلٌّ من جانبيها طريق للإبل التي تطلبانها، وتكرير لفظ هرشى لتقريرها في ذهن السامع خوف غفلته عنها، والمقام كان مقام هداية، فحسن فيه ذلك.

* * *

سورة العاديات

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ
نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ
لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾
وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ الخيل تعدو في الغزو بسرعة، والياء من الواو لكسر ما قبلها.

﴿ضَبْحًا﴾ هو صوت أجوافها، وفي المختار: ضبحت الخيل، من باب: قطع، والضبح: صوت أنفاسها؛ إذا عدت. وفي القاموس: ضبحت الخيل، ضبحاً، وضباحاً: أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل، ولا حمحمة، أو: عدت دون التقريب. وقال الفراء: الضبح: صوت الخيل إذا

عدت، قال ابن عباس: ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس، والكلب، والثعلب. وقيل: كانت تكعم لئلا تصهل، فيعلم العدو بهم، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة، وإنما تضبح هذه الحيوانات؛ إذا تغيرت حالها من فزع، أو تعب. وفي القاموس: كعمت البعير كمنع، فهو مكعوم وكعيم: شددت فاه لئلا يعضّ، أو يأكل، وما كعم به، يقال له: كعام، ككتاب. وقال الزمخشري: أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح، صوت أنفاسها إذا عدون، وعن ابن عباس أنه حكاه فقال: أح أح، قال عنترة:

والخيـل تكـدحُ حيـن تَضْبـ ـحُ في حِياضِ الموتِ ضَبْحَا

والكدح: الجدّ في العدو، وشبّه عنترة الموت بالسيل على طريق الاستعارة المكنية، والحياض تخييل ذلك.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ الخيل توري النار بسنابكها، أي: تقدح كما توري الزندة، وهي نار الحباحب، والمصدر: أورى، يوري، إراء، فهو مور، قال النابغة:

تَـقُـدُّ السَّلُوقيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُه وتُوقِـدُ بالصُّـفَّاحِ نارَ الحُبَاحِبِ

والحباحب كما في الصحاح: اسم رجل بخيل، كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا به المثل، حتى قالوا: نار الحباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها.

وفي المصباح: ورى الزند، يري، من باب: وعد، وفي لغة: وري، يري، بكسرهما، وأورى بالألف، وذلك إذا أخرج ناره. وفي المختار: «وأوراه غيره» فاستفيد مما في المصباح والمختار أنه يستعمل ثلاثياً لازماً، ورباعياً لازماً، ومتعدياً، وما في الآية من قبيل المتعدي الرباعي.

﴿قَدۡحٗا﴾ مصدر قدح، يقال: قدحت الحجر بالحجر، أي: صككته به، وأصل القدح: الاستخراج، ومنه قدحت العين، إذا أخرجت منها الماء الفاسد، واقتدحت الزند، واقتدحت المرق: غرفته، والمقدحة بكسر الميم: ما تقدح به النار، والقداحة، والقداح: الحجر الذي يوري النار.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ الخيل تغير على العدو، وفي المصباح: وأغار الفرس إغارة، والاسم الغارة، مثل أطاع إطاعة، والاسم: الطاعة؛ إذا أسرع في العدو، وأغار القوم إغارة: أسرعوا في السير. وفي القاموس: وأغار على القوم غارة، وإغارة: دفع عليهم الخيل، وأغار الفرس: اشتد عدوه في الغارة وغيرها قال:

أغار على العدوّ بكلِّ طرفٍ وسَلْهَبةٍ تجولُ بلا حزام

﴿فَأَثَرْنَ﴾ هيجن، يقال: ثار، يثور، ثوراً، وثوراناً، وثؤوراً: هاج، ومنه: ثارت الفتنة بينهم، وثار الغبار، أو الدخان: ارتفع، وثار الجراد: ظهر، وثارت نفسه: جشأت، وثار إليه. وبه: وثب عليه.

﴿نَقْعًا﴾ غباراً، والنقع أيضاً: أن يَرْوَى الإنسان من شُرْب الماء، يقال نقعت غلّي بشربة ماء، وقال بشار:

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوق رُؤوسِنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

﴿فَوَسَطْنَ﴾ توسطن، وفي المصباح: يقال: وسطتُ القوم، والمكان، أسط، وسطاً، من باب: وعد؛ إذا توسطت بين ذلك، والفاعل واسط، وبه سمي البلد المشهور بالعراق؛ لأنه توسّط الإقليم. وفي المختار: تقول: جلست وسْط القوم بالتسكين؛ لأنه ظرف، وجلست وَسَط الدار بالتحريك؛ لأنه اسم لما يكتنفه غيره من جهاته، وكل موضع صلح فيه «بين» فهو وسْط بالسكون، وإن لم يصلح فيه «بين» فهو وسَط بالتحريك، وربما سكن، وليس بالوجه.

وعبارة القاموس: ووسطهم كوعد وَسْطاً، وسطة: جلس وسطهم، كتوسطهم، وهو وسيط فيهم، أي: أوسطهم نسباً، وأرفعهم محلاً، والوسيط بين المتخاصمين، وكصبور بيت من الشَّعر، أو هو أصغرها، والناقة تملأ الإناء، والتي تحمل على رؤوسها وظهورها لا تُعقل ولا تُقيد، والتي تجرّ أربعين يوماً بعد السنة، ووسطان بلد للأكراد، ووسط محركة جبل، ودارة واسط موضع، وَوَسط محركة: ما بين طرفيه كأوسطه؛ فإذا

سكنت كانت ظرفاً، أو هما فيما هو مصمت كالحلقة، فإذا كانت أجزاؤه متباينة، فبالإسكان فقط، أو كل موضع صلح فيه بين فهو بالتسكين، وإلا فهو بالتحريك.

﴿لَكَنُودٌ﴾ الكنود: الكفور، وكند النعمة كنوداً، ومنه سُمِّي كندة؛ لأنه كند أباه ففارقه، وعن الكلبي: الكنود بلسان كندة: العاصي، وبلسان بني مالك: البخيل، وبلسان مضر وربيعة: الكفور. وفي المختار: كند: كفر النعمة، وبابه: دخل، فهو كنود، وامرأة كنود أيضاً. وروى أبو أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «الكنود: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده ـ أي: عطاءه ـ ويضرب عبده». وعبارة ابن خالويه: الكنود: الكفور، قال الحسن في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ قال: يذكر المصائب، وينسى النعم، وقال النمر بن تولب:

كنـــودٌ لا تمـــنُّ ولا تغـــادي إذا علقــت حبــائلُهــا بــرهــن
لهـا مـا تشتهـي عسـلٌ مصفَّـىً إذا شــاءتْ وحـوّارَى بسمــن

﴿بُعْثِرَ﴾ تقدم شرحها كثيراً، والبعثرة، والبحثرة بالحاء: استخراج الشيء، واستكشافه.

○ الإعـراب:

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ الواو حرف قسم وجر، والعاديات مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، وضبحاً مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: يضبحن ضبحاً، وهذا الفعل المقدّر حال من العاديات، ويجوز أن تعرب حالاً، أي: ضابحات، وقال الخطيب: وانتصاب ضبحاً على تقدير فعل، أي: يضبحن ضبحاً، أو بالعاديات، كأنه قيل: والضابحات ضبحاً؛ لأن الضبح لا يكون إلا مع العدو، أو على الحال، أي: ضابحات، والفاء عاطفة، والموريات عطف على العاديات، وقدحاً فيه الأوجه الثلاثة التي في ضبحاً. قال الزمخشري: وانتصب قدحاً بما انتصب به ضبحاً. والفاء عاطفة،

والمغيرات نسق أيضاً على العاديات، وضبحاً نصب على الظرفية، أي: التي تغير في وقت الصبح، وهو متعلق بالمغيرات، قال أبو حيان وأجاد: وفي هذا دليل على أن هذه الأوصاف لذات واحدة؛ لعطفها بالفاء التي تقتضي التعقيب، والظاهر: أنها الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار، ولا يستدل على أنها الإبل بوقعة بدر، وإن لم يكن فيها إلا فرسان اثنان؛ لأنه لم يذكر أن سبب نزول هذه السورة هو وقعة بدر، ثم بعد ذلك لا يكاد يوجد أن الإبل جوهد عليها في سبيل الله، بل المعلوم أنه لا يجاهد في سبيل الله تعالى إلا على الخيل في شرق البلاد وغربها. قال هذا في معرض ردّه على من فسّر العاديات بالإبل ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ الفاء حرف عطف، وأثرن فعل ماضٍ مبني على السكون، والنون فاعل، والعطف على فعل، ومنع اسم الفاعل موضعه؛ لأن المعنى: واللاتي عدون، فأورين، فأغرن، فأثرن، وبه متعلقان بأثرن، ونقعاً مفعول به، والضمير في به يعود على الوادي، وإن لم يتقدم له ذكر، وهو مكان العدو، وقيل: يعود على الصبح، أي: فأثرن به في وقت الصبح، قال أبو حيان: وهذا أحسن من الأول؛ لأنه مذكور بالصريح. وعلى كلٍّ من التفسيرين، فالباء من به بمعنى في، وكل ما يتعدى بفي يتعدى بالباء، ولا عكس. والفاء عاطفة، ووسطن فعل ماضٍ مبني على السكون، ونون النسوة فاعل، وبه متعلقان بوسطن، والضمير يعود على الصبح، كما تقدم، أو على النقع فالباء للتعدية، وعلى الأول للظرفية، وقيل: إن الباء حالية، أي: فتوسطن ملتبسات بالغبار، فتكون متعلقة بمحذوف على أنه حال، ونقل أبو البقاء وجهاً غريباً، لم أجد له مبرراً، وهو أنها زائدة، وجمعاً مفعول أثرن، وأغرب أبو البقاء أيضاً، فجعلها حالاً؛ لأنه جعل الباء زائدة في المفعول به، وليس بذاك، وأسفّ ابنُ خالويه فأعرب جمعاً ظرفاً، ولست أدري، ولا المنجِّم يدري، كيف استقام له ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ الجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب القسم، وإن حرف مشبّه بالفعل، والإنسان اسمها، ولربه متعلقان بكنود، واللام المزحلقة، وكنود خبر إن، والألف واللام في

الإنسان للجنس، وقيل: للكافر، والأول أولى؛ لأن طبع الإنسان مجبول على ذلك، يهيب به إلى الشر إلا من عصمه الله ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ عطف على الجملة السابقة، وهو المقسم عليه الثاني، وإن واسمها، وعلى ذلك متعلقان بشديد، واللام المزحلقة، وشديد خبر إن، أي: يشهد على نفسه بصنعه، والشهادة بالقوة التي تبد في آثار أعماله الواضحة، وشواهدها الفاضحة، وأجاز الزمخشري أن يعود الضمير على الله، فقال: وقيل: وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد. ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ منسوق على ما تقدم، وهو المقسم عليه الثالث، وإن واسمها، ولحب الخير، يقال: هو شديد لهذا الأمر، أي: مطيق له، وقيل: اللام للتعليل، أي: وأنه لأجل حب المال لشديد، واللام المزحلقة، وشديد خبرها، وأراد بالخير: المال، والشديد: البخيل الممسك، يقال: فلان شديد، ومتشدّد، قال طرفة:

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدِّد

وعبارة ابن خالويه: والخير: المال هاهنا، كما قال تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مالاً، والخير: الخيل من قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ يعني: الخيل، والخير: الخمر، تقول العرب: ما عنده خل ولا خمر، أي: لا شر ولا خير، ويجمع الخير: خيوراً، والشر: شروراً. قلت: لم أر في ما لدي من المعاجم هذا المعنى للخير، أي: الخمر، وما كنت لأسجّل هذه الملاحظة؛ لأن ابن خالويه من الأئمة المشهود لهم بالحفظ، ولكني سجلت ملاحظتي تعليقاً على إيراده المثل، فالسياقُ الذي أورده فيه يدل على أن الخير قد يُراد به الخمر، ولكن المثل لم يرد ذلك قطعاً، وإنما جعل الشرخلاً، والخير خمراً على سبيل التشبيه، فقولهم في المثل: ما عنده خل ولا خمر، يريدون به: ما عنده خير ولا شر، وقولهم: ما أنت بخل ولا خمر، المراد به: ما أشار إليه الميداني، وغيره، من أنه كان بعض العرب يجعلون الخير خمراً للذتها، والخل شراً لحموضته؛ ولأنه لا

يقدر الإنسان على شربه. ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام، أي: أيفعل ما يفعل من المقابح فلا يعلم، ولا نافية، ويعلم فعل مضارع مرفوع، وإذا ظرف لمجرد الظرفية، قال زاده: لا يجوز أن يكون ظرفاً ليعلم؛ لأن الإنسان لا يُراد منه العلم في ذلك الوقت، وإنما يراد منه ذلك، وهو في الدنيا، ولا يجوز أن يكون ظرفاً لبعثر؛ لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا لقوله خبير؛ لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها، فتعيّن أن يكون العامل فيه ما دلّ عليه قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ أي: أفلا يعلم الإنسان في الدنيا أنه تعالى يجازيه إذا بعثر، ومعنى علم الله تعالى بهم يوم القيامة مجازاته لهم. وجملة بعثر في محل جر بإضافة الظرف إليها، وما موصول نائب فاعل بعثر، وفي القبور متعلقان بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة ما ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ منسوق على بعثر ما في القبور، وحصل فعل ماض مبني للمجهول، أي: جمع في الصحف، وأظهر مفصلاً مجموعاً، وقيل: ميّز بين خيره وشره، وسمينه وغثّه، قال زاده: «وخصّ أعمال القلوب بالذكر، وترك ذكر أعمال الجوارح؛ لأنها تابعة لأعمال القلوب، فإنه لولا تحقق البواعث والإرادات في القلوب، لما حصلت أفعال الجوارح. وهذا كلام جيد، فتدبّره ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ الجملة تعليل لعامل إذا المحذوف، وهو مفعول يعلم، أي: أفلا يعلم أنّا نجازيه وقت ما ذكر، ثم علّل ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم ﴾ . . . إلخ، وإن واسمها، وبهم متعلقان بخبير، ويومئذ ظرف متعلق بخبير أيضاً، واللام المزحلقة، وخبير خبر إن.

□ البلاغة:

(١) في المخالفة بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ إذ عطف الفعل على الاسم الذي هو العاديات وما بعده؛ لأنها أسماء فاعلين، تعطي معنى الفعل، سرّ بديع، وهو: تصوير هذه الأفعال في النفس، وتجسيدها أمام العين، فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم

لما بينهما من التخالف، وهو أبلغ من التصوير والتجسيد بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي، وقد تقدمت له شواهد، أقربها قول عمرو بن معد يكرب:

بأنّي قد لقيتُ الغول تهوي بَسهْبٍ كالصَّحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهشٍ فخرّت صريعاً لليدين وللجِران

(٢) وفي قوله: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ استعارة في الخيل تشعل الحرب، فهي استعارة تصريحية؛ شبّه الحرب بالنار المشتعلة، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ ويقال: حمي الوطيس؛ إذا اشتدت الحرب.

(٣) وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ تجنيس التحريف، وبعضهم يسمّيه: الجناس المحرّف. وهو الذي يكون الضبط فيه فارقاً بين الكلمتين، أو بعضهما، وهو أيضاً: ما اتفق ركناه في أعداد الحروف واختلفا في الحركات، سواء كانا من اسمين، أو فعلين، أو اسم وفعل، أو من غير ذلك، والغاية فيه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ ولا يقال: إن اللفظين متّحدان في المعنى، فلا يكون بينهما تجانس؛ لأنّا نقول: المراد بالأول: اسم الفاعل، وبالثاني: اسم المفعول، فالاختلاف ظاهر، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهمّ كما حسَّنت خَلْقي فحسّن خُلُقي» ومثله قولهم: جبة البرد جنة البرد، ومنه قولهم: رطب الرطب ضرب من الضرب، ومن الشعر قول أبي تمام:

هُنَّ الحَمَامُ فإن كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حائِهنّ فإنَّهُنَّ حِمَامُ

ومثله قول المعرّي:

والحسنُ يظهرُ في شيئين رونقه بيت من الشّعرِ أو بيت من الشّعر

وله أيضاً:

لغيري زكاة من جِمالٍ فإن تكنْ زكاة جَمالٍ فاذكري ابنَ سبيل

(٤) في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الجناس اللاحق، وهو: الذي أبدل أحد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه سواء، كان الإبدال في الأول، أو الوسط، أو الآخر، وإن كان ما أبدل منه من مخرجه سُمِّي مضارعاً، فمثال الإبدال من الأول قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ والآية التي نحن بصددها مثال الإبدال من الوسط، ومثال الإبدال من الآخر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ ومن الأحاديث على هذا النمط أيضاً من الأول قوله عليه السلام: «الحمد لله الذي حسّن خلقي، وزانَ منّي ما شانَ من غيري». ومن الثاني: حديث الطبراني «لولا رجال ركّع، وصبيان رضّع، وبهائم رتّع» ومن الثالث: حديث الطبراني أيضاً: «لن تفنى أمتي حتى يظهر فيهم التمايز والتمايل». وحديث الديلمي أيضاً: «أحبّ المؤمنين إلى الله من نصّب نفسه في طاعة الله، ونصح لأمة محمد». ومن الأمثلة الشعرية على هذا الترتيب المذكور أيضاً قول أبي فراس:

إنَّ الغنـيَّ هـو الغنـيُّ بنفسـه ... ولو أنه عاري المناكب حافي
ما كلُّ ما فوق البسيطةِ كافياً ... وإذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافي

ومن الثاني قول البحتري:

وقعـودي عـن التقلُّـبِ والأر ... ضُ لمثلـي رحيبـةُ الأكنـافِ
ليس عن ثروةٍ بلغت مداها ... غير أنّي امرؤٌ كفاني كفافي

ومن الثالث قول بعضهم:

شوقي لذاك المحيَّا الزَّاهر الزَّاهي ... شوقٌ شديدٌ وجسمي الواهن الواهي
أسَهَرْتُ طرفي وولهت الفؤاد هوى ... فالقلبُ والطّرفُ بين السَّاهر السَّاهي

* * *

سُورَةُ القَارِعَةِ

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ
ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ
ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾
نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها، وفي المختار: وقرع، من باب: قطع، والقارعة: الشديدة من شدائد الدهر، وهي: الداهية. وفي المصباح: قرعت الباب: قرعاً، بمعنى: طرقته، ونقرت عليه.

(الفراش) في القاموس: والفراشة: التي تهافت في السراج، والجمع:

فَراش، ومن القفل: ما ينشب فيه، وكل عظم رقيق، والماء القليل، والرجل الخفيف، وقرية بين بغداد والحلّة، وموضع بالبادية، وعلم، ودرب فراشة: محلة ببغداد، والفراش كسحاب: ما يبس بعد الماء من الطين على الأرض، ومن النبيذ الحبب الذي يبقى عليه، وعرقان أخضران تحت اللسان، والحديدتان يربط بهما العذران في اللجام، وبالكسر: ما يفرش، والجمع: فُرُش، وزوجة الرجل، قيل: ومنه: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ وعش الطائر، وموقع اللسان في قعر الفم. وقد خلط صاحب المنجد، فمزج الفراشة والفراش في مادة واحدة، وجعل من معاني الفراش: الرجل الخفيف، وإنما هو فراشة، وسيأتي المزيد من معنى هذا التشبيه في باب البلاغة.

﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾ المتفرق المنتشر، يقال: قد بسط فلان خيره، وبثّه، وبقّه؛ إذا وسعه، قال:

وبَسَطَ الخَيْرَ لنا وبقّه فالناسُ طُرّاً يأكلون رِزْقَه

﴿كَٱلْعِهْنِ﴾ الصوف الأحمر، واحدها: عهنة.

﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾ اسم مفعول، من: النفش، وهو ـ كما في القاموس ـ: تشعيث الشيء بأصابعك حتى ينتشر كالتنفيش، والنَّفَش ـ بالتحريك ـ: الصوف، وعبارة ابن خالويه: يقال: نفشت الصوف، والقطن، وسبّخته: إذا نفشته، وخففته، كما يفعل النادف، ويقال لقطع القطن وما يتساقط عند الندف: السبيخة، وجمعها: سبائخ، ويقال: سبخ الله عنك الحُمّى، أي: خففها، وسلها عنك، ومن ذلك: أن النبي ﷺ رأى عائشة تدعو على سارق سرقها، فقال: «لا تسبّخي عنه بدعائك عليه».

○ الإعراب:

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تقدم إعرابها في: الحاقة ما الحاقة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تقدم إعرابها في: ما أدراك ما الحاقة، فجدّد بها عهداً

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ الظرف نصب بمضمر، دلّت عليه القارعة، أي: تقرع القلوب بأهوالها يوم القيامة، ولا يجوز أن يكون معلقاً بالقارعة الأول؛ للفصل بينهما بالخبر، ولا بالثاني، والثالث لعدم التئام الظرف معهما من حيث المعنى، وجملة يكون في محل جر بإضافة الظرف إليها، والناس اسم يكون، وكالفراش خبرها، والمبثوث نعت للفراش، ويجوز أن تكون: يكون تامة، فيكون الناس فاعلاً، وكالفراش حال من فاعل يكون التامة، أي: يوجدون، ويحشرون حال كونهم كالفراش ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ عطف على الآية السابقة، مماثلة لها في إعرابها ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ الفاء تفريعية، وأما حرف شرط وتفصيل، ومن اسم موصول مبتدأ، وجملة ثقلت موازينه صلة لمن لا محل، والفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط، وهو مبتدأ ثانٍ، وفي عيشة خبره، وراضية صفة، والمبتدأ الثاني، وخبره خبر الأول، وهو: من، وسيأتي معنى راضية في باب البلاغة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ عطف على الجملة السابقة، وأمه مبتدأ، وهاوية خبر أمه، والجملة خبر من ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ الواو عاطفة، وما اسم استفهام مبتدأ، وجملة أدراك خبر، والكاف مفعول به أول، وما اسم استفهام مبتدأ، وهي خبر، والهاء للسكت، وجملة ما هيه المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ مفعول أدراك الثاني. والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهي المهواة التي لا يدرك قعرها، ولا يسبر غورها، وقال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أمه، وقيل: أراد أم رأسه، يعني: أنه يهوون في النار على رؤوسهم، وعبارة الزمخشري: فأمه هاوية، من قولهم: إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه؛ لأنه إذا هوى، أي: سقط، وهلك، فقد هوت أمه ثكلاً وحزناً، قال:

هَوَتْ أُمُّه ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِياً ... وماذا يَرُدُّ اللَّيلُ حين يَؤُوبُ

والبيت لكعب في مرثية أخيه، وهوت أمه دعاء، لا يُراد به الوقوع، بل التعجب، وما اسم استفهام مبتدأ، وما بعده خبر، والمعنى: أي شيء يبعثه الصبح منه، وأي شيء يردّه الليل، ولا بدّ من تقدير منه التجريدية، يعني: أنه كان يغدو في طلب الغارة، ويرجع في الليل ظافراً، وما في الموضعين من الاستفهام معناه: التعجب، والاستعظام، وإسناد الفعل للصبح، والليل مجاز ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ نار خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي، وحامية نعت. هذا، ويكثر حذف المبتدأ في جواب الاستفهام، وبعد فاء الجواب، وبعد القول.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ فن التكرير، والمراد به: تهويل شأنها، وتفخيم لفظاعتها، وقد تقدّم بحثه كثيراً.

(٢) وفي قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ تشبيهان رائعان، وهو تشبيه مرسل مجمل؛ لأن وجه الشبه حذف، ففي الأول وجوه الشبه كثيرة، منها:

١ ـ الطيش الذي لحقهم. ٢ ـ وانتشارهم في الأرض. ٣ ـ وركوب بعضهم بعضاً. ٤ ـ الكثرة التي لا غناء فيها. ٥ ـ والضعف، والتذلل، وإجابة الداعي من كل جهة. ٦ ـ والتطاير إلى النار للاحتراق من حيث لا تريد الاحتراق.

أما تشبيه الجبال بالعهن المنفوش، فهو أيضاً تشبيه مرسل مجمل، وأوجه الشبه كثيرة أيضاً، منها.

١ ـ تفتتها وانهيارها. ٢ ـ وصيرورتها كالعهن. ٣ ـ ثم صيرورتها كالهباء.

وقد تشبث الشعراء بهذه المعاني، فقال جرير يهجو الفرزدق:

أبلغْ بني وقبان أنَّ حُلُومَهم خفّت فما يزنون حبّةَ خردلِ
أزرى بحلمكم الغباش فأنتم مثلُ الفراشِ غشين نار المصطلي

وقال أبو العلاء المعرّي في رثاء والده:

فيا ليت شعري هل يخفّ وقاره إذا صار أحدٌ في القيامةِ كالعهن
وهل يرد الحوضَ الرويّ مبادراً مع الناسِ أم يأبى الزِّحام فيستأني

وأولها:

نقمتُ الرضاحتى على ضاحكِ المزن فلا جادني إلا عبوسٌ من الدّجْن
وليت فمي إن شاء سنِّي تبسّمي فم الطَّعنة النَّجلاء تدمى بلا سنِّ

(٣) وفي قوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ مجاز مرسل؛ لأن الذي يرضى بها الذي يعيش فيها، فهو مجاز مرسل، علاقته المحلية، وقيل: راضية بمعنى مرضية، وأول من ألّف في مجازات القرآن في أواخر القرن الثاني الهجري أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه: «مجاز القرآن» وقد أشرنا إليه في هذا الكتاب، وهو يقدّم لكتابه بمقدمة في بحوث لغوية عامة في القرآن، يبدؤها ببحث كلمة قرآن، وله رأي خاصّ في اشتقاق هذه الكلمة، ينقله عنه المتأخرون، وهو قوله: إنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمّها، وتفسير ذلك آية في القرآن، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ ويستشهد عليه من كلام العرب، ويدلف بعد ذلك إلى نص القرآن، وما يتضمنه من فنون الكلام، منبّهاً إلى أن القرآن يشابه في نظمه كلام العرب، فيقول: وفي القرآن مثل ما في كلام العرب من وجوه الإعراب والمعاني. ويذكر تلك الوجوه مع أمثلة لها، ويتعرض لها بالتفصيل منبِّهاً، وبصدد الآية، قال: ومن مجاز ما يقع المفعول إلى الفاعل قال: ﴿ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ المعنى: على الشاة المنعوق بها، وحول على الراعي الذي ينعق بالشاة، وقال: كالنهار مبصراً له مجازان، أحدهما: أن العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى: أنه مفعول؛ لأنه ظرف يفعل فيه غيره، ولأن النهار لا يبصر، ولكنه يبصر فيه الذي ينظر، وفي القرآن:

﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها. وخلاصة القول في كتاب المجاز: أنه كان خطوة في سبيل الكلام في طرق القول، أو المجاز بمعناه العام، وقد حاول أن يكشف عن بعض ما جاء من ذلك في أسلوب القرآن، مع مقارنته بما جاء في الأدب العربي، وساعد عليه محصوله الغزير فيه.

* * *

سُورَةُ التَّكَاثُر

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ
لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ ألهاكم التكاثر فعل ماض، ومفعول به مقدّم، وفاعل مؤخر، والتكاثر: التباري في الكثرة، والتباهي بها، وأل في التكاثر للعهد، وهو التكاثر في الدنيا، ولذاتها، وما يبدو فيها من تعاجيب، وتهاويل تستهوي الناظر، وتخدعه إلى حين، وحتى يجوز أن تكون عاطفة، ويجوز أن تكون حرف غاية وجر، وعلى كل حال هي بمثابة الغاية للإلهاء، وزرتم المقابر فعل ماضٍ، وفاعل، ومفعول به، والمراد

بالزيارة: التفاخر بالموتى، أي: أبلغ منكم الطيش والبَلَهْ حدّاً دعاكم إلى زيارة القبور، أو أضفتم إلى التكاثر بالأموال زيارة القبور لتتكاثروا بالموتى، ويجوز أن يكون المعنى: ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متّم وقبرتم، وقد أضعتم أعماركم فيما لا طائل تحته، وأغفلتم، وضيعتم ما هو الأهم والأجدى من السعي لأخراكم، فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت، وتتعين حتى الغائية الجارّة ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ كلا حرف ردع وزجر عن التشاغل عن الطاعات، والجنوح إلى الزخارف والظواهر، وسوف حرف استقبال، وتعلمون فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، وثم حرف عطف، وسوف تعلمون عطف على الجملة الأولى، وجعله ابن مالك من باب التوكيد اللفظي، مع توسط حرف العطف، وقال الزمخشري: والتكوير: تأكيد للردع والإنذار، وثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشدّ، كما تقول للمنصوح: أقول لك، ثم أقول لك: لا تفعل. وجواب لو محذوف، يعني: لو تعلمون ما أمامكم من هَوْل لفعلتم ما لا يمكن وصفه، واكتناهه، ولكنهم جَهَلَة ضلاّل. وتعلمون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والمفعول محذوف، تقديره: عاقبة التلهّي، والتفاخر، والتكاثر، وعلم اليقين مصدر، قيل: وأصله: العلم اليقين، فهو من باب إضافة الموصوف إلى صفته، وعبارة أبي البقاء: وعين اليقين مصدر على المعنى؛ لأن رأى وعاين بمعنى واحد. ولا يصحّ أن يكون قوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾ هو الجواب؛ لأنه محقق الوقوع، فلا يعلق، واللام جواب قسم محذوف، وترون فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وأصله: لترأيون، فلما تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، وحذفت لسكونها وسكون الواو بعدها، ثم ألقيت حركة الهمزة التي هي عين الكلمة على الراء، وحذفت لثقلها، ثم دخلت النون المشددة التي هي للتوكيد، فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، كما قدّمنا، وحرّكت الواو بالضم لالتقاء الساكنين، ولم تحذف، لأنها لو حذفت لاختلّ

الفعل بحذف عينه، ولامه، وواو الضمير ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ عطف على ما تقدم، وعين اليقين نصب على أنها صفة لمصدر محذوف، أي: لترونها رؤية عين اليقين وصفت الرؤية؛ التي هي سبب اليقين بكونها عين اليقين ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ عطف أيضاً، وتسألن فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الفاعل حذفت لالتقاء الساكنين، والنون نون التوكيد الثقيلة، ويومئذ، وعن النعيم متعلقان بتسألن، فالمبالغات ست، ستأتي في باب البلاغة.

□ البلاغة:

اشتملت هذه السورة على مبالغة من وجوه ستة، نوردها فيما يلي:

١ ـ تكرير الإنذار للدلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول في قوله: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

٢ ـ تكرير التنبيه فقال: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ محذوف الجواب ليذهب الخيال في تقديره كل مذهب، وقد أوردناه لك في الإعراب.

٣ ـ القسم في قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ لتوكيد الوعيد.

٤ ـ وكرر القسم معطوفاً بثم بقوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ تغليظاً في التهديد وزيادة في الوعيد.

٥ ـ جعل الرؤية: ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ وخالصته مبالغة خاصة.

٦ ـ كرر القسم معطوفاً بثم بقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فإن قلت: ما هو النعيم الذي يسأل عنه الإنسان، ويعاتب عليه، فما من أحد إلا له نعيم؟ قلت: هو نعيم المتبطلين المتبجحين؛ الذين جنحوا إلى اللذات، وأوضعوا في الآثام، واستنزفوا أوقاتهم باللهو، والطرب، ومنادح اللذة لا يبغون عنها بديلاً، ولا يقدمون شيئاً لدنياهم وأخراهم، فألف في النعيم للاستغراق.

* * *

سُورَةُ العَصْرِ

آياتها ٣ ترتيبها ١٠٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قال في القاموس: العصر مثلثة، وبضمتين: الدهر، والجمع: أعصار، وعصور، وأعصر، وعصر، والعصر: اليوم والليلة، والعشي إلى احمرار، الشمس، ويحرّك، والغداة، والحبس، والرهط، والعشيرة، والمطر من المعصرات، والمنع، والعطية، عصره يعصره، وبالتحريك: الملجأ، والمنجاة، كالعصر بالضم. إلى آخر هذه المادة الطويلة. فإن قلت: ما المراد به هنا؟ قال ابن عباس: هو الدهر، أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب، وقال قتادة: العصر: العشي، أقسم به، كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة، وقيل: العصر:

اليوم والليلة، ومنه قول حميد بن ثور:

ولن يَلْبَثَ العَصْرَانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلبا أن يُدْرِكا ما تَيَمَّمَا

وقال مقاتل: العصر: الصلاة الوسطى، أقسم بها. وبهذا القول بدأ الزمخشري قال: «لفضلها». قال ابن خالويه: وقرأ سلام أبو المنذر: والعصر بكسر الصاد والراء، وهذا إنما يكون في نقل الحركة عند الوقف، كقولك: مررت ببَكِرْ، تعلو كسرة الراء إلى الكاف عند الوقف، وكذلك يفعلون في المرفوع، ولا ينقلون في المنصوب إلا في ضرورة شاعر. قال سيبويه: الوقف على الاسم بستة أشياء: بالإشمام، والإشباع، وروم الحركة، ونقل الحركة، والتشديد، والإسكان. ونقول: الإشمام ضم الشفتين بعد الإسكان في المرفوع والمضموم للإشارة إلى الحركة من صوت، والغرض به: الفرق الساكن والمسكن في الوقف، والروم: هو أن تأتي بالحركة مع إضعاف صوتها، والغرض به هو الغرض بالإشمام، إلا أنه أتم في البيان من الإشمام، فإنه يدركه الأعمى والبصير، والإشمام لا يدركه إلا البصير.

﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ لفظ يقع للذكر والأنثى من بني آدم، وربما أنّثت العرب فقالوا: إنسان، وإنسانة، قال:

إنسانة تسقيكَ من إنسانِها خمراً حلالاً مُقْلَتاها عنبه

وأل فيه لاستغراق الجنس، فيشمل المؤمن والكافر بدليل الاستثناء.

﴿خُسْرٍ﴾ غبن، والخسر والخسران سواء، قال في المصباح: خسر في تجارته خسارة بالفتح، وخسراً، وخسراناً، ويتعدى بالهمزة، فيقال: أخسرته فيها، وخسر، خسراً، وخسراناً أيضاً: هلك.

○ الإعراب:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ الواو حرف قسم وجر، والعصر مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف،

وجملة إن الإنسان . . . إلخ جواب القسم لا محل لها، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي خسر خبر إن ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ إلا أداة استثناء، والذين مستثنى من الإنسان؛ لأنه اسم جنس كما تقدم، وجملة آمنوا صلة لا محل لها، وعملوا الصالحات عطف على آمنوا، وتواصوا بالحق عطف أيضاً، أي: أوصى بعضهم بعضاً، وهو فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعل، وتواصوا بالصبر عطف أيضاً.

* * *

سُورَةُ الهُمَزَةِ

ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾

☆ **اللغة:**

﴿هُمَزَةٖ﴾ في المختار: الهمز كاللمز وزناً ومعنى، وبابه: ضرب. وفيه أيضاً: واللمز: العيب، وأصله: الإشارة بالعين، ونحوها، وبابه: ضرب، ونصر. والتاء فيهما للمبالغة في الوصف، وقد تقدم أن بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل، أي: المكثرة لمأخذ الاشتقاق، وبناء فُعْلة بضم الفاء وسكون العين لمبالغة المفعول، يقال: رجل لُعَنة بضم اللام وفتح العين؛ لمن كان يكثر لعن غيره، ولُعْنة بضم اللام وسكون العين؛ إذا كان

ملعوناً للناس يكثرون لعنه، وعبارة السمين: والعامة على فتح ميميهما، على أن المراد: الشخص الذي يكثر منه ذلك الفعل، وقرأ الباقون بالسكون، وهو الذي يهمز، ويلمز، أي: يأتي بما يهمز به، ويلمز، كالضحكة؛ لمن يكثر ضحكه، والضحكة؛ لمن يأتي بما يضحك منه، وهو مطّرد، أعني أن فعلة بفتح العين لمن يكثر منه الفعل، وبسكونها لمن يكثر الفعل بسببه.

وعبارة ابن خالويه: والهاء في همزة دخلت للمبالغة في الذم، كقولهم: رجل همزةٌ لمزةٌ، أي: عياب مغتاب، ورجل فَرُوقة، صخابة، جخّابة: كثير الكلام والخصومات، نقّاقةٌ، مِهْذارة، هِلْباجَةٌ. قال الأصمعي: سألت أعرابياً عن الهلباجة، فقال: هو الطويل، الضخم، الأحمق، الكثير الفضول، الكثير الأكل، السيىء الأدب، وإن وقفت نعتُّه إلى غد، فليس في العيوب شيء أسوأ من الهلباجة. فلما دخلت الهاء لذلك، استوى المذكر والمؤنث، فقيل: امرأة همزة، ورجل همز، وامرأة فروقة، ورجل فروقة، ولا يثنى، ولا يجمع، يقال: رجال همزة، ونساء همزة، قال النحويون: إذا أدخلوا الهاء في الممدوح ذهبوا به مذهب الداهية ذي الإربة، وهو العقل، كما قيل: رجل علاّمة، ونسّابة، فإذا أدخلوا الهاء في المذموم ذهبوا به مذهب البهيمة، ومثله قوله: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ الهاء للمبالغة، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ الهاء للمبالغة، وأنشد:

تُـدْلِي بِوُدِّي إذا لاقيتَنِي كَذِباً وإنْ أُغَيَّبْ فأنتَ الهامزُ اللُّمَزَهْ

فالهامز: المغتاب، واللامز: العيّاب، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي: يصيبك. والذي استخلصناه من كتب اللغة هو التصريف التالي لكليهما:

يقال: همزه يهمزه بضم الميم وبكسرها، همزاً: غمزه، وضغطه، ونخسه، ودفعه، وضربه، وعضّه، واغتابه في غيبته، فهو همّاز، وهمُزة، كسرة، وهمز الشيطان الإنسان: همس في قلبه وسواساً، وهمز به الأرض:

صرعه، وهمز الفرسَ: نخشه بالمهماز ليعدو، وهمز العنب، أو رأسه: عصره، وهمز الكلمة، أو الحرف: نطق بها بالهمز، أو: وضع لها علامة الهمز.

ويقال: لمزه يلمزه ـ بضم الميم، وبكسرها ـ لمزاً: عابه، وأشار إليه بعينه، ونحوها، مع كلام خفي، ودفعه، وضربه، ولمزه الشيب: ظهر فيه، وقال سعيد بن جبير: الهمزة: الذي يهمز الناس بيده، ويضربهم، واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه، ويعيبهم. وقال ابن كيسان: الهمزة: الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه، ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه، وهناك أقوال أُخرى ترجع كلها إلى أصل واحد، وهو: الطعن، وإظهار العيب.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ قال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين: العامة على تثقيل الدال الأولى، وهو أيضاً للمبالغة، وقرأ الحسن والكلبي بتخفيفها، فمن شدّد ميمه نظر للمبالغة والتكثير، ومن خفف ميمه جعله محتملاً للتكثير، وعدمه. والمعنى: جمعه، وضبط عدده، وأحصاه.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ ليطرحنّ، وعبارة ابن خالويه: ومعنى ينبذن: يتركن في جهنم، قال الله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: تركوه، والصبيّ المنبوذ: المتروك، وهو ولد الحركة، والمدغدغ، وابن الليل، وهو ولد الخبيثة، وهو النّغِل، وابن المساعاة، كله ولد الزناء.

﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾ من أسماء النار، أي: التي تحطم كل ما ألقي فيها، وفي المختار: حطمه، من باب: ضرب، أي: كسره، فانحطم، وتحطم، والتحطيم: التكسير، والحطمة من أسماء النار؛ لأنها تحطم ما تلتقم.

﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ مطبقة، قال:

تَحِنُّ إلى جِبالِ مكَّةَ ناقتي ومِن دُونِها أبوابُ صَنْعاءَ مُؤْصَدَةْ

﴿عَمَدٍ﴾ قرىء بفتحتين، وبضمتين، وبضم فسكون، أما الأولان فهما

جمعان لعمود، ففي كتب اللغة: العمود: ما يقوم عليه البيت وغيره، وقضيب الحديد، والجمع: أعمدة، وعمد، وعُمُد، وأما الثالث فهو تخفيف لقراءة عمد بضمتين، وعبارة ابن خالويه: والعمد: جمع عمود، ولم يأت في كلام العرب على هذا الوزن إلا أحرف أربعة: أديم وأدم، وعمود وعمد، وأفيق وأُفق، وإهاب وأهب، وزاد الفراء خامساً: قضيم وقضم، يعني: الصكاك، والجلود، وقرأ أهل الكوفة في عمد بضمتين، وهو أيضاً جمع عمود، مثل رسول ورسل، وروى هارون عن أبي عمرو (في عَمْدٍ) بسكون الميم تخفيفاً، مثل: رسول ورُسْل.

○ الإعراب:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ ويل مبتدأ، ولكل همزة خبره، وسوّغ الابتداء به مع أنه نكرة؛ ما تضمنه من معنى الدعاء عليهم بالهلكة، وعبارة ابن خالويه: فإن سأل سائل: فقال: ويل نكرة والنكرة لا يبتدأ بها، فما وجه الرفع؟ فقل: النكرة إذا قربت من المعرفة صلح الابتداء بها، نحو: خير من زيد رجل من بني تميم، ورجل في الدار قائم، وكذلك ألف الاستفهام مسهلة الابتداء بالنكرة، نحو قوله: أمنطلق أخوك؟ هذا قول. وقال آخرون: ويل معرفة لأنه اسم وادٍ في جهنم، نعوذ بالله منه، فإن قيل: وهل تعرف العرب ذلك؟ فقل: إن ألفاظ القرآن تجيء لفظاً عربياً مستعاراً، كما سمّى الله تعالى الصنم بعلاً، حيث اتخذ رباً، والصنم عذاباً، ورجزاً، فقال: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ لأن من عبد الصنم أصابه الرجز، فسمّي باسم مسبّبه، فلما كان الويل هلاكاً وثبوراً، ومَن دخل النار فقد هلك، جاز أن يسمّى المصير إلى الويل: ويلاً، وكذلك: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قيل: واد في جهنم، نعوذ بالله منه. ويجوز في النحو: ويلاً لكل همزة على الدعاء، أي: ألزمه الله ويلاً، قال جرير:

كَسَا اللُّؤمُ تَيْماً خُضْرةً في جُلُودِها		فَوَيْلاً لِتَيْمٍ من سَرَابيلِها الخُضْرِ

بالنصب الرواية الصحيحة، وأجاز الكوفيون: ويلٌ، وويلُ، وويلَ،

وويلاً، على حسم الإضافة على إرادتها، والويس: كلمة أخفّ من الويل؛ والويح: كلمة أخفّ من الويس، والويب: كلمة أخف من الويح. ويل لزيد، وويلَه، وويحه، وويسه، وويبه، فمتى انفرد جاز فيه الرفع والنصب، ومتى أُضيف لم يكن إلا منصوباً؛ لأنه يبقى بلا خبر، ومتى انفصل جعلت اللام خبراً، وقال الحسن: ويحٌ كلمة رحمة، فإن قيل: كيف تصرف الفعل من ويح، وويس، وويل؟ فقل: ما صرّفت العرب منها فعلاً، فأما هذا البيت المعمول:

فما وال وما واح ... وما واس أبو زيد

فلا تلتفتنّ إليه، فإنه مصنوع خبيث. ولمزة بدل من همزة، وهذه عبارة ابن خالويه: لمزة بدل منه، والمِهْمَزَة: عصا في رأسها حديدة تكون مع الرائض، يهمز بها الدابة، والجمع: مهامز، قال عديّ يصف فرساً:

نصفه جوزه نصيرٌ شواه ... مُكْرمٌ من مهامزِ الرُّوَّاض

وأنشد أبو محلِّم:

هل غير همزٍ ولمزٍ للصّديق ولا ... ينكي عدوكُمُ منكم أظافير

وقيل: تأكيد لهمزة تأكيداً لفظياً بالمرادف، والذي بدل من كل بدل المعرفة من النكرة، أو نصب بفعل محذوف على الذم، وأعربها ابنُ خالويه نعتاً لكل همزة لمزة، وليس ببعيد، وجملة جمع صلة للذي لا محل له، وفاعل جمع مستتر، تقديره: هو، يعود على كل همزة لمزة، ومالاً مفعول به، وعدده عطف على جمع، وعبارة ابن خالويه: وعدده نسق عليه، والمصدر عدّد، يعدّد، تعديداً، فهو معدِّد والهاء مفعول به، وقرأ الحسن: جمع مالاً وعدده بالتخفيف، أي: جمع مالاً، وعرف عدده، وأحصاه، فَمن خفّف جعل العد مصدراً، واسماً، ومَن شدّد جعله فعلاً ماضياً. وهذا قول في معنى التخفيف، وقيل: وجمع عدد نفسه من عشيرته، وأقاربه، وعدده، وهي على هذا التأويل اسم أيضاً معطوف على مالاً، أي: وجمع عدد المال، أو عدد نفسه، وقيل أيضاً: إن عدده فعل ماضٍ بمعنى: عدّه،

إلا أنه شذّ في إظهاره، والقياس الإدغام، كما شذّ الشاعر في قوله: «إني أجود لأقوام وإن ضنّوا» أي: بخلوا ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ الجملة حال من فاعل جمع، أي: حاسباً، ظانّاً أن المال سيخلده، أي: يوصله إلى رتبة الخلود، فلا يموت، ويجوز أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً في سؤال، كأنه قيل: ما باله يجمع المال، ويهتم به؟! وأن واسمها، وجملة أخلده خبرها، وأن وما في حيِّزها سدّت مسدّ مفعولي يحسب، وفي المختار: الخلد بالضم: البقاء، وبابه: دخل، وأخلده الله، وخلد تخليداً.

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ كلا ردع وزجر له عن حسبانه، أي: ليس الأمر كما دار في خلده من: أن المال يخلده، واللام جواب قسم محذوف، وينبذنّ فعل مضارع مبني للمجهول، ومبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: هو، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وفي الحطمة متعلقان بينبذنّ، والواو حرف عطف، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة أدراك جملة فعلية في محل رفع خبر، وما اسم استفهام مبتدأ، والحطمة خبر، والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ مفعول أدراك الثاني، وقد تقدمت له نظائر كثيرة، ونار الله خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي نار الله، والموقدة نعت للنار، وأجاز ابن خالويه أن تكون بدلاً من الحطمة، والموقدة نعت لنار الله، وعبارته: نار الله الموقدة: إن شئت جعلت النار بدلاً، وإن شئت رفعتها بخبر مبتدأ مضمر، أي: هي: نار الله، واسم الله تعالى جر بالإضافة، والموقدة نعت للنار، وزنها مُفعلة، من: أوقدت، أوقد، إيقاداً، فأنا موقِد، والنار موقَدة، وقد وقدت النار نفسها، تَقِد، وَقْداً، ووُقوداً بضم الواو، فهي واقدة، قال الله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ يعني: حجارة الكبريت، والوَقود بالفتح: الحطب، وقرأ طلحة وُقودها بضم الواو، جعله مصدراً، قال الشاعر ـ حاتم الطائي ـ:

ليلك يا موقدَ ليل قَرٌّ والرِّيحُ مع ذلك ريحٌ صرٌّ
أوقد يرى نارك مَن يمرّ إن جلبتَ ضيفاً فأنت حرّ

وهذا أحسن ما قيل في معناه.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ التي نعت للنار، ويجوز أن تكون في محل رفع أيضاً خبراً لمبتدأ محذوف، وجملة تطّلع صلة التي لا محل لها، وفاعل تطّلع هي يعود على النار، وعلى الأفئدة معلقان بتطلّع، ووزن تطّلع تفتعل أبدلت تاء الافتعال طاء لوقوعها بعد طاء، وكذلك تبدل طاء إذا وقعت صاد، أو ضاد، أو ظاء، قال عروة بن أُذينة:

عاود القلبَ خيالٌ رَدَعَهْ كلما قلت تناهى أطلعه
يا له داء ترى صاحبه ساهَم الوَجْهِ له مُمتقعه

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ إن واسمها، وعليهم متعلقان بمؤصدة، وفي عمد صفة لمؤصدة، وإليه ذهب أبو البقاء، فتكون النار داخل العمد، وقيل: بمحذوف خبر لمبتدأ مضمر، ورجّح السمين أن يكون حالاً من الضمير في ﴿عَلَيْهِم﴾ أي: موثقين، وممددة نعت للعمد.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ بعد: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ مقابلة لفظية رائعة البلاغة، فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة، دلّت على أنها راسخة فيه، ومتمكنة منه، اتبع المبالغة المتكررة في الهمزة واللمزة بوعيده بالنار؛ التي سمّاها الحطمة، لما يكابد فيها من هَوْل، ويلقى فيها من عذاب، واختار في تعيينها صيغة مبالغة، على وزن الصيغة التي ضمنها الذنب المقترف، حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزاء، فهذا الذي ضري بالذنب جزاؤه هذه الحطمة؛ التي هي ضارية أيضاً تحطم كل ما يلقى فيها، قيل: نزلت هذه السورة في الأخنس بن شريق، وكان من عادته: الغيبة، والوقيعة، وقيل: في أُمية بن خلف، وقيل: في الوليد بن المغيرة،

واغتيابه لرسول الله ﷺ، وغضّه منه، ولئن كان السبب خاصّاً، فإن الوعيد كان عامّاً يتناول كلُّ مَن اتّسم بهذه السمة الموهونة؛ ليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه، فإن ذلك أزجر له، وأنكى فيه، وقد مرّ بحث التعريض، وهو عبارة عن أن يكني الإنسان بشيء عن آخر، ولا يصرّح به؛ لئلا يأخذه السامع لنفسه، ويعلم المقصود منه كقول القائل: ما أقبح البخل! فيعلم أنك أردت أن تقول له: أنت بخيل، وكقول بعضهم للآخر: لم تكن أُمّي زانية، يعرض بأن أُمّه زانية. والتعريض على كل حال نوع من الكناية، ومن أمثلته الشعرية قول الحجّاج يُعرِّض بمن تقدمه من الأُمراء:

لستُ بِراعِي إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بِجَزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

* * *

سُورَةُ الفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ
مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

☆ **اللغة:**

﴿الْفِيلِ﴾ حيوان من أضخم الحيوانات، له خرطوم طويل، يرفع به العلف، والماء إلى فمه، ويضرب به، ويجمع على: أفيال، وفِيَلة، وفُيول، ومؤنثه: فيلة، والفيل أيضاً: الخسيس الثقيل، وداء الفيل مرض يحدث منه غلظ كثيف في القدم والساق، تتخلله عجر صغيرة ناتئة، والفيّال صاحب الفيل، والجمع: فيّالة، وفالُ الرأي، وفائله، وفيله: ضعيفه، والفيالة ضعف الرأي.

﴿تَضْلِيلٍ﴾ ضياع، وخسار، وهلاك، وقيل لامرىء القيس: الملك

الضليل؛ لأنه ضلّل ملك أبيه، أي: ضيّعه.

﴿طَيْرًا﴾ الطير اسم جنس يذكّر ويؤنّث، وأنشد محمد بن القاسم في تذكير الطير:

لقد تركت فؤادك مستهاماً مطوّقة على فنن تَغَنّى
تميلُ به وتركبه بلحنٍ إذا ما عنّ للمحزونِ أنّا
فلا يغررْك أيامٌ تولّى بذكراها ولا طيرٌ أرنّا

﴿أَبَابِيلَ﴾ قال ابن خالويه: أبابيل نعت للطير، أي: جماعات، واحدها: إبَّوْل، مثل عِجّول وعجاجيل، وقال أبو جعفر الرؤاسي: واحدتها إبّيل، وقال آخرون: أبابيل لا واحد لها، ومثلها أساطير، وذهب القوم شماطيط، وعبابيد، وعباديد، كل ذلك لم يسمع واحده، وقال آخرون: واحد الأساطير أُسطورة، والأبيل في غير هذا الراهب، والوبيل: العصا، يقال: رأيت أبيلاً، أي: راهباً متكئاً على وبيل، ويسوق أفيلاً. الأفيل: ولد الناقة، قال عدي:

أبلغِ النُّعمانَ عنّي مألُكاً قول مَن خافَ اظّناناً واعتذرْ
إنني واللهِ، فاقبلْ حلفتي بأبيل كلما صلّى جأرْ

وعبارة الزمخشري: أبابيل: خرائق، الواحدة: إبّالة، وفي أمثالهم: ضغث على إبالة، وهي: الحزمة الكبيرة، شبهت الفرقة من الطير في تضامها بالإبالة، وقيل: أبابيل، مثل عباديد، وشماطيط، لا واحد لها. وفي القاموس: وأبابيل: فرق، جمع بلا واحد والإبالة كإجّانة، ويخفف، وكسكّيت، وعِجّول، ودينار: القطعة من الطير، والخيل، والإبل، أو المتتابعة منها.

﴿سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ محرق كالآجر، وعبارة الزمخشري: وسجيل، كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفّار، كما أن سجيناً علم لديوان أعمالهم، كأنه قيل: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن، واشتقاقه من: الإسجال، وهو: الإرسال؛ لأن العذاب موصوف بذلك، وأرسل

عليهم طيراً ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من طين مطبوخ، كما يطبخ الآجر، وقيل: وهو معرب من سنككل، وقيل: من شديد عذابه، ورووا بيت ابن مقبل: ضرباً تواصتْ به الأبطال سجيلاً. وإنما هو سجيناً، والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه. قلت: وهي قصيدة جيدة، وجاء في أولها:

طاف الخيالُ بنا ركباً يمانينا ودُونَ ليلى عواد لو تعدينا
وإنّ فينا صبوحاً إن رأيتِ به ركباً مهيباً وآلاماً هما فينا
ورفقة يضربونَ البيضَ ضاحيةً ضَرْباً تواصتْ به الأبطالُ سجينا

وأراد بالخيال: طيف محبوبته ليلى، وركباً حال من ضمير بنا، ويمانين جمع يمان، وأصله: يماني، فهجرت الياء لبقاء الألف الدالّة على النسب، والحال: إن بيننا وبين ليلى مسافة بعيدة، وعوادي عادية، ثم التفت إليها، وقال: لو تعديتها لوجدتها كثيرة مانعة من زيارتك، والحال: إن فينا فرساناً مستلئمة بأسلحتها، واستعار لها الصبوح، وهو اسم للخمر وقت الصباح، بجامع أن كلاً منها يأتي صباحاً، وفيه تهكم بأعدائه، وركباً، وإن رأيت، أي: إن أردت أن تعلمي به اعتراض حذف جوابه لدلالة الكلام عليه، والمهيب اسم مفعول الذي تهابه الناس، وتخشاه، وألام جمع لأم كشجر، وواحده لأمة كشجرة، هي درع صغيرة تلبس في الحرب، والمراد: حقيقتها، أو الفرسان اللابسة لها، وهما: أي: الألام والركب فينا، ورفقة عطف على ركباً، والبيض كناية عن السيوف، وضاحية ظاهرة، أي: يضربون بها، ويجوز قراءته بفتح الباء، أي: المغافر التي تلبس على الرؤوس، والمراد بها: نفس الرؤوس، والسجين: الشديد الذي يبطل حركة القتيل، كأنه من السجن، وهو الحبس، وهكذا الرواية عن ابن مقبل، وبعضهم رواه سجيلاً باللام، أي: شديداً، كأنه من التسجيل، أي: التقويةوالتثبيت، لكن القصيدة نونية كما رأيت. وقال البخاري في صحيحه: سجين وسجيل، واللام والنون أختان. ثم روى البيت.

أما ابن خالويه فزعم أن السجيل الشديد، قال: وقيل حجر وطين، والأصل: سَنْكْ وكِل، فعرّب.

﴿كَعَصْفٍ﴾ العصف، تقدم شرحه، وهو: ورق الزرع، ودقاق التبن.

○ الإعراب:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وترَ فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وفيما يلي نص عبارة ابن خالويه، فهي وافية بالغرض: وترَ: وزنه من الفعل تفعل، وقد حذف من آخره حرفان: الألف والهمزة، فالألف سقطت للجزم، وهي لام الفعل مبدلة من ياء، والهمزة هي عين الفعل سقطت تخفيفاً، والأصل: تر أيُ، فانقلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، فصارت ألفاً لفظاً وياء خطاً، ونقلوا فتحة الهمزة إلى الراء، وأسقطوها تخفيفاً؛ لأن الماضي من ترى رأيت مهموزاً، والمصدر من ذلك: رأيت زيداً بعيني أراه رؤية، فأنا راءٍ، ووزان راء فاعل، والأصل رائي، فاستثقلوا الضمة على الياء المتطرفة، فحذفوها، فالتقى ساكنان الياء والتنوين، فأسقطوا الياء لالتقاء الساكنين، فصار راءٍ، مثل: راعٍ وقاضٍ، فالهمزة في راء بإزالة العين في راعٍ، فإن شئت أثبته خطاً، فجعلت بعد الألف ياء عوضاً عن الهمزة، وإن شئت كتبته بألف، ولم تثبت الهمزة؛ لأن الهمزة إذا جاءت بعد الألف تخفى وقفاً، فحذفوها خطاً، وكذلك: جاءٍ، وشاءٍ، وساءٍ، ومَرَاءٍ، جمع: مرآة، كل ذلك أنت فيه مخيّر في الحذف والإثبات، فإذا أمرت مَن رأيت قلت: رَ يا زيد براء واحدة، فإذا وقفت قلت: رَهْ، وإنما صار الأمر على حرف واحد، والأصل ثلاثة؛ لأن الهمزة سقطت تخفيفاً والألف سقطت للجزم، فبقي الأمر على حرف، مثله مما يعتلّ طرفاه، فيبقى الأمر على حرف قول العرب: عِ كلامي، وشِ ثوبك، وقِ زيداً، ولِ الأمر، وفِ بالوعد، وأصله، من: وفَى يفي، ووعى يعي، ووشى يشي، وولي يلي، فذهبت الياء للجزم، والواو لوقوعها بين ياء

وكسرة، فبقي الأمر على حرف، قال الله تعالى: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ والأصل: إوقينا، ذهبت الياء للجزم والواو لوقوعها بين كسرتين، فبقيت قاف واحدة، فتقول: قِ يا زيد، وقِيا، وقُوا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ وكذلك تقول: رَ يا زيد، وريا للاثنين، ورَوْا للجماعة، ورَيْ يا هند، وريا مثل المذكرين، ورَيْن يا نسوة، فإذا وقفت على كل ذلك، قلت: عِهْ، وقِهْ بالهاء، لا غير. وكيف اسم استفهام في محل نصب على المصدرية، أو الحالية، واختار الأول ابن هشام في «المغني» قال: وعندي بأنها تأتي في هذا النوع مفعولاً مطلقاً أيضاً، وإن منه: ﴿كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾، إذ المعنى: أي فعلٍ فَعَل ربك؟ ولا يتجه فيه أن يكون حالاً من الفاعل أي: وهو ربك؛ لأنه يقتضي أن الفاعل، وهو الرب متّصف بالكيفيات والأحوال؛ لأن المعنى فعل ربك حال كونه على أي حالة وكيفية، واتصافه بها مُحال، والجملة المعلقة بالاستفهام سدّت مسدّ مفعولي ترَ؛ لأن الرؤية قلبية تفيد العلم الضروري المساوي في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان، وبأصحاب الفيل متعلقانِ بفعل ﴿أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويجعل فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل مستتر، تقديره: هو، يعود على الله تعالى، وكيدهم مفعول به أول، وفي تضليل في موضع المفعول الثاني ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ﴾ الواو حرف عطف، وأرسل عطف على ألم نجعل؛ لأن الاستفهام فيه للتقرير، فكان المعنى: قد جعل ذلك، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: هو، وعليهم متعلقان بأرسل، وطيراً مفعول به، وأبابيل نعت لطيراً؛ لأنه اسم جمع ﴿تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ﴾ الجملة نعت ثانٍ لطيراً، وترميهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبحجارة متعلقان بترميهم، ومن سجّيل نعت لحجارة ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ الفاء عاطفة، وجعلهم فعل ماضٍ، وفاعل مستتر، والهاء مفعول به أول، وكعصف في موضع المفعول الثاني، ومأكول نعت لعصف.

* الفوائـــد:

قصة أصحاب الفيل من القصص العربي الممتاز، وهي مطوّلة، ذكرها أهل التفسير والسير مطوّلة، ومختصرة، وخلاصتها: أن النجاشي ملك الحبشة، وهو أصحمة جدّ النجاشي؛ الذي آمنَ بالنبي ﷺ كان بعث أبرهة أميراً على اليمن، فأقام به، واستقامت له الكلمة هناك، وبنى كنيسة ليصرف إليها الحجاج من مكة، فأحدث رجلٌ من كنانة فيها، فحلف أبرهة ليهدمنّ الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصّته، وارجع إلى المطولات، وكان ذلك عام مولد النبي ﷺ.

* * *

سُورَةُ قُرَيْشٍ

ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ اضطربت أقوال المعربين والمفسرين في متعلق هذه اللام؛ التي هي مستهل السورة اضطراباً شديداً، لا نملك معه إمكانية البتّ في القول الحاسم، ولكننا سنختار ما جنحنا إليه، ثم نورد لك بعض أقوال المعربين؛ لأنهم أفرغوا كل طاقاتهم العلمية، وملكاتهم الذهنية في توجيه هذا المتعلق، فنقول: لإيلاف متعلق بقوله فيما بعد: فليعبدوا، كأنه قال: فإن لم يعبدوا الله لسائر نعمه السابغة المترادفة؛ فليعبدوه لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، وهي نعمة سابغة، أتاحت لهم الإتجار، وضمنت لهم ميسور الرزق. وإيلاف مصدر آلف رباعياً، بوزن أكرم، يقال: آلفته، أولفه، إيلافاً، وكانت لقريش رحلتان، يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي

الصيف إلى الشام، فيمتارون، ويتجرون، وكانوا في رحلتيهم آمنين؛ لأنهم أهل حرم الله، وسدنة بيته، فيهابهم الناس، ولا يتعرض لهم أحد، بينما كان المتجرون، وأرباب القوافل يستهدفون للمخاطر، ويتخطفهم الناس. تقول: آلفت المكان، أولفه، إيلافاً؛ إذا ألفته، فأنا مولف، قال:

شددت إليك الرَّحيلَ فوق شملةٍ ... مِنَ المُؤْلفاتِ الرَّهْوِ غيرِ الأَوَارِكِ

والشملال بالتشديد: الناقة الخفيفة السريعة السير، أي: شددت الرحل فوق ناقة سريعة السير، ذاهباً إليك وتلك الناقة من النوق المؤلفات، المعتادات الرهو، أي: السير السهل المستقيم، ويروى الزهو بالزاي، وهو سيرها بعد ورودها الماء، والأوارك: جمع: آركة، وهي المقيمات موضع الأراك، ترعاه، أو ترعى نبتاً آخر، يقال له الحمض، أي: ليست ناقتي كذلك، بل هي معلوفة، ومعدّة للسفر، وينسب هذا القول الذي اخترناه إلى الخليل بن أحمد، وناهيك به، وأورده الزمخشري فيما أورده سن أوجه، وبدأ به، ولكن يرد عليه إشكال، وهو دخول الفاء على: فليعبدوا، قال الزمخشري: فإن قلت: فلِمَ دخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من معنى الشرط؛ لأن المعنى: إما لا فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة. وبدأ الشهاب السمين بقوله: في متعلق هذه الآية أوجه: أحدها: أنه ما في السورة قبلها من قوله: فجعلهم كعصف مأكول، قال الزمخشري: وهذا بمنزلة التضمين في الشعر، وهو: أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصحّ إلا به، وهما في مصحف أُبيّ سورة واحدة بلا فصل، وعن عمر: أنه قرأهما في الركعة الثانية من المغرب، وقرأ في الأولى بسورة والتين، وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأخفش، إلا أن الحوفي قال: وردّ هذا القول جماعة بأنه لو كان كذلك لكان لإيلاف بعض سورة ألم ترَ، وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على عدم ذلك. وأقول: لقد اتفق علماء البلاغة، ونقّاد الشعر القدامى على أن التضمين من عيوب الشعر، فكيف تحمل القراءة عليه، وأسلوب القرآن أبلغ من أن يتسامى إليه النقد

والتجريح، وقيل: في متعلقة بأعجبوا محذوفاً، وقد يكون في هذا الرأي مندوحة عن التقدير والتأويل، هذا وكما اختلف المعربون في الإعراب، اختلف القرّاء في القراءات، مما يرجع إليه في المطولات. أما ابن خالويه فقد قال: وهو مصدر: آلف، يؤلف، إيلافاً، فهو مؤلف، مثل: آمن، يؤمن، إيماناً، فهو مؤمن، ومن قرأ إلفهم، جعله مصدراً لألف يألف إلفاً، فهو آلف، مثل علم، يعلم، علماً، فهو عالم، والأمر من الممدود: آلف يا زيد، ومن المقصور إيلف يا زيد، واختلف العلماء في لإيلاف، فقال قوم: هي وألم ترَ سورة واحدة، منهم الفراء، وسفيان بن عيينة، قالا: والتقدير: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، فعلى هذا تكون اللام لام الخفض متصلة بـ: ألم ترَ، وقال الخليل، والبصريون: اللام لام الإضافة متصلة بـ: فليعبدوا، والتقدير: فليعبدوا رب هذا البيت؛ لأن مَنَّ عليهم بإيلاف قريش، وصرف عنهم شرّ أصحاب الفيل، وحدّثني ابن مجاهد، عن السِّمَّري، عن الفراء قال: يجوز أن تكون اللام لام التعجب، كأنه قال: أعجبنا محمد لإيلاف قريش، كما قال الشاعر ـ النابغة الذبياني ـ:

أتخذل ناصِري وتعزُّ عبساً أيربوع بن غيظ لِلْمُعنّي

معناه: أعجبوا للمعنّي. وقريش مضاف إليه، وهي قبيلة تمتّ إلى النضر بن كنانة، سمّوا بتصغير القِرش، وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن، ولا تطاق إلا بالنار، وعن معاوية: أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما: بِمَ سمّيت قريش؟ قال: بدابة البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعْلَى، وأنشد:

وقريش هي التي تسكنُ البحـ ـرَ بها سُمِّيت قريش قريشا
تأكل الغثّ والسّمين ولا تتـ ـركُ يوماً لذي جناحين ريشا
ولهم آخر الزَّمانِ نبيٌّ يكثرُ القتلَ فيهم والخُموشا

وقال ابن خالويه: وقيل: سمّوا قريشاً بتقارش الرماح. والتصغير للتعظيم، وقيل: من القرش، وهو الكسب؛ لأنهم كانوا يكتسبوا

بتجارتهم، وضربهم في البلاد، وقد صرفت قريش؛ لأنه أُريد بها الحي، ولو أُريد القبيلة لامتنعت من الصرف، قال سيبويه: في معدّ، وثقيف، وقريش، وكنانة هذه للأحياء أكثر، وإن جعلتها أسماء للقبائل فهو جائز، وحسن. ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ إيلافهم بدل من لإيلاف، بدل مقيد من مطلق، أطلق الإيلاف في الأول، وقيده في الثاني برحلتي الشتاء والصيف تفخيماً لأمر الإيلاف، وتعظيماً له، وتذكيراً بسوابغ النعم، والهاء مضاف إليه، ورحلة الشتاء والصيف مفعول به لإيلافهم؛ لأنه مصدر ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها وقعت في جواب شرط مقدّر، واللام لام الأمر، ويعبدوا فعل مضارع مجزوم باللام، والواو فاعل، ورب مفعول به، وهذا مضاف إليه، والبيت بدل من هذا وأعربها ابن خالويه نعتاً، ولست أُحب ذلك، وإن قاله النحاة، ولكني أرى أن الجامد بعد اسم الإشارة لا يسوغ إعرابه نعتاً مطلقاً، فالأحسن أن يكون المشتق نعتاً، والجامد بدلاً ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ الذي نعت لرب، أو بدل منه، وجملة أطعمهم صلة لا محل لها، ومن جوع متعلق بأطعمهم، ومن تعليلية، أي: أنعم عليهم، وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم، فلا بدّ من تقدير مضاف، أي: من أجله، وكذلك آمنهم من خوف.

* * *

سُورَةُ المَاعُونِ

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَدُعُّ﴾ يدفع بعنف، وجفوة، وفي المختار: دعّ، من باب: رد. قال ابن دريد: دعّه، ودحّه بمعنى واحد، وامرأة دعوع ودحوح، وأنشد:

قَبيحٌ بالعجُوز إذا تَغَدَّتْ ... من البَرْنيِّ واللَّبَنِ الصّريحِ
تَبَغِّيها الرجالَ وفي صَلاها ... مَواقِعُ كلِّ فَيْشَلَةٍ دَحُوحِ

وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي:

قد أغتدي والليلُ في حريمه ... معسكراً في الغرِّ من نجومه
والصُّبح قد نسّم في أديمه ... يَدُعّه بضفّتي حيزومه
دَعَّ الرّبيب لحيتيْ يتيمه

﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ في المختار: الماعون: اسم جامع لمنافع البيت، كالقدر، والفأس، ونحوهما. وعبارة ابن خالويه: والماعون: الطاعة، والماعون: الزكاة، والماعون: الماء، والماعون: الحال، والماعون: الدلو، والقداحة، والفأس، والنار، والملح، وما أشبه ذلك من المُحِلّات، وإنما سمِّيت المحلات ماعوناً؛ لأن المسافر إذا كانت معه هذه الأشياء حلّ حيث شاء، قال الراعي:

قَوْمٌ على الإسلامِ لَمَّا يَمْنَعُوا ما عُونَهُمْ ويُضَيِّعُوا التَّهْلِيلا

○ الإعراب:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ الهمزة للاستفهام، وهي مع رأيت بمعنى: أخبرني، وقد تقدم ذلك كثيراً، ويجوز أن تكون الرؤية قلبية فتتعدى لمفعولين، أحدهما: الموصول، والثاني: محذوف، والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالدين مَن هو، وقيل: الرؤية بصرية، فلا حاجة إلى تقدير مفعول به ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها جواب شرط مقدّر، والتقدير: إن لم تعرفه فذلك، وقدّره السمين: إن طلبت علمه فذلك. وذلك مبتدأ، والذي خبره، وجملة يدعّ اليتيم صلة، ومن الغريب: أن ابن خالويه أعرب الذي نعتاً لذلك، ولم يشر إلى الخبر مطلقاً مع أنه قال: إن ذلك مبتدأ، وهناك أقوال وأعاريب أُخرى ذكرها المفسرون، طوينا عنها صفحاً؛ لأنها مجرد تكلف ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويحضّ فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، تقديره: هو، أي: الذي يدع اليتيم، وعلى طعام المسكين متعلقان بيحضّ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الفاء الفصيحة أيضاً، أي: إذا علمت أنه متّصف بهذه الصفات فويل، أو: فإذا كان الأمر كذلك فويل، وهذا أولى من قول السمين: إنها للسببية، وقد فسّره بقوله: والفاء للسببية، أي: إن الدعاء عليهم بالويل متسبّب عن هذه الصفات الذميمة. وويل مبتدأ، وللمصلين خبره ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الذين نعت للمصلّين، وهم مبتدأ، وعن صلاتهم متعلق

بساهون، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها صلة الذين. ونستبعد قول مَن تأولوا السهو عن الصلاة في الآية بأنه سهو في الصلاة، فليس السهو فيها بخطيئة، ولا منكر ينذر معه الساهي بويل، وكل مؤمن عرضة لأن يسهو في صلاته، فينجبر هذا السهو فيها بسجود السهو، أو بالسنن والنوافل، على ما هو مقرّر في الفقه ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ الذين بدل من الذين الأولى، وهم مبتدأ، وجملة يراؤون خبر، والجملة صلة الذين، وجملة يمنعون الماعون عطف على يراؤون، داخلة في حيِّز الصلة، ومفعول يمنعون الأول محذوف، أي: الناس، أو الطالبين، والماعون مفعوله الثاني.

* * *

سورة الكوثر

آياتها ٣ — ترتيبها ١٠٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ في القاموس: والكوثر: الكثير من كل شيء، والكثير الملتف من الغبار، والإسلام، والنبوّة، وقرية بالطائف كان الحجاجُ مُعَلِّماً بها، والرجل الخيّر المعطاء، كالكثير كصيقل، والسيد، والنهر، ونهر في الجنة تتفجر منه جميع أنهارها. وعبارة الزمخشري: والكوثر: فوعل، من الكثرة، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بِمَ آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر، وقال:

وأنتَ كَثيرٌ يا بنَ مروانَ طَيِّبٌ وكانَ أبوكَ ابنَ العَقَائِلِ كَوْثَرا

والبيت للكميت، والعقائل: خيار النساء، والكوثر: بليغ النهاية في الخير.

وعبارة ابن خالويه: والكوثر: نهر في الجنة، حافتاه الذهب، وحصباؤه المرجان والدرّ، وحاله المسك، يعني: الحمأة، وماؤه أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. وقيل: الكوثر الخير الكثير، ومنه القرآن، وهو فوعل من الكثرة، والواو زائدة، مثل: كوسج، ونوفل، والكوثر في غير هذا: الرجل السخي، قال الشاعر:

وأنتَ كثيرٌ يا بنَ مروانَ .... (البيت).

وأورد القرطبي للكوثر ستة عشر قولاً في الكوثر، وقال: وأصحّها الأول، يعني: أنه نهر في الجنة؛ لأنه ثابت عن النبي ﷺ نصاً.

﴿شَانِئَكَ﴾ مبغضك، وفي المصباح: شنئه، كسمعه، ومنعه، شنئاً، مثل: فلس، وشنآناً ـ بفتح النون وسكونها ـ: أبغضه، والفاعل شانىء في المذكّر، وشانئة في المؤنث، وشنئت بالأمر: اعترفت به. وقال ابن خالويه: الشانىء: المبغض، قال الأعشى:

ومن شانىء كاسف وَجْهه إذا ما انتسبت له أنكرن

﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ هو: الذي لا عقب له، وهو في الأصل: الشيء المقطوع، من بتره، أي: قطعه، وحمار أبتر: لا ذنب له، ورجل أُباتر بضم الهمزة، أي: قاطع رحمه، وعبارة ابن خالويه: معناه: إن مبغضك يا محمد هو الأبتر، أي: لا ولد له، والأبتر: الحقير، والأبتر: الذليل، والأبتر من الحيات: المقطوع الذنب، والأبتر: ذنب الفيل، كانت قريش والشانئون لرسول الله ﷺ يقولون: إن محمداً صنبور، أي: فرد، لا ولد له، فإذا مات انقطع ذكره، فأكذبهم الله تعالى، وأعلمهم أنّ ذكر محمد مقرون بذكره إلى يوم القيامة إذا قال المؤذن أشهد أن لا إلّه إلا الله قال: أشهد أن محمداً رسول الله. والصنوبر: النخلة تبقى منفردة، ويدق أسفلها، قال: ولقي

رجل رجلاً، فسأله عن نخلة، فقال: صنبر أسفله، وعشش أعلاه، والصنوبر أيضاً: ما في فم الإداوة من حديد، أو رصاص، والصنوبر: الصبي الصغير، قال أوس بن حجر:

مُخَلَّفُونَ ويَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمُ　　غُـشُّ الأمانةِ صُنْبُورٌ فَصُنْبُورُ

وفي المختار: بتره قبل التمام، وبابه: نصر، والانبتار: الانقطاع، والأبتر: المقطوع الذنب، وبابه: طرب، والأبتر أيضاً: الذي لا عقب له، وكل أمر انقطع من الخير أثره، فهو أبتر.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ إن واسمها، وجملة أعطيناك خبرها وفي قراءة رسول الله ﷺ: إنّا أنطيناك بالنون، قال التبريزي: هي لغة للعرب العاربة، وقال في الحديث: «وانطوا الثبجة» محركة المتوسطة، بين الخيار والرذال، والكوثر مفعول به ثانٍ، والفاء حرف عطف للتعقيب، وصل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، ولربك متعلقان بصل، ووضع الظاهر موضع المضمر، وكان المقتضى أن يقول: فصلّ لنا، ولكنه انتقل من المضمر إلى المظهر، على سبيل الالتفات، اهتماماً بذكر ربك، وتعظيماً له، وانحر عطف على صل، أي: صلِّ صلاة عيد النحر، وهذا يقتضي أن تكون السورة مدنيّة، لا مكيّة، وقيل: الأمر عامّ في كل صلاة ونحر ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ الجملة مستأنفة مؤكدة، وإن واسمها، وهو مبتدأ ثانٍ، أو ضمير فصل، والأبتر خبر هو، والجملة خبر إن، أو الأبتر خبر إن، ولا أدري كيف أجاز أبو البقاء أن يعرب هو تأكيداً؛ لأن المظهر لا يؤكد بالمضمر، وعبارة ابن هشام: ووهم أبو البقاء، فأجاز في: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ التوكيد، وقد يريد: أنه توكيد لضمير مستتر في شانئك، لا لنفس شانئك، وذلك لأن شانىء اسم فاعل بمعنى مبغض.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فن المذهب الكلامي، وقد تقدمت الإشارة إليه، كما تقدم أن منه نوعاً منطقياً تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، فإن هاتين الآيتين تضمّنتا نتيجة من مقدمتين صادقتين، وبيان ذلك: أنّا نقول: إن عطية الكوثر تعدل جميع العطيات، وإنما قلنا ذلك لأن الشكر على مقادير النعم، وقد أمر الرسول ﷺ بأن يقابل هذه النعمة بجميع العبادات البدنية والمالية شكراً عليها، والصلاة جامعة لجميع العبادات، فهي تعدل جميع العطيات، وإنما قلنا: إن المأمور به جميع العبادات البدنية لجمعها بين القيام، والقعود، والركوع، والسجود، وقراءة القرآن، والأذكار، والصمت عن غير ذلك من الكلام، وتحريم الطعام والشراب، والبقاء على الطهارة الكاملة، والخضوع، والخشوع، والدعاء، والابتهال، يحرم فيها ما يحرم على الصائم من الأكل والشرب، والجماع، والرفث، وجميع الحركات والسكنات الخارجة عنها، فهي جامعة لفضيلتي الصلاة، والصيام، وأعمال الظاهر، وأعمال الباطن، ثم أمر عليه الصلاة والسلام مع الصلاة بالنحر، ولا يخلو من أن يراد به: الحج الجامع بين العبادتين، أو: يراد مطلق النحر؛ الذي يدخل تحته نحر الهدي في الحج، والنحر للضيفان، وافتقاد الجيران، والإطعام في الأزمات، فقد تبيّن أنه سبحانه أمر رسوله ﷺ بجميع العبادات شكراً على عطية الكوثر، فدلّ ذلك على أن عطية الكوثر تعدل جميع العطيات، وإنما كانت لهذه العطية هذه المزية لكونه ﷺ أُعطي بها الفضل، والفخر على جميع الأنبياء صلوات الله عليهم، حيث تسأل الأُمم أنبياءهم في الشفاعة لهم ليرووا من العطش الأكبر، فيعتذرون عن ذلك بما ورد عنهم في حديث الشفاعة الصحيح المشهور، فلا تجد جميع الأُمم حينئذٍ مَن يشفع لها، ولا يسقيها سوى محمد ﷺ. فالحظّ ما تضمنته هاتان الآيتان على قصرهما من الإشارة التي دلّت بألفاظها القليلة على معانٍ، لو عبّر عنها

بألفاظها الموضوعة لها بطريق البسط، لملأت الصحائف، والأجلاد.

(٢) وفي قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ التفات من التكلّم إلى الغيبة، والأصل: فصّل لنا، ولكنه عدل عن ذلك؛ لأن في لفظ الرب حثّاً على فعل المأمور به؛ لأن مَن يربيك يستحقّ العبادة.

* * *

سورة الكافرون

ترتيبها ١٠٩ آياتها ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ
مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ
وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾

○ الإعراب:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ قال رهط من المشركين للنبي ﷺ: هلّم فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنّا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك منه، فأنزلها الله عزّ وجلّ. وقل فعل أمر وفاعل مستتر، تقديره: أنت، ويا حرف نداء للمتوسط، وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، وها للتنبيه، والكافرون بدل من أي، أو نعت لها، قال ابن خالويه:

فإن سأل سائل، فقال: التنبيه يدخل قبل الاسم المبهم، نحو هذا، فلِمَ دخل ها هنا بعد أي: فقل: لأن أياً تضاف إلى ما بعدها، فلولا أن التنبيه فصل بين الكافرين وأي لذهب الوهم إلى أنه مضاف. ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ لا نافية، وأعبد فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، تقديره: أنا، وما موصول بمعنى الذي في محل نصب مفعول به، وجملة تعبدون صلة لا محل لها، والعائد محذوف، أي: تعبدونه، ويجوز أن تكون مصدرية، فتكون مؤولة مع ما بعدها بمصدر مفعول مطلق ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وأنتم مبتدأ، وعابدون خبر، وما اسم موصول، ووقعت للعقلاء على سبيل التعظيم مفعول به، وجملة أعبد صلة، أو ما مصدرية، فتكون مع ما في حيِّزها مفعولاً مطلقاً ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ عطف أيضاً، ويتحصل مما أورده المعربون في ما: أنها بمعنى الذي، فإن ما المراد بها الأصنام كما في الأولى والثالثة، فالأمر واضح لأنهم غير عقلاء، وما: أصلها أن تكون لغير العقلاء، وإذا أُريد بها الباريء تعالى كما في الثانية والرابعة، فاستدل به مَن جوّز وقوعها على أُولي العلم، ومَن منع جعلها مصدرية، والتقدير: ولا أنتم عابدون عبادتي، وقال أبو مسلم: ما في الأوليين بمعنى الذين، والمقصود: المعبود، وما في الأُخريين مصدرية، أي: لا أعبد عبادتكم المبنية على الشك، وترك النظر، ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين، فتحصل من مجموع ذلك ثلاثة أقوال:

١ ـ أنها كلها بمعنى الذي.

٢ ـ أنها كلها مصدرية.

٣ ـ أو الأوليان بمعنى الذي والأُخريان مصدريتان.

ولقائل أن يقول: لو قيل بأن الأولى والثالثة بمعنى الذي، والثانية والرابعة مصدرية، لكان حسناً حتى لا يلزم وقوع ما على أُولي العلم. وسيأتي معنى التكرار في باب: البلاغة ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ لكم خبر

مقدّم، ودينكم مبتدأ مؤخر، ولي دينِ عطف على ما تقدم.

□ البلاغة:

اختلف علماء البلاغة والنحو: هل التكرار في هذه السورة للتأكيد أم لا، وإذا لم يكن للتأكيد، فبأي طريق حصلت المغايرة حتى انتفى التأكيد؟ وسنورد أقوالهم مع إلماع لابدّ منه إليها.

١ ـ فقال جماعة: التكرار للتأكيد، فقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ تأكيد لقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ تأكيد لقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ ومثله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ و﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ و﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وفائدة هذا التأكيد هنا: قطع أطماع الكفار، وتحقيق الإخبار بموافاتهم الكفر، وأنهم لا يسلمون أبداً.

٢ ـ وقال جماعة: ليس التكرار للتوكيد، قال الأخفش: لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد فزال التوكيد، وحصل التأسيس، حيث تقيدت كل جملة بزمان غير الزمان الآخر. وفي هذا القول نظر؛ كيف يقيد رسول الله ﷺ نفي عبادته لما يعبدون، هذا مما لا يصحّ.

٣ ـ وقال ابن عطية: لما كان قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ محتملاً أن يراد به الآن، ويبقى المستقبل منتظراً ما يكون فيه، جاء البيان بقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ أي: أبداً، ثم جاء قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ الثاني حتماً عليهم أنهم لا يؤمنون أبداً، فهذا معنى الترديد في هذه السورة، وهو بارع الفصاحة، وليس بتكرار فقط، بل فيه ما ذكرته.

٤ ـ وقال الزمخشري: ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ أُريد به العبادة فيما يستقبل؛ لأن «لا» لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال، كما أن «ما» لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال، والمعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني

من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلٰهي ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ أي: وما كنت قطُّ عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه، يعني: ما عهد منّي قطّ عبادة صنم في الجاهلية، فكيف يرجى منّي في الإسلام، ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ أي: وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته الآن.

٥ ـ وقال أبو حيان: والذي اختاره في هذه الجمل: أنه نفى عبادته في المستقبل؛ لأن الغالب في «لا» أن تنفي المستقبل، ثم عطف عليه: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ نفياً للمستقبل على سبيل المقابلة، ثم قال: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ نفياً للحال؛ لأن اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على الحال، ثم عطف عليه: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ نفياً للحال على سبيل المقابلة، فانتظم المعنى أنه عليه الصلاة والسلام لا يعبد ما يعبدون حالاً ولا مستقبلاً، وهم كذلك إذ ختم الله موافاتهم على الكفر، ولما قال: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ وأطلق على الأصنام ما قابل الكلام بما في قوله: ﴿ مَآ أَعْبُدُ ﴾ وإن كان المراد بها الله تعالى؛ لأن المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ في الانفراد، وهذا على مذهب من يقول: إن ما لا تقع على آحاد أولي العلم، أما من يجوِّز ذلك ـ وهو سيبويه ـ فلا يحتاج إلى الاعتذار بالتقابل.

٦ ـ وقال القرطبي: وقيل: هذا، أي: التكرار مطابقة لقولهم تعبد آلهتنا ونعبد إلهك، ثم تعبد آلهتنا ونعبد إلهك، فنجري على هذا أبداً سنة وسنة فأجيبوا عن كل ما قالوه بضده، أي: إن هذا لا يكون أبداً. وقال ابن عباس: قالت قريش للنبي ﷺ: نحن نعطيك من المال ما تكون به أغنى رجل بمكة، ونزوِّجك من شئت، ونطأ عقبك، أي: نمشي خلفك، وتكفّ عن شتم آلهتنا، فإن لم تفعل، فنحن نعرض عليك خصلة واحدة، وهي لنا ولك صلاح: تعبد آلهتنا اللاّت والعزّى سنة، ونحن نعبد إلهك سنة، ثم تعبد آلهتنا ونعبد إلهك، فنجري على هذا أبداً سنة وسنة، فنزلت السورة، فكان التكرار في ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ لأن القوم كرروا مقالتهم مرة بعد مرة.

٧ ـ وقال ابن الأثير في مثله السائر: وقد ظن قوم: أن هذه الآية تكرير لا فائدة فيه، وليس الأمر كذلك، فإن معنى قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ يعني: في المستقبل من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ أي: وما كنت عابداً قطُّ فيما سلف ما عبدتم فيه، يعني: أنه لم يعهد منّي عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما، فكيف يرجى ذلك منّي في الإسلام؟ ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ في الماضي في وقت ما أنا على عبادته الآن. وهذا ترديد لما قاله الزمخشري بنصّه، وفصّه.

٨ ـ وقال ابن خالويه: فإن سأل سائل، فقال: ما وجه التكرير في هذه السورة؟ فقل: معناه أن قوماً من كفّار قريش صاروا إلى النبي، فقالوا: أنت سيد بني هاشم، وابن ساداتهم، ولا ينبغي أن تسفّه أحلام قومك، ولكن نعبد نحن ربك سنة، وتعبد أنت آلهتنا سنة، فأنزل: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ . . . إلخ. فإن قال قائل: فقد كان فيهم من أسلم بعد ذلك الوقت، فلم قيل: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾؟ فالجواب في ذلك: أن هذا نزل في قوم بأعيانهم ماتوا على الكفر، وعلم الله تعالى ذلك منهم، فأخبر أنهم لا يؤمنون أبداً، كما قال تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ في قوم بأعيانهم، وقد نفعت الموعظة قوماً، وفيه جواب آخر: أن يكون الخطاب عاماً، ويراد به الخاص لمن لا يؤمن، وإن كان فيهم من قد آمن.

* * *

سورة النصر

ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ
ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾

○ الإعراب:

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إذا ظرف مستقبل، متضمّن معنى الشرط، متعلق بسبّح الذي هو جوابها، وجملة جاء في محل جر بإضافة الظرف إليها، ونصر الله فاعل جاء، والفتح عطف على نصر، والمصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف، أي: إياك والمؤمنين. وقال أبو حيان: ولا يصحّ إعمال فسبّح في إذا؛ لأجل الفاء؛ لأن الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط، فلا يعمل فيه؛ بل العامل في إذا الفعل الذي بعدها على الصحيح ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ الواو عاطفة، ورأيت الناس فعل ماضٍ، وفاعل، ومفعول به، والرؤية يجوز أن تكون بصرية، فتكون جملة يدخلون حالية، ويجوز أن

تكون علمية، فتكون الجملة مفعولاً به ثانياً لرأيت، وفي دين الله متعلقان بيدخلون، وأفواجاً حال من الواو في يدخلون، وهو جمع فوج بسكون الواو، وقد تقدّم شرحها ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وسبّح فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً، تقديره: أنت، وبحمد ربك حال، وقد اختلف في الباء، فقيل: للمصاحبة، والحمد مضاف للمفعول، أي: فسبّحه حامداً له، أي: نزهه عمّا لا يليق به، وأثبت له ما يليق به، فهي داخلة في حيِّز الأمر، فإن قلت: من أين يلزم بالحمد، وهو إنما وقع حالاً مقيدة للتسبيح، ولا يلزم من الأمر بالشيء الأمر بحاله المقيد له؟ وأجيب: بأنه إنما يلزم ذلك إذا لم يكن الحال من نوع الفعل المأمور به، ولا من فعل الشخص المأمور، نحو: اضرب هنداً ضاحكة، وإلا لزم، نحو: ادخل مكة محرماً، فهي مأمور بها، وهنا من هذا القبيل، وقيل: للاستعانة، والحمد مضاف إلى الفاعل، أي: سبّحه بما حمد به نفسه، كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ واستغفره: الواو حرف عطف، واستغفره فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وجملة ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ تعليلية، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، وتوّاباً خبر كان.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ استعارة مكنية تبعية؛ شبّه المقدور، وهو النصر، والفتح، بكائن حيّ يمشي متوجهاً من الأزل إلى وقته المحتوم، فشبّه الحصول بالمجيء، وحذف المشبّه به، وأخذ شيئاً من خصائصه، وهو: المجيء.

هذا؛ وقد أورد الإمام الرازي فصلاً ممتعاً، نورده لك فيما يلي لنفاسته، وفائدته، قال: اتفق الصحابة على أن هذه السورة دلّت على نعي رسول الله ﷺ، وذلك لوجوه:

أولاً: أنهم عرفوا ذلك لما خطب رسول الله ﷺ عقب السورة، وذكر التخيير، وهو قوله ﷺ في خطبته لما نزلت هذه السورة: «إن عبداً خيّره الله

تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى» فقال أبو بكر: فديناك بأنفسنا، وأموالنا، وآبائنا، وأولادنا.

ثانيها: أنه لما ذكر حصول النصر والفتح، ودخول الناس في الدين أفواجاً، دلّ على حصول الكمال، والتمام يعقبه الزوال والنقصان، كما قيل:

إذا تـــم أمـــرٌ بـــدا نقصـــه   تـــوقَّـــع زوالاً إذا قيـــلَ تـــمّ

ثالثها: أنه تعالى أمره بالتسبيح، والحمد، والاستغفار، واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الأُمة، فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تمّ وكمل، وذلك يقتضي إنجاز الأجل؛ إذ لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة، وذلك غير جائز.

* * *

سُورَةُ المَسَد

آياتها ٥ — ترتيبها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ
مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَبَّتْ﴾ خسرت، قال الزمخشري: والتباب: الهلاك، ومنه قولهم: أشابة أم تابة؟ أي: هالكة من الهرم والتعجيز، والمعنى: هلكت يداه؛ لأنه فيما يروى أخذ حجراً ليرمي به رسول الله ﷺ. وعبارة ابن خالويه: ومعناه: خسرت يداه، والمصدر: تبّ، يتبّ، تبّاً، فهو تابّ، والمفعول به: متبوب، والأمر: تبَّ، وإن شئت كسرت، وللمرأة تبي، وتبا، واتبين، لما خرج التضعيف سكن أول الفعل، فجئت بألف الوصل، ويقال: امرأة تابّة،

أي: عجوز، قد هلك شبابها، والتباب: الهلاك، قال الله: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ قال عدي:

اذهبـي إنّ كـلَّ دنيـا ضـلالٌ والأمـانـيّ عُقُـرهـا للتّبـاب
لا يـروقَنْـكَ صـائـرٌ لفنـاه كـلُّ دنيـا مصيـرُهـا للتُّـراب

وقال جرير:

عـرادة مـن بقيـة قـوم لـوط أَلَا تبّـاً لمـا عملـوا تبـابـا

وقال كعب بن مالك يمدح النبي ﷺ:

الحقُّ منطقُه والعدلُ سيرتُه فمن يعنه عليه ينجُ من تبب

والتاء الثانية تاء التأنيث؛ لأن اليد مؤنثة، ومعنى تبّت يداه: أي: تب هو؛ لأن العرب تنسب الشدة، والقوة، والأفعال إلى اليدين؛ إذ كان بهما يقع كل الأفعال.

﴿سَيَصْلَىٰ﴾: أي: يحترق بها، وصلي، من باب: تعب، وعبارة ابن خالويه جيدة، وهي: ويقال: صليت الشاة: إذا شويتها، فأنا صال، والشاة مصلية، ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ: أنه أهديت إليه شاة مَصْلية، وأجاز الفراء: شاة مُصْلاة؛ لأنك تقول: أصليتها أيضاً، ويقال للشِّواء: الصِّلاء، والمُضهَّب، والرَّشراش، والرّوذقُ، والمُشَنَّط، والمرموض، والرّميض، والمحنُوذ، والحنيذ، والسّويد، أو الشويذ، والمحسوس، والمُحاش، والسحساح، والأنيض، والمفلَّس، والمُخدَّع، كله الشواء.

﴿جِيدِهَا﴾ الجيد: العنق، وجمعه: أجياد، والجيَد بفتح الياء: طول العنق.

﴿مَّسَدٍ﴾ المسد: الذي فتل من الحبال فتلاً شديداً، من ليف كان، أو جلد، أو غيرهما، وفي القاموس: المسد ـ بسكون السين ـ: مصدر بمعنى الفتل، وبفتحها المحور من الحديد، أو حبل من ليف، أو كلّ حبل محكم

الفتل، والجمع: مساد، وأمساد، يقال: مسد حبله، يمسده، مسداً، من باب: نصر، أي: أجاد فتله.

○ الإعـراب:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ تبت فعل ماضٍ، والتاء للتأنيث، ويدا أبي لهب فاعل، وتب عطف على تبت، أي: وكان ذلك، وحصل، كقوله:

جـزانـي جـزاه الله شـرَّ جـزائـه جزاء الكلابِ العاوياتِ وقد فَعَل

والجملة دعائية لا محل لها، روي في الصحيحين وغيرهما واللفظ لمسلم ـ عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ خرج ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: «يا صباحاه». فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان! يا بني عبد مناف! يا بني عبد المطلب»! فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقيّ؟» قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك! ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت السورة.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم كناه، والكنية تكرمة؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفاً بأحدهما، ولذلك تجري الكنية على الاسم والاسم على الكنية، عطف بيان، فلما أريد تشهيره بدعوة السوء، وأن تبقى سمة له، ذكر الأشهر من علميه، ويؤيد ذلك قراءة من قرأ: يدا أبو لهب، كما قيل: علي بن أبو طالب، ومعاوية بن أبو سفيان؛ لئلا يغيّر منه شيء، فيشكل على السامع. إلى أن يقول:

والثاني: أنه كان اسمه: عبد العزى، فعدل عنه إلى كنيته.

والثالث: أنه لما كان من أهل النار، ومآله وماله إلى نار ذات لهب،

وافقت حاله كنيته، فكان جديراً بأن يذكر بها، ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشر للشرير، وأبو الخير للخيِّر، وكما كنّى رسول الله ﷺ أبا المهلب: أبا صفرة، بصفرة كانت في وجهه، وقيل: كني بذلك لتلهب وجنيته وإشراقهما، فيجوز أن يذكر ذلك تهكماً به، وبافتخاره بذلك.

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ ما يجوز فيها النفي والاستفهام، وعلى الثاني تكون منصوبة المحل بما بعدها، والتقدير: أي شيء أغنى عنه المال، ومن الغريب: أن ابن خالويه أعربها رفعاً على الابتداء، وعنه متعلقان بأغنى، وماله فاعل، والواو حرف عطف، وما يجوز فيها أن تكون مصدرية، أو موصولة بمعنى: كسبه، أو مكسوبه، ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة المحل بما بعدها، أي: أيّ شيء كسب؟ وعبارة ابن هشام: تحتمل ما الأولى النافية، أي: لم يغن، والاستفهامية فتكون مفعولاً مطلقاً، التقدير: أي: إغناء أغنى عنه ماله، ويضعف كونه مبتدأ. ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ السين حرف استقبال، ويصلى فعل مضارع، وفاعله هو، أي: أبو لهب، وناراً مفعول به، وذات لهب نعت لناراً؛ لأنها مآل كنيته، ومثابتها ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ وامرأته عطف على ضمير يصلى، سوّغه الفصل بالمفعول وصفته، وهي أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت عوراء، وماتت مخنوقة بحبلها، قالوا: كانت تحمل حزمة من الشوك، والحسك، والسعدان، فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ، وقيل: كانت تمشي بالنميمة، ويقال للمشاء بالنمائم: المفسد بين الناس، يحمل الحطب بينهم، أي: يوقد النائرة بينهم، ويؤرث الشر، قال:

مِنَ البيضِ لم تُصْطَدْ على ظَهْرِ لأمَةٍ ... ولم تَمْشِ بين الحيِّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ

وجعل الحطب رطباً ليدل على التدخين؛ الذي هو زيادة في الشر، وحمّالة الحطب، قُرِىء بالنصب على الشتم، قال الزمخشري: وأنا أستحبّ هذه القراءة. وقرىء بالرفع على النعت لامرأته، وجاز ذلك لأن

الإضافة حقيقته؛ إذ المراد المضي، أو على أنها بدل؛ لأنها تشبه الجوامد بسبب تمحض الإضافة، أو على أنها خبر لمبتدأ محذوف وقال ابن خالويه: وفي حرف ابن مسعود: مريئته مصغراً، والعرب تقول: هذه مرأتي، وامرأتي، وزوجي، وزوجتي، وحنّتي، وطلّتي، وشاعتي، وإزاري، ومحل إزاري، وفُضْلتي، وحرثي، قال الشاعر:

إذا أكل الجرادُ حروث قومٍ فحرثي همُّه أكلُ الجراد

وتسمى المرأة: بيناً، والعرب تكنّي عن المرأة باللؤلؤة، والبيضة، والسَّرحة، والأثلة، والنخلة، والشاة، والبقرة، والنعجة، والودعة، والعيبة، والقوارير، والربض، والفراش، والريحانة، والظبية، والدُّمية، وهي الصورة، والنعل، والغُلّ، والقباء، والجارة، والمزخّة، والقومدّة، وكنى الفرزدق عن المرأة بالجفن، فجعلها جفناً لسلاحه، وكانت ماتت وهي حبلى، فقال:

وجفن سلاح قد رُزِئْتُ ولم أنحْ عليه ولم أبعثْ عليه البواكيا
وفي جوفه من درام ذو حفيظةٍ لو أنَّ المنايا أنسأته لياليا

وكنى عنها آخر بموضع السرج من الفرس، فقال يخاطب امرأته:

فإما زال سرجٌ عن مقدٍّ فأجدر بالحوادث أن تكونا

يقول: ربما متّ، فزلت عنك، فانظري كيف تكونين بعدي.

وفي جيدها خبر مقدّم، وحبل مبتدأ مؤخر، ومن مسد نعت لحبل.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ فن التهكم، وقد تقدَّم ذكره، فقد صوّرها تصويراً فيه منتهى الخسّة، والقماءة، والمعنى: في جيدها حبل من مسد: من الحبال، وأنها تحمل تلك الحزمة، وتربطها في جيدها تخسيساً لحالها، وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن، جمع: ماهن، وهي الخادم لتمتعض من ذلك، ويمتعض زوجها، وهما في بيت العزِّ

والشرف، وفي منصب الثروة والجدّة، وقد تعلق الشعراء بأذيال هذه السخرية، فعيّر أحدهم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب، فقال:

ماذا أردتَ إلى شَتْمي ومَنْقَصَتي أمْ ما تَعَيَّرُ من حمّالةِ الحَطَبِ
غَرَّاءَ شادِخَةٍ في المجد غِرَّتُها كانت سَلِيلةَ شيخٍ ثاقِبِ الحَسَبِ

والغراء: البيضاء: والشادخة: المتسعة، وذلك مجاز عن الظهور، وارتفاع المقدار، والسليلة: من سلّ من غيره، والمراد بالشيخ: أبوها حرب؛ لأنها أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب. وقيل: حمل الحطب حقيقة، وقيل: مجاز عن إثارة الفتنة؛ لأنها كانت نمّامة. وإلى شتمي متعلق بمحذوف، أو بأردت على طريق التضمين، أي: أيّ شيء أردته مائلاً أنت إلى شتمي، أو منضماً هو إلى شتمي، أو ما الذي أردته من شتمي، أو مع شتمي: هل أردت أنك شريف لا عيب فيك، ويجوز أن إلى بمعنى من، كما قال النحاة، ويمكن أنها للمصاحبة، كما قالوا أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ وتعير: أصلة تتعير، فحذف منه إحدى التاءين.

* * *

سُورَةُ الإخلاص

ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَحَدٌ﴾ تقدم القول فيه، ونضيف إليه ما أورده ابن خالويه، وهو كلام لطيف، قال: والأصل في أحد: وحد، أي: واحد، فانقلبت الواو ألفاً، وليس في كلام العرب واو قلبت همزة وهي مفتوحة إلا حرفان: أحد، وقولهم: امرأة أناة، أي: رزان؛ لأن الواو إنما تستثقل عليها الكسرة والضمة، فأما الفتحة فلا تستثقل، وهذان الحرفان شاذّان، وزاد ابن دريد ثالثاً: إن المال إذا زُكّي ذهبت أبلته، أي: وبلته. قلت: قال أبو عبيدة: أراد وبلته، أي: فساده وثقله، من قولهم: كلأ وبيل، أي: لا يمرىء الراعية، ثم قال: وزاد محمد بن القاسم رابعاً: واحد آلاء الله ألىً، والأصل: ولىً، من: أولاه الله معروفاً، فإن جمعت بين واوين قلبتها همزة، وإن كانت

مفتوحة، مثل: قولك في فوعل، من: وعد، أوعد، وكان الأصل: ووْعد، فقلبوا الأولى همزة كراهية لاجتماع واوين.

﴿ٱلصَّمَدُ﴾ المقصود في الحوائج، فهو فعل مفعول كالقبض بمعنى المقبوض، وقيل: الصمد هو الذي لا جوف له، وفي القاموس: والصَّمَد ـ بالتحريك ـ: السيد؛ لأنه يقصد، والدائم. وعبارة ابن خالويه: واختلف الناس في تفسير الصمد، فأجود ما قيل في الصمد: السيد الذي قد انتهى سؤدده، ويصمُد إليه الناس في حوائجهم، فهو قصد الناس، والخلائق مفتقرون إلى رحمته، وأنشد:

أَلاَ بَكَّر النَّاعِي بِخيرِ بني أَسَدْ		بعمرو بن مَسْعُودٍ وبالسَّيدِ الصَّمَد

وقال آخرون: الصمد: الذي لا يطعم، والصمد: الذي لا يخرج منه شيء:

من كان ذا خوفٍ يخافُ من الرَّدى		فإنَّ خوفي صمدٌ مصمت

والصمد: الباقي بعد فناء خلقه. وفي البخاري: باب قوله «الله الصمد» والعرب تسمّي أشرافها: الصمد، قال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده. وفي العيني: أشار بهذا إلى: أن المعنى الصمد عند العرب: الشرف، ولهذا يسمّون رؤساءهم الأشراف بالصمد. وعن ابن عباس: هو السيد الذي قد تكمل بأنواع الشرف والسؤدد، وقيل: هو السيد المقصود في الحوائج.

﴿كُفُوًا﴾ وكَفيئاً على وزن فعيل، وكفاء بالكسر على وزن فعال، بمعنى واحد، والكفء: المثل، والنظير. وقال أبو حيان: بضم الكاف وكسرها وفتحها مع سكون الفاء، وبضم الكاف مع ضم الفاء، وقرأ حمزة وحفص بضم الكاف، وهمز حمزة، وأبدلها حفص واواً، وباقي السبعة بضمها والهمز، وسهّل الهمزة الأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وفي رواية عن نافع كفاء بكسر الكاف، وفتح الفاء، والمد.

○ الإعـراب:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قل فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت يا محمد، وهو فيه وجهان:

١ ـ أنه ضمير الشأن؛ لأنه موضع تعظيم، كأنه قيل: الشأن هو، وهو أن الله واحد لا ثاني له، والجملة بعده خبر مفسِّرة له.

٢ ـ أنه ضمير عائد على ما يفهم من السياق؛ لأنه يروى في الأسباب التي دعت إلى نزولها أنهم قالوا: صفْ لنا ربك، وانسبه، وقيل: قالوا له: أمن نحاس هو أم من حديد؟ فنزلت، وحينئذ يجوز أن يكون الله مبتدأ، وأحد خبره، والجملة خبر الأول، ويجوز أن يكون أحد خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أحد، وعبارة الزمخشري: هو ضمير الشأن، كقولك: هو زيد منطلق هو زيد منطلق، كأنه قيل: الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني له، فإن قلت: ما محل هو؟ قلت: الرفع على الابتداء، والخبر الجملة، فإن قلت: فالجملة الواقعة خبراً لابدّ فيها من راجع إلى المبتدأ، فأين الراجع؟ قلت: حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك: زيد غلامك، في أنه هو المبتدأ في المعنى، وذلك: أن قوله: الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه، وليس كذلك: زيد أبوه منطلق، فإن زيداً والجملة يدلاّن على معنيين مختلفين، فلا بدّ مما يصل إليهما. وأحد بدل من قوله الله، أو على هو أحد، أو خبر ثانٍ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ارتبطت هذه الجمل الثلاث بالواو دون الثلاث الأولى؛ لأن قوله: الله الصمد محقق ومقرر لما قبله، وكذلك ترك العطف في قوله: لم يلد؛ لأنه مؤكد للصمدية؛ لأن الغنى عن كل شيء المحتاج إليه كل ما سواه لا يكون والداً ولا مولوداً، وقد أشار صاحب «الجوهر المكنون» إلى مواضع الفصل بقوله:

الفصل تركُ عطفِ جملة أتت   من بعد أخرى عكس وصل قد ثبت
فافصلْ لدى التوكيد والإبدال   لنكتـــة ونيّـــة السّـــؤال

وعدم التشريك في حكمٍ جرى أو اختـــلاف طلبـــاً وخبـــرا
وفقـد جـامـع ومـع إيهـام عطف سوى المقصودِ في الكلام

ووصل بين الثلاث المتأخرة؛ لأنها سيقت لغرض ومعنى واحد، وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه، قال صاحب «الجوهر المكنون»:

وصل لدى التَّشريك في الإعراب وقصد رفع اللَّبس في الجواب
وفـي اتفـاق مـع الاتّصـال في عقل أو في وهم أو خيال

ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويلد فعل مضارع مجزوم بلم، ولم يولد عطف عليه، ولم عطف، ويكن فعل مضارع مجزوم بلم، وله حال، أو متعلقان بكفواً، وكفواً خبر يكن المقدم، وأحد اسمها المؤخر.

وفيما يلي مناظرة ممتعة بين الزمخشري وأبي حيان حول تقديم له، قال الزمخشري: فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد نصّ سيبويه على ذلك في كتابه، فما باله مقدماً في أفصح الكلام وأعربه؟ قلت: هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباريء سبحانه وتعالى، وهذا المعنى مصبّه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأغناه، وأحقّه بالتقديم وأحراه.

وقال أبو حيان: هذه الجملة ليست من هذا الباب، وذلك أن قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ليس الجار والمجرور فيه تاماً، إنما هو ناقص، لا يصلح أن يكون خبراً لكان، بل هو متعلق بكفواً، وقدم عليه، فالتقدير: ولم يكن أحد كفواً له، أي: مكافئه، فهو في معنى المفعول متعلق بكفواً، وتقدم على كفواً للاهتمام به؛ إذ فيه ضمير الباريء سبحانه وتوسط الخبر، وإن كان الأصل: التأخير؛ لأن تأخر الاسم هو فاصلة، فحسن ذلك، وعلى هذا الذي قررنا يبطل إعراب مكّي وغيره أن له الخبر، وكفواً حال من أحد؛ لأنه ظرف ناقص، لا يصلح أن يكون خبراً، ويبطل سؤال الزمخشري وجوابه، وسيبويه إنما تكلم في الظرف الذي يصلح أن يكون

خبراً، ويصلح أن يكون غير خبر، قال سيبويه: وتقول ما كان فيها أحد خير منك، وما كان أحد مثلك فيها، وليس فيها أحد خير منك؛ إذا جعلت فيها مستقراً، ولم تجعله على قولك: زيد قائم، أجريت الصفة على الاسم، فإن جعلته على: فيها زيد قائم، نصبت، فتقول: ما كان فيها أحد خيراً منك، وما كان أحد خيراً منك، وما كان أحد خيراً منك فيها، إلا أنك إذا أردت الإلغاء، فكلما أخّرت الملغى كان أحسن، وإذا أردت أن يكون مستقراً، فكلما قدّمته كان أحسن، والتقديم والتأخير، والإلغاء والاستقرار عربي، جيد، كثير، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وقال الشاعر: «ما دام فيهنّ فصيل حيّاً» انتهى.

وما نقلناه ملخصاً هو بألفاظ سيبويه، فأنت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي يصلح أن يكون خبراً، ومعنى قوله مستقراً، أي: خبر للمبتدأ ولكان، فإن قلت: فقد مثّل بالآية الكريمة، قلت: هذا الذي أوقع مكياً والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه، وإنما أراد سيبويه أن الظرف التام، وهو في قوله: ما دام فيهنّ فصيل حيّاً؛ أجري فضلة لا خبراً، كما أن له في الآية أجري فضلة، فجعل الظرف القابل أن يكون خبراً، كالظرف الناقص في كونه لم يستعمل خبراً، ولا يشك من له ذهن صحيح أنه لا ينعقد من قوله: ولم يكن له أحد، بل لو تأخر كفواً، وارتفع على الصفة، وجعل له خبراً لم ينعقد منه كلام، بل أنت ترى أن النفي لم يتسلط إلا على الخبر الذي هو كفواً، وله متعلق به، والمعنى: ولم يكن له أحد مكافئه.

هذا وقد أورد ابن المنير بهذا الصدد نكتة عن سيبويه تدلّ على ألمعية هذا الرجل، وثقوب ذهنه، قال: نقل عن سيبويه: أن سمع بعض الجفاة من العرب يقرأ: ولم يكن أحد كفواً له، وجرى هذا الجلف على عادته، فجفا طبعه عن لطف المعنى الذي لأجله اقتضى تقديم الظرف مع الخبر على الاسم، وذلك: أن القرض الذي سيقت له الآية نفي المكافأة والمساواة عن ذات الله تعالى، فكان تقديم المكافأة المقصود بأن يسلب عنه أولى، ثم لما

قدّمت لتسلب ذكر معها الظرف، ليبيّن الذات المقدسة بسلب المكافأة.

□ **البلاغة:**

وأبرز ما تتميز به سورة الإخلاص هو الإيجاز، وقد تقدمت أمثلة منه، وسنحاول الآن جلاء الأغراض الكامنة في إيجازها، وحصر متنها، وتقارب طرفيها، وسنحاول أن نبسط ذلك بسطاً يوضّح المقصود، ويدرك به الهدف المنشود:

(١) اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى، يتضمنان جميع أوصاف الكمال، وهما: الأحد، والصمد؛ لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال؛ لأنه الذي انتهى إليه سؤدده، فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع صفات الكمال، وذلك لا يصلح إلا لله تعالى.

(٢) تضمنت توجيه الاعتقاد، وصدق المعرفة، وما يجب إثباته لله من الأحدية المنافية لمطلق الشركة، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال؛ الذي لا يلحقه نقص.

(٣) نفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى.

(٤) نفي الكفء المتضمن لنفي الشبيه، والنظير.

(٥) قالوا: سورة الإخلاص ثلث القرآن؛ لأن القرآن خبر وإنشاء، والإنشاء أمر ونهي وإباحة، والخبر خبر عن الخالق وخبر عن خلقه، فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عن الله، وخلصت قارئها من الشرك الاعتقادي.

(٦) كثرت أسماؤها، وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى، وهذا جدول باسمائها العشرين، مع شرح سريع لكل اسم:

١ ـ الإخلاص: وقد تقدم معناه، وأنها أخلصت الخبر عن الله، وخلصت قارئها من الشرك.

٢ ـ التنزيل: لأنها أدّت أكمل الأغراض بتنزيلها.

٣ ـ التجريد: لأنها تجرد قارئها من الشرك وبواعثه، ومن تعلق بها تجرد عن الانحياز.

٤ ـ التوحيد: لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده، وعلم التوحيد من الله بمكان، وكيف لا يكون كذلك، والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه، ويتضع بضعته، ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته، وما يجوز عليه، وما لا يجوز، وناهيك بشرف منزلته، وجلالة محله، وإنافته على كل علم، واستيلائه على قصب السبق.

٥ ـ النجاة: لأنها تنجي قائلها من النار.

٦ ـ الولاية: لأن من تعلق بها أعطاه الله الولاية.

٧ ـ الجمال: لدلالتها على جمال الله تعالى، أي: اتصافه بالكمالات، وتنزيهه عن النقائص.

٨ ـ المعرفة: لأن من فهمها، وسبر أغوارها، عرف الله تعالى حق المعرفة.

٩ ـ المقشقشة: من قشقشه من الجرب، أو الجدري: أبرأه، فبرىء، وسمِّيت بذلك لأنها تبرىء قارئها من الأوضار، ومن جميع دواعي الشرك، والنفاق.

١٠ ـ المعوذة: لأنها تحصن قارئها من فتن الدنيا والآخرة.

١١ ـ الصمد: وقد تقدم القول فيه مطولاً.

١٢ ـ النسبة: لقول المشركين: انسب لنا ربك.

١٣ ـ الأساس: لأنها أصل الدين وعماده.

١٤ ـ المانعة: لأنها تمنع فتنة القبر، وعذاب النار.

١٥ ـ المحتضر: لأن الملائكة تحضر لاستماعها.

١٦ ـ المنفرة: لأن الشياطين تنفر عند قراءتها.

١٧ ـ البراءة: لأنها براءة من الشرك.

١٨ ـ المذكرة: لأنها تذكر العبد خالص التوجيه.

١٩ ـ النور: لأنها تنوِّر القلب.

٢٠ ـ الإنسان: لأنه لا غنى للإنسان عنها.

* * *

سورة الفلق

ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ الْفَلَقِ ﴾: الصبح. قال الزمخشري: الفلق والفرق: الصبح؛ لأن الليل يفلق عنه، ويفرق، فعل بمعنى مفعول، يقال في المثل: هو أبين من فلق الصبح، ومن فرق الصبح، ومنه قولهم: سطع الفرقان: إذا طلع الفجر. وقال الشاعر:

ياليلةً لم أَنَمْهَا بِتُّ مُرْتَفِقاً ... أرعى النُّجُومَ إلى أن نوَّرَ الفَلَقُ

وقال آخر يصف الثور الوحشي:

حتَّى إذا ما انْجَلَى عن وجهِهِ فَلَقٌ ... هادِيهِ في أُخْرَياتِ اللَّيلِ مُنْتَصِبُ

وهناك أقوال أخرى في المراد به يرجع فيها إلى المطولات، والأول أولى؛ ولهذا ضربنا صفحاً عنها.

﴿غَاسِقٍ﴾ الغاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه، قال الشاعر:

يا طيفَ هِنْدٍ لقد أَبْقَيت لي أَرَقاً		إذْ جئتنا طارِقاً والليلُ قَدْ غَسَقا

﴿وَقَبَ﴾ دخل ظلامه كل شيء، ويقال: وقبت الشمس: إذا غابت، وفي الحديث: «لما رأى الشمس قد وقبت» قال: هذا حين حلّها، يعني: صلاة المغرب، وهناك أقوال أخرى ليس هذا موضعها.

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ السواحر اللواتي تنفث في العقد التي تعقدها، والنفث كما في المختار: شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل، وقد نفث الراقي، من باب: ضرب، ونصر، والنفاثات في العقد: السواحر. وسيأتي المزيد من معناها في باب: الفوائد.

○ الإعـراب:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ قل فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، وجملة أعوذ مقول القول، وأعوذ فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر، تقديره: أنا، وبرب الفلق متعلقان بأعوذ، ومن شر متعلقان بأعوذ، وما اسم موصول مضاف إليه، وجملة خلق صلة، والعائد محذوف، أي: خلقه، ويجوز أن تكون مصدرية ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ عطف على ما تقدم، وإذا ظرف لمجرد الظرفية، وجملة وقب في محل جر بإضافة إليها ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ عطف على ما تقدم أيضاً، وفي العقد متعلقان بالنفاثات ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ عطف على ما تقدم، وإعرابه ظاهر.

* الفوائـد:

عرّف بعض المستعاذ منه، ونكّر بعضه للتعميم والتخصيص، فكلّ نفاثة

شريرة، أما الحسد فمنه المحمود، ومنه المذموم، قال صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين» وقال أبو تمام:

. . . . إنَّ العُلا حَسَنٌ في مِثْلِها الحسد

وقال:

. . . . وما حاسدٌ في المكرماتِ بحاسِدِ

* * *

سُورَةُ النَّاسِ

ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ الْوَسْوَاسِ ﴾ اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوسواس بالكسر، كزِلزال، والمراد به: الشيطان، سمّي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه؛ لأنه صنعته، وشغله، وأريد: ذو الوسواس. وفي المصباح: أنه يطلق أيضاً على ما يخطر بالقلب من الشر، وكلّ ما لا خير فيه. وفي المختار: حديث النفس، يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة، ووِسواساً بالكسر، والوسواس بالفتح: الاسم.

﴿ الْخَنَّاسِ ﴾ في المختار: خنس عنه: تأخر، وبابه: دخل، وأخنسه

غيره، أي: خلفه، ومضى عنه، والخناس: الشيطان؛ لأنه يخنس إذا ذكر الله عزّ وجلّ. قال في أساس البلاغة: خنس الرجل من بين القوم خُنوساً: إذا تأخر، واختفى، وخنّسته أنا، وأخنسته، وأشار بأربع، وخنس إبهامه، ومنه الخناس، وفي الحديث: «الشيطان يوسوس إلى العبد، فإذا ذكر الله خنس» وفي أنفه خَنَسٌ، وهو انخفاض القصبة، وعرض الأرنبة. والبقر: خنس.

○ الإعراب:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ قل فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، وجملة أعوذ مقول القول، وأعوذ فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: أنا، وبرب الناس متعلقان بأعوذ، وملك الناس، وإله الناس بدلان، أو صفتان، أو عطفا بيان، وكرّر الإضافة فيهما زيادة للبيان. قال في الكشاف: فإن قلت: فهلاّ اكتفى بإظهار المضاف إليه؛ الذي هو الناس مرة واحدة؟ قلت: لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنّة للاظهار دون الإضمار. ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلقان بأعوذ، والوسواس مضاف إليه، والخناس صفة ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ الذي نعت لوسواس، قال في الكشاف: يجوز في محله الحركات الثلاث، فالجرّ على الصفة، والرفع والنصب على الشتم. ويوسوس فعل مضارع، وفي صدور الناس متعلقان بيوسوس ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس، فمن بيانيّة، ويصحّ كونها ابتدائية متعلقان بيوسوس، أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجنة، ومن جهة الناس. ويصحّ كونها تبعيضية، أي: كائناً من الجنة والناس. وفي الخطيب: قيل: إنه بيانٌ للناس الذي هو في صدروهم، فقد قيل: إن إبليس يوسوس في صدور الجن، كما يوسوس في صدور الناس.

*** الفوائـــد :**

١ ـ عن رسول الله ﷺ: «لقد أنزلت عليّ سورتان، ما أنزل مثلهما، وإنك لن تقرأ سورتين أحبّ ولا أرضى عند الله منهما» يعني: المعوّذتين، ويقال للمعوذتين: المقشقشتان.

٢ ـ أجمع جميع القرّاء في هذه السورة على إسقاط الألف من ملك، بخلاف الفاتحة، فاختلفوا فيها كما تقدّم.

٣ ـ روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، فنفث فيهما، وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده. يصنع ذلك ثلاث مرات.

* * *

فهرس الآيـات

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الشمس